السواد الأعظم



لمحات يسيرة إلى حسن السيرة العارف بالله تعالى

أبي المحاسن الحسن الشيخ أحمد أبو الحسن

رضي الله عنه وأرضاه

تقديم الطبعة الثانية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

{وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَل لِّي مِن لَّدُنكَ سُلْطَانًا نَّصِيرًا}[1]

صدق الله العظيم

الحمد لله رب العالمين، الرحمن الرحيم، الهادى إلى صراطه المستقيم، المتفضل على العبد العديم، يفعل الخير، ويعين عليه، ثم ينسبه إلى عباده تفضلاً من لدنه، وهو سبحانه وتعالى ذو الفضل العظيم.

وصل اللهم وسلم على سيدنا محمد رسوله ومصطفاه وحبيبه ومجتباه، الذى ارتضاه قاسما لعطاياه، القائل ـ صلى الله عليه وسلم ـ :" من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين، وإنما أنا قاسمٌ والله يعطى، ولن تزال هذه الأمة قائمة على أمر الله، لا يضرهم من خالفهم، حتى يأتي أمر الله"[2]، وعلى آله وصحبه ومن والاه.

أما بعد

بعد مرور زهاء عقد من الزمان على جمع وتقديم سيرة شيخى العارف بالله تعالى أبو المحاسن والإحسان الشيخ أحمد أبو الحسن عبد الرحمن في الكتاب المسمى ب (السواد الأعظم) ـ وجدتنى أشوق إلى نشر الكتاب في طبعة جديدة منقحة، ومزيدة بما فاتنى من تعليقات في الطبعة السابقة، بعد تصويب ما شابها من أخطاء مادية.

بيد أن السبب الأقوى الذى دفعنى إلى إخراج الطبعة الجديدة هو زيادة الطلب من كثير من أحباب الشيخ علي اقتناء نسخة من الكتاب، بعد نفاذ الطبعة الأولى.

وكان حقاً علىَّ تقديم هذه الطبعة؛ استجابة وتيسيراً لمن يطلبها، كما شرعت في نشرها عبر الوسائط الإلكترونية والرقمية؛ لتوفيرها بسهولة

---

[1]) سورة الاسراء : ٨٠ .

[2]) الراوى معاوية بن سفيان رضى الله عنه ، المصدر : صحيح البخارى ، رقم ٧١.

ويسر لكل من يرغب في قراءتها، باعتبار هذا النوع من الوسائط هو الأكثر شيوعاً واستخداماً وتفاعلاً في وقتنا المعاصر. وها هي النسخة الجديدة متاحة بين يدى الجميع.

وإنه لمن يُمن الطالع إصدارهذه الطبعة بعد أن مَنَّ الله علىَّ ووفقنى في جمع كتاب بعنوان (رفع هضم الإمام الختم)[1]، يقدم أثارة من معين السيرة النقية لشيخ العصبة الهاشمية مولانا الإمام محمد أبو الفتوح العربى ـ رضى الله عنه ـ ذلك الإمام الذى انطوى تحت لوائه شيخى العارف بالله تعالى الحاج أحمد أبو الحسن ـ صاحب السيرة.

ويطيب لى ـ عزيزى القارئ ـ طرح تلك النسخة من كتاب (رفع هضم الإمام الختم) متزامنة مع الطبعة الثانية من كتاب (السواد الأعظم) لتكتمل الصورة أمام القارئ بالجمع بين سيرتى هذين الشيخين المتفردين، اللذين عَزَّ الزمان أن يجود بمثلهما.

والله أسأل التوفيق والسداد فيما أبغى، كما أسأله ـ سبحانه وتعالى ـ أن يجعله علماً نافعا مُتَقبلاً، ومحلاً لرضاه، وشفيعاً لى يوم لقاه ـ بمحض فضله وعطاياه ـ فعن أبى هريرة ـ رضى الله عنه وأرضاه ـ أن سيدنا رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم قال: " إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاثٍ: صدقةٍ جاريةٍ، أو علمٍ ينتفع به، أو ولدٍ صالح يدعو له "[2].

وعلى الله قصد السبيل فهو نعم المولى ونعم النصير.

أعيد طبعه في الأول من جماد الأولى عام ١٤٤٥ هـ الموافق ٢٠٢٣/١١/١٥

[1]) صدر كتاب (رفع هضم الإمام الختم) بتاريخ ٢٠٢٠/٨/٢٠م ، إلا أن الكثير لم يتمكن من اقتناء نسخة منه ، الأمر الذى ارتأيت معه طرح طبعة جديدة منه لتكون متاحة وميسرة للجميع سواء مطبوعة ، أو عبر الوسائط الإلكترونية والرقمية جنباً إلى جنب مع كتاب (السواد الأعظم) .

[2]) رواه مسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه وأرضاه ، شرح بلوغ المرام (الشرح الجديد) ، باب الوقف ، رقم ٩٣١ .

مقدمـــــــة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

{وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَل لِّي مِن لَّدُنكَ سُلْطَانًا نَّصِيرًا}[١]

صدق الله العظيم

اللهم صل على سيدنا محمد الفاتح لغيب العماء، ومصدر التجليات ومقسم العطاء، إمام دولة المرسلين والأنبياء، والعارفين والأولياء، وعلى آله الشرفاء، وأصحابه النجباء، وسلم تسليماً كثيرا.[٢]

استهل هذا الأمر العظيم مستعيناً بالله تعالى، مستعيراً مقالة من نحن فى رحابه؛ تبركاً وتوطئة لما هو آت، فأقول، وبالله التوفيق:

" الحمد لله الخالق البارئ المصور المنزه المتعالى عن المشاركة والمشاكلة، أخفى فى ألطاف سره أسرار، أبدع فى خلقه، واختص، واختار صفوة صفاها، ووصفها، ونزهها، وجعل منهم مرسلين وأنبياء، وهدى بهم العباد إلى طريق المعرفة والرشاد، وجعل أولياءه ورثة لأنبيائه، فهى حضرات تصب فى حضرات، فجعل الله لكل زمان أمان، فالأمان هو عمدة الله فى الأقضية، وهو الذى ارتضاه ربه على صورته، وهو نظرة الله الممدودة، وبوسع علمه المحددة به فى خلقه، خليفة الله مَنْ جعله الله فى صورة إنسان، فاطلعه على أسرار البيان، وهو من البشر المباشر للحضرتين، صاحب الحضرات، الواحد، الفرد المحيط الجامع، العروة الوثقى، المهاجر بأنفاسه بالأمم إلى ربها، وهو بسم الله الرحمن الرحيم، وهو الكعبة الغراء، وهو بيت الخلوة، جمع الله فيه أمره، ونفذ بأنفاسه قدره، وهو المدد الممدود، والغوث المشهود، الصديقى القدم، العلوى الحال والهمم، أكمل الرجال، المتلقى آدم المقال، وسفينة نوح للارتحال، وخلة الخليل المتمكنة بصحاف سرالخلوة

---

[١]) سورة الاسراء : ٨٠.

[٢]) مولانا العارف بالله تعالى الحاج أحمد أبو الحسن - صاحب السيرة - كتيبه (الصلوات الكنزية) ، مطبوع ، ولم يتم نشره.

بالواسطة الأحمدية، ومكالمة موسى المشمولة بقديم المقال، وزابور داؤود الذى ارتعدت وأنابت وسبحت وأطاعت له ذرات الجبال، وقداسة عيسى المختصة بأناجيل الأسرار، وصديقية يوسف المعززة بالعزة بالفصل بالتأويل فى القيل والقال، وهو حوض الرسالات الممدة لكل الحضرات، والفرقان الفارق، وهو ابن أبيه، وسره الذى فيه، أحمدى المكانة، محمدى الأمانة، محمود الحكم والعدل، مَنْ صرَّفه الله فى كل أمره.

نسألك اللهم به أن تجعلنا من أتباعه؛ حتى نحيا الحياة التى يرضاها لنا، ونكون فى يده آله، وصل اللهم على جده المخصوص بالرسالة، وعلى آله وصحبه وسلم آمين "[1].

أما بعد

يطيب لى ـ عزيزى القارئ ـ أن أصحبك فى سيرة أحد رجال الله، الذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه، وبَذَلوا المهج فى التقرب إليه، نقتطف من أزاهير بساتينها، ونستنشق من أرائج عبيرها، ألا وهى سيرة العارف بالله تعالى، الشارف الوارف، الذى من الإحسان غارف، مولانا المعروف بأبى المحاسن الحسن الحاج أحمد أبو الحسن رحمه الله.

فما أجلَّ الحديث عنه، وما أعظم وعاطر تناول سيرته، فالشيخ عَرُوف بالله عَرِيف على أهله، اصطنعه الله بيده لحضرته ونفسه، لاحول له ولاقوة إلا به، ولايفعل شيئ إلا بأمر منه، فهو مظهر من مظاهر الحق الكونية، التى تتجلى فيها حقائقه العلية.

لذا، كان من الأهمية بمكان، الحديث عن رجل من أهل المعرفة والعرفان، السعداء فى الدنيا والأخرى، الذين جعلهم الله لحضرته أهلا، ولنظره محلا، فهم أهل قبلته، وموطن رحمته.

وقد تزاحمت الوُزَّاع على قلبى فرأيتنى مدفوعاً إلى الحديث عن ذلك المجدد للأمة دينها، فساعة يغمرنى الرجاء فى يوم اللقاء، وأخرى ينتابنى شعور برغبة الأخوة والأحباء، وثالثة تحملنى الأمانة العلمية مسئولية الأداء.

---

[1]) مولانا العارف بالله تعالى الحاج أحمد أبو الحسن عبد الرحمن ـ صاحب السيرة ـ مقالة نقلت عنه ـ رضى الله عنه ـ ونسخت في لوحة محفوظة لدى بعض أحبابه ، وتم نقلها هنا من لوحة بمنزل الشيخ فاروق أبو علام بناحية الشطب مركز دراو حاليا .

فإن شئت قل، الرجاء فى أن يلهمنى الله الصواب عند سؤاله سبحانه عن عمل عملته له، فأقول بين يديه: هذا ما وفقتنى إليه من عمل، قدمته حباً في ولى من أوليائك، فقد رُوِىَّ أن الله تعالى أوحى إلى موسى ـ عليه السلام ـ هل عملت لى عملا قط، فقال: إلهى إنى صليت لك، وصمت لك، وتصدقت لك، وزكيت، فقال: إن الصلاة لك برهان، والصوم جنة، والصدقة ظل، والزكاة نور، فأى عمل عملت لى؟ قال: موسى إلهى دلنى على عمل هو لك؟ قال: ياموسى هل واليت لى وليا قط، و هل عاديت لى عدوا قط، فعلم موسى أن أفضل الأعمال الحب فى الله، والبغض فى الله"[1].

ويقول أحدهم[2]: "ماتعبد متعبد بأكثر من التحبب إلى أولياء الله تعالى، فإذا أحب أولياء الله فقد أحب الله، وإذا أحبه الأولياء فقد أحبه الله تعالى".

وإن شئت قل، السعى فى تلبية رغبة الأحباب، والإخوان فى الحديث عن شيخهم، وذكر مناقبه، واشتياقهم إلى تتبع سيرته، فقد ورد عن الشيخ قوله:" إن لىَّ عيال وإخوان وإخوة، فعيالى خاصة من صاحبتهم فى الدنيا وصدقونى، وإخوانى قوم يأتون من بعدى ويحبونى ويدعون بدعوتى، أما إخوتى فهم أبناء أبى وأمى"، ثم قال: " إن من الإخوان من يسعى إليكم (أى إلى عياله) تُشَوِقُهم سيرتى، فيسألونكم كيف كان يأكل، وأى اللباس كان يلبس، إلى آخره ... وستشتاقون إلىَّ وإلى كلامى، حتى أنكم تتمنوا كحتى".

وحسبى أن يدخلنى الله فى جملة عياله، بل كفى بى شرفاً أن شملنى عصره، وجمعنى على حضرته، وأباح لى مطالعة صورته، فلله الفضل والحمد من قبل ومن بعد.

وإن شئت فقل، أداء الأمانة العلمية، وزكاة العلم، إذ تشرفت بصحبة الشيخ، والأخذ عن حضرته، ووفقنى فى جمع العديد من الروايات والحكايات عنه، فضلاً عن اقتنائى سهماً من تراثه، وأَثَارة من علمه، فكان من واجبى نشر ما حصَّلته؛ ليكون مُتاحاً للعم الجم من المحبين، والمهتمين بسيرة أهل

---

[1]) أبو حامد الغزالى فى كتابه إحياء علوم الدين ، الجزء الثانى ، دار إحياء الكتب العربية ، فيصل عيسى البابى الحلبى ، ص١٥٨، وروى مثله حديث عبد الله بن مسعود رضى الله عنه رَسُولُ اللَّهِ ـصلى الله عليه وسلمـقال :يَا عَبْدَ اللَّهِ أَىُّ عُرَى الإِسْلاَمِ أَوْثَقُ؟ . قَالَ قُلْتُ : اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ :« الْوَلاَيَةُ فِى اللَّهِ الْحُبُّ فِى اللَّهِ وَالْبُغْضُ فِى اللَّهِ »، الشهادات ، مسند البيهقى ، حديث رقم ٢١٦٠٠.

[2]) أبو الفوارس شاه بن شجاع الكرمانى ، نقلاً عن :عبد الوهاب الشعرانى ، الطبقات الكبرى ـ المسمى لواقح الأنوار فى طبقات الأخيار ـ الجزء الأول والثانى ، المكتبة التوفيقية ، القاهرة ، سيدنا الحسين ، ص١٥٥.

الله؛ فينتفعون كما انتفعت، ويستدركون ما فاتنى منه، "فَرُبَّ مُبَلَّغٍ أَوْعَى من سَامِعٍ"[1].

وقد ترددت طويلاً قبل الشروع فى هذا الأمر، وترقبت أن يتقدم منْ هو خير منى لهذه المهمة الصعبة، وبعد عقدين مضيا من الزمان على انتقال الشيخ إلى الرفيق الأعلى، وخشيتى من قرب الأجل قبل تحقيق الأمل ـ عقدت العزم متوكلاً على رب العباد فى تناول سيرة عارف من أصدق العُبَّاد، قلَّ أن يجود الزمان بمثله.

وعزوت تيسير الأمر إلى إذن صاحبه، وها هو وميض ثناياه يضيئ لى صفحات من سيرته.

وأود التنويه إلى أن ما شرعت فيه من عمل لا يُقصد منه ترجمة الشيخ، أو الوقوف على حقيقة مقامه، فالحق أن العبد لم يحط علماً بمقام الشيخ حتى يتكلم عليه أحد، بل لو رام الولى أن يتكلم على مقام نفسه لايقدر"[2].

وإنما يممت قصدى إلى تقديم نذر يسيرعن مظهر كونى لحقيقة إلهية جالت فى الأرض، وقامت بين ظهرانى الخلق.

ولئن كانت الأجيال المعاصرة لم ترنوا إلى تلك المظاهر الكونية، وهم أغِرَّاء بها فى حاضرهم، مع تسليمهم بها فى أمم قد خلت من قبلهم.

---

[1]) الموسوعة المختصرة للأحاديث النبوية ، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ، المجلد الأول ، القاهرة١٤٣٣هـ / ٢٠٠٣م ، ص ٦١ ، ٦٢ ، وقد ورد هذا الحديث فى صحيح البخارى ، برقم ٤٤٠٦ ، وهو حديث طويل ، وله رواية أخرى : " ... ألا هل بلغت " . قالوا : نعم . قال : " اللهم اشهد ، فليبلغ الشاهد الغائب ، فَرُبَّ مُبَلَّغٍ أَوْعَى من سَامِعٍ ، فلا ترجعوا بعدى كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض".

[2]) عبد الوهاب الشعرانى ، الطبقات الكبرى ، مرجع سابق ، ص ٥٠٦ .

ولا تثريب عليهم إذ أن الأولياء ضنائن الحق، وعرائسه المخبأة فى الخلق[1]، ويتساءل أحدهم[2]:" ومن أين لعامة الناس أن يعلموا أسرار الحق تعالى فى خواص عباده من الأولياء والعلماء، وشروق نوره فى قلوبهم، ولذلك لم يجعلهم إلا مستورين عن غالب خلقه لجلالتهم عنده، ولو كانوا ظاهرين فيما بينهم وآذاهم إنسان لكان قد بارز الله تعالى بالمحاربة، فأهلكه الله، فكان سترهم عن الخلق رحمة بالخلق، ومن ظهر من الأولياء للخلق إنما يظهر لهم من حيث ظاهر علمه، ووجود دلالته، وأما من حيث سر ولايته فهو باطن لم يزل ".

وقيل:"معرفة الولى أصعب من معرفة الله فإن الله معروف بكماله وجماله، ومتى حتى تعرف مخلوقا مثلك يأكل كما تأكل ويشرب كما تشرب"[3].

لذا، فقد شرعت - وعلى الله قصد السبيل - فى جمع ما تناثر من سيرة الشيخ، وفيوضاته الربانية بما حملته من المعانى والإشارات، وما يستدل منها على خصوصية منزلته، ودقائق معرفته، وجليل علمه، ولطائف إشاراته، وطهارة أسراره.

وتتمثل غاية السيَّر فى أن عادة أهل المعرفة إذا فاتهم المجالسة والمخالطة أن يعرفوا أشكالهم من سيَّر أقرانهم، وجاء فى الأثر قولهم:"مَنْ مُنِعَ من النظر استأنس بالأثر، ومَنْ عُدِمَ الأثر تعلل بالذكر"، وقال قائل[4]:

فما عندى لكم أثر *** ولم أسمع لكم خبر.

---

[1]) انظر فى توضيح ذلك : ابن عطاء الله السكندرى لطائف المنن فى مناقب الشيخ أبى العباس المرسى وشيخه الشاذلى أبى الحسن مكتبة القاهرة لصاحبها على يوسف سليمان شارع الصنادقية بميدان الأزهر الطبعة الأخيرة ١٣٩٩هـ- ١٩٧٩م ص٢١ ، يقول : سمعت شيخنا أبا العباس رضى الله تعالى عنه يقول : الأولياء آيات الله يتلوها على عباده بإظهار إياهم واحدا بعد واحد ، تلك آيات الله نتلوها عليك بالحق . ويقول فى قوله عز وجل : { ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها } أى ما من ولى لله إلا ونأتى بخير منه أو مثله ، وقد سئل بعض العارفين عن أولياء الله أينقصون فى زمن فقال : لو نقص منهم واحد ما أرسلت السماء قطرها ولا أبرزت الأرض نباتها وفساد الوقت لايكون بذهاب أعدادهم ولا بنقص أمدادهم ولكن فسد الوقت كان من الله سبحانه وتعالى وقوع اختفائهم مع وجود بقائهم فإذا كان أهل الزمن معرضين عن الله تعالى مؤثرين لما سوى الله تعالى لا تنجح فيهم الموعظة ولاتميلهم إلى الله التذكرة لم يكونوا أهلا لظهور أولياء الله فيهم ولذا قالوا أولياء الله تعالى عرائس ولا يرى للعرائس المجرمون . ، وقيل : أن سبب اختفاء الكمل من الواصلين قلة صدق الطالبين .

[2]) قول : محى الدين بن عربى ، نقلاً عن : الإمام عبد الوهاب الشعرانى ، الطبقات الكبرى ، مرجع سابق ، ص١٥.

[3]) ابن عطاء الله السكندرى ، لطائف المنن فى مناقب الشيخ أبى العباس المرسى وشيخه الشاذلى أبى الحسن ، مرجع سابق ، ص١٢٣.

[4]) نقلاً عن : أبى نصر عبد الله السراج الطوسى ، اللُّمَّع فى تاريخ التصوف الإسلامى ، تحقيق عماد زكى البارودى ، المكتبة التوفيقية ، أمام الباب الأخضر - سيدنا الحسين ، القاهرة ، ص٣٦٥ .

ووُجِدَ على قصر بعض الملوك مكتوب:

إن آثارنا تدل علينا * فانظروا بعدنا إلى الآثار.**

هذا فضلاً عن الفائدة من سيرة أولياء الله بوصفهم البُشْرَى فى الحياة الدنيا وفى الآخرة، ففى سيَّرهم بشارات للمرء بفضل الله وآلائه عليهم، فيجاهد نفسه ويزكيها، وتشرأب روحه إلى باريها، بل قد يأخذ أصحاب السيَّر بلبه فيحبهم، ويرنوا إلى رحبهم، ويتأسى بفعلهم، حتى يعرج بهم إلى حظيرة ربهم.

ومما حضرنى فيه من النية أن أكثر سواد القوم بالاعتزاء إلى طريقهم، والإشارة إلى أحوالهم، فمن كثر سواد قوم، فهو منهم، وأرجو من الله الكريم صحة النية، وتخليصها من الأعطاب الدنية، وأسأله حفظ هذه السيرة الندية، وتجميلها لتكون بين يديه هدية.

ورأيت ملاك الأمر فى تعريف الشيخ بنفسه قائلاً:" أنا السواد الأعظم"، وما أدراك ما السواد الأعظم ؟! فقد ورد لفظ (السواد الأعظم) فى الحديث الشريف عن أَنَسِ بْنَ مَالِكٍ، قال سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم- يَقُولُ:" إِنَّ أُمَّتِى لَنْ تَجْتَمِعَ عَلَى ضَلاَلَةٍ فَإِذَا رَأَيْتُمُ اخْتِلاَفًا فَعَلَيْكُمْ بِالسَّوَادِ الأَعْظَمِ"[١].

ويقول أحدهم[٢]: عليكم باتباع السواد الأعظم، قالوا له: منْ السواد الأعظم؟ قال هو الرجل العالم أو الرجلان المتمسكان بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وطريقته، وليس المراد به مطلق المسلمين، فمن كان مع هذين الرجلين أو الرجل وتبعه فهو الجماعة، ومن خالفه فقد خالف أهل الجماعة.

ويقول آخر[٣]: أن الحقيقة الداعية إلى الله تعالى فى كل دور هو صاحب وقته، وكل الدعاة فى زمنه إنما هم رقائقه وألسُنَه {قُلْ هَٰذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ}[٤].

---

[١]) سنن ابن ماجه ، الفتن ، حديث رقم ٤٠٨٥ ، نقلاً عن : موسوعة الحديث الشريف ، مرجع سابق .

[٢]) محمد بن أسلم الطوسى رضى الله تعالى عنه توفى سنة ست وعشرين ومائتين - نقلاً عن : الإمام عبد الوهاب الشعرانى ، الطبقات الكبرى ، مرجع سابق ، ص ١٠٩.

[٣]) سيدى على ولد سيدى محمد وفا رضى الله عنه - نقلاً عن : الإمام عبد الوهاب الشعرانى ، الطبقات الكبرى ، مرجع سابق ، ص٣٩٩.

[٤]) يوسف: ١٠٨ .

وعلامته، اندراج بياناتهم وكشوفاتهم فى كشفه وبيانه، واختصاصه عنهم بما لاسبيل لهم إليه إلا بإمداده وفيضه.

ولاجرم أن الكتاب لا يحيط بسيرة رجل هو السواد الأعظم ـ بالمفهوم السابق ـ وملقب ب "العارف الغارف الشارف"، وكنيته "أبو المحاسن الحسن"، لكن الكتاب مجرد لمحات يسيرة إلى هذه السيرة؛

لذا، عنونته ب "السواد الأعظم، لمحات يسيرة إلى حسن السيرة العارف بالله تعالى أبى المحاسن الحسن الشيخ أحمد أبو الحسن رضى الله عنه".

وقد لاقت الدراسة ـ منذ الوهلة الأولى ـ صعوبات جمة، فالكتابة فى التصوف من الأمور الصعبة، بل تكاد أن تكون ضرباً من المستحيل، ويمكن تشبيه من يريدون الكتابة عن التصوف بالعميان الذين طلب منهم وصف الفيل، فكل واحد منهم وصف الجزء الذى استطاع أن يلمسه بيديه، ولكنهم جميعاً عجزوا عن وصف الفيل ككل[1].

فالتصوف تجربة روحية ذاتية يكابدها الصوفى، وهو نفسه لايستطيع التعبير عنها، وإذا حاول أن يعبر عنها خانته الألفاظ، وبالتالى فإن دارس التصوف الذى ليست له فيه تجربة قد يذهب فى فهمه لأقوال الصوفية فهماً لم يقصدوه، أو يفسرها تفسيراً يتناقض مع ما يريدون التعبيرعنه.

ويشير أبو على الروزبارى ـ رحمه الله تعالى ـ إلى ذلك بقوله: "عِلْمُنا هذا إشارة، فإذا صار عبارةً خَفِىَ "[2].

لذا، أوصى أبو حامد الغزالى ـ رضى الله عنه ـ بالتسليم بما يذكره عنهم، فقال:" وكان ماكان مما لست أذكره فظن خيراً، ولاتسأل عن الخبر"[3].

[1]) ذكرت هذا التشبيه كاتبة خبيرة فى التصوف الإسلامى : " A.Schimmel op. cit . P.XVII. " . مشار إليه فى موسوعة التصوف الإسلامى رقم (٨) ، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ، إشراف وتقديم ،الأستاذ الدكتور / محمود حمدى زقزوق وزير الأوقاف ، القاهرة ١٤٣٠ هـ ـ ٢٠٠٩م ، هامش ص١٧ .

[2]) أبو نصر عبد الله بن على السراج الطوسى ، اللمَّع فى تاريخ التصوف الإسلامى ، مرجع سابق ، ص٢٣٣ .

[3]) أبو حامد الغزالى ، المنقذ من الضلال ، تحقيق د. عبد الحليم محمود وزميله – مكتبة الأنجلو المصرية ١٩٦٤ ، ص٦٥ .

فالتصوف تذوق، ومن ذاق عرف، ومن لم يذق لم يعرف، ناهيك عن صاحب السيرة، الذى تفرَّد بين الرجال، ونال مقام الفتح الأكبر، فطوى الأحوال، وتجاوز المقامات، مما لا تسعه السطور، ولاتحيط به الفهوم.

ومن الصعوبات التى لاقت البحث ـ أيضاً ـ تناثر سيرة الشيخ بين أحبابه؛ إذ نال كل منهم سهماً منها، واختص بفهم قسط منها، فلزم السعى إليهم فرادى، والأخذ عنهم أشتاتا، حتى تكتمل الصورة أمام القارئ، وهيهات هيهات.

فوجدتنى أسعى إلى الفرقاء فمنهم منْ تحرَّج من الإدلاء بما لديه، ومنهم من ضنَّ به علىّ، ومنهم منْ خامرته غبطة فهتر الأمر، وهوَّنه، فغدا لسان حالى ناشئاً قول شيخى[1]:

خليلى لو أنصفت مالمت لوعتى * وصبوى لذاك الحسن عين كرامتى**

ويُعَد هذا الكتاب مزيجاً بين ترجمة رجل صوفى نبع نابعة، وبين مادة التصوف ذاتها؛ إذ امتلأ بأصول التصوف، وتطوره، واتجاهاته المتصلة بهذه الترجمة، فضلاً عن أقوال الصوفية المتقدمين، وآرائهم المنقولة عن أقوال وآراء صاحب الترجمة.

واستقيت تأصيل ماورد من معارف، وآراء الشيخ من معين الرعيل الأول، ومن يلونهم من أهل الله، فانتقيت من مأثور كلامهم، ومشهورات آرائهم، وغرائب أحوالهم، مستعيناً بأمَّات الكتب التى استقصت سِيَّرِهم ومعارفهم.

وسيكون الحديث فى هذا البستان على وجه الاقتصار فى كثير من المواضع، والاقتصاد أحياناً، وعلى وجه الاستقصاء فى مواضع معينة بما يفتح الله من معان.

ويتحرر المقصود من ذلك كله بتقسيم الكتاب إلى مقدمة وستة أبواب: الباب الأول ـ فى نسبه، ونشأته، وصفته، وبداياته فى طريق الدعوة إلى الله، والباب الثانى- فى شيوخه، والباب الثالث- فى عقيدته، وآرائه فى بعض

---

[1]) مولانا العارف بالله تعالى الشيخ / أحمد أبو الحسن عبد الرحمن ، بساتين الجنات فى المدائح والصلوات على سيد السادات ، مطبعة دار إحياء الكتب العربية ، عيسى البابى الحلبى القاهرة ، قصيدته بعنوان : (خليلى لو أنصفت مالمت لوعتى) ، ص١٣٥ .

المسائل العقائدية، والباب الرابع - فى علومه ومعارفه، والباب الخامس- فى دوره الاجتماعى، وموقفه المناوئ لبعض الفرق، والباب السادس- فى منزلته، ومريديه، وأخيراً، كتبه، ووفاته.

تم تحرير هذا الكتاب - بفضل الله تعالى - فى يوم السبت الأول من شهر ربيع الآخر عام ١٤٣٥هـ ، الموافق الأول من شهر فبراير عام ٢٠١٤م.

والله أسأل التوفيق والقبول، فهو نعم المولى ونعم النصير.

*****

الباب الأول

نسبه، ونشأته، وصفته، وبداياته، وكراماته

استهل هذا الباب بذكر نسب الشيخ ـ تبركاً وتيمناً بهذا النسب الشريف ـ ثم أَسْرِى بعد ذلك إلى بيت نشأته، ومن ثَمَّ أعرج إلى وصفه وصفته، وذلك فى الفصل الأول، بينما ألمح فى الفصل الثانى إلى خلوته، وهجرته، حتى نقف على معالم طريق بداياته، وكراماته التى صاحبت البدايات، وذلك على النحو الآتى.

الفصل الأول

نسبه، ونشأته، وصفته

ينقسم هذا الفصل إلى أبحاث ثلاثة: أولها ـ نسبه، والثانى ـ نشأته، والثالث ـ وصفه وصفته، وعلى الوجه التالى:

المبحث الأول

نسبه

ينتسب الشيخ من جهتى الأب والأم إلى قبيلة الجعافرة التى تعتزى إلى الإمام جعفر الصادق بن الإمام محمد الباقر بن الإمام على زين العابدين بن الإمام الحسين بن الإمام على بن أبى طالب، أسد الله الغالب، ابن عم الرسول، وزوج السيدة فاطمة الزهراء البتول، بنت الرسول صلى الله عليه وسلم .

يقول الشيخ: " أنا جدى الإمام الحسين أباً وأماً، وهذا مما مَنَّ الله به علىَّ ولا فخر "[1]. ويقول: " أنا شريف الأب والأم، وقد تلقيت نسبى الشريف مشافهة عن سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ".

[1]) جابر عبد المنعم على ، مقدمته لديوان الشيخ : (الأكسير فى التخميس والتشطير فى مدح طه البشير) ، ص ٢٢ .

وتجدر الإشارة إلى أن تلقى الشيخ نسبه النسب من سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم مشافهة ـ لا بسرد نَّسَّاب ـ لهو شرف بذاته لا يضاهيه شرفا، فضلاً عن دلالته على صدق هذا النسب، ورفعته.

كما تَأذَّنَ الشيخ بانتسابه هو وشيخه الإمام العربى إلى السلالة الهاشمية فقال: "سواء أنا، أو الشيخ العربى ننتسب إلى الأسرة الهاشمية سلالة النبى عليه الصلاة والسلام".

فأما نسب الشيخ من جهة الأب: فيخلص إلى قبيلة الكميلات من قبائل الجعافرة، وقد أملى الشيخ هذا النسب على أخيه الأصغر، بعد أن عَهِدَ إليه، وأوصاه بحفظه، وأمره بكتمه إلى حين.

وكان الشيخ قد اشتهر بانتمائه إلى قبيلة العبابدة التى ينتهى نسبها إلى الصحابى الجليل سيدنا عبد الله بن الزبير(رضى الله عنه)؛ إذ نشأ والد الشيخ بين ظهرانى هذه القبيلة، ووسم بوسمها، واتشحت الأسرة برداء هذه القبيلة.

ولم يشأ الشيخ التنكر لقبيلة العبابدة، بل اغتنمها فرصة لخدمة دعوته، فما برح يباهى بانتمائه من جهة الأب إلى سيدنا عبد الله ابن الزبير بن العوام(رضى الله عنه)، فدعوة الشيخ مُحَلِّقَةٌ فى أجواء آية المودة:{ قُل لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ}[1]، وقد يمَّمَ الشيخ قصده مذ قديم عهده إلى التدليل على قبائل الأشراف من أهل البيت المنتشرين فى أصقاع مصر ـ لاسيما صعيدها ـ وتفريدهم من اختلاطهم ببقية الأنساب، والعمل على جمع شملهم، والتأليف بينهم، والتعريف بقدرهم،وحقهم،وإبراز خصوصيتهم، والحث على مودتهم، ومناصرتهم.

لذا، حَبَّذَ الشيخ ستر نسبه من جهة الأب؛ تجنباً مما قد يختلط على البعض أن مرجع دعوته فى حب أهل البيت هو مجرد التعصب لأهله، أو ابتغاء الفخر بخاصة نسبه.

ذلك أن الدَّلالة على أهل البيت، والتعريف بحقهم ــ عنده ـ من موجبات الشريعة الغراء، لا ينبغى أن تُسْنَد إلى عصبية أهل، أو نسب، بل لا يجب أن يُلْتَبَسَ عليها بذلك الزعم.

---

[1]) الشورى : ٢٣ .

ويوضح الشيخ الأمر فيقول: إن مودة رسول الله صلى الله عليه وسلم لأهل بيته ليست من قبيل عاطفة أبوية، أو ميل قلبى فطرى لآل بيته وقرابته فحسب، بل جاءت ـ قبل هذا وذاك ـ تنفيذاً لأوامر الشرع، فمودة أهل البيت تمثل أساساً للإسلام؛ إذ أخرج البخارى فى تاريخه عن الحسن بن على(عليهما السلام) قال قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ:" لكل شيئ أساس وأساس الإسلام حب أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وحب أهل بيته "[1].

فالنبى صلى الله عليه وسلم يقول فنهتدى، ويعمل فنقتدى، فهو مأمور بتبليغ آية المودة؛ لهداية أمته، ومأمور أيضاً بتفعيلها؛ للاقتداء بحضرته.

وعن أَبِى بَكْرَةَ قَالَ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- يُصَلِّى بِالنَّاسِ وَكَانَ الْحَسَنُ بْنُ عَلِىٍّ يَثِبُ عَلَى ظَهْرِهِ إِذَا سَجَدَ فَفَعَلَ ذَلِكَ غَيْرَ مَرَّةٍ فَقَالُوا لَهُ وَاللَّهِ إِنَّكَ لَتَفْعَلُ بِهَذَا شَيْئاً مَا رَأَيْنَاكَ تَفْعَلُهُ بِأَحَدٍ. قَالَ الْمُبَارَكُ فَذَكَرَ شَيْئاً ثُمَّ قَالَ « إِنَّ ابْنِى هَذَا سَيِّدٌ وَسَيُصْلِحُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى بِهِ بَيْنَ فِئَتَيْنِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ »[2]. وحمل رَسُولُ اللَّهِ ـ صلى الله عليه وسلم- سيدنا الإمام الْحَسَنِ بْنِ عَلِىٍّ عَلَى عَاتِقِهِ فَقَالَ رَجُلٌ نِعْمَ الْمَرْكَبُ رَكِبْتَ يَا غُلاَمُ. فَقَالَ النَّبِىُّ صلى الله عليه وسلم: "وَنِعْمَ الرَّاكِبُ هُوَ"[3].

ويعلمنا رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بهذا أن ما فعله مع الإمام الحسن (رضى الله عنه) لم يكن بعاطفة أبوه، ولكن لسابقة فضله فى الإسلام، وحرصه على جمع الأمة الإسلامية.

وعن عَبْدِ اللَّهِ بْنُ بُرَيْدَةَ عَنْ أَبِيهِ قَالَ خَطَبَنَا رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- فَأَقْبَلَ الْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ- رضى الله عنهما ـ عَلَيْهِمَا قَمِيصَانِ أَحْمَرَانِ يَعْثُرَانِ وَيَقُومَانِ فَنَزَلَ فَأَخَذَهُمَا فَصَعِدَ بِهِمَا الْمِنْبَرَ ثُمَّ قَالَ: « صَدَقَ اللَّهُ (إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلاَدُكُمْ فِتْنَةٌ) رَأَيْتُ هَذَيْنِ فَلَمْ أَصْبِرْ »[4]. ثُمَّ أَخَذَ فِى الْخُطْبَةِ.

---

[1]) توفيق أبو علم ، السيدة نفيسة رضى الله عنها ، صادر عن المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ، لجنة التعريف بالإسلام بالإسلام ، ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٩م ، ص٥٤ ،

[2]) مسند أحمد ، حديث أبى بكرة ، حديث رقم (٢٠٩٨٨) ، نقلاً عن : موسوعة الحديث الشريف ، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ،(تطبيق تكنولوجى) .

[3]) سنن الترمذى ، المناقب ، حديث رقم (٤١٥٣) ، نقلاً عن : موسوعة الحديث الشريف ، مرجع سابق .

[4]) سنن أبى داوود ، الصلاة ، حديث رقم (١١١١) ، نقلاً عن : موسوعة الحديث الشريف ، مرجع سابق .

وبالطبع، لم يشرع ذلك لأطفال المسلمين؛ إذ لا يجوزلإمام المسجد أن يقطع خطبته، وينزل عن منبره ليحمل ابنه، ويصعد به المنبر.

وقد نَهَجَ الشيخ على نَهْجِ سيدنا رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وجهد فى ترسيخ محبة آل البيتَ فى أهل زمانه، وأَلِفْتَه يدعو، ويدلل على أنساب الأشراف من أهل البيت؛ هاضماً نفسه، وساتراً لشريف نسبه.

وقد يرجع سترالشيخ نسبه من أبيه إلى سَمْتِه من حُسن خُلُق، أو لزوم دعوته، أو تواضع وهضم ذات، أو قد يرجع إلى سِرٍ خفى يكون قد أُمِرَ بكتمه، أو إلى أمر آخر غير مُدْرَك.

بيد أن الشيخ باشر خاصة أحبابه ومريديه باعتزائه من جهة الأب إلى سيدنا رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ إذ يقص أحد الأحباب[١]، أنه قد عزَّ عليه تتابع ألسنة الناس على قولهم أن الشيخ ينتمى إلى قبيلة العبابدة، وليس بشريف، ولما ضاق بقولهم ذرعاً همَّ إلى لقاء الشيخ ليشفيه بالقول الفصل فى هذا الشأن، وبينما هو جالس بجوار الشيخ، وقبل أن ينطق ببنت شفاه، التفت إليه الشيخ، وبادره فأقسم له: "والله ما فىَّ ذرة من ذراتى تنتسب إلى العبابدة"، فهدأت نفسه، وجلا ما أهمه.

هذا من جانب، ومن جانب آخر فقد شَهِدَ الإمام محمد أبو الفتوح العربى بشريف نسب الشيخ، فقال: " الشيخ أحمد أبو الحسن شريف النسب من جهتى الأب والأم، ولا ينتسب إلى العبابدة التى انتمى إليها".

وأما نسب الشيخ من جهة أمه: فينتهى إلى قبيلة الحدادين، وهى قبيلة مشهورة، ينتهى نسبها إلى السادة الجعافرة بأسوان فى صعيد مصر.

وعلى خلاف نسب أبيه، لم ينزع الشيخ عن نفسه شريف نسبه من جهة أمه، بل أفصح عن اعتزاء أمه لأهل البيت، وراح يباهى بنسبها، ولم ينازعه أحد فى ذلك، وما برح يردد مأثور القول: "ابن بنت القوم منهم".

ونسوق فيما يلى نسب الشيخ من جهة الأب، ونردفه بذكر نسبه الشريف من جهة الأم، وذلك على النحو التالى:

*نسبه رضى الله عنه من جهة الأب

---

[١]) الشيخ فاروق أبو علام ، من أحباب الشيخ المخلصين ، ومقيم بقرية الشطب بكوم أمبو .

هو العارف بالله تعالى مولانا الشيخ المعروف بالحاج أحمد بن السيد/ أبو الحسن بن السيد/ عبد الرحمن بن السيد/ إبراهيم بن السيد/ محمد بن السيد/ منصور بن السيد/ على بن السيد/ عتمان بن السيد/ منصور[١] بن السيد/ على الدين بن السيد/ حمد بن السيد/ جودة الملقب بذى التقى بن السيد/ إسماعيل بن السيد/ مدكور بن السيد/ تكرون الملقب بدُغَيش بن السيد/ عمار الصغير بن السيد/ محمد بن السيد/ على المعتز الملقب بعلى الصوال بن السيد/ كُميل الدين بن السيد/ عمَّار بن السيد/ كميل الدين[٢] بن السيد/ محمد الفاتح الملقب بنصير الدين[٣] بن السيد/ يوسف بن السيد/ إبراهيم بن السيد/ عبد المحسن بن السيد/ حسين الفاسى بن السيد/ محمد بن السيد/ موسى بن السيد/ يحيى بن السيد/ عيسى بن السيد/ على بن السيد/ محمد المهدى بن السيد/ حسن العسكرى بن السيد/ على الهادى بن السيد/ محمد الجواد بن السيد/ على الرضا بن السيد/ موسى الكاظم بن السيد/ جعفر الصادق بن السيد/ محمد الباقر بن السيد/ على زين العابدين الملقب بالسجاد بن سيدنا/ أبو عبد الله الإمام الحسين بن سيدنا/ الإمام على بن أبى طالب (كرم الله وجهه ، ورضى الله عنه)، زوج السيدة فاطمة الزهراء البتول، سيدة نساء العالمين، وبنت سيدنا رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وقرة عينه، فما أعلى من هذا النسب نسبا، ولا أرجى منه سببا[٤].

* نسبه رضى الله عنه من جهة الأم

هو العارف بالله تعالى السيد/ أحمد ابن السيدة الشريفة/ زينب بنت السيد/ طاهر بن السيد/ عبد الكريم بن السيد/ مصطفى بن السيد/ عبد الهادى بن السيد/ حسان بن السيد/ على بن السيد/ أحمد المجتهد بن السيد/ الحاج

---

[١]) يذكر أن جد الشيخ "منصور" من الرجال الصالحين الأعلام ، وله مقام بسفح كَرِيْجَة على حدود مصر والسودان على ساحل البحر الأحمر ، وقد ذكره الشيخ فى قصيدته: (التوسل بالرجال) قائلاً : ساكن كريجة جدى يامنصور * ادرك حفيدا قد غدا مكسور ، ديوانه : الدر الأسنى فى التوسل بأسماء الله الحسنى " ، ص ٨٩ .

[٢]) يذكر أن جده "كميل" قاد الجند وتوجه به إلى وادى خريف العز بالسودان ودمر جيش الكفر والأعداء .

[٣]) يذكر أن جده محمد الفاتح كان قائداً مغواراً له سبع رايات نصر، فتح بلاد من المغرب الأقصى إلى بطن مكة ، ومن هناك إلى مصر المحروسة .

[٤]) أُخِذَ هذا النسب عن أخ الشيخ ، ونظمه أحد الأحباب بعد انتقال الشيخ فى قصيدة بعنوان (منظومة جالية الأحزان فى نسب السيد / أحمد أبو الحسن عبد الرحمن) ألحقت بديوان الشيخ بعنوان " الدر الأسنى فى التوسل بأسماء الله الحسنى " ، ص ١٥٦ وما بعدها .

على الملقب بالشرقاوى بن السيد/ حسين الملقب بالحداد الكلابى بن السيد/ زيدان بن السيد/ زيادة الكلابى الأشهورى بن السيد/ سلامة بن السيد/ قاسم الجميلى الكلابى بن السيد/ محمد الأشهابى بن السيد/ أحمد الفوال بن السيد/ شرف الدين الأصغر بن السيد/ عون بن السيد/ عبد الكريم بن السيد/ شرف الدين الملقب باليافعى الحسينى الكلابى بن السيد/ إبراهيم بن السيد/ عثمان بن السيد/ خضر بن السيد/ موسى بن السيد/ حسن الأبطح بن السيد/ على البدرى بن السيد/ إبراهيم بن السيد/ إسماعيل بن السيد/ عمر بن السيد/ على بن السيد/ عثمان بن السيد/ حسين الفاسى بن السيد/ محمد بن السيد/ موسى بن السيد/ يحيى بن السيد/ عيسى بن السيد/ على بن السيد/ محمد المهدى بن السيد/ حسن العسكرى بن السيد/ على الهادى بن السيد/ محمد الجواد بن السيد/ على الرضا بن السيد/ موسى الكاظم بن السيد/ جعفر الصادق بن السيد/ محمد الباقر بن السيد/ على زين العابدين بن السيد/ مولانا الإمام الحسين بن السيد/ الإمام على بن أبى طالب(كرم الله وجهه) زوج السيدة البتول بنت الرسول السيدة فاطمة الزهراء (رضى الله عنها) أم أبيها، وقرة عين سيدنا رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ القائل: " كُلُّ سَبَبٍ وَنَسَبٍ مُنْقَطِعٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلاَّ مَا كَانَ مِنْ سَبَبِى وَنَسَبِى"[1]، ومازال هذا النسب مشجراً، ومحفوظاً فى بيوتات أخوال الشيخ .

ويلحظ المتمعن فى عمودى نسب الشيخ أن بينه وبين الإمام على (كرم الله وجهه) من جهة الأب عدد تسعة وثلاثين (٣٩) جداً، وبينه وبين الإمام على كرم الله وجهه من جهة الأم عدد ستة وأربعين (٤٦) جِداً. كما يلحظ أن أب وأم الشيخ يلتقيان عند السيد/ حسين الفاسى، وهو الجد الرابع والعشرون للشيخ من جهة الأب، والحادى والثلاثون من جهة الأم. فما أعلى، وأجَلَّ، من هذا النسب نسبا.

نفعنا الله بسلسلتها، وكلأنا فى كنف جدهم ـ صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم .

---

[1]) سنن البيهقى ، النكاح ، حديث رقم (١٣٧٧٦)- عن أَبِى جَعْفَرٍ عَنْ أَبِيهِ عَلِىِّ بْنِ الْحُسَيْنِ قَالَ : لَمَّا تَزَوَّجَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِىَ اللَّهُ عَنْهُ أُمَّ كُلْثُومٍ بِنْتَ عَلِىٍّ رَضِىَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَتَى مَجْلِسًا فِى مَسْجِدِ رَسُولِ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- بَيْنَ الْقَبْرِ وَالْمِنْبَرِ لِلْمُهَاجِرِينَ لَمْ يَكُنْ يَجْلِسُ فِيهِ غَيْرُهُمْ فَدَعَوْا لَهُ بِالْبَرَكَةِ. فَقَالَ : أَمَا وَاللَّهِ مَا دَعَانِى إِلَى تَزْوِيجِهَا إِلاَّ أَنِّى سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- يَقُولُ :« كُلُّ سَبَبٍ وَنَسَبٍ مُنْقَطِعٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلاَّ مَا كَانَ مِنْ سَبَبِى وَنَسَبِى » نقلاً عن : موسوعة الحديث الشريف ، وزارة الأوقاف ، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية .

المبحث الثانى

نشأته

مولده: أنجب القرن الرابع عشر من الهجرة النبوية، العشرين الميلادى رجلاً من أكمل الرجال، ركب طريقاً صعباً حتى لحق بركب النبيين، والصديقين، والشهداء، والصالحين، وحسن أولئك رفيقا.

رجلاً صَحِبَ الدنيا ببدنه، ولم يشتغل بشيئ منها، وترك حلالها؛ مخافة محاسبته، رجلاً آثر مولاه على ما سواه، ودعا الخلق بداعية الإسلام، فغدا معيناً صافياً، وماءً غَدَقًا يرتوى من زلاله السالكون، وبحراً ساكنا يرتشف منه العارفون، فصار - بحق - فذلكة الرجال، هو مولانا العارف بالله تعالى المعروف بالحاج أحمد أبو الحسن عبد الرحمن (رضى الله عنه وأرضاه).

كان ميلاده رضى الله عنه فى نجع الغابة بقرية دراو التابعة لمركز كوم أمبو- أصبحت دراو حالياً مركزاً مستقلاً - من أعمال محافظة أسوان بأقصى صعيد مصر، فى ليلة غراء من عام ١٩٤٣م، وقيل عام ١٩٤٤م، ولكن كعادة قبائل العبابدة تم تسنينه بتاريخ سابق عن ميلاده الحقيقى بعشر سنوات تقريباً؛ إذ قيد ميلاده فى السجلات الرسمية فى يوم السبت الخامس والعشرين من شهر المحرم للعام الثانى والخمسين وثلاثمائة وألف من الهجرة النبوية (٢٥/ ١/ ١٣٥٢ هـ)، الموافق العشرون من شهر مايو للعام الثالث والثلاثين وتسعمائة وألف من الميلاد (١٩٣٣/٥/٢٠م).

وعن ليلة ميلاده سمعته ذات مرة يقول: " ولدت فى ليلة الإسراء والمعراج "، وهى ليلة السابع والعشرين من شهر رجب الهجرى، فقد حظيت هذه الليلة الغراء بمكانة خاصة لديه، وداوم على الاحتفال والابتهاج بها على مر السنين – كما سنرى[1] - ويتبادر إلى الذهن تساؤل: أى الإيلادين يقصد الشيخ، أهو الطبيعى، أم الروحى؟

---

[1]) انظر :المبحث الثانى بعنوان (قضاء الحوائج والإصلاح بين الناس وإقامة الموالد ومهرجانات الفروسية) ، من الفصل الأول من الباب الخامس من هذا المؤلف ، وكان الشيخ يحرص على الاحتفال بليلة الإسراء والمعراج حتى وفاته ..

فقد سئل سيدى أبو الحسن الشاذلى رضى الله عنه عن قول سيدنا عيسى (عليه السلام): يابنى إسرائيل بحق أقول لكم لايلج ملكوت السموات من لم يولد مرتين، فقال: "أنا والله ممن ولد مرتين: الإيلاد الأول إيلاد الطبيعة، والإيلاد الثانى إيلاد الروح فى سماء المعارف"[١].

وتُعَد النشأة التى تربى فى ربوعها الشيخ وقوداً لحافلة مسيرته، ومقدمة وجيزة لترجمة حياته، إلا أن الخوض فى هذه النشأة، والتعمق فيها قد يمتد بما لايسمح المقام له، لذا سيجتزئ الباحث قدراً يسيراً منها يعين القارئ على فهم سيرة الشيخ والعوامل التى ساهمت فى تكوين شخصية الفذة.

أسرته: ترعرع الشيخ ونما فى أحضان أسرة كريمة عفيفة شريفة.

فأما والده: "أبو الحسن" فقد اشتهر انتسابه إلى قبائل العبابدة فى مصر والسودان، وكان عليماً بعاداتهم، وتقاليدهم، ولهجاتهم، ورطاناتهم، خبيراً بأوديتهم وحِلَّهُم وترحالهم ووسمهم، إذ كان لكل قبيلة وسم خاص يضربون به إبلهم.

وكان والد الشيخ موسر الحال، وجم دخله من تربية وتجارة الجمال، بيد أنه أخشوشن العيش فى أسرته، ملتزماً بحقوق الشريعة، متصدقاً من ماله فى فعل الخيرات، وبناء المساجد، حريصاً على إخفاء صدقاته وهو خير له، كما كان يوالى حج بيت الله الحرام.

و كان والد الشيخ متحرياً الرزق الحلال، وطيب الطعام، مستجاب الدعاء، ويذكر أنه ذات مرة دعا ربه الذرية الصالحة من الذكوردون الإناث، فاستجاب الله له، وفى الحديث الشريف: "إن الله طيب لايقبل إلا الطيب، ومن غُذِىَ من حرام فأنَّى يستجاب له"[٢].

---

[١]) تاج الدين بن عطاء الله السكندرى ، لطائف المنن فى مناقب الشيخ أبى العباس المرسى وشيخه الشاذلى أبى الحسن ، مرجع سابق ، ص ٢٠٢ .

٢) سنن البيهقى –صلاة الاستسقاء ، حديث رقم٦٦٢١- عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- :« إِنَّ اللَّهَ طَيِّبٌ لاَ يَقْبَلُ إِلاَّ الطَّيِّبَ وَإِنَّ اللَّهَ أَمَرَ الْمُؤْمِنِينَ بِمَا أَمَرَ بِهِ الْمُرْسَلِينَ قَالَ (يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ) وَقَالَ (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ) ثُمَّ ذَكَرَ الرَّجُلَ يُطِيلُ السَّفَرَ أَشْعَثَ أَغْبَرَ يَمُدُّ يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ يَا رَبِّ يَا رَبِّ وَمَطْعَمُهُ حَرَامٌ ، وَمَشْرَبُهُ حَرَامٌ ، وَمَلْبَسُهُ حَرَامٌ ، وَقَدْ غُذِّىَ بِالْحَرَامِ فَأَنَّى يُسْتَجَابُ لَهُ ». نقلاً عن : موسوعة الحديث الشريف ، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ، مرجع سابق .

إلا أن والد الشيخ بعد أن تقدم العمر به، وبات وحيداً ندم ندماً شديداً على تلك الدعوة؛ لإفتقاده إلى بنت تؤنسه وترعاه فى شيخوخته، لاسيما أن قلوب الإناث جُبِلَت على العطف والحنان.

وأما أمه: فهى السيدة "زينب" الشريفة الجعفرية التى كانت قلباً حنوناً على الشيخ وهو أصغر أبنائها، وأحبهم إليها، تتوسم فيه البركة والولاية.

وقد كان للأم الشريفة أثر واضح فى نشأة الشيخ، فقد أرضعته ألبان الهُدى والصفا، وألقمته طعام المروءة والشهامة والفتوة، وغَذَّتْه حُبَّاً وعطفاً، وأغدقت عليه حناناً مفعماً، وغرثت فى أرض قلبه بذرة المحبة لله ولرسوله ولآل بيته، فهى من سلالة العترة المطهرة.

نَهَلَ الابن حنان الأم بِكْرَا، وتمكنت فى قلبه الرحمة والرأفة حتى فاضت على كل منْ حوله.

رَبَّت الأم ابنها، وتعلق الابن بأمه الرءومة، لكن إرادة الله شاءت اختطاف الأم، فتوفت عنه، وتركته صغيرا، فتولى أخواله رعايته، فأحبوه وأنزلوه منهم منزلة أبنائهم.

وما فتئ الشيخ يذكر شرف أمه وحنانها عليه، ووجدته ابناً باراً يدعو لها، ويصل رحمها، ويبجل أخواله ويقربهم إليه.

إخوته: كان للشيخ أخوان شقيقان هما على، وحسين ـ الذى توفاه الله يافعاً ـ وهما أكبر منه سناً، كما كان له أخ لأب، وهو محمود، وكان أصغر منه سناً.

فأما شقيقه الأكبر ـ على ـ فهو رجل عصامى، حفظ القرآن صغيراً، وسافر شاباً إلى أعمامه بالسودان طلباً لكسب الرزق، وهناك امتهن التجارة، وكَوَّنَ ثروة كبيرة، وعاد فى أواخر عهد الشيخ، واستقر بجوار أهله فى بلدته دراو.

وأما الأخ الأصغر ـ محمود ـ فهو من رجال الأعمال، موسر الحال، وكان الشيخ يحبه، ويسعد بلقائه، وكان يوصيه دائماً بأن ينتوى مؤاخاته فى الله، تنزيهاً لأخوة النسب، وأن يكون تحابهما فى الله، رجاءً أن يظلهما الله يوم لا ظل إلا ظله[1].

---

[1]) صحيح البخارى – الأذان حديث رقم ٦٦٠ ـ عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِىِّ ـ صلى الله عليه وسلم ـ قَالَ « سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللَّهُ فِى ظِلِّهِ يَوْمَ لاَ ظِلَّ إِلاَّ ظِلُّهُ الإِمَامُ الْعَادِلُ ، وَشَابٌّ نَشَأَ فِى عِبَادَةِ رَبِّهِ ، وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ فِى الْمَسَاجِدِ ، وَرَجُلاَنِ تَحَابَّا فِى

زوجاته، وأبناؤه: تزوج الشيخ من ابنة عمه ـ الزينى ـ وعمه الزينى هذا كان خبيراً فى قص الأثر يُشار إليه بالبنان، تستعين به السلطات فى كشف الجرائم، وتتبع الأثر، ومن ثم ضبط مرتكبيها، وقد أنجبت له ابنه الأكبر ـ محمد ، وابنته ـ أمل .

ثم تزوج الشيخ من زوجته الثانية، وهى من أسرة كريمة طيبة من بلدة دراو، وعاشت مع الشيخ حتى وفاته، وأنجبت له ابنيه ـ على، وناصر المكنى بزين العابدين ـ وبنتيه زينب، ونفيسه.

ويحكى أن الشيخ قبل مولد ابنته "زينب" رأى السيدة زينت (رضى الله عنها) تزف إليه بشرى مولودته القادمة، فقام من ليلته يبشر أهله أنه سيرزق بمولود، وأقسم على أن يسميه زينب ذكراً جاء أو أنثى، وهو ما أقلق الأم وأهلها، خشية أن تضع ذكراً، فيُعيَّر المولود بتسمية الأنثى، فطلبوا منه العدول عن هذه التسمية فرفض وصمم على أن يبر قسمه، فلم يكن أمام الأم حيلة إلا أن تتمنى أن يرزقها الله أنثى، فلما وضعتها وضعتها أنثى، فأبر الله قسم الشيخ، واستجاب أمنية الأم، وسميت المولودة ب"زينب".

أما زوجته الثالثة، فهى ابنة رجل صالح من أحباب الشيخ، والإمام العربى، وقد رافقت الشيخ فترة وجيزة، حتى استأذنته فى الإقامة فى رحاب ساحة الإمام على بالكلح، فأذِنَ لها الشيح، وتوفى وهو راض عنها. وأما زوجته الأخيرة، وهى ابنة السيد/ عبد الصانع محمود الجعفرى من أخوال الشيخ بدراو، وهى التى رافقت الشيخ حتى آخر حياته، وكانت راعية ومعينة له، أخلصت فى خدمته، ومرَّضته، كما كانت سخية فى خدمة مريديه ومحبيه، مهتمة بشئونهم ، وكأنها أم لهم.

ويشار إلى أن أولاد الشيخ الثلاثة "محمد، وعلى، وزين العابدين" فجميعهم من حملة الشهادات الجامعية الأزهرية، وقد ورثوا عن أبيهم مكارم الأخلاق من جود وتواضع وحياء، وأدب جم فى تعاملهم مع الكافة، فاجتمع حولهم محبى الشيخ ومريديه عزين، واستمرالأبناء على سيرة أبيهم، وأحيوا مع أحباب أبيهم ما كان يحتفى به من موالد، ومناسبات دينية.

اللَّهِ اجْتَمَعَا عَلَيْهِ وَتَفَرَّقَا عَلَيْهِ ، وَرَجُلٌ طَلَبَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ فَقَالَ إِنِّى أَخَافُ اللَّهَ . وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ أَخْفَى حَتَّى لاَ تَعْلَمَ شِمَالُهُ مَا تُنْفِقُ يَمِينُهُ ، وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللَّهَ خَالِيًا فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ » . نقلاً عن : موسوعة الحديث الشريف ، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ، مرجع سابق .

كما برز مؤخراً دور ابن الشيخ الأكبر" محمد" فى جمع تراث أبيه من علوم ومعارف، وعمل على تنقيحها، وطبعها ونشرها ، وهو ما سوف نتناوله فى موضع آخر من هذا المؤلف[1].

طفولته، وصباه: ظهرت إرهاصات ولاية الشيخ فى حدثانه، وأبانت طفولته عن عظيم شأن، وزعامة، وشامة، فمنذ نعومة أظفاره وهو قائد لرفاقه الصغار، يقودهم ولا يُقاد، وكان لعبه فى صغره خلط الماء بالرمل ليشكل منهما هيئة قبة؛ متمثلاً قبة ضريح الشيخ أبو الحسن الشاذلى (رضى الله عنه)، ويمثل بأن الاحتفال بمولد الشيخ الشاذلى قائم، ويترسم الشيخ نفسه نقيباً لمقام الشيخ الشاذلى، ويلتف الأطفال حول الضريح فرحين مهللين ابتهاجاً بهذا المولد.

فمن يوم يومه وهو بها زعيم تفضلاً من الله عز وجل[2]، وينشد الشيخ عن طفولته قائلاً[3]:

وخامر حبهم قلبى صغيرا * إذا ذُكِروا أشم لهم عبيرا
وعند مقال شانئهم أغيرَ * سواهم ليس يخطر لى بخاطر
وقد سكنوا الفؤاد وعمَّروه * بأنوار الأطايف نوَّروه
ولما صار منهم سارروه * غدا بيتا وفيه الحق ناظر

عهد به والده إلى مقرأة القرية، فحفظ من كتاب الله ما شاء الله، وكان عريف أقرانه فى المقرأة، وكان شيخ المقرأة مستبشراً به، وكلما لقاه دعاه: " الولى سر العلى".

ثم التحق الشيخ بالمدرسة الابتدائية بالقرية، وانتظم فى دراسته حتى الصف الرابع الابتدائى.

أما صباه، فقد أثار جدلاً واسعاً؛ لما تراءى لبعض أهل القرية من إسراف الشيخ على نفسه فترة صباه ـ رغم عدم تجاوز هذه الفترة إلا زمناً قصيرا ـ فخاضوا فيه، وتلقونه بألسنتهم زوراً وبهتاناً، وجعلوه غرضاً لسهام عذلهم، وتجرأوا عليه حتى أنكر البعض ولايته.

---

[1]) راجع : المبحث الأول بعنوان : (كتبه) ، الفصل الثالث من الباب السادس من هذا المؤلف .

[2]) الشيخ جابر عبد المنعم على فى تقديمه لديوان الشيخ : (الأكسير فى التخميس والتشطير فى مدح طه البشير)، ص٢٥ .

[3]) العارف بالله تعالى الحاج أحمد أبو الحسن عبد الرحمن ، اللطائف السنية فى مولد خير البرية ، مطبعة دار إحياء الكتب العربية ، فيصل عيسى البابى الحلبى ، قصيدة للشيخ بعنوان (بيان فى فضل الآل الأعيان) ، ص ١٠٥ـ ١٠٧ .

ولاغرو، فقد تباينت بدايات أولياء الله عن نهاياتهم، وذلك من طلاقة القدرة، وها هى السيدة رابعة العدوية التى بدأت طريقها إلى الله مسرفة على نفسها، ثم أضحت العابدة الزاهدة المحبة لله تعالى، كما كان الشيخ أبو بكر بن هوار البطائحى (رضى الله عنه) شاطراً يقطع الطريق فوقع له سماع هاتف بالليل: أما آن لك أن تخاف من الله تعالى فتاب من ساعته تلك، وهو أول منْ ألبسه سيدنا أبو بكر الصديق(رضى الله عنه) الخرقة ثوباً وطاقية فى النوم فاستيقظ فوجدهما عليه"[١]، ولمَّا قيل لسعيد بن جبير(رضى الله عنه): منْ أعبد الناس؟ قال: "رجل اجترح من الذنوب ثم تاب ، فكلما ذكر ذنوبه احتقر عمله"[٢].

وفى ذلك قال الشيخ أبو العباس (رضى الله عنه): " إنما بدأ القشيرى فى رسالته بالفضل بن عياض وإبراهيم بن أدهم لأنهما كانا قد تقدم لهما زمن قطيعة، ثم أقبلا فأقبل الله عليهما فبدأ بذكرهما؛ بسطاً لرجاء المريدين، الذين كانت تقدمت منهم الزلات، وسبقت منهم المخالفات ثم رجعوا إلى استقراع أبواب العنايات، إذ لو بدأ بذكر الجنيد، وسهل بن عبد الله التسترى، وعتبة الغلام، وأمثالهم ممن نشأ فى طريق الله تعالى لقال القائل ومنْ يدرك هؤلاء لم تسبق لهم زلات ولم تتقدم منهم مخالفات"[٣].

لذا، حرص سيدى إبراهيم الدسوقى القرشى(رضى الله عنه) على نصح مريده بقوله :"..... فيجب عليك ياولدى التسليم لله فى أمر القوم وحسن الظن بهم لا غير فإنى ناصح لك يا ولدى، وإذا رميت من يحبه الله تعالى بالبهتان والزور وتجرأت على من قربه الله تعالى أبغضك الله تعالى ومقتك فلا تفلح بعد ذلك أبداً ولو كنت على عبادة الثقلين"[٤].

ويقول أحدهم[٥]: "لو أن كمال الدعاة إلى الله تعالى كان موقوفاً على إطباق الخلق على تصديقهم لكان الأولى بذلك سيدنا رسول الله ـ صلى الله

---

[١]) عبد الوهاب الشعرانى ، الطبقات الكبرى ـ المسمى لواقح الأنوار فى طبقات الأخيار ، مرجع سابق ، ص٢٢٦ .
[٢]) عبد الوهاب الشعرانى ، الطبقات الكبرى ـ المسمى لواقح الأنوار فى طبقات الأخيار ، مرجع سابق ، ص ٧٤ .
[٣]) تاج الدين بن عطاء الله السكندرى، لطائف المنن فى مناقب الشيخ أبى العباس المرسى وشيخه الشاذلى أبى الحسن، مرجع سابق ، ص١٨٩.
[٤]) عبد الوهاب الشعرانى ، الطبقات الكبرى ـ المسمى لواقح الأنوار فى طبقات الأخيار ، مرجع سابق ، ص٢٨٨.
[٥]) قول : على الخواص رضى الله عنه ، نقلاً عن : الإمام عبد الوهاب الشعرانى ، الطبقات الكبرى ـ المسمى لواقح الأنوار فى طبقات الأخيار ، مرجع سابق ، ص ١٤ .

عليه وسلم ـ والأنبياء قبله ، وقد صدقهم قوم وهداهم الله بفضله، وحرم آخرون فأشقاهم الله بعدله.

ولما كان الأولياء والعلماء على أقدام الرسل عليهم الصلاة والسلام فى مقام التأسى بهم ـ انقسم الناس فيهم فريقين: فريق معتقد مصدق، وفريق منتقد مكذب كما وقع للرسل عليهم الصلاة والسلام؛ ليحقق الله تعالى بذلك ميراثهم فلا يصدقهم ويعتقد صحة علومهم وأسرارهم إلا من أراد الله ـ عز وجل ـ أن يلحقه بهم ، ولو بعد حين، وأما المكذب لهم المنكر عليهم، فهو مطرود عن حضرتهم لا يزيده الله تعالى بذلك إلا بُعداً". ولو استبرأ هؤلاء لدينهم وعرضهم لتوقفوا وتبصروا فى أمر هؤلاء الأولياء والعلماء قبل أن ينتقدوا عليهم .

ولا تثريب على انقسام الخلق فى الحكم على العارفين بالله تعالى وأوليائه، فمنهم المعتقدين المصدقين بهم، ومنهم المكذبين المنتقدين لهم، وسأل الإمام مالك بن أنس (رضى الله عنه) مطرف: "ماذا يقول الناس فىَّ؟ فقال: أما الصديق فيثنى، وأما العدو فيقع، فقال: مازال الناس هكذا لهم عدو وصديق، ولكن نعوذ بالله مِنْ تتابع الألسنة كلها"[١].

هذا من جهة ومن جهة أخرى، فقد جاء فى تفسير الإمام جعفر الصادق(رضى الله عنه) لقوله تعالى:{ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ}[٢] قال: قدم الظالم ليُخبِرَ أنه لايتقرب إليه إلا بصرف رحمته وكرمه، وأن الظلم لايؤثر فى الاصطفائية إذا كانت ثَمَّ عناية "[٣].

وعَنْ أَبِى سَعِيدٍ الْخُدْرِىِّ عَنِ النَّبِىِّ ـ صلى الله عليه وسلم ـ أَنَّهُ قَالَ فِى هَذِهِ الآيَةِ (ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ) قَالَ « هَؤُلاَءِ كُلُّهُمْ بِمَنْزِلَةٍ وَاحِدَةٍ وَكُلُّهُمْ فِى الْجَنَّةِ »[٤].

---

[١]) عبد الوهاب الشعرانى ، الطبقات الكبرى ـ المسمى لواقح الأنوار فى طبقات الأخيار ، مرجع سابق ، ص٩٢.

[٢]) فاطر: ٣٢ .

[٣]) نقلاً عن : تفسير القرطبى حول الآية .

[٤]) سنن الترمذى ، تفسير القرآن ، حديث رقم ٣٥٣٢ ، نقلاً عن : موسوعة الحديث الشريف ، وزارة الأوقاف ، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية .

ناهيك عن قوله تعالى:{إِلَّا مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا }[1]، وجاء فى تفسيرها:" أن تلك السيئات الماضية تنقلب بنفس التوبة النصوح حسنات، وماذاك إلا لأنه كلما تذكر مامضى ندم واسترجع واستغفر، فينقلب الذنب طاعة بهذا الاعتبا، حتى قيل أنهم يتمنون أن لو تغالوا فى الإسراف على أنفسهم ليزدادوا حسنات"[2].

وعَنْ أَبِى ذَرٍّ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ـ صلى الله عليه وسلم ـ:« إِنِّى لأَعْرِفُ آخِرَ أَهْلِ النَّارِ خُرُوجًا مِنَ النَّارِ وَآخِرَ أَهْلِ الْجَنَّةِ دُخُولاً الْجَنَّةَ يُؤْتَى بِرَجُلٍ فَيَقُولُ سَلُوا عَنْ صِغَارِ ذُنُوبِهِ وَاخْبَئُوا كِبَارَهَا. فَيُقَالُ لَهُ عَمِلْتَ كَذَا وَكَذَا يَوْمَ كَذَا وَكَذَا عَمِلْتَ كَذَا وَكَذَا فِى يَوْمِ كَذَا وَكَذَا. قَالَ فَيُقَالُ لَهُ فَإِنَّ لَكَ مَكَانَ كُلِّ سَيِّئَةٍ حَسَنَةً. قَالَ فَيَقُولُ يَا رَبِّ لَقَدْ عَمِلْتُ أَشْيَاءَ مَا أَرَاهَا هَا هُنَا ». قَالَ "فَلَقَدْ رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ـ صلى الله عليه وسلم ـ يَضْحَكُ حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِذُهُ"[3].

وإزاء ذلك، يقول أحدهم[4]: "العارف يربح على ما مضى منه فى معصية الله تعالى أضعاف مايربح غيره على طاعة الله تعالى لأن ذنوبه دائماً نصب عينيه لايفترعن ذكرها أبدا".

نكتفى بهذا القدر عن نشأة الشيخ، ونتقدم خطوة لنترسم هيئته، وجميل وصفه، وعفيف صفاته، التى نُعِتَ بها، ووسمت شخصيته، وذلك من خلال المبحث التالى:

---

[1]) الفرقان : الآية٧٠ .

[2]) راجع : تفسير ابن كثير للآية ، وجاء مثله فى كتب التفسير الأخرى .

[3]) سنن الترمذى ، صفة جهنم ، حديث رقم ٢٨٠٠ ، وقا لَ أَبُو عِيسَى هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ. نقلاً عن : موسوعة الحديث الشريف ، وزارة الأوقاف ، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية .

[4]) قول : أبى العباس أحمد بن محمد بن سهل بن عطاء الآدمى رضى الله عنه ، نقلاً عن : الإمام عبد الوهاب الشعرانى ، الطبقات الكبرى ، مرجع سابق ، ص١٦٥

المبحث الثالث

وصفه، وصفته

كان الشيخ رضى الله عنه رِبْعَة القد والقامة، قوى البنية، عريض المنكبين، واسع الصدر، سوى البطن، أسمر البشرة آدمى، وضيئ الوجه، متلألئ الجبين، واسع العينين ترميك لحاظهن بالسهام، ويملأهما عطف وحنان، حَمِىَ الأنف عليه تواضع، صغير الثغر، فصيح اللسان، مهذب اللحية، طويل الخطوة، يهم فى مشيته.

وبالجملة، فقد كان الشيخ فخماً مفخماً، عظيماً مهاباً، وجيهاً وسيماً، يشع وجهه بنور قلبه، يُغْضِى حياءً، يسبق لحاظ عينه رقيق كلماته، فإذا نظر إلى غريب بعين شفقته صيره قريباً من حضرته، وإن لمس بيده عاصياً فاضت عليه من الله هدايته، يعلو وجهه ابتسام عند لقاء الأحباب، فإذا جالسهم أحاط بكيانهم، وتملَّك وجدانهم، وملأ فراغهم، وحقق مأمولهم، وردد لسان حالهم: ها هو ولى الله، يقول الله تعالى: {سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ}[1].

وكان أحباب الشيخ يصفونه بسمات متعددة، وينعتونه بجميل محامده، كل بقدر حدوده، وحسب ما أُتِيح له من صفات، وبَسَطَ له من نعوت، فإذا وصف جمع ، وإذا نعت فرق .

وكان الشيخ يقول: " العارف بالله يتحكم فى صورته وخياله "، ويقول فى موضع آخر:" العارف مرآة مصقولة صافية يرى فيها المرء نفسه بوضوح"، فالعارف يتعامل مع الناس بما فيهم، ويعكس صورهم، وعَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ـ صلى الله عليه وسلم ـ قَالَ:" الْمُؤْمِنُ مِرْآةُ الْمُؤْمِنِ وَالْمُؤْمِنُ أَخُو الْمُؤْمِنِ يَكُفُّ عَلَيْهِ ضَيْعَتَهُ وَيَحُوطُهُ مِنْ وَرَائِهِ"[2].

وأما عن صفة حال الشيخ، فقد خصه الله بالدعوة إليه بين ظهرانى عباده، فكساه بحلتين: حُلَّة البهاء، وحُلَّة الهيبة؛ إعانة وتمكيناً لتقدمه بدعوة الخلق إلى الله.

---

[1])الفتح :٢٩ .

[2]) سنن أبى داود ، الأدب ، حديث رقم ٤٩٢٠ ، نقلاً عن : موسوعة الحديث الشريف ، مرجع سابق .

فأما حُلَّة البهاء، فقد نذر الشيخ نفسه لدعوة الخلق إلى خالقهم فوجب عليه مراعاة ظاهره وقضاء تَفَثَه، فوجدته بهي الهيئة، نظيفاً أنيقاً، متزيناً بأفخر الثياب، لايلبس الخرقة والرقعة، ويرتدى اللين من اللباس، وإذا خرج لإخوانه تجمَّل لهم، وأصلح لباسه وتطيَّب بأزكى العطور، كأنه شّامَةٌ فيهم، حتى إذا رأوه أحبوه، وأكبروه، وهابوه.

وفى الحديث المروى عن السيدة عائشة (رضى الله عنها) قالت: " اجتمع قوم بباب رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فخرج إليهم فرأيته يطلع فى الحب يسوى من رأسه ولحيته فقلت أوتفعل ذلك يارسول الله؟ قال: نعم إن الله يحب من عبده أن يتجمل لإخوانه إذا خرج إليهم "[1].

كما جاء فى حديث طويل[2]، قوله ـ صلى الله عليه وسلم- " إِنَّكُمْ قَادِمُونَ عَلَى إِخْوَانِكُمْ فَأَصْلِحُوا رِحَالَكُمْ وَأَصْلِحُوا لِبَاسَكُمْ حَتَّى تَكُونُوا كَأَنَّكُمْ شَامَةٌ فِى النَّاسِ فَإِنَّ اللَّهَ لاَ يُحِبُّ الْفُحْشَ وَلاَ التَّفَحُّشَ".

وقال أحدهم[3]:"منْ طاب ريحه زاد عقله، ومنْ نظف ثوبه قل همه". وقد ترسم الشيخ فى إعراضه عن لبس الخرقة والمرقعات كثير من العارفين مثل سيدى أبى الحسن الشاذلى، القائل في لبس المرقعات:" أن هذا اللباس

---

[1]) أورد هذا الحديث الإمام أبو حامد الغزالى فى كتابه إحياء علوم الدين ، المجلد الأول ، دار إحياء الكتب العربية ، فيصل عيسى البابى الحلبى ، ص١٣٧.

[2]) سنن أبى داود ، اللباس ، حديث رقم ٤٠٩١ ـ حَدَّثَنَا هَارُونُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ حَدَّثَنَا أَبُو عَامِرٍ ـ يَعْنِى عَبْدَ الْمَلِكِ بْنَ عَمْرٍو ـ حَدَّثَنَا هِشَامُ بْنُ سَعْدٍ عَنْ قَيْسِ بْنِ بِشْرٍ التَّغْلِبِىِّ قَالَ أَخْبَرَنِى أَبِى ـ وَكَانَ جَلِيسًا لأَبِى الدَّرْدَاءِ ـ قَالَ كَانَ بِدِمَشْقَ رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِىِّ -صلى الله عليه وسلم- يُقَالُ لَهُ ابْنُ الْحَنْظَلِيَّةِ وَكَانَ رَجُلاً مُتَوَحِّدًا قَلَّمَا يُجَالِسُ النَّاسَ إِنَّمَا هُوَ صَلاَةٌ فَإِذَا فَرَغَ فَإِنَّمَا هُوَ تَسْبِيحٌ وَتَكْبِيرٌ حَتَّى يَأْتِىَ أَهْلَهُ فَمَرَّ بِنَا وَنَحْنُ عِنْدَ أَبِى الدَّرْدَاءِ فَقَالَ لَهُ أَبُو الدَّرْدَاءِ كَلِمَةً تَنْفَعُنَا وَلاَ تَضُرُّكَ قَالَ بَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- سَرِيَّةً فَقَدِمَتْ فَجَاءَ رَجُلٌ مِنْهُمْ فَجَلَسَ فِى الْمَجْلِسِ الَّذِى يَجْلِسُ فِيهِ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- فَقَالَ لِرَجُلٍ إِلَى جَنْبِهِ لَوْ رَأَيْتَنَا حِينَ الْتَقَيْنَا نَحْنُ وَالْعَدُوُّ فَحَمَلَ فُلاَنٌ فَطَعَنَ فَقَالَ خُذْهَا مِنِّى وَأَنَا الْغُلاَمُ الْغِفَارِىُّ كَيْفَ تَرَى فِى قَوْلِهِ قَالَ مَا أُرَاهُ إِلاَّ قَدْ بَطَلَ أَجْرُهُ فَسَمِعَ بِذَلِكَ آخَرُ فَقَالَ مَا أَرَى بِذَلِكَ بَأْسًا فَتَنَازَعَا حَتَّى سَمِعَ رَسُولُ اللَّهِ ـ صلى الله عليه وسلم- فَقَالَ « سُبْحَانَ اللَّهِ لاَ بَأْسَ أَنْ يُؤْجَرَ وَيُحْمَدَ ». فَرَأَيْتُ أَبَا الدَّرْدَاءِ سُرَّ بِذَلِكَ وَجَعَلَ يَرْفَعُ رَأْسَهُ إِلَيْهِ وَيَقُولُ أَنْتَ سَمِعْتَ ذَلِكَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- فَيَقُولُ نَعَمْ. فَمَا زَالَ يُعِيدُ عَلَيْهِ حَتَّى إِنِّى لأَقُولُ لَيَبْرُكَنَّ عَلَى رُكْبَتَيْهِ. قَالَ فَمَرَّ بِنَا يَوْمًا آخَرَ فَقَالَ لَهُ أَبُو الدَّرْدَاءِ كَلِمَةً تَنْفَعُنَا وَلاَ تَضُرُّكَ قَالَ قَالَ لَنَا رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- « الْمُنْفِقُ عَلَى الْخَيْلِ كَالْبَاسِطِ يَدَهُ بِالصَّدَقَةِ لاَ يَقْبِضُهَا ». ثُمَّ مَرَّ بِنَا يَوْمًا آخَرَ فَقَالَ لَهُ أَبُو الدَّرْدَاءِ كَلِمَةً تَنْفَعُنَا وَلاَ تَضُرُّكَ. قَالَ قَالَ لَنَا رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- « نِعْمَ الرَّجُلُ خُرَيْمٌ الأَسَدِىُّ لَوْلاَ طُولُ جُمَّتِهِ وَإِسْبَالُ إِزَارِهِ ». فَبَلَغَ ذَلِكَ خُرَيْمًا فَعَجِلَ فَأَخَذَ شَفْرَةً فَقَطَعَ بِهَا جُمَّتَهُ إِلَى أُذُنَيْهِ وَرَفَعَ إِزَارَهُ إِلَى أَنْصَافِ سَاقَيْهِ. ثُمَّ مَرَّ بِنَا يَوْمًا آخَرَ فَقَالَ لَهُ أَبُو الدَّرْدَاءِ كَلِمَةً تَنْفَعُنَا وَلاَ تَضُرُّكَ فَقَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- يَقُولُ « إِنَّكُمْ قَادِمُونَ عَلَى إِخْوَانِكُمْ فَأَصْلِحُوا رِحَالَكُمْ وَأَصْلِحُوا لِبَاسَكُمْ حَتَّى تَكُونُوا كَأَنَّكُمْ شَامَةٌ فِى النَّاسِ فَإِنَّ اللَّهَ لاَ يُحِبُّ الْفُحْشَ وَلاَ التَّفَحُّشَ ». قَالَ أَبُو دَاوُدَ وَكَذَلِكَ قَالَ أَبُو نُعَيْمٍ عَنْ هِشَامٍ قَالَ حَتَّى تَكُونُوا كَالشَّامَةِ فِى النَّاسِ.

[3]) قول : سيدى مكحول الدمشقى رضى الله تعالى عنه ، وهو أيضاً قول عن سيدى الإمام الشافعى رضى الله عنه ، نقلاً عن : الإمام عبد الوهاب الشعرانى ، الطبقات الكبرى ـ المسمى لواقح الأنوار فى طبقات الأخيار ، مرجع سابق ص٧٨ ، ص٩٠ .

ينادى على صاحبه أنا الفقير فأعطونى شيئاً، وينادى على سر الفقيربالإفشاء فمن لبس الخرقة فقد ادعى".

ويعلق الشيخ أبو العباس المرسى على قول شيخه سيدى أبى الحسن الشاذلى قائلاً: " وليس مراد الشيخ أن يعيب على الفقراء لبس الزى وإنما مراده أنه لايلزم كل من كان له نصيب مما للقوم أن يلبس ملابس الفقراء، فلا حرج على اللابس للخشن ولا على اللابس للناعم إذا كان من المحسنين والأعمال بالنيات"[١].

كما كان الشيخ لا يعيب ما يقدم إليه من طعام، ويحب الحلو منه، ويشرب البارد من الماء، ولا يوجب ذلك اللوم من الله إذا كان العبد شاكرا، فقد قال الله تعالى: {وأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ}[٢].

ويقول سيدي الشيخ أبو الحسن الشاذلى فى هذا المعنى: "يابنى برد الماء فإنك إذا شربت الماء السخن فقلت الحمد لله تقولها بكزازة وإذا شربت الماء البارد فقلت الحمد لله استجاب كل عضو فيك بالحمد لله "[٣].

كما وهب الله الشيخ وجود العبارة، التى تعينه على القيام بالدعوة إلى الله، فكان فصيحاً، تحلى كلامه بالبلاغة والطلاوة، فتهيأت فى مسامع الخلق عبارته، وجلت لعقولهم إشارته، وتضلع فى العلوم والأخبار، فقرعت حجته الآذان، وتمكنت فى قلوب الخلق دعوته.

وأما حُلَّة الهيبة، فقد خلع الله على الشيخ ثوب العزة بعد أن خَلَّصه من أَرْدئاء النفس، وضلالات الهوى، فظهر بالعز، وجعل له هيبة فى قلوب العباد، ووقاراً فى عيونهم، فوقفوا عند حدود الأدب معه، يقول تعالى: {وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِين}[٤].

وأيد الله دعوة الشيخ فنَصَرَه بالرعب، فلا يجلس متكبر بين يديه إلا والرعب قد ملك قلبه، ويقول الشيخ فى هذا:" مما أعطانيه الله عصا الخوف، ألوح بها، أو ألقها فى قلب المعاند، فيخنع للحق تواً "، فقد بسط الله عليه

---

[١]) عبد الوهاب الشعرانى، الطبقات الكبرى ، مرجع سابق ، ص٣٨٦ .
[٢]) الضحى : ١١ .
[٣]) تاج الدين بن عطاء الله السكندرى، لطائف المنن فى مناقب الشيخ أبى العباس المرسى وشيخه الشاذلى أبى الحسن، مرجع سابق ، ص٢٠١.
[٤]) سورة المنافقون : ٨.

من جاه المتبوع ـ صلى الله عليه وسلم ـ القائل:" ونصرت بالرعب مسيرة شهر"[1].

أما عن خُلُق الشيخ، فقد كان الشيخ حسن السمت، سهل الخليقة، صادق الحدس، عظيم الفراسة، وكان من صفاته الشموخ وعلو الهمة، ولم يرض بدنايا الأخلاق، آخذ بمكارمها، فهو المرءوة بعينها، والوفاء بذاته، وكان يحترم أقل آدمية فى الإنسان، فمارأيناه ينقص من قدر أحد من الناس، وما جاءه مكسوراً إلا ورجع مجبوراً، ولا مسكيناً إلا وقد حاز التمكين، وما أتاه صاحب حاجة إلا وقضى له حاجته.

وسجل أحد الأحباب[2] بعض صفات الشيخ فى قومه بقوله: " كان الشيخ يعايش قومه بمكارم الأخلاق من فتوة، وشهامة، وكان له باع طويلة فى مشيخة العرب والكرم، وضرب فيهما بسهم لم يسبقه سابق ولم يلحقه لاحق، وأبانت حركاته وسكناته عن كريم أخلاقه، وفرط كرمه، فوصى أحبابه ومريديه بإكرام الضيف قائلاً: " إذا أتاك الضيف ولم تجد وقود لتصنع له طعاماً اكسر خشب شباك منزلك، وسَجِّر به التنور لتنضج لأخيك طعامه، أو لتشعل له سيجاره"، وكان يقول:" ظاهر الرجل العربى تقابل ولاية الرجل الصالح".

وكان الشيخ يكرم عزيز القوم إن ذل، ويقول انزلوا الناس منازلهم، فقد روى عن النبى ـ صلى الله عليه وسلم – أنه دخل بعض بيوته فدخل عليه أصحابه حتى غص المجلس وامتلأ فجاء جرير بن عبد الله البجلى فلم يجد مكانا فقعد على الباب فلف رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ رداءه فألقاه إليه، وقال له: اجلس على هذا فأخذه جرير ووضعه على وجهه وجعل يقبله ويبكى ثم لفه ورمى به إلى النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ وقال ما كنت لأجلس على ثوبك أكرمك الله كما أكرمتنى فنظر النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ يمينا وشمالا ثم قال: " إذا أتاكم كريم قوم فاكرموه ".

---

[1]) مسند عبد الله بن العباس – مسند احمد حديث رقم ٢٧٩٤- حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ حَدَّثَنِى أَبِى حَدَّثَنَا عَبْدُ الصَّمَدِ حَدَّثَنَا عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ مُسْلِمٍ حَدَّثَنَا يَزِيدُ عَنْ مِقْسَمٍ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- قَالَ « أُعْطِيتُ خَمْساً لَمْ يُعْطَهُنَّ نَبِىٌّ قَبْلِى وَلاَ أَقُولُهُنَّ فَخْراً بُعِثْتُ إِلَى النَّاسِ كَافَّةً الأَحْمَرِ وَالأَسْوَدِ وَنُصِرْتُ بِالرُّعْبِ مَسِيرَةَ شَهْرٍ وَأُحِلَّتْ لِىَ الْغَنَائِمُ وَلَم تَحِلَّ لأَحَدٍ قَبْلِى وَجُعِلَتْ لِىَ الأَرْضُ مَسْجِداً وَطَهُوراً وَأُعْطِيتُ الشَّفَاعَةَ فَأَخَّرْتُهَا لأُمَّتِى فَهِىَ لِمَنْ لاَ يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئاً ». نقلاً عن : موسوعة الحديث الشريف ، وزارة الأوقاف ، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية .

[2]) الشيخ محمد المنوفى ، من علماء الأزهر الشريف ، مدير عام الوعظ بمحافظة المنوفية ، من أحباب الشيخ المخلصين .

وكان الشيخ مكرماً لأهل الحقوق والواجبات، كزوج البنت، وزوج الأخت، وكذلك كل من له عليه حق قديم، فقد روىَّ " أن ظئر رسول الله (صلى الله عليه وسلم) التى أرضعته جاءت إليه فبسط لها رداءه ثم قال لها مرحبا بأمى ثم أجلسها على الرداء ثم قال لها اشفعى تشفعى وسلى تعطى فقالت قومى فقال أما حقى وحق بنى هاشم فهو لك فقام الناس من كل ناحية وقالوا وحقنا يارسول الله ثم وصلها بعد وأخدمها ووهب لها سهمانه بحنين"[١].

ووجدت الشيخ مضيِّقاً لأهل الدنيا إذا أتوه، فإذا جاءه منْ يطلب الدين والهداية رأيته مهتماً منتصباً للقائه، مكرماً لوفادته، وذات مرة، زاره أخ فى الله فأرسل إليه الشيخ من خلوته، ماطلبك؟ فقال الأخ: جئت لله، فقام الشيخ ناهضاً من خلوته متطيباً لابساً أحسن الثياب، وخرج إليه هاشاً باشاً فى وجه، وكأنه لم ير مثيله قبل ذلك، وذلك لأنه جاءه لله.

ورُوىَّ عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- " كُلُّ مَعْرُوفٍ صَدَقَةٌ وَإِنَّ مِنَ الْمَعْرُوفِ أَنْ تَلْقَى أَخَاكَ بِوَجْهٍ طَلْقٍ وَأَنْ تُفْرِغَ مِنْ دَلْوِكَ فِى إِنَاءِ أَخِيكَ "[٢].

كما خصَّ الشيخ الفقراء والمساكين بمعاملة متميزة، ومعايشة رقيقة، ويذكر أن جاء إليه درويش فقير يخيم على وجهه أثر الكآبة والحزن، يشتكى من لَمـَّة ألمـَّت به، وإذ بالشيخ يخرج إليه ويحتفى به، ويبتسم فى وجهه، ويداعبه، وينام واضعاً رأسه الشريفة فى حجر هذا الدرويش، وكأن الشيخ وجد ضالته المنشودة بقدومه، ففُرِّجَ كربه، وجُبِرَ كسره، وفى ذلك يقول الشيخ:" ماعُبِد الله بشئ أفضل من جبر الخاطر"، وكم للشيخ من مواقف تؤكد ذلك.

وكان الشيخ يتداوى إذا مرض، ويبوح بألمه ولا يكتمه، ويلجأ إلى ربه ويسأله الشفاء والعافية، ويقول:" نحن عبيد إحسان وليس عبيد امتحان ".

كما كان الشيخ لايسأل أحداً، وإذا أُهدِىَّ له معروفاً لا يرد، ويقول فى ذلك: "نحن قوم لانسأل ولانرد". وروى نافع عن ابن عمر (رضى الله

[١]) أبو حامد الغزالى ، إحياء علوم الدين ، الجزء الثانى ، ص ١٩٦ .
[٢])سنن الترمذى ، البر والصلة ، حديث رقم ٢٠٩٨ ، نقلاً عن: موسوعة الحديث الشريف ، مرجع سابق .

عنهما) أن المختار كان يبعث إليه المال فيقبله ثم يقول لا أسأل أحداً ولا أرد مارزقنى الله[1].

وقد أوتىَّ الشيخ سعة فى المال، ينفق منه بسخاء، وكان أغلب حاله السعة، ويشير أحدهم[2] إلى تلك الحال فيقول: "لايصح الدخول فى السعة إلا لعبد يعرف الإذن إذا أَذِنَ الله له أن يُنفق أنفق على ما يأذن الله تعالى له، ويكون قيامه فيما يجمع الله عليه من الأموال للحقوق لا للحظوظ، فيكون مثله كمثل الوكيل يتصرف فى مال صاحبه تصرف المالكين بإذن ربّ المال، وهو مكانٌ صعبٌ وقد غلط فى ذلك خلق كثير بدعواهم هذا الحال وهم عبيدُ الدنيا، وعندهم أنهم من هؤلاء".

كما كان الشيخ متنوعاً فى عطائه، إن شاء أبدى تحبيذاً للعطاء، وإن شاء أخفى رجاءً للخير، فيستوى عنده السر والعلانية، وذلك هو الكبريت الأحمر الذي يُقال عنه ولايرى[3].

ونود فى هذا المقام تسليط الضوء على خصال ثلاث أصفاه الله بها، فصارت سِمَات يُعْرَف الشيخ بها، وتذكر بذكره، وهى: الفتوة، والفراسة، والكياسة والفطانة.

الفتوة :

الفتوة فى اللغة: الشباب بين طورى المراهقة والرجولة، وتعنى: النجدة، وما ينمى خُلُق الشجاعة والنجدة فى الفتى[4].

وتندرج الفتوة عند الصوفية فى باب الأخلاق، لا فى باب الأحوال ولا المقامات، وتتدرج فضيلة الفتوة عندهم فى قوتها إلى درجات ثلاث: تتمثل الأولى - فى ترك الخصومة، والتغافل عن الزلة، ونسيان الأذية، وتتمثل الثانية - فى أن تُقرِّبَ منْ يقصيك، وتكرم منْ يؤذيك، وتعتذر إلى منْ يجنى عليك، وتتمثل الثالثة - وهى كمال الفتوة - فى التحرر فى السلوك من طلب

---

[1]) نقلاً عن : أبى حامد الغزالى ، إحياء علوم الدين ، الجزء الثانى ، ص ١٣٥ .

[2]) قول : سهل بن عبد الله ، نقلاً عن : أبى نصر السراج الطوسى ، اللمع ، مرجع سابق ، ص ١٣٧ .

[3]) أبو حامد الغزالى ، إحياء علوم الدين ، الجزء الأول ، ص ٢٣٠ .

[4])المعجم الوجيز ، مجمع اللغة العربية ، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية ،طبعة وزارة التربية والتعليم ، ١٤٢٦هـ ، ، ٢٠٠٥م ، ص٤٦٢.

دليل العقل، وقيل: " من طلب نور الحقيقة على قدم الاستدلال لم يحل له دعوى الفتوة "[1].

وقد كان الشيخ بحراً للفتوة، حواها بجميع درجاتها آنفة الذكر، صفَّاحاً عن السيئات لا تجرحه زلة بشر، مشغولاً بالحق عن دار الغرور، شجاعاً مغواراً فى الحق، لا يرضى بالدنيئة، ولايهاب الموت، يبذل الروح فى سبيل الدعوة، وكثيراً ما كان يردد: " ما كان فى الله تلفه فعلى الله خلفه "، وفى ذات المعنى يقول أحدهم[2]:"منْ تقرب إلى الله تعالى بتلف نفسه حفظ الله عليه نفسه ".

و كان الشيخ يئوى الضعيف المظلوم وينصره، ويناوئ القوى العاتى ويقهره، ولا يرى لنفسه فضل أو مِنَّة فى ذلك كله، فالفتوة الحقة كما عرَّفها القوم هى :" ألا تشهد لك فضلاً ولا ترى لك حقاً"[3]، وسئل الإمام أحمد عن الفتوة فقال: " ترك ما تهوى لما تخشى"[4].

كما كان الشيخ هاضماً لنفسه، مُؤْثِراً عليها غيره ولو كان به خصاصة، فحاز بلا منازع لقب "الفتى"، فنكران الذات، والإيثار هما قطبا الرحى الذى تدور حوله جميع الفضائل الأخلاقية.

وتتعدد المواقف التى تشهد على فتوة الشيخ وكمالاته فلا تحصى، فقد عاش فارساً بصهوه، مشجعاً على الفروسية، نابذاً لكافة مواطن الجبن، ويردد مأثور القول:" الجبن لايطيل العمر والشجاعة لا تنقصه".

ناهيك عن فتوة الشيخ فى محاربة الفرق الضالة التى شاعت فى عصره، وإعلانه على رءوس الأشهاد ضلال دعاويها، وباطل حججها، غير عابئ بتربصها به، فجابه بشجاعته تلك الفرق الضالة، وخاض المعارك تلو المعارك فى سبيل إظهار الحق، وإزهاق الباطل، وها هى جولاته وصولاته

[1]) أحمد الطيب ، مقاله (الفتوة) ، الموسوعة الإسلامية العامة ، صادرة عن المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ، وزارة الأوقاف ، إشراف أ.د/ محمود حمدى زقزوق، القاهرة ١٤٢٢هـ -٢٠٠١م ، ص١٠٦٦ .

[2]) قول : أبى الفيض ذى النون المصرى ، واسمه ثوبان ابن إبراهيم - رضى الله عنه – نقلاً عن : عبد الوهاب الشعرانى ، الطبقات الكبرى ، ص ١٢٤ .

[3]) تعريف الهروى النصارى نقلاً عن : مقال (الفتوة) ، الموسوعة الإسلامية العامة ، مرجع سابق ، ص١٠٦٦ .

[4]) مدارج السالكين ، ٢ : ٣٤١ ، القاهرة ١٣٧٥هـ / ١٩٥٦م ، نقلاً عن : مقال (الفتوة) ، الموسوعة الإسلامية ، مرجع مرجع سابق ، هامش ص١٠٦٦.

ضد أدعياء التصوف، والفكر الوهابى، وما فَرَّخه من جماعات إرهابية، وكذا ضد الشيعة المتطرفة، وهو ما سوف نتناوله فى موضعه من هذا المؤلف[1].

وأسوق فى هذا المقام موقفاً فريداً أراه ـ من جانبى ـ مثالاً لفتوة الشيخ، وهو الموقف الخاص بتصدى الشيخ لدعوة الخلق إلى الله، فهى فتوة ما يضاهيها فتوة؛ إذ آثر الشيخ فى بداية الأمر الفرار من القيام بمهمة الدعوة؛ لعلمه بثقل المسئولية، وإدراكه لعظم حملها، فطلب من شيخه الإمام العربى إذن صريح من حضرة المصطفى المليح ـ صلى الله عليه وسلم قبل التصدى للدعوة، وبعد أن نال هذا الإذن تصدى بفتوته المعهودة إلى القيام بالدعوة إلى الله، وقد أخلص القصد وانتوى أن يكون لشيخه بمثابة الصدر الذى يواجه سهام الأغيار، والصدفة التى تحمى الجوهر، والرأس التى تتلقى أول ضربة، وأضمر فى قلبه ذلك القصد وحزم أمره على تلك النية، يقول الشيخ: "لقد تعبدت الله على تلك النية".

كما تجسدت فتوة الشيخ فى القضية المشهورة ب " قضية العصبة الهاشمية " فعلى إثرها تم إيداعه والإمام العربى وبعض مريديهم سجن القلعة بتهمة تأسيس تنظيم دينى متطرف، فلما سئل الشيخ فى التحقيقات عن دورالإمام العربى فى تأسيس العصبة الهاشمية ـ انبرى فى شجاعة وفتوة منقطعة النظير، يدرأ عن شيخه ثمة مسئولية قائلاً: "الشيخ العربى هو ولى من أولياء الله لايقوم بعمل فى هذا الشأن من ناحية الدعوة لأنه يعتكف وبصره على كده وأنا استقى منه الشفافية فقط"، مقراً فى فتوة وشجاعة منقطعة النظير أنه منْ يتحمل المسئولية كاملة عن دعوة العصبة الهاشمية، وقال للمحقق:" أنا الذى أباشر الدعوة، واتحدث فى الناس، واتنتقل بين البلاد، وأقيم الموالد، وأحيى الاحتفالات"[2].

وكما كان الشيخ فتواً فى بذل نفسه، كان فتواً فى بذل ماله، جوَّاداً سخياً، لا يجمع ولا يمنع، ينفق بلا حدود، إنفاق الفتى الواثق بربه، الآخذ

---

[1]) راجع : المبحثين الأول والثانى عن (موقفه من الطرق الصوفية والوهابية) ، (موقفه من الشيعة) ، الفصل الثانى من الباب الخامس من هذا المؤلف .

[2]) فى إجابته على تساؤل المحقق/ وما دور الشيخ أبو الفتوح العربى فى نشر تلك الأفكار ؟ ، محضر تحقيق نيابة أمن الدولة مع الشيخ ، بتاريخ الجمعة ١٩٨٢/٧/٣٠ الساعة الثانية عشر والثلث مساءً بمعرفة حسنى عبد الله وكيل النيابة ومحمد النبوى أحمد طاهر أمين السر ، نسخة غير منشورة ، حيث انتهت التحقيقات بأمر حفظ لعدم الجريمة .

بوصية رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ لسيدنا بلال (رضى الله عنه): "انفق بلال ولاتخشى من ذى العرش إقلال"[1].

الفراسة: الفراسة لغة: التثبت والنظر، والمهارة فى تعرف بواطن الأمور من ظواهرها، وهو المعنى الذى نقصده فى هذا المقام[2].

والفراسة الحقة هى مكاشفة اليقين ومعاينة الغيب، لذا، اعتبرها الصوفية منزلة إيمانية.

وقد وردت الإشارة إلى الفراسة الحقة فى قوله تعالى:{ تَعْرِفُهُم بِسِيمَاهُمْ }[3]، كما وردت كلمة (فراسة) صراحة فى الحديث الشريف المروى عَنْ أَبِى سَعِيدٍ الْخُدْرِىِّ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- « اتَّقُوا فِرَاسَةَ الْمُؤْمِنِ فَإِنَّهُ يَنْظُرُ بِنُورِ اللَّهِ ». ثُمَّ قَرَأَ (إِنَّ فِى ذَلِكَ لآيَاتٍ لِلْمُتَوَسِّمِينَ)[4]، وَقَدْ رُوِىَ عَنْ بَعْضِ أَهْلِ الْعِلْمِ فِى تَفْسِيرِ هَذِهِ الآيَةِ (إِنَّ فِى ذَلِكَ لآيَاتٍ لِلْمُتَوَسِّمِينَ) قَالَ لِلْمُتَفَرِّسِينَ[5].

والفراسة إما أن تكون شرعية أو تكون حكمية: فأما الفراسة الشرعية، فيقصد به ذلك النور الذى يقذفه الله فى قلب العبد فيكشف به حال الآخرين، وهى من المعارف الإيمانية، و لكل مؤمن من هذه الفراسة نصيب حسب قوة إيمانه، ويرى الصوفية أن الفراسة موهبة فطرية يحظى بها كل ولى من أولياء الله، لأنه ينظر بنور الله، فيبصر ببصيرته لاببصره.

وأما الفراسة الحكمية، فيقصد بها تلك القدرة أو الملكة التى يكتسبها الإنسان من واقع الخبرة العملية والتدريبات الحياتية. فينبسط لصاحبها معرفة بواطن الأمور بظواهر الأحداث، ويعرف بها بواطن الأشخاص بظواهر الحواس، كفراسة الوجه، وفراسة الكف، وغيرهما[6].

---

[1]) نقلاً عن : تاج الدين بن عطاء الله السكندرى رضى الله عنه ، لطائف المنن فى مناقب الشيخ أبى العباس المرسى وشيخه الشاذلى أبى الحسن ، مرجع سابق ، ص١٧ .

[2]) المعجم الوجيز ، مرجع سابق ، ص٤٦٦.

[3]) البقرة :٢٧٣ ، وجاء فى تفسير ابن كثير :" وقوله" تعرفهم بسيماهم "أي بما يظهر لذوي الألباب من صفاتهم كما قال تعالى" سيماهم في وجوههم "وقال" ولتعرفنهم في لحن القول "وفي الحديث الذي في السنن" اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله ثم قرأ" إن في ذلك لآيات للمتوسمين.".

[4]) سنن الترمذى ، تفسير القرآن ، حديث رقم ٣٤١٩ ، نقلاً عن موسوعة الحديث الشريف ، مرجع سابق .

[5]) جاء فى تفسير البغوى عن آية : "إن في ذلك لآيات للمتوسمين"، قال ابن عباس: للناظرين. وقال مجاهد: للمتفرسين. وقال قتادة: للمعتبرين. وقال مقاتل: للمتفكرين .

[6]) منى أبو زيد ، مقالة بعنوان (الفراسة) ، الموسوعة الإسلامية العامة ، مرجع سابق ، ص ١٠٧٢ ، ١٠٧٣ .

وكان لشيخ ذا باع طويل، ونصيب وافر من الفراسة، فطالع منْ جالسه بما يخفيه، وتطرق إلى مستقبله وماضيه، وإن رأى معايبه يناجيه بها، أو يُعَرِّضَ له دون إفصاح، خشية الافتضاح.

وقد كشف الله تعالى للشيخ الأسباب ورفع عنه الحجاب واطلعه على بواطن الأمور كشفاً وفراسة فبالكشف يدركها جملة، وبالفراسة يدركها تفصيلاً على أصل الوضع وحقيقة الرسم، فيخاطب الأرواح من حيث وضعها، ويخاطب الأجسام من حيث تركيبها، ويشير إلى العلم برموز الإشارة، ويفهم كشف العبارة.

بيد أن الشيخ رضى الله عنه كان يعزو هذا الكشف الإلهى إلى فراسته الحكمية، وخبرته الحياتية، وما أفرخه تعامله فى الأسواق، ويقول لا تظنوا هذا الكشف من باب الولاية أو الكرامة، ولكنها خبرة التعامل في الأسواق، وتجارته فيها؛ تستراً على فضل الله فيه، وهو من عظيم خُلقه، وكمال ولايته، وتمكن معرفته (رضى الله عنه) .

الكياسة و الفطانة:

الكياسة لغة: الظُرْفُ والفطانة فى استنباط ما هو أنفع[1]. والفطانة لغة: الحذق والمهارة، وقوة استعداد الذهن لإدراك ما يرد عليه[2].

والكياسة والفطانة من صفات العبد المؤمن، فالمؤمن كَيّسٌ فَطِنْ . وعَنِ ابْنِ عُمَرَ أَنَّهُ قَالَ: كُنْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم- فَجَاءَهُ رَجُلٌ مِنَ الأَنْصَارِ فَسَلَّمَ عَلَى النَّبِىِّ - صلى الله عليه وسلم- ثُمَّ قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَىُّ الْمُؤْمِنِينَ أَفْضَلُ قَالَ: « أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا » . قَالَ فَأَىُّ الْمُؤْمِنِينَ أَكْيَسُ قَالَ: « أَكْثَرُهُمْ لِلْمَوْتِ ذِكْرًا وَأَحْسَنُهُمْ لِمَا بَعْدَهُ اسْتِعْدَادًا أُولَئِكَ الأَكْيَاسُ »[3].

وتتحقق الكياسة والفطنة بحسن استغلال المرء لوقته الحاضر فيما ينفع، وعدم إهدار وقته سواء فى التفكير فى الماضى أو الانشغال بالمستقبل؛ لذا، عُنِىَّ الصوفية بمسألة الوقت عناية فائقة، وأولوه الصدارة فى كلماتهم ووصاياهم ،يقول أحدهم[4]:" لاتشغل وقتك العزيز إلا بأعز الأشياء، وأعز

---

[1]) المعجم الوجيز ، مرجع سابق ، ٥٤٦.

[2])المعجم الوجيز ، مرجع سابق ، ص٤٧٦ .

[3]) سنن ابن ماجه ، الزهد ، حديث رقم ٤٤٠٠ ، نقلاً عن : موسوعة الحديث الشريف ، مرجع سابق .

[4]) قول : أبى سعيد الخراز ، نقلاً عن : عبد اللطيف محمد عبد العبد ، مقاله :(الوقت عند الصوفية)، الموسوعة الإسلامية العامة ،مرجع سابق ، ص ١٤٥٢- ١٤٥٤ .

أشياء العبد شغله بين الماضى والمستقبل"، يعنى حاضره. كما مَثَّلَ الوقت بالنسة للصوفية خطراً عظيماً، يوجب الحذر من فواته أو ضياعه، ومن مأثوراتهم القول: "الوقت سيف إن لم تقطعه قطعك" ، أى غلبك بما يمضيه الحق[1].

ويقول أحدهم[2]: "صحبت الصوفية عشر سنين ما استفدت منهم إلا هذين الحرفين: الوقت سيف، وأفضل العصمة ألا تجد". ومن أقوال الحسن التى جرت مجرى الأمثال قوله:" ابن آدم إنما أنتَ أيام، كلما ذهب يوم ذهب بعضك "[3].

وتتجلى كياسة الشيخ فى اغتنام جم وقته وبذله فى القيام بالدعوة إلى الله، ولا يشغل وقته إلا بنافع القول والعمل، وكَدَحَ وكدَّ فى أداء رسالته وبلوغ قصده، فما رأيته يفرغ من عمل حتى يشرع فى غيره، ووجدته دائم التأهب والتحفز كأنه قائد فى ميدان معركة إن غفل ساعة نال الأعداء من رقبته، فتشابهت حالاته بالغزوات المتواليات، فقلَّ نومه، وقام ليله، وطال فى قضاء مصالح الخلق نهاره.

كما كان الشيخ يوصى أحبابه ويحثهم على المبادرة فى أداء حقوق الله، والسعى الدءوب فى أداء حقوق الخلق ومصالحهم، وينصحهم باغتنام أوقاتهم، والتقليل من نومهم، ويقول لهم: "سوف تناموا طويلاً فى قبوركم، فاغتنموا أوقات حياتكم".

وكان الشيخ ابن وقته لا يختار عملاً لنفسه، فهو بحكم الوقت قائم، ولأمر ربه مستسلم، كَيِّسٌ فَطِنُ، لايتحول عن الحقيقة من غير تضييع حقوق الشريعة، وكما يقول القشيرى: "الكَيِّس هو من كان بحكم الوقت قائم، فإن كان وقته الصحو، فقيامه بالشريعة، وإن كان وقته المحو، فالغالب عليه أحكام الحقيقة "[4]. وفى ذات المعنى يشير الهجويرى إلى أن أوقات الموحد وقتان: أحدهما فى حال الفقد، والثانى فى حال الوجد، وفى كلاهما يكون

---

[1]) عبد اللطيف محمد عبد العبد ، مقالة بعنوان : (لوقت عند الصوفية) ، الموسوعة الإسلامية العامة ، مرجع سابق ، ص ١٤٥٢ .

[2]) قول : الإمام الشافعى رضى الله عنه ، نقلاً عن : الإمام عبد الوهاب الشعرانى ، الطبقات الكبرى ـ المسمى لواقح الأنوار فى طبقات الأخيار ، مرجع سابق ، ص٨٧ ، ٨٨.

[3]) عامر النجار، الحسن البصرى ، الجزء الأول ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ٢٠٠٣م، ص٢٩.

[4]) عبد اللطيف محمد عبد العبد ، مقاله :(الوقت عند الصوفية)، الموسوعة الإسلامية العامة ،مرجع سابق ، ص ١٤٥٢ـ ١٤٥٤

الموحد مقهوراً؛ لأنه فى حال الوصل يكون وصله بالحق، وفى الفصل يكون فصله بالحق[١].

أما فطنة الشيخ فتبدو فى الذكاء الحاد الذى تميز به، والبديهه الحاضرة التى لازمته، وحَدْثِه وحسن بيانه، وقد سَخَّرَ الشيخ كل ذلك فى خدمة الدعوة إلى الله.

وكان الشيخ رحيماً بأمة المصطفى ـ صلى الله عليه وسلم ـ حريصاً على ألا يهتك أسرار الخلق، أو يعنتهم ويشق عليهم، قال تعالى:{ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ }[٢]، وقوله تعالى { عزيز عليه ما عنتم} أي يعز عليه الشيء الذي يعنت أمته ويشق عليها، وفي الحديث أنه قال: " بعثت بالحنيفية السمحة " وفي الصحيح " إن الدين يسر"[٣] .

وبفطنته جَنَّبّ الشيخ كل منْ عاذ به العنت ورفع عنه الحرج، فمجرد أن يُبْدِى إليه ذو بال أمره إذ به يلمح مأربه، ويكفى صاحبه مؤنة الخوض فى تفصيلاته، أو البوح بما كره أن يطلع عليه الناس.

وننتقل بعد هذه الإشارة الموجزة إلى وصفه، وصفته إلى مرحلة فارقة فى حياته، هَبَّ فيها الشيخ يخطو بدايات طريق القوم بعزم وثقة منقطعة النظير فتقدم الأولين، وبانت كراماته فى الآخرين، وذلك من خلال الفصل التالى.

[١]) عبد اللطيف محمد عبد العبد ، مقاله :(الوقت عند الصوفية)، الموسوعة الإسلامية العامة ،مرجع سابق ، ص ١٤٥٢ـ ١٤٥٤.

[٢]) التوبة : ١٢٨ .

[٣]) راجع فى ذلك : تفسير ابن كثير لهذه الآية .

الفصل الثانى

بداياته، وكراماته

ينقسم هذا الفصل إلى أبحاث ثلاثة: أولها- إطلالة على خلوة الشيخ وهجرته، وثانيها- يتناول بدايات الشيخ فى طريق القوم، وثالثها- يستعرض بعض من الكرامات التى ساقها الله على يديه، وذلك على النحو التالى:

المبحث الأول

خلوته، وهجرته

أولاً- خلوته:

الخَلْوَةُ لغة[1]: هى مكان الانفراد بالنفس أو بغيرها، وتجد الخلوة تأصيلها الشرعى فى الحديث الطويل المروى عن السيدة عائشة (رضى الله عنها) قَالَتْ:" كَانَ أَوَّلُ مَا بُدِئَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم مِنَ الْوَحْىِ الرُّؤْيَا الصَّادِقَةَ فِى النَّوْمِ فَكَانَ لاَ يَرَى رُؤْيَا إِلاَّ جَاءَتْ مِثْلَ فَلَقِ الصُّبْحِ ثُمَّ حُبِّبَ إِلَيْهِ الْخَلاَءُ فَكَانَ يَخْلُو بِغَارِ حِرَاءٍ يَتَحَنَّثُ فِيهِ - وَهُوَ التَّعَبُّدُ - اللَّيَالِىَ أُولاَتِ الْعَدَدِ قَبْلَ أَنْ يَرْجِعَ إِلَى أَهْلِهِ وَيَتَزَوَّدُ لِذَلِكَ ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَى خَدِيجَةَ فَيَتَزَوَّدُ لِمِثْلِهَا حَتَّى فَجِئَهُ الْحَقُّ وَهُوَ فِى غَارِ حِرَاءٍ فَجَاءَهُ الْمَلَكُ...."[2] .

وفى غمار اختلاف الألسن على حال صباه، استمطر الشيخ سحب الهدايات، واستقرع أبواب العنايات، اتجه قِبَل مولاه فأقبل عليه وتولاه، اجتباه ربه وإلى غايته هداه.

---

[1]) المعجم الوجيز ، مرجع سابق ، ص٢١٠ .

[2]) صحيح مسلم - حديث الإيمان رقم ٤٢٢ ، نقلاً عن : موسوعة الحديث الشريف ، وزارة الأوقاف ، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ، وروى مثله الإملم البخارى فى صحيحه أيضاً .

يقول أحدهم[1]: الناس على قسمين: قوم وصلوا بكرامة الله إلى طاعة الله، وقوم وصلوا بطاعة الله إلى كرامة الله، قال تعالى:{ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ }[2].

وها هو الاجتباء آت، فبينما كان الشيخ فى مجلس سرف وترف مع قرنائه، متحلقين على بساط حجرة فى ضيافة صديق لهم، وقد علت حائط الحجرة صورة رجل مهاب، تلحظ فى عينيه نظرة ثاقبة، رشقت الشيخ فرهبته، فكأنما هى نار مؤصدة، خفق قلبه، وارتعدت فرائصه استهدأ نفسه فلم تسكن، فأخذ يتزاورعنها فلم يفلح، ولا تزال العين تلاحقه خوفاً ورهباً .

وخشى أن يشعر أقرانه بخوفه فيرمونه بالجبانة، فتفرسهم فألفاهم يتزاورون عن الصورة مثله، وتساءل الجمع عن صاحبها، فأخبرهم صاحب المنزل بأنها للعارف بالله تعالى مولانا الحاج أحمد رضوان الأقصرى البغدادى (رضى الله عنه) .

قرع الاسم سمعه، وتملكت الخشية قلبه، واستولى عليه حياء من الله شديد، ترك المجلس، وعاد إلى منزله ودخل حجرته، معتزلاً الأهل والأقران، بل ومحتجباً عن الناس كافة، واتخذ الحجرة منسكاً وخلوة للعبادة .

يقول أحدهم[3]: "دليلنا فى القول بالخلوة ما صح أنه ـ صلى الله عليه وسلم ـ كان يختلى فى غار حراء حتى فجئه الوحى فدل على أن الخلوة حكم مرتب عليه الوحى وذريعة لمجئ الحق وظهور نور الله تعالى".

ويقول آخر[4]:" منْ أحب أن يفتح الله تعالى عليه بنور القلب فعليه بالخلوة وقلة الأكل وترك مخالطة السفهاء وبغض أهل العلم الذين لايريدون بعلمهم إلا الدنيا ".

ولم يشأ الشيخ التحدث عن خلوته إلا تلميحاً، فهى شأن خاص بين العبد وربه، وسر خفى فى مكبوتات قلب العبد، وعليه أن يقبره بين جوانحه، ويكتمه عمن سواه.

---

١) قول سيدى أبى العباس المرسى ، نقلاً عن : ابن عطاء الله السكندرى، لطائف المنن فى مناقب الشيخ أبى العباس المرسى وشيخه الشاذلى أبى الحسن، مرجع سابق، ص١٧٨.

٢) الشورى : ١٣ .

٣) قول : سيدى محمد أبو المواهب الشاذلى رضى الله تعالى عنه نقلاً عن : عبد الوهاب الشعرانى ، الطبقات الكبرى ، مرجع سابق ، ٤٧٤ .

٤) قول الأمام الشافعى رضى الله عنه ، نقلاً عن : عبد الوهاب الشعرانى ، الطبقات الكبرى ، مرجع سابق ، ص٨٨

وتعد الخلوة منية الصديقين، وغايتهم، فإنهم إذا أخلصوا لله تعالى فى جلواتهم يفتح الله عليهم ما يؤنسهم فى خلوتهم؛ تعويضاً من الله إياهم عما تركوا لأجله.

بيد أن الخلوة لاتخلو من المخاطر إذا ما استعظم صاحبها أمر نفسه بما يجده من خير فى قلبه فيقع فى الهلاك، فضلاً عما يتعرض له صاحبها من فتنة، أو ابتلاء لتمحيص صدقه مع الله.

وقد تعرض الشيخ فى خلوته لفتنة - وقع فيها الكثير من أصحاب الخلاوى - فبينما هو فى حجرته إذ بنور يملأ أركانها، وصدى صوت جهورى هزَّ أرجاءها يناديه: يا أحمد أبو الحسن، يريد فتنته كأن الله يكلمه، لكن الشيخ فَطِنَ إلى أنه الشيطان، وأدرك أن نور الله لا تحده الجهات، ولاتدركه الأبصا، وكلام الله لايصدرعن لسان حتى تترجمه الآذان، فرد الشيخ على التو قائلاً: خسئت ياملعون، وهنا تلاشى ذلك النور، وكشف عن نفسه الغرور، بقهقة الخزى والخزلان، فقد افتضحت حيلته، وفسدت غوايته، ثم طلب الشيخ أن يرى هذا الشيطان الذى أراد غوايته، فمَثُلَ أمامه مخذولاً مدحورا، مكبلاً بالسلاسل والأغلال، ثم رُجِمَ وحُرِقَ، وبات دخانا.

وفى هذا الصدد، يقول سيدى عبد القادر الجيلى (رضى الله عنه): " تراءى لى نور عظيم ملأ الأفق ثم تدلى فيه صورة تنادينى ياعبد القادر أنا ربك وقد حللت لك المحرمات فقلت اخسأ يالعين، فإذا ذلك النور ظلام وتلك الصورة دخان، ثم خاطبنى ياعبد القادر نجوت منى بعلمك بأمر ربك، وفقهك فى أحوال منازلاتك، ولقد أضللت بمثل هذه الواقعة سبعين من أهل الطريق، فقلت لله الفضل، فقيل له كيف علمت أنه شيطان، قال: بقوله قد حللت لك المحرمات"[1].

عكف الشيخ أمة معدودة فى خلوته إلى أن جاء العارف بالله الحاج أحمد رضوان فى زيارة إلى قرية دراو، وإذ به يقطع خطبته وينادى على الشيخ باسمه من مكبر الصوت بالمحفل، ويقرع النداء سمع الشيخ في خلوته، فخرج منها ملبياً لمنْ كانت صورته سبب هدايته، وتم اللقاء الأول

[1]) نقلاً عن : عبد الوهاب الشعرانى ، الطبقات الكبرى ، مرجع سابق ، ص٢١٨

مع شيخه الأول العارف بالله تعالى الحاج أحمد رضوان(رضى الله عنه)، على ماسيأتى ذكره[١].

ثم حبذ الشيخ الخلوة حال معيشته، فذهب إلى أرض نائية عن الناس لفلاحتها فرداً، لايرى الخلق إلا قليلا، وكانت له عمة تحنو عليه، وتذهب إليه بالطعام ليتقوت به[٢]، ثم اشتغل بأحد المحاجر فى منطقة جبلية نائية؛ إذ يرى الشيخ أن مخالطة الناس مع الإقبال على الله أكمل من العزلة، ويقول: " خلوة فى جلوة خير من جلوة فى خلوة "، وقيل[٣]: مكابدة العزلة أيسر من مداراة الخلطة.

ثانياً – هجرته:

الهجرة لغة[٤]: انتقال الناس من موطن إلى آخر، وتمثل الهجرة سنة متبعة عند العارفين بالله؛ اقتداءً برسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى هجرته من مكة إلى المدينة المنورة، وعَنِ النَّبِىِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: « لَوْلاَ الْهِجْرَةُ لَكُنْتُ امْرَأً مِنَ الأَنْصَارِ » . وَقَالَ صلى الله عليه وسلم « رَأَيْتُ فِى الْمَنَامِ أَنِّى أُهَاجِرُ مِنْ مَكَّةَ إِلَى أَرْضٍ بِهَا نَخْلٌ ، فَذَهَبَ وَهَلِى إِلَى أَنَّهَا الْيَمَامَةُ أَوْ هَجَرُ، فَإِذَا هِىَ الْمَدِينَةُ يَثْرِبُ »[٥].

وقد هاجر الصحابة (رضى الله عنهم) عندما اشتد بهم تعذيب المشركين بمكة المكرمة إلى الحبشة مرتين قبل الهجرة الكبرى إلى المدينة المنورة.

وبالطبع، لا يؤجر على الهجرة إلا منْ كانت هجرته لله وحده ففى الحديث الشريف عن عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ (رضى الله عنه) قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: « إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا

---

[١]) انظر : المبحث الثانى بعنوان (العارف بالله تعالى الحاج احمد رضوان) الفصل الأول من الباب الثانى (شيوخه) من هذا المؤلف

[٢]) عمة الشييخ تدعى " درنده " ، وكان الشيخ يجلها ويثنى عليها ، ويوصلها رحماً حتى آخر حياته .

[٣]) قول سيد الطائفة أبو القاسم الجنيد رضى الله ، نقلاً عن : الإمام عبد الوهاب الشعرانى ، الطبقات الكبرى ، مرجع سابق ص١٤٦ .

[٤]) المعجم الوجيز ، مرجع سابق ، ص ٦٤٥ .

[٥]) صحيح البخارى ، باب هِجْرَةُ النَّبِىِّ صلى الله عليه وسلم وَأَصْحَابِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ ومناقب الأنصار، حديث رقم ٤٥، نقلاً عن : موسوعة الحديث الشريف ، مرجع سابق .

نَوَى، فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى دُنْيَا يُصِيبُهَا أَوْ إِلَى امْرَأَةٍ يَنْكِحُهَا فَهِجْرَتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ »[1].

وأغلق باب الهجرة بعد فتح مكة بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم:" لاَ هِجْرَةَ بَعْدَ الْفَتْحِ وَلَكِنْ جِهَادٌ وَنِيَّةٌ، وَإِذَا اسْتُنْفِرْتُمْ فَانْفِرُوا »[2]، إلا أن معنى الهجرة لازال قائماً فى هجر مانهى الله عنه، وهو الجانب المعنوى للهجرة المقصود هنا.

بعد جلاء خلوته، وجد الشيخ نفسه غريباً فى موطنه، مستوحشاً أهله، غير مستأنس برفاقه، بائناً عن الناس قريباً من رب الناس، إن تكلم فبذكر الله، أو ما يقربه إليه، وإن صمت ففى الله فكره، وصار قاطناً مع الناس فى حدثانه، راحلاً عنهم إلى أوطانه، فغاية الاقتراب الاغتراب، زهد فى الدنيا،فاستغرب دارها، وأخذ لُبَّه ما عرفه من ثواب الدار الآخرة، فطالت غربته، وأضحت الوحدة حيلته، يقول أحدهم[3]: "الإكثار من الوحدة حيلة الصديقين ".

تملك الشيخ حال غريب فريد، غاب فيه عن ذاته؛ لحضوره مع الله تعالى، زهد باطل الخلق؛ وتوجه إلى طريق الحق، والحق غربه، والحال هو حال الغربة.

وتجد الغربة تأصيلها فى الحديث الوارد عن سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: « بَدَأَ الإِسْلاَمُ غَرِيباً ثُمَّ يَعُودُ غَرِيباً كَمَا بَدَأَ فَطُوبَى لِلْغُرَبَاءِ ». قِيلَ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَنِ الْغُرَبَاءُ قَالَ « الَّذِينَ يُصْلِحُونَ إِذَا فَسَدَ النَّاسُ وَالَّذِى نَفْسِى بِيَدِهِ لَيَنْحَازَنَّ الإِيمَانُ إِلَى الْمَدِينَةِ كَمَا يَحُوزُ السَّيْلُ وَالَّذِى نَفْسِى بِيَدِهِ لَيَأْرِزَنَّ الإِسْلاَمُ إِلَى مَا بَيْنَ الْمَسْجِدَيْنِ كَمَا تَأْرِزُ الْحَيَّةُ إِلَى جُحْرِهَا »[4].

ويختلف مدلول الغربة عند العارفين بالله تعالى عن مدلولها عند الزاهدين، فالزاهد غريب فى الدنيا لأن الآخرة وطنه، فقد جاء من الدنيا إلى

---

[1]) صحيح البخارى - حديث بدء الوحى ، حديث رقم١ . نقلاً عن : موسوعة الحديث الشريف ، وزارة الأوقاف ، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية .

[2]) صحيح البخارى- الجهاد ، حديث رقم ٢٧٨٣. نقلاً عن : موسوعة الحديث الشريف ، وزارة الأوقاف ، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية .

[3]) قول : سيدى أبى الحسين بن حبان الجمال رحمه الله تعالى ، نقلاً عن :الإمام عبد الوهاب الشعرانى ، الطبقات الكبرى ، مرجع سابق ، ص١٩٣ .

[4]) مسند أحمد ، حديث عبد الرحمن بن سنة ، حديث رقم ١٧١٤٥. ، نقلاً عن : موسوعة الحديث الشريف ، مرجع سابق .

الآخرة، أما العارف فقد جاء من الآخرة إلى الدنيا، ولمَّا كُشِفَ للعارف بالله عن صفات معروفه، أخذ قلبه فيما هنالك، فصار غريباً فى الآخرة.

لم يجد الشيخ فراراً من غربته إلا الالتجاء إلى بيت النبوة، وعترة رسول الله صلى الله عليه وسلم، يحتمى بحَرَمِهم، ويلتمس الأنس بقربهم، فأهل البيت أمان الغريب، وزاد القريب.

عكف الشيخ على خدمة السادة الأشراف الأدارسة بساحتهم بدراو، وأوقف وقته عليهم، وكان فى كنفهم كعيالهم، صدق فى محبتهم، وتفانى فى خدمتهم، وكان مثالاً للأدب فى رحابهم، والتأدب فى معاملتهم، وَهَبَ إليهم نفسه بالكلية، وصار مليكهم، فاحتضنوه، وسارروه، وأدخلوه منازلهم، يسرون إليه بالمودة، ويكفلونه بالعطف والرحمة، أمدوه من نورهم الممدود من نور جدهم صلى الله عليه وسلم، حتى صار منهم، وعُرِف بهم، وتحلى بفضائلهم، وتجمل بحسن سمتهم.

ولكن الصوفى بطبعه غريبٌ وإن كان قريباً، فَرَّارٌ بدينه من فتن الدنيا، طيارٌ ميَّال للأسفار.

وعزفت نفسه ـ فى عنفوان شبابه ـ عن الدنيا وشهواتها بالكلية، قام ليله، وصام نهاره، فحسبه لقيمات يقمن بها صلبه، وتملكت الخشية كيانه، ودك الخوف بنيانه. وبانت إرهاصات بداياته، وكشف عن كراماته.

ضاقت القرية على الشيخ بما رحبت، وارتدَّ أهلها عليه، فلا كرامة لولى بين أهله، ولا مناص من الهجرة إلى موطن آخر، والاجتماع على غيرهم، يحبهم فى الله ويحبونه فى الله، ولا يخافون فى الله لومة لائم، فيتخذهم أهلا له، ودعائم لبنيان دعوته، وقادة لجنده، يجاهد بهم فى سبيل الدعوة إلى الله. ولكن، إلى أين المسير؟!

اختار الله للشيخ مدينة كوم أمبو المجاورة مهجراً، ومنطلقاً لاقتفاء طريق القوم، فارتحل إلى ربه بشوق جارف، وهِمَّة عارف، ولم يترك فجاً فيه شيئ من تقوى إلا تتبعه وسلكه، ولا عيناً فيها أَثَارَة من علم إلا وردها، وارتواها، فسبق المتقدمين.

المبحث الثانى

لمحات إلى البدايات

بداية، نود الإشارة إلى أن روايات العارفين عن بداياتهم، أو قولهم أنه وقع لنا فى بداياتنا كذا وكذا، لايعنى بالضرورة أنهم صاروا يشهدون أنفسهم من الكاملين الآن - حاشاهم الله من ذلك - بل يلمح العارف إلى أن ما ثَمَّ إلا بداية، والنهاية منقولة غير معقولة، فالعارف يخبر عن واقع لتحصل الإفادة للأتباع والمريدين، لا لرؤية النفس، والالتفات إليها.

كتب سيدى ابن عطاء الله السكندرى لبعض إخوانه خطاب تحدث فيه عن البدايات فقال: " أما بعد فإن البدايات مجلات النهايات، وإن من كانت بالله بدايته كانت إليه نهايته، ... وإن من أيقن أن الله يَطْلُبَه صَدَقَ الطلب إليه، ومن علم أن الأمور بيده انجمع بالتوكل عليه، وأنه لابد لبناء هذا الوجود أن تنهدم دعائمه، وأن تسلب كرائمه، فالعاقل منْ كان بما هو أبقى أفرح بما هو يفنى. قد أشرق نور وظهرت تباشيره فصدف عن هذه الدار مغضياً، وأعرض عنها مولياً، فلم يتخذها وطناً، ولاسكناً، بل أنهض الهمة فيها إلى الله تعالى، وصار فيها مستعيناً به فى القدوم عليه، فما زالت مطية عزمه لايقر قرارها، دائماً تسيارها إلى أن أناخت بحضرة القدس، وبساط الأنس، محل المفاتحة والمواجهة والمطالعة والمشاهدة والمجالسة، فصارت الحضرة مُعشش قلوبهم، إليها يأوون، وفيها يسكنون، فإن نزلوا إلى سماء الحقوق، وأرض الحظوظ فبالإذن، والتمكين، والرسوخ فى اليقين، فلم ينزلوا إلى الحقوق بسوء الأدب والغفلة، ولا إلى الحظوظ بالشهوة والمتعة، بل دخلوا فى ذلك كله بالله ولله ومن الله وإلى الله :{وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ }[1]، ليكون نظرى إلى حولك وقوتك إذا أدخلتنى، واستسلامى وانقيادى إليك إذا أخرجتنى: {وَاجْعَل لِّي

---

[1]) سورة الاسراء :٨٠

مِن لَّدُنكَ سُلْطَانًا نَّصِيرًا}[1] ينصرنى، وينصر بى، ولاينصر علىَّ، ينصرنى على شهود نفسى، ويفنينى عن دائرة حسى"[2].

بدأ الشيخ طريق القوم خادماً وفياً للصالحين الأخيار، فكما يقول أحدهم[3]: "إذا أراد الله بعبده خيراً رزقه خدمة الصالحين والأخيار، ووفقه لقبول ما يشيرون به عليه، وسهل عليه سبيل الخيرات وحجبه عن رؤيتها"، يقول الإمام الشافعى:" منْ خَدَمَ خُدِمَ "[4].

كما نَهَجَ الشيخ نَهْج المحبة والأدب، فكان محباً لأهل الله، ومتأدباً فى حضراتهم، ممتثلاً لأوامرهم فى المعروف، فالحب والأدب ـ عنده ـ وصول بلا تعب . يقول أحدهم[5]: "لم يصل أولياء الله تعالى إلى ما وصلوا إليه بكثرة الأعمال، وإنما وصلوا إليه بالأدب ".

وعن بداياته، يروى الحاج على شقيق الشيخ الأكبر:أن إرهاصات الولاية فى أخيه ظهرت مذ بداياته؛ إذ كان قلبه متعلقاً بالمساجد، مواظباً على الصلوات في أوقاتها، ويقوم مؤذناً فى مسجد النجع، ينهض مبكراً لصلاة الفجر، ويتعجل فى السعى إلى المسجد قبل الوقت بكثير، وبفتح مكبر الصوت مهللاً، ومكبراً، الصلاة خير من النوم.

وقد أَرَّقَ ذلك أهل النجع، وأقلق نومهم، فشكوه إلى أخيه، مطالبين منعه من التهليل والتكبير، والانتظار حتى موعد الصلاة، فحاول لكنه لم يفلح فى اقناع الشيخ، الذى داوم تبكيره وتعجيله فى التهليل والتكبير قبل الأذان بكثير.

وتشير هذه اللمحة فى بدايات حياة الشيخ إلى شدة تعلقه بالمساجد، وشوقه الموسوى الجارف بالتعجيل للقاء ربه، يرنو إلى أن يظله الله بظله يوم لاظل إلا ظله، فقد ورد عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِىِّ صلى الله عليه وسلم

---

[1]) سورة الاسراء :٨٠

[2]) محمد إبراهيم محمد سالم ، شرح متن حكم ابن عطاء الله السكندرى ، لسيدى على البيومى رضى الله عنهم جميعاً ، المسمى بالهداية للإنسان إلى الكريم المنان ، مكتبة الشيخ صالح الجعفرى بالدراسة ـ القاهرة١٤٢٤هـ ـ ٢٠٠٤م ، ص١١٣ .

[3]) قول الشيخ أبى عمرو إسماعيل بن نجيد السلمى رحمه الله نقلاً عن : عبد الوهاب الشعرانى ، الطبقات الكبرى ، مرجع سابق ، ص٢٠٥ .

[4]) عبد الوهاب الشعرانى ، الطبقات الكبرى ، مرجع سابق، ص٨٩ .

[5]) قول الشيخ أبى السعود بن أبى العشائر رضى الله عنه ، نقلاً عن : عبد الوهاب الشعرانى ، الطبقات الكبرى ، مرجع سابق ، ص٢٧٦ .

قَالَ " سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لاَ ظِلَّ إِلاَّ ظِلُّهُ الإِمَامُ الْعَادِلُ، وَشَابٌّ نَشَأَ فِي عِبَادَةِ رَبِّهِ، وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ فِي الْمَسَاجِدِ، وَرَجُلاَنِ تَحَابَّا فِي اللَّهِ اجْتَمَعَا عَلَيْهِ وَتَفَرَّقَا عَلَيْهِ، وَرَجُلٌ طَلَبَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ فَقَالَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ، وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ أَخْفَى حَتَّى لاَ تَعْلَمَ شِمَالُهُ مَا تُنْفِقُ يَمِينُهُ، وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللَّهَ خَالِيًا فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ"[١].

و يحكى أقران الشيخ عن لمحة أخرى فى بداياته، ومشهد تكرر أمامهم، إذ كان الشيخ يسير بصحبتهم حافى القدمين، وفجأة يلتقط ورقة ملقاة على الأرض، فينفضها مما علق بها من أوساخ، ويودعها بين طيات ملابسه، وها هو يرقب عن بعد شخصاً بيده قرطاس ملفوف بها شطيرة، فيركض وينتزع الورقة من يد حاملها، تاركاً له شطيرته، و بعد تنظيفها يضعها مع أسلافها. ولمَّا تعجب الأقران من هذه المشاهد، تصفحوا مكتوب هذه الأوراق، فما خلت من آية قرآنية، أو اسم من أسماء الله الحسنى، أو اسم لرسوله صلى الله عليه وسلم، فعلموا أن الشيخ أدرك المكتوب بولايته، ويحفظ الورقة؛ كرامة لما سطرته، وتعظيماً لمدلولها.

وغنى عن البيان أن ما اعترى الشيخ فى بداياته يشير إلى صدقه مع الله، وغيرته الشديدة على كلماته، ورسم اسمه، واسم حبيبه عليه الصلاة والسلام، وكلمات الله التامات، وفى حديث رواه الإمام على بن أبى طالب (رضى الله عنه، وكرم الله وجهه) عن سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما معناه أنه قال: " ما من كتاب يلقى بمضيعة من الأرض فيه اسم من أسماء الله إلا يبعث الله ملائكة يحفونه بأجنحتهم حتى يبعث الله ولياً من أوليائه فيرفعه من الأرض ".

وفى ذات السياق، حكى فى الأثر عن فضل "بسم الله الرحمن الرحيم" أن سيدى بشر الحافى كان يمر فى طريق فرأى قرطاس مكتوب عليه بسم الله الرحمن الرحيم، قال فطار قلبى إليه وتناولت المكتوب وقد رفع الحجاب وظهر المحجوب، وكنت أملك درهمين فاشتريت بهما طيباً وطيبته وحجبته عن العيون، وفى ليلى عندما نمت هتف بى هاتف من الغيب لاشك ولاريب فيه: يابشر طيبت اسمى، وعزتى وجلالى لأطيبن اسمك فى الآخرة.

---

[١]) حديث الأذان – صحيح البخارى رقم ٦٦٠ . نقلاً عن : موسوعة الحديث الشريف ، وزارة الأوقاف ، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ، مرجع سابق .

وفى مشهد آخر تكرر فى فترة بدايات الشيخ، فبينما هو فى الطريق مع رفقائه إذ به يتجه إلى شخص بعينه منزوياً على جانب الطريق فيناجيه، ولمَّا لحقوا به شاهدوا رجلاً يظهر عليه آثار الهم والسأم، باسطاً يديه أمام الشيخ، الذى أخذ فى مزج خليط من تراب الأرض وماء ريقه يضمد به يدى الرجل. وتعجب الرفقاء! فعادوا وسألوا الرجل فقص عليهم قصته، إذ أُصيب منذ فترة طويلة بمرض جلدى انتشر بيديه، وعجز الأطباء عن علاجه، وفرَّ الناس منه، ويئس الرجل، وهمه الأمر وغمَّه، وبينما هو جالس على هذه الحال فوجئ بالشيخ أمامه يكاشفه بما أهمَّه، ويفعل ما شاهدوه، وقد تحسنت حالة الرجل الصحية بعد ذلك، وتماثل للشفاء.

ولاغرو مما بدر من الشيخ رضى الله عنه، ولا مشاحة فى شرعيته، فقد ورد أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ دخل على ثابت ابن قيس وهو مريض فقال: " اكشف البأس رب الناس عن ثابت بن قيس" ثم أخذ تراباً من بطحان فجعله فى قدح ثم نفث عليه بماء وصبه عليه"[١].

وروى الزبير عن إبراهيم بن الجهم (رضى الله عنهما) أن النبى صلى الله عليه وسلم زار بنى الحارث بن الخزرج وبهم حمى فقال:" فأين أنتم عن صعب؟". وأخذ منها، وقال: " بسم الله تراب أرضنا بريق بعضنا شفاء لمريضنا بإذن ربنا"[٢].

ويروى الشيخ عن بداياته فيقول: أحببت مولانا الإمام الحسين (رضى الله عنه) منذ نعومة أظفارى حباً فطرياً لا كسبياً، ولا لنيل أجر، فأحببت أن أتأكد من حب مولانا الإمام الحسين لىَّ، وقدرى عنده، فشرعت فى كتابة رسالة إليه، وكنت لا أجيد الكتابة فاستعنت بشيخ صوفى كنت قد صحبته فى الله، وطلبت منه أن يكتب لى فوافق، وذكرت فى رسالتى إلى الإمام الحسين أنى أحبه، وأمنيتى أن أكون محبوباً له، ومحلاً لنظره، ومعروف عنده، وعرضت عليه حاجة ألمَّت بى، وناشدته الدعاء بقضائها.

فلمَّا انتهى الصوفى من كتابة الرسالة، قمت بتزييلها بإمضائى، ووضعتها فى مظروف بريد، وعند كتابة عنوان المرسل إليه، أشار علىَّ هذا

---

[١]) سنن أبى داود – كتاب الطب – باب فى الرقى ١٠/٤ – رقم ٣٨٨٥ ، نقلاً عن : خالد محمد خالد ، ذكرى من المدينة المنورة ، مرجع سابق ، ص١٢٠ .

[٢]) عمدة الأخبار ، ص ٣٥٣ ، نقلاً عن : خالد محمد خالد ، ذكرى من المدينة المنورة ، المرجع السابق ، ص ١٢٠، وتربة صعيد من وادى بطحان من وديان المدينة المنورة.

الصوفى بتصدير الرسالة برسم إمام المسجد الحسينى - سيراً مع المنطق العقلى - فذُهِشت من ذلك، وقلت له: مالى وإمام المسجد، إنى مرسل خطابى إلى شخص ويد مولانا الإمام الحسين، وصممت على ذلك، وأمليته العنوان الآتى: (القاهرة - الجمالية - مسجد الإمام الحسين، يسلم ليد/ مولانا الإمام الحسين بن على (رضى الله عنه)، الراسل/ أحمد أبو الحسن عبد الرحمن).

ويستطرد الشيخ، بعد إرسالى الخطاب بثلاثة أيام شاهدت فى رؤياى أن عامل البريد (البوسطجى) يدخل مسجد الإمام الحسين حاملاً رسالتى، ثم دلف إلى الضريح، وإذ بسيدنا الإمام أبى عبد الله الحسين يقوم بفتح المقصورة، ويخرج منها مستقبلاً عامل البريد، ويستلم الرسالة بيده الشريفة، ويقبلها بفمه وهو مبتسم، ثم أخذ فى قراءتها باعتناء، وعندما وصل إلى طلب الدعاء بقضاء حاجتى قام برفع يديه الشريفتين يدعو لى، فقمت مبتهجاً، مسروراً بعناية الإمام الحسين برسالتى، واطمئننت على مدى حبه لى، وأيقنت بقضاء حاجتى.

وبعدها سألنى كاتب الرسالة متهكماً هل قام الإمام الحسين بالرد على رسالتك؟ أجبته نعم، وصلنى الرد من حضرة الإمام الحسين (رضى الله عنه)، وقضيت حاجتى التى طلبتها فى رسالتى بالفعل.

وفى ذات السياق، يروى أن الشيخ بعد زواجه طلب من السيدة فاطمة النبوية - أو قيل من السيدة سكينة - بنت مولانا الإمام الحسين(رضى الله عنهما) أن تعينه فى شراء بقرة يقوم بتربيتها، وينتفع بنتاجها فى إطعام أهل بيته، وكما يقولون في الصعيد:"البقرة فى البيت ستر"، فلما استبطأ الإجابة، حاك فى قلبه، وناجى نفسه: لو أنى طلبت من السيدة زينب - أو قيل السيدة نفيسة (رضى الله عنهما) كانت عجلت في إجابة طلبى، وبعدها رأى مولانا الإمام الحسين يعاتبه عتاب الحبيب قائلاً له مامعناه: لو أردت سبعين بقرة لأعطيناك إياها، ولكن لاتنعى على توجهك إلى السيدة فاطمة النبوية - أو قيل السيدة سكينة.

استيقظ الشيخ من هذه الرؤية لائماً لنفسه، نادماً على ما اجترحه فى حق آل البيت، وخشى أن تكون السيدة فاطمة النبوية - أو قيل السيدة سكينة - قد غضبت منه، فخرج من يومه حافى القدمين إلى محطة القطار بالبلدة، واستقل أول قطار قاصداً القاهرة، ولما أتى إلى رحاب سيدته أخذ يحبوا حبو

الطفل إلى مقامها معتذراً لها، ولما وصل المقام بادرته صاحبة المقام بالحنان، فأخذت بيده ترفعه من الأرض، مرحبة به، ومعربة عن حبها له وصفحها عنه، وعدم غضبها منه، وقدمته حتى أدخلته مقصورتها (رضى الله عنها وأرضاها) .

وفى ذات السياق، يذكر أن الشيخ فى بدايته اعتاد على إقامة خدمة بسيطة احتفالاً بمولد الإمام الحسين بفندق الكلوب العصرى ـ الصفا والمروة حاليا ـ المجاور للمسجد الحسينى، وكان يستمر في إقامة الخدمة أياماً بعد انتهاء المولد، وذات مرة كادت أموال الشيخ أن تنفذ، فبعث مع أحد الأخوة[1] المسافرين إلى البلد يستجلب من أمواله الخاصة، إلا أن هذا الأخ لمَّا عاد انشغل فى تجارته فَنَسِىَّ، وفى اليوم الذى نفدت فيه أموال الشيخ إذ بشخص يسعى إلى الفندق، ويسأل عن الشيخ، فدلوه عليه، فتنحى بالشيخ جانباً، وأخبره أنه أتى إليه بتكليف من السيدة زينب(رضى الله عنها) لتوصيل مبلغ خمسة جنيهات إليه ـ وكان هذا المبلغ حينئذ يكفى لإقامة الخدمة يوما كاملاً ـ فأخذ الشيخ المبلغ بلا تعليق، وعلم أنها كرامة بيِّنة للسيدة زينب (رضى الله عنها)، وتوالى بعد ذلك حضور الرجل يومياً وتسليم ذات المبلغ للشيخ، حتى ادَّكر الأخ وأرسل الأموال التى طلبها الشيخ مع أحد الأخوة، وفى اليوم الذى وصلت فيه الأموال من البلد ـ انقطع حضور ذلك الرجل[2].

وبعد ختام المولد، وفى زيارته إلى السيدة زينب(رضى الله عنها وأرضاها) تقابل الشيخ مصادفة مع ذلك الرجل، فناشده أن يقص عليه الأمر، فأخبره الرجل أنه يعمل مقاولاً مع جهات حكومية، وخسر جميع أمواله، وتعنت المسئولين معه فى صرف المستخلصات المالية المستحقة له، وتوقفت أعماله، وألجأته الحاجة إلى الاستدانة، ولما زاد همه، وضاقت عليه الأرض بما رحبت، توجه إلى مقام السيدة زينب (رضى الله عنها)، وشكى لها حاجته بصدق الطلب، فأتته السيدة زينب فى رؤية تبشره بصرف مستحقاته المالية، وكلفته بتسليم مبلغ خمسة جنيهات إلى ابنها أحمد أبو الحسن المقيم بفندق الكلوب العصرى يومياً خلال المدة التى ضربتها له، والتى تنتهى فى ذات اليوم الذى وصلت فيه الأموال للشيخ من البلدة، ففرح

---

[1]) الشيخ نوح أحمد محمد نوح ، تاجر عطارة بكوم أمبو ، وأحد أحباب الشيخ الأوائل .

[2]) الحاج محمد بحر ـ رحمه الله – من قرية حجازة بكوم أمبو ، ومن أحباب الشيخ الأوائل .

الرجل ببشرى السيدة زينب، ونفذ تكليفها بحذافيره. وبعد انتهاء المدة تيسر صرف جميع مستخلصاته الموقوفة، فسدد ديونه، وعاد إلى مزاولة عمله فى المقاولات.

ولعل هذه اللمحات فى بدايات الشيخ تفصح عن عقيدة الشيخ الصادقة، ويقينه الراسخ، وتفانيه منقطع النظير فى محبة أهل البيت، وإيمانه بسمو منزلتهم، وعلو قدرهم.

كما تكشف هذه اللمحات عن مدى محبة أهل البيت للشيخ، ومكانته لديهم، وعنايتهم بأمره، واهتمامهم بشأنه، وخصوصيته عندهم، وموالاتهم له بالود والدلال، ناهيك عن إشارة سيدتنا السيدة زينب رضى الله عنها في حديثها عن الشيخ بقولها: (ابنها أحمد أبو الحسن)، فهو دوحة محمدية، مطلوب قبل أن يكون طالباً، ومحبوب قبل أن يكون محباً، تغالى فى محبتهم، فتغالوا فى محبته، وهنيئاً للمحبين.

هذا من جانب، ومن جانب آخر تشير هذه اللمحات إلى كياسة الشيخ، وفطانته، ووقفات يتعرف بها على مكانته لدى أهل البيت، ويقيس بها مدى صدقه فى محبتهم، وهو فى بداية طريقه إلى الله.

ولم يكن ذلك من قبيل الشك فى عقيدته فيهم، أو زعزعة فى إخلاصه لهم، ولكن من باب (ليطمئن قلبى) ، وزيادة يقينه إلى علم اليقين ومن علم اليقين إلى عين اليقين، ثم إلى حق اليقين، يقول تعالى: {كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ* لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ* ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ}[١].

وحكاية عن سيدنا إبراهيم الخليل، يقول الله تعالى:{وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَىٰ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ }[٢].

[١]) التكاثر : ٥ -٧ ، وعلم اليقين أى : حق العلم .

[٢]) البقرة : ٢٦٠ ، وجاء فى تفسير ابن كثير : ذكروا لسؤال إبراهيم عليه السلام أسبابا منها أنه لما قال لنمرود" ربي الذي يحيي ويميت "أحب أن يترقى من علم اليقين بذلك إلى عين اليقين وأن يرى ذلك مشاهدة فقال" رب أرني كيف تحيي الموتى قال أولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي "فأما الحديث الذي رواه البخاري عند هذه الآية حدثنا أحمد بن صالح حدثنا ابن وهب أخبرني يونس عن ابن شهاب عن أبي سلمة وسعيد عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - نحن أحق بالشك من إبراهيم إذ قال رب أرني كيف تحيي الموتى قال أولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي وكذا رواه مسلم عن حرملة بن يحيى عن وهب به فليس المراد ههنا بالشك ما قد يفهمه من لا علم عنده بلا خلاف .

وحكاية عن حواريين سيدنا عيسى عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام، يقول الله تعالى:{إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِّنَ السَّمَاءِ قَالَ اتَّقُوا اللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ* قَالُوا نُرِيدُ أَن نَّأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَن قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ الشَّاهِدِينَ}[1].

[1]) المائدة : ١١٢ ، ١١٣ ، وجاء فى تفسير ابن كثير : قالوا نريد أن نأكل منها أي نحن محتاجون إلى الأكل منها k وتطمئن قلوبنا إذا شاهدنا نزولها رزقا لنا من السماء ونعلم أن قد صدقتنا أي ونزداد إيمانا بك وعلما برسالتك ونكون عليها من الشاهدين أي ونشهد أنها آية من عند الله ودلالة وحجة على نبوتك وصدق ما جئت به .

المبحث الثالث

كراماته

الكرامة لغة[1]: الأمر الخارق للعادة يظهره الله على أيدى أوليائه، وهو - تقريباً - ذات المعنى المقصود عند الصوفية.

وتذكر السيدة نفيسة(رضى الله عنها) سبب اختصاص الله أولياءه بكرامته فتقول:" أولئك الذين يخصهم الله بتلك الكرامات؛ لتكون برهاناً على صدقهم، وتكريماً لهم من الله، ونوراً يستضيئ به من شاء أن ينسج على منوالهم ليصل إلى ما وصلوا إليه أوبعضه"[2].

وننوه فى البداية إلى عدم الربط بين الولاية، وبين الكرامة، فالولاية تتجاوز ذلك، ولا يأبه الولى بالكرامة التى يسوقها الله على يديه بل تزيده خوفاً من الله أن تكون استدراجاً، ولا يستأنس، أو يفرح بها، فالولى لايستأنس إلا بربه، ولا يفرح إلا بالحق، والفرح بالكرامة فرح بغير حق، والفرح بغير حق بُعد وحجاب عن الحق، ومن حُجِبَ عن الحق كيف يليق به أن يفرح ويُسَّر، ولو عرف الولى ربه حق المعرفة لعلم أن كل الطاعات فى جانب جلال الله تقصير، وكل شكر واعتراف فى جنب نعمه وآلائه قصور[3].

وجاء فى حِكَم ابن عطاء الله السكندرى قوله: "ربما رزق الكرامة من لم تكمل له الاستقامة"[4]، فالكرامات ونتائج الأعمال محلها الدار الآخرة.

وقد ثار الجدل حول إقرار الكرامة للولى، فبينما يرى السلف الصالح أنه لا غرو من أن يكون محل الكرامة كشفاً للغيب الذى اختص الله به نفسه، أو أظهره لمن ارتضى من رسول، قال الله تعالى :{ عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا }[5].

---

[1])المعجم الوجيز ، مرجع سابق ، ص٥٣٢ .

[2]) توفيق أبو علم ، السيدة نفيسة رضى الله عنها ، مرجع سابق ، ١٠٣ .

[3]) محمد فؤاد شاكر ، العارف بالله الشيخ أحمد رضوان ، حياته وآثاره ، ص١١ .

[4]) محمد إبراهيم محمد سالم ، شرح متن حكم ابن عطاء السكندرى ، لسيدى على البيومى ، مرجع سابق ، حكمة رقم (١٧٩) ، ص ١٠٥ .

[5]) الجن : ٢٦ .

ولما كان الولى غير الرسول فقد أوَّل السلف الصالح مقصود الآية، فقالوا إن فى الكلام حذف يدل على صحة تقديره الشرع الصادق والمشاهدة الصورية، وهو أن يكون معناه إلا من ارتضى من رسول، ومن اتبع الرسول بالإخلاص والاستقامة ، ويحتمل وجه آخر وهو أن يكون معناه فلا يظهر على غيبه أحدا إلا من ارتضى يريد من سائر خلقه وأصناف عباده،ويكون معنى من رسول أى عن يد رسول من الملائكة"[1].

واستدلوا على ذلك بحديث النبى صلى الله عليه وسلم عَنْ أَبِى سَعِيدٍ الْخُدْرِىِّ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: « اتَّقُوا فِرَاسَةَ الْمُؤْمِنِ فَإِنَّهُ يَنْظُرُ بِنُورِ اللَّهِ ». ثُمَّ قَرَأَ{ إِنَّ فِى ذَلِكَ لآيَاتٍ لِلْمُتَوَسِّمِينَ}. وَقَدْ رُوِىَ عَنْ بَعْضِ أَهْلِ الْعِلْمِ فِى تَفْسِيرِ هَذِهِ الآيَةِ (إِنَّ فِى ذَلِكَ لآيَاتٍ لِلْمُتَوَسِّمِينَ) قَالَ لِلْمُتَفَرِّسِينَ، وقال صلى الله عليه وسلم: « لَوْ كَانَ بَعْدِى نَبِىٌّ لَكَانَ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ »[2]، وقد روى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال: " إن فى أمتى مكلمون ومحدثون وإن عمر بن الخطاب (رضى الله عنه) منهم "، والمكلم والمحدث أتمَّ فى معناه من جميع الكرامات[3].

كما روى أيضاً لجماعة من التابعين ومن بعدهم بالأسانيد الصحيحة كرامات وإجابات يطول ذكرها، وقد صنف العلماء فى ذكرها وروايتها عنهم مصنفات، وشواهد الشرع كثيرة جدا يعجز المتأول، ويلهو المعاند.

بيد أن بعض العلماء أنكر كرامات الأولياء؛ لعدم كسبهم العلم بطريق الدراسة، وبزعمهم أنهم أولى بهذه الكرامات لما بذلوه من جهد فى تحصيل العلوم الكسبية.

وغنى عن البيان، فساد هذا الزعم لقوله تعالى:{وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ }[4]، فالعلم له بابان كسبى، ووهبى، والعلم الوهبى نور يهبه الله للأتقياء من عباده يشاهدون به أسرار الله، ويستوعبون به عن الله مجامع العلوم ويستوفونها، وإن لم يكن لهم نصيب فى كسب العلوم بالدراسة، بل إن العلم الكسبى قد يكون معوقاً للعبد عن فتوحات الله

---

[1]) أبو حامد الغزالى ، ورد فى كتاب الإملاء فى اشكالات الإحياء ، بهامش كتاب إحياء علوم الدين ص ١٦٥ ، ١٦٦ .
[2]) سنن الترمذى – المناقب ، حديث رقم ٤٠٥٠ . نقلاً عن : موسوعة الحديث الشريف ، وزارة الأوقاف ، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية .
٣)أبو نصر عبد الله بن على السراج الطوسى ، اللمع فى تاريخ التصوف الإسلامى ، مرجع سابق ، القاهرة ، ص٣٢٦ .
[4]) البقرة : ٢٨٢ .

ومكاشفاته، وقيل: قد يكون العلم حجاباً والجهل علما[1]، وقال الأشياخ سبحان منْ جعل عين المعرفة به عين الجهل به وذلك لعدم الإدراك بالله، ولا يخرج العبد عن الجهل بالله إلا إن أدركه الله ليدرك به.

وفى ذات السياق يقول أحدهم: العلوم الإلهية لاتنزل إلا فى الأوعية الفارغة، وأنشد أحدهم[2]:

أتانى هواها قبل أن أعرف الهوى * فصادف قلباً فارغاً فتَمَكَّنا.**

ويجهد العارف بالله فى حفظ أسرار الله، فلا يبدى الكرامة إلا لغرضها، ولا تحمله على هتك محارم العباد، يقول أحدهم[3]:" من علامات العارف ألاتحمله الكرامات على هتك أستار محارم الله عز وجل"، وقد حدا ذلك ببعضهم إلى تشبيه الكرامة بحيضة الولى يجريها الله على يديه بغير طلب، ويخجل منها كما تخجل البكر من حيضها.

وتأتى الكرامات بقدر تسكين قلوب أولياء الله، وعباده الصالحين؛ وحتى يُؤْخَذ كلامهم بالقبول والاعتقاد، ويكون العارف فى بداياته أحوج إلى تسكين القلوب، وتأييد المعبود، فتكثر كراماته الحسية فى بداياته، لذا، آثرت أن الحاق الحديث عن كرامات الشيخ ببداياته.

بعد تلك المقدمة اليسيرة عن كرامات الأولياء، وما ثار حولها من جدل ـ نسوق فيما يلى نذراً يسيراً من الكرامات التى أجراها الله على يد الشيخ؛ تأييداً، وتصديقاً، وتكريماً له.

يشير الشيخ إلى بشائر كراماته بقوله: "كنت فى بداية طريقى أرى الرؤية الصادقة فتتحقق بحذافيرها كفلق الصبح، وكنت أفاجئ كل من يلقانى نهاراً بما سيحدث معه حسبما أُريته ليلاً "، فشهد له العامة والخاصة بالولاية والكرامة ".

[1]) فى شرح قولهم " قد يكون العلم حجاباً والجهل علما " يقول سيدى على الخواص البرلسى : أما كون العلم حجابا فلأن العلم صفة وركونك إليه صفة والصفة مع أختها لاتوجد نتيجة كحكم الأنثى إذا اجتمعت مع الأنثى وأما كون الجهل علما فهو كونك جاهلاً بحقيقة نفسك متحيرا فى حقيقتها فسمى جهلك بذلك علما ، الإمام عبد الوهاب الشعرانى : الطبقات الكبرى ، ص٦٣٤ .

[2]) قول : سيدى على الخواص البرلسى رضى الله تعالى عنه ، نقلاً عن : عبد الوهاب الشعرانى : الطبقات الكبرى ، مرجع سابق ، ص٦٢١.

[3]) قول : سيدى أبو نصر بشر بن الحارث الحافى رضى الله عنه ، نقلاً عن : عبد الوهاب الشعرانى ، الطبقات الكبرى ، مرجع سابق ، ص١٢٨.

ويشير صاحب الإحياء إلى ذلك فيقول: " فاعلم أن أرباب القلوب يكاشفون بأسرار الملكوت تارة على سبيل الإلهام بأن يخطر لهم على سبيل الورود عليهم من حيث لايعلمون، وتارة على سبيل الرؤيا الصادقة، وتارة فى اليقظة على سبيل كشف المعانى بمشاهدة الأمثلة كما يكون فى المنام، وهذا أعلى الدرجات وهى من درجات النبوة العالية، كما أن الرؤيا الصادقة جزء من ستة وأربعين جزءا من النبوة... "[1].

وفى موضع آخر يقول الشيخ: " إذا أقبل الداخل علينا قرأنا على أم أنفه ما كان، وما سيكون، وما هو كائن له إلى يوم القيامة "، يقول تعالى: { كِتَابٌ مَّرْقُومٌ * يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ}[2].

وقد اشتهرت الروايات عن مكاشفة الشيخ للناس بما يدور فى خلجاتهم، وما فعلوه فى ماضيهم، وما سيرونه مستقبلاً، ويتحقق كلام الشيخ لهم، وما أكثر هذه الحكايات التى لاتكاد أن تحصى، فلا تجد أحد قابل الشيخ إلا وله ذكرى من هذه المكاشفات، التى كان الله يسوقها على لسان الشيخ ويديه.

وتتجسد أجَّل كرامات الشيخ فى علومه ومعارفه التى تملَّك مفاتيحها، والواردات اللدنية التى يفتح الله بها عليه، والتى تسجد الأفهام على أعتابها، وتضمحل العقول فى أقل القليل من شرحها، ويعجز العلماء عن إدراك عجائبها.

وغنى عن البيان أن الشيخ لم يحظ بقسط كافى من التعليم الكسبى يؤهله لهذه العلوم، إلا أنه كما يقول أحدهم[3]: "إذا كمل العارف فى مقام العرفان أورثه الله علما بلا واسطة، وأخذ العلوم المكتوبة فى ألواح المعانى ففهم رموزها، وعرف كنوزها، وفك طلسماتها، وعلم اسمها، ورسمها، واطلعه الله تعالى على العلوم المودعة فى النقط، ولولا خوف الإنكار لنطقوا بما يبهر العقول، وكذلك لهم من إشارات العبارات عبارات معجمة، وألسن

---

[1]) أبو حامد الغزالى ، إحياء علوم الدين ، المجلد الأول ، دار إحياء الكتب العربية ، فيصل عيسى البابى الحلبى ، ص٨١ ، وقد ورد فى صحيح البخارى ، التعبير ، حديث رقم ٦٩٨٣ -عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - قَالَ « الرُّؤْيَا الْحَسَنَةُ مِنَ الرَّجُلِ الصَّالِحِ جُزْءٌ مِنْ سِتَّةٍ وَأَرْبَعِينَ جُزْءًا مِنَ النُّبُوَّةِ » .

[2]) المطففين : ٢٠ ، ٢١..

[3]) قول : سيدى إبراهيم الدسوقى رضى الله عنه ، نقلاً عن : عن : عبد الوهاب الشعرانى : الطبقات الكبرى ، مرجع سابق ، ص٢٨٧ .

مختلفة، وكذلك لهم فى معانى الحروف، والقطع، والوصل، والهمز، والشكل، والنصب، والرفع مالايحصر، ولايطلع عليه إلا هم ..... ".

ويفرق الشيخ بين هذه الواردات وبين غيرها من الشطحات العقلية بقوله: " لو كان هذا الكلام الذى اتحدث به يَرِد إلىَّ بوتيرة واحدة، أو بناء على رغبتى، وهواى، أو باستدعاء منى يوافق مناسبات خاصة أو أشخاص بعينهم، أو أوقات مخصوصة، أو ينقطع بناء على ماتقدم لما تحدثت به"، ويردف قائلاً:"إنى اتكلم الكلمة الآن ومسئول عنها المسئولية الكاملة، فالكلمة تصدر منى الآن من فضل الله لاتقف عند عالم واحد من عوالم الله، أى لا ينتفع بها عالم البشر فقط، بل تتجاوز ذلك لتنتفع بها عوالم أخرى كثيرة ".

ولمَّا سئل سيدى عبد القادر الجيلى (رضى الله عنه) عن صفات الموارد الإلهية والطوارق الشيطانية قال:" الوارد الإلهى لايأتى باستدعاء ولايذهب بسبب ولايأتى على نمط واحد ولافى وقت مخصوص ، والطارق الشيطانى بخلاف ذلك غالباً "[1].

وسوف يرى القارئ تجليات هذه الكرامة الكبرى، المتمثلة فيما حظى به الشيخ من علوم ومعارف لدنية بلا سابقة دراسة أو معلم، وهو ما سنتناوله فى موضعه من هذا المؤلف[2].

بيد أن أسطع كرامات الشيخ تتمثل فى ذلك القبول الذى حباه الله له عند الخلق - القاصى منهم والدانى - فلا يراه أحد إلا تملَّك حبه قلبه، وتعلق به لُبه، ولايسمع حديثه أحد إلا استحسنه، وتلقاه بالقبول والتصديق. فقد حظى الشيخ بنصيب وافر من وحى حضرة الآية : { وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِي}[3]، وفى الحديث الشريف عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِىِّ - صلى الله عليه وسلم - قَالَ: « إِذَا أَحَبَّ اللَّهُ عَبْدًا نَادَى جِبْرِيلَ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ فُلاَنًا، فَأَحِبَّهُ . فَيُحِبُّهُ جِبْرِيلُ، فَيُنَادِى جِبْرِيلُ فِى أَهْلِ السَّمَاءِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ فُلاَنًا، فَأَحِبُّوهُ. فَيُحِبُّهُ أَهْلُ السَّمَاءِ، ثُمَّ يُوضَعُ لَهُ الْقَبُولُ فِى أَهْلِ الأَرْضِ»[4]، ويشهد كل من عاصر الشيخ بهذه الكرامة البيّنَة .

---

[1]) عبد الوهاب الشعرانى : الطبقات الكبرى ، مرجع سابق ، ص٢١٨ .
[2]) انظر : الباب الرابع من هذا المؤلف ، وعنوانه (علومه ومعارفه) .
[3]) طه : ٣٩ .
[4]) صحيح البخارى ، الأدب ،حديث رقم ٦٠٤٠ . نقلاً عن : موسوعة الحديث الشريف ، مرجع سابق .

ويلحظ المتمعن فى هاتين الكرامتين أنهما معنويتان، وغيرهما كثير يشق على الباحث تتبعها، أما ما أجراه الله على يدى الشيخ من كرامات مادية أو حسية فلا حصر لها، فوجدتنى كلما قابلت أحد معاصريه سواء من أحبابه المقربين، أو المنصفين من بعدهم يقص علىَّ كرامة أو أكثر وقعت له مع الشيخ، فضلاً عما لمسته بنفسى ووقع لىَّ من كراماته المعنوية والحسية.

وقد وفقنى الله فى جمع خِضَم من كرامات الشيخ، فمنها ما أعلم أنه كان يؤثر كتمانه فكتمته، ومنها ما يجوز ذكره، أوسكت الشيخ عنها فذكرته فى حدود المتاح، ورتبته حسب وحدة الموضوع، وذلك بعد استبعاد الكرامات الأخرى التى ذُكِرَت فى موضعها فى هذا المؤلف بحسب سياقها فى التناول.

وتحضرنى كرامة وقعت لىّ فى أول لقاء بينى وبين الشيخ(رضى الله عنه)، فبينما أنا فى طريقى إلى زيارته تتابعت على خاطرى بعض الواردات عن شئونى الخاصة، التى كانت تشغلنى آنذاك، وبعد استقباله لىَّ فاجأنى الشيخ هامساً فى أذنى مردداً ما توارد على خاطرى من حديث نفس وبذات التتابع، ومن هول مفاجأتى، وبدهى سألته: منْ الذى أخبرك بسرى؟ فتبسم ولم ينطق ببنت شفاه، فأخذت أكرر عليه التساؤل حتى عدت إلى رشدى، وتذكرت أنه كان حديث نفس، لم أُطلِع عليه أحد، فعرفت أنها كرامة للشيخ أبداها لى فى أول لقاء معه.

ويروى أحد الأحباب[1]، بينما هو جالس بجوار الشيخ ذات مرة أتاه وارد أن الأمر فى قوله تعالى:{ وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ }[2] قد يحمل معنى آخر بخلاف التفسير الظاهرى لمدلول القصد، وتحير عقله حول المعنى المقصود فى الآية، فإذ بالشيخ يقول له: اكتب، وأملاه قصيدة قصيرة مطلعها:

قصدى أراهم * وامشى وراهم * والثم ثراهم * وأقول ياسيادى،

حتى قال: قصدى أسير * خلف الأمير * وأنل كثير * نور الودادى[3].

يقول هذا المحب:" ففهمت أن معنى الأمر في قوله تعالى{اقصد}أى: توجه ويمم سيرك نحو أهل الله، وأن" الأمير " فى أبيات الشيخ يعنى الإمام

---

[1]) الشيخ جابر عبد المنعم على - خادم الساحة العلوية بالكلح .

[2]) لقمان : ١٩، وفى تفسير ابن كثير :قوله" واقصد في مشيك "أي امشي مشيا مقتصدا ليس بالبطيء المتثبط ولا بالسريع المفرط بل عدلا وسطا بين بين.

[3]) مولانا العارف بالله تعالى الحاج أحمد أبو الحسن ، ديوان بعنوان : (لالئ عرشية فى مدح خير البرية) ، منشور ، ص١٣٦.

العربى(رضى الله عنه)، فهو أميرهم، وعلمت أنها كرامة للشيخ، فقد أجابنى بما جال بخاطرى دون أن أبوح به.

ويحكى آخر[١]: أنه كثيراً ما رافق الشيخ فى الأسواق التى كان يسعى إليها طلباً للرزق، فإذا طلب من الشيخ أية مبالغ للتعامل بها فى البيع أو الشراء، فيمد الشيخ يده تلقائياً إلى جيب جلبابه فيُخرِج منها مبلغاً مساوياً تماماً للمبلغ المطلوب للشراء، ويسلمه إليه دون أن ينظر إليه أو يعده، فيجده هو بذات المبلغ الذى طلبه من الشيخ، وتكرر ذلك كثيراً، فاستعجب الأمر وأخذته الحيرة هل هذه كرامة من الشيخ، أم هى مجرد صدفة، فلعل الشيخ يقسم ما بجيوبه إلى أوراق مالية محددة الفئة، فيسهل بالتالى عدّها بتلمسها بيده من داخل كل جيب، وعزم هذا الأخ على الاستيثاق من تلك الشكوك.

وذات مرة وهو فى السوق طلب من الشيخ مبلغاً يتكون من فئات متعددة ـ المئات والعشرات ـ وهو مبلغ سبعمائة وعشرون جنيها (٧٢٠ج) ـ فما كان من الشيخ إلا أن مد يده داخل جيبه وأخرج مجموعة من الأوراق المالية، وقدمها إليه دون أن ينظر إليها كعادته ـ لكن فى هذه المرة طلب الشيخ منه أن يقوم بعدها أمامه، فلمَّا عدها جاءت (٧٢٠ ج) لازيادة ولانقصان، وما كان من الشيخ إلا أن ابتسم، ثم قال له: لو طلبت كسور الجنيه لاستخرجتها لك، فعلم أنها كرامة للشيخ، ويقرر ذلك الأخ بأن الشيخ كان يكاشف التجار بخفايا ما يتعاملون به داخل الأسواق.

ويروى هذا الأخ أيضاً: أنه استقل ذات مرة مع بعض الأحباب سيارة من ساحة الإمام على بالكلح إلى كوم أمبو، وكان الوقت ليلاً، والطريق مظلماً وغير ممهد، ويشهد أعمال حفر وإصلاح، وإذ بعجلة القيادة تختل فى يد السائق، وأخذت السيارة تنحرف يميناً ويساراً، وكادت أن تنقلب بهم، وأيقنوا ساعتها أنهم يواجهون حتفهم، وفجأة توقفت السيارة، وتمكن السائق من السيطرة عليها، وأكملوا طريقهم، فلمَّا وصلوا إلى كوم أمبو، توجهوا إلى الشيخ، لكنهم كتموا هذا الأمر، فبادرهم بقوله:" أنا عندى فرامل

---

[١]) الحاج زين العابدين على مصطفى ، مهندس زراعى بكوم أمبو ، من أحباب الشيخ المخلصين .

تحت يدى هنا "، فعلموا أنها كرامة للشيخ، وأن الله أنقذهم ببركة رعاية الشيخ لأحبابه.

ويروى آخر[١]: أنه ذات مرة ـ عقب عودته من السوق ـ اكتشف فقد مسبحته، وفى اليوم التالى ذهب إلى السوق وبرفقته ذلك الأخ، وإذ بالشيخ يمسك برجل فى زحام السوق، ويسأله قائلاً أين سبحتى التى عثرت عليها أمس عند سور السوق؟ فبهت الرجل وتلعثم متعجباً كيف علم الشيخ بذلك؟! فأخرج على التو المسبحة من جيبه، وقدمها إلى الشيخ.

ويقص ذات الأخ: أنه حال تواجده بمسكنه فى مدينة أسيوط تعاطى مخدراً مع زملائه ـ لأول مرة ـ معتقداً بأن هذا الأمر يخفى عن الشيخ المقيم فى محافظة أسوان، فلمَّا عاد إلى بلدته فى أجازة قابل الشيخ ففوجئ به يعاتبه ويعنفه على ما تناوله من مخدر، وحذره من تكرار ذلك، فعلم أنها كرامة للشيخ، الذى لاتحجبه المسافات عن رعاية أحبابه، ولم يعد هذا الأخ لمثلها أبدا.

وحدثنى هذا الأخ، بأنه ذات يوم كان يكتب ما يمليه الشيخ عليه من فيوضات، وامتد به المقام إلى مطلع الفجر، فأشفق عليه الشيخ وبشره برؤية الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ بشرط أن يعلو حب الشيح فى قلبه عن حبه لصديقيه اللذين سماهما الشيخ له، وكان لايفضل عليهما أحدا، فلمَّا بشره الشيخ ارتضى وعزم على الوفاء بشرطه، وتوجه مباشرة من عند الشيخ إلى عمله، فأخذته سِنَة من النوم وهو جالس على مكتبه، فرأى سيدنا رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى رؤية كفلق الصبح، وعقب انتهاء عمله عاد إلى الشيخ، وقبل أن يحكى له الرؤيا، تبسم له الشيخ مهنئاً قائلاً له: أرأيته؟ ، فقال نعم رأيته ـ صلى الله عليه وسلم ـ وعَلِمَ أنها كرامة للشيخ، الذى بشره برؤية الحبيب الأعظم، ووقَّتَها له باليوم.

وفى سياق متصل، يروى آخر[٢]: أنه كان فى صحبة الشيخ فى زيارة أحد الإخوة لتهنئته بسلامة عودته من السعودية التى كان يعمل بها، وعقب الزيارة وعند توديعهما سأل هذا الأخ من الشيخ الدعاء له، ففوجئ بالشيخ

---

[١]) أستاذ / صوفى يسن رفاعى ، وكيل وزارة العمل سابقاً ، ومقيم حالياً بالغردقة ، محافظة البحر الأحمر ، ومن أحباب الشيخ الأوائل المخلصين .

[٢]) الشيخ / نوح أحمد نوح ، تاجر عطارة بكوم أمبو ، ومن أحباب الشيخ الأوائل المخلصين .

يرد عليه متعجباً: أتسألنى الدعاء؟! فمنْ إذن الذى أنقذك من حادث السيارة فى صحراء السعودية؟!

وكان هذا الأخ قد أنجاه الله من الموت بأعجوبة إثر إنقلاب السيارة التى كان يستقلها فى صحراء السعودية قبيل عودته إلى مصر مباشرة، وقد احتفظ بسر هذا الحادث لنفسه، ولم يقصه على أهل بيته عقب عودته إليهم، ومن هول المفاجأة أخذ يسأل الشيخ: منْ الذى أخبرك؟ وألح فى السؤال، ثم عاد وتذكر، وعلم أنها كرامة بيّنة للشيخ.

وعلى صعيد متصل، يروى أحد الأحباب[1]: أنه فى أول لقاء له بالشيخ حال جلوسه مع أبيه وعمه فى بهو فندق الصفا والمروة بحى سيدنا الإمام الحسين بالقاهرة، وإذ بالشيخ يقدم إلى البهو بهيبته، فتقدم نحوه يسلم عليه، ويقبل يديه، وقد تملك حب الشيخ قلبه من أول وهله، ثم جلس الشيخ معهم، ودار بينهم حديث عن أجدادهم وأصولهم، وكشف لهم الشيخ عن واقعات حدثت معهم فى عهد قديم، ثم قام الشيخ بالضرب بيده على صدر عم ذلك الأخ، وكان مسرفاًعلى نفسه ويشرب الخمر، فانتابته حالة غريبة؛ إذ أخذ يصرخ كصراخ منْ يُحرَّق بالنار، واستمر على هذه الحالة مدة طويلة، فلمَّا همَّ الشيخ على الانصراف من المجلس أخذوا فى التوسل إليه بأن يتشفع لصرف هذه الحالة عن ذلك الرجل، ومع إلحاحهم قام الشيخ بفتح ذراعية محتضناً هذا الرجل فسكت صراخه فى التو، ثم أخذ يهلل مسروراً ومردداً الصلاة والسلام على الجمال المحمدى، فتعجب الحاضرون من ذلك.

وبعد انصراف الشيخ سألوا الرجل عن سبب صراخه أولاً ثم سروره وتهليله بعد ذلك، فأجابهم بأنه لمَّا ضربه الشيخ على صدره أول مرة عُرِضَ عليه مشهد عذاب النار، وعويل أهلها، فأخذ فى الصراخ من هول المشهد، ولمَّا احتضنه الشيخ بعد ذلك شاهد سيد الوجود ـ صلى الله عليه وسلم ـ فأخذ يهلل فرحاً وسروراً برؤية جماله، وإثر هذه الكرامة تاب الله على الرجل.

وفى إشارة أحسبها كرامة بيِّنة للشيخ، أشار علىَّ قبل سفرى إلى القاهرة أن أرجع إلى والدتى لمعاودة السلام عليها وسؤالها الرضاء عنى،

[1]) الأستاذ / عيسى مرتضى السمان (رحمة الله عليه)، محاسب قانونى ، مقيم بالغردقة ، من أحباب الشيخ المخلصين .

فتعجبت لذلك فقد سلَّمت عليها تواً وودعتها قبل قدومى على الشيخ، وقد أوشك موعد وصول القطار، إلا أن الشيخ أصرعلى عودتى لأمى قائلاً: ياولدى الرؤية نصيب، ولم أفهم معنى كلام الشيخ وإشارته فى طلب العودة إلى والدتى آنذاك، إلا أنى رجعت إلى أمى واسترضيتها وطلبت منها الدعاء كما قال لى، فدعت لى، ثم لحقت بالقطارمسافراً، وكان ذلك آخر عهدى بها فقد توفت رحمة الله عليها فجأة حال تواجدى بالقاهرة للدراسة، ووعيت سبب إصرار الشيخ على الرجوع إلى أمى واسترضائها ، فقد كان لقائى الأخيرآخر عهدى بها.

ولا شك أن جميع كرامات الأشياخ إنما تقود إلى طاعة الله، وتدفع إلى السير فيما يرضيه حتى يصل من شاء الله له الهداية إلى منازل الصالحين، وقد أشارت السيدة نفيسه (رضى الله عنها) إلى ذلك المعنى فى معرض تبرير ما ساقه الله على يديها من كرامات وآيات بينات[1].

ويقول أحدهم[2]: " التصديق بعلمنا هذا ولاية، وإذا فاتتك المنة فى نفسك، فلا يفتك أن تصدق بها فى غيرك، فإن لم يصبها وابل فطل".

وإذا أراد الله بعبده خيراً جعله من المصدقين لكرامات أولياء الله تعالى، وإن قصر عقله عن إدراك ذلك سلَّم بتقصيره وأمسك عن الاعتراض. فقد قال بعضهم: يخشى على المكذب للأولياء سوء الخاتمة، وقال أبو النخشبى: "من لم يصدق بهذه الكرامات فقد

---

[1]) توفيق أبو علم ، السيدة نفيسة رضى الله عنها ، مرجع سابق ، ص١٠٣ ، إذ تقول رضى الله عنها – تواضعاً – " أما فيما يتعلق بما سماه الناس بكرامات لى فهذه ليست إلا من قبيل النوع الذى يقود إلى الطاعة ، والسير فيما يرضى الله حتى يصل من شاء الله له الهداية إلى منازل الصالحين ".

[2]) قول الإمام أبى القاسم الجنيد ، سيد الطائفة رضى الله عنه ، مشار إليه فى كتاب لطائف المنن فى مناقب الشيخ أبى العباس المرسى وشيخه الشاذلى أبى الحسن للعارف بالله تاج الدين بن عطاء الله السكندرى رضى الله عنه ، مرجع سابق ، ص٩ ، ومصداق ماقاله الإمام الجنيد قول الله سبحانه وتعالى :{ ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور }آية٤٠ من سورة النور .

كفر"، بمعنى غطى عليه الأمر وستر عنه شهود قدرة الله تعالى[1]، جعلنا الله وإياكم من المعترفين بفضله فى عباده، ومن المصدقين بآثارعنايته فى أهل وداده إنه ولى ذلك والقادر عليه.

وبعد هذا القدر اليسير من ذكر بدايات الشيخ، وكراماته، ننتقل للتعريف بشيوخ الشيخ الذين تتلمذ على يديهم، وتأثرت شخصيته بأحوالهم، وذلك من خلال الباب التالى.

[1]) تاج الدين بن عطاء الله السكندرى رضى الله عنه، لطائف المنن فى مناقب الشيخ أبى العباس المرسى وشيخه الشاذلى أبى الحسن ، مرجع سابق ، ص٩ .

الباب الثانى

شيوخه

يتناول هذا الباب الحديث عن الأشياخ الذين أخذ عنهم الشيخ العهود الصوفية، وأهمية ذلك فى طريق التصوف، ثم التعرض إلى أول شيخ اجتمع عليه الشيخ، واندرج تحت عباءته، وهو العارف بالله تعالى الحاج أحمد محمد رضوان (رضى الله عنه وأرضاه)، وذلك فى الفصل الأول، ونعرج من خلال الفصل الثانى إلى شيخه الجامع الذى تربى فى كنفه، وتلقى عنه الإذن فى التصدى للدعوة إلى الله، ألا وهو الإمام محمد أبو الفتوح العربى (رضى الله عنه وأرضاه)، وذلك على النحو الآتى.

الفصل الأول

أخذ العهود الصوفية، وشيخه الأول

ينقسم هذا الفصل إلى بحثين: أولهما- أخذ العهود الصوفية، وثانيهما- شيخه الأول العارف بالله تعالى الحاج أحمد محمد رضوان، وذلك على الوجه التالى:

المبحث الأول
أخذ العهود الصوفية

قد يرى البعض أن الحديث عن الأشياخ خروج عن موضوع البحث الماثل، أو مصادرة على المطلوب، إلا أن المتمعن اللبيب يرى غير ذلك، فالتعريف بقدر الشيخ تعريفاً بقدر التلميذ، وشرف التابع بشرف المتبوع، فضلاً عن أن سيرة المرء تتأثر بشكل ما بأساتذته وأشياخه.

ولا مشاحة فى أن رتبة الشياخة من أعلى الرتب فى طريق الصوفية، ونيابة النبوة فى الدعوة إلى الله، فالشيخ يحب الله، كما يحبب الله إلى عباد الله، وقد ورد فى الخبر عَنْ أَبِى الدَّرْدَاءِ أَنَّهُ قَالَ : إِنَّ أَحَبَّ عِبَادِ اللَّهِ إِلَى اللَّهِ

الَّذِينَ يُحِبُّونَ اللَّهَ، وَيُحَبِّبُونَ اللَّهَ إِلَى النَّاسِ ، وَالَّذِينَ يُرَاعُونَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ وَالأَظِلَّةَ لِذِكْرِ اللَّهِ. وَرُوِىَ مَوْقُوفًا عَلَى أَبِى هُرَيْرَةَ فِى مَعْنَاهُ"[١].

هذا من جهة، ومن جهة أخرى فإن ذكر الأشياخ يمثل مراد صاحب السيرة نفسه، الذى كان حريصاً على تسليط الضوء على أشياخه، والتعريف بقدرهم، فوجدته ينسب إليهم كل فضل حازه، ويعزو أقواله إلى أقوالهم، فيصدرها قائلاً:" عن شيخى الذى عنه إيجازى بالبرق الحجازى "، ويختتمها قائلاً،" هذا ما ورد لىَّ عن أهل الحضرة "؛ هاضماً نفسه وتواضعاً، ومعظماً لحق أشياخه.

ولاغرو فى ذلك، فقد قيل لسيدى أبى العباس المرسى ياسيدى نراك تقول قال الشيخ قال الشيخ وقليل ما تسند لنفسك شيئا فقال: " لو أردت على عدد الأنفاس أن أقول قال الله، ولو أردت على عدد الأنفاس أن أقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولو شئت على عدد الأنفاس أن أقول قلت أنا قلت أنا، ولكن أقول قال الشيخ وأترك ذكر نفسى أدباً"[٢].

ولا يُفْهَم من ذلك أن الشيخ ممن يعتمد على الرواية عن الرجال، فيلزمه بالتالى التعريف بهم، وذكر تسلسلهم فى اتصال السند، فلم تكن طريقة الشيخ من باب لبس الخرقة، التى يجب فيها تعيين الأشياخ، ممن يستند إليهم طريق الأنساب.

فقد وضح فيما قدمنا عن بداياته أن الشيخ بدأ طريق القوم، ودخل خلوته مع ربه لا بسابقة جهاد نفس، أو اجتهاد فى طاعة، ولا بتتلمذه لأستاذ معلم، أو شيخ سالك، بل بدأ طريق هدايته بمحض اجتباء الله وعنايته، ورعاية رسول الله ومحبته، فعلَّمَ الأستاذين، وتقدَّم على رءوس الأشهاد عن المشايخ السالكين.

فإذا أراد الله أن يتفضل على عبده أغناه عن الأستاذين حتى لايكون لأحدهم مِنَّة عليه، أو مثال سابق يسير على نهجه، وقد قال مالك لبعض

---

[١]) سنن البيهقى ، كتاب الصلاة ، حديث رقم ١٨٥٥ . نقلاً عن : موسوعة الحديث الشريف ، تطبيق تكنولوجى ، مرجع سابق .

[٢]) ابن عطاء الله السكندرى ، لطائف المنن فى مناقب الشيخ أبى العباس المرسى وشيخه الشاذلى أبى الحسن ، مرجع سابق ، ص٩٣ .

جلسائه: أنى أريد أن أجعلك وزيرا، قال ليس لى فى هذا سلف، قال إنى أريد أن أجعلك سلفا لمن بعدك[1].

وقد منَّ الله سبحانه على أحبابه بالقرب، والمعرفة ، والاجتباء فى عالم الذر، وهداهم إليه فى هذه الدار بلا واسطة، ولمَّا خاطب الله جميع خلقه فى عالم الذر، قال تعالى:{ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَافِلِينَ }[2]. جميعهم أجابوا ربهم وقالوا: "بلى شهدنا "، لكنهم انقسموا فيما بينهم إلى أمتين: مرضية، ومقضية[3].

فأما الأمة المقضية، التى قضى الله فى أمرها، قالوا بلى، ولووًا رءوسهم، وأما الأمة المرضية فقد انقسموا فيما بينهم إلى قسمين: قوم قالوا بلى وأقبلوا على ربهم، وقوم زادوا على ذلك فقالوا بلى ربنا وحبيبنا ومولانا وخالقنا، وهؤلاء هم المجتبون، الذين اختصهم بالمعرفة بالله ، وأحاطهم بما شاء من علمه منذ النشأة الأولى.

فالعارفون سبق من الله اجتبائهم، ووهبهم بمعرفة لَدُنيّة، أى من لدُنه سبحانه وتعالى، فلا حاجة لهم إلى التعلم من غيره؛ اكتفاءً بحضرته. وَجَذْبَةُ الله لعبده تكفيه عمن قبله وبعده، ويجمع الله شمله برسوله صلى الله عليه وسلم، فيكون آخذاً عنه، وكفى بهذا فضلاً ومِنَّة، يقول أحدهم[4]: " أنا لا مِنَّة لأحد علىَّ إلا لرسول الله صلى الله عليه وسلم".

وقيل لسيدى أبى الحسن الشاذلى (رضى الله عنه) ذات مرة: مَنْ شيخك ؟ فقال كنت أنتسب إلى الشيخ عبد السلام بن مشيش وأنا الآن لا أنتسب إلى أحد بل أعوم فى عشرة أبحر محمد وأبى بكر وعمر وعثمان وعلى وجبريل وميكائيل وعزرائيل وإسرافيل والروح الأكبر[5].

---

[1]) ابن عطاء الله السكندرى رضى الله عنه لطائف المنن فى مناقب الشيخ أبى العباس المرسى وشيخه الشاذلى أبى الحسن ، مرجع سابق ، ص٩٢.

[2]) الأعراف : ١٧٢ .

[3])عن عمر ، عن أسباط ، عن السدى ، رقم ١١٩٣٥ يقول : " فأطاعه طائفة طائعين ، وطائفة كارهين على وجه التقية ،أى انقسم الخلق إلى طائفتين ، لكن جميعهم قالوا بلى ، انظر : نفسير الطبرى للآية .

[4]) قول سيدى عبد الرحيم القنائى رضى الله عنه ، نقلاً عن ابن عطاء الله السكندرى رضى الله عنه لطائف المنن فى مناقب الشيخ أبى العباس المرسى وشيخه الشاذلى أبى الحسن ، مرجع سابق ، ص ٩٢ .

[5]) عبد الوهاب الشعرانى : الطبقات الكبرى ، مرجع سابق ، ص ٣٦٧ .

ويقول أحدهم[1]: " أنا ما ربانى إلا رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم". وسمعت من الشيخ قوله: " أنا شيخى الله وليس لى شيخ غيره". ويقول: "هناك من يقول عرفت ربى بربى ولولا ربى ماعرفت ربى، وأنا ممنْ يقول عرفت ربى بربى ولولا ربى ماعرفت ربى، وتفضل ربى علىَّ وعرفنى بمحمد"، ويقول رضى الله عنه: " أن طريقنا هو حب الله ورسوله لا عن طريقة شيخ بعينه".

وعن انتسابه ـ فى طريق الشياخة ـ إلى العارف بالله الحاج أحمد رضوان، وبعد أن تحدَّث عن مناقب شيخه، وعرَّف بفضله، ومنزلته ـ يقول الشيخ: " أنا شجرة جميزتى ظلها يكفينى، وحينما ذهبت إلى العارف بالله الحاج أحمد رضوان كنت أتوسط فى كبح جماح شمسى حتى تظلنى سماء هذا الرجل، وكنت أرى من خلال القباب والسلاسل والزهريات"[2].

وأما انتسابه إلى مولانا الإمام محمد أبو الفتوح العربى- فيحضرني ماشافهنى الإمام العربى به قائلاً: " الشيخ أحمد أبو الحسن أتانى عارفاً بالله كاملاً، ولم أزده أنا شيئاً".

ومنهم كذلك منْ جهدَّ السير، وشمر ساعد الجد فى التودد والتقرب لربه، ولحضرة حبيبه صلى الله عليه وسلم . وقد ذهبوا فى ذلك مذاهب متعددة، فمنهم منْ اتخذ شيخاً واحداً، ومنهم منْ استحب الأخذ عن شيوخ كثيرة، كسيدى أحمد بن إدريس رضى الله عنه الذى أخذ على سبعين شيخاً .

ومن القوم منْ اتخذ من عباد الله جميعا شيوخاً له، بل إن هناك منْ اتخذ من الكائنات الأخرى أشياخاً له، وسمعت من الشيخ أن هناك منْ يقول[3]: " أنا شيخى الجُعران"؛ إذ رآه يحاول الصعود على الحائط فيسقط ثم يعيد الكَرَّة فيسقط، وهكذا مرات ومرات دون يأس حتى بلغ غايته المنشودة فى نهاية الأمر، وكان ذلك الشيخ قد استبطأ فتح الله عليه، وثبطت همته، وكاد

١) قول الشيخ مكين الدين الأسمر رضى الله عنه ، نقلاً عن : ا بن عطاء الله السكندرى رضى الله عنه لطائف المنن فى مناقب الشيخ أبى العباس المرسى وشيخه الشاذلى أبى الحسن ، مرجع سابق ، ص٩٢

٢) رواية عن أحد أحباب الشيخ ، وهو الأستاذ / عيسى مرتضى السمان ، الذى سمعها بنفسه من الشيخ .

٣) سمعت قصة الجعران من الشيخ رضى الله عنه فى أحاديثه العامة. ، وقد ذكرت بروايات قريبة من رواية الشيح فى كثير من كتب التصوف .

أن ييأس، فلما رأى حال الجعران اتخذه نبراساً أضاء له الطريق فى الصبر والمثابرة على بلوغ الغاية، دون يأس أو إخفاق.

ولم يشأ الشيخ فى بداياته الخروج عن الطريق الصوفى، وممارسة الشعائر الصوفية، وفى مقدمتها مايسمى ب"العهد الصوفى"، والذى يمثل معاهدة بين الشيخ والمريد يلتزم بمقتضاها المريد أولاً بالعبادات المفروضة، وتجنب المعاصى، ثم بطاعة الشيخ واتباع طريقته، والإلتزام بقواعد وآداب الطريق والمداومة على أورادها، والمشاركة فى شعائرها وطقوسها.

ويعد "العهد الصوفى" رمزاً للمعاهدة بين الله سبحانه وتعالى والمريد، ويبرز هنا دور الشيخ للمريد وأهميته، فهو كالأستاذ المعلم للطالب الذى لايستغنى عنه.

وينقسم العهد فى الطرق الصوفية إلى قسمين: عهد المريد أمام شيخه، والعهد الجماعى، ويسمى عهد البركة، وهو الذى لاتحكمه ثمة قيود، ولايترتب عليه أي التزامات، ويجوز للمريد أن يطلبه مرات عديدة من شيخ الطريق، أو اى شيخ طريق صوفى آخر بغرض إلتماس البركة[1].

ويبدو أن الشيخ قد فضل فى بداياته أخذ العهد الجماعى، ملتمساً البركة من جميع أهل الله، فأخذ عن كثير من شيوخ عصره، وانتمى إلى العديد من الطرق الصوفية السائدة فى وقته، كالطريقة الشاذلية، والطريقة الإدريسة، والطريقة البرهامية، والطريقة الخلوتية، والطريقة النقشبندية.

وذكر لىَّ أحد أحباب الشيخ[2]: أن الشيخ أخبره، بأنه تقابل مع سيدى الشريف إسماعيل شيخ الطريقة النقشبندية شحما ولحماً، وأخذ عنه الطريق، وذلك بالجامع الأزهر بالقاهرة.

وفى السياق نفسه، يروى أحد الأحباب[3] عن الشيخ قوله:" لقد أخذت الطريق من جد المراغنة الأكبر منذ ألف وخمسمائة سنة (١٥٠٠ سنة)، و" أن الشيخ اللبان لقننى ورده وأخذته عنه، وهو قوله " السلام عليك أيها

---

[1]) مصطفى فهمى ، الفكر الصوفى فى مصر فى القرن الرابع عشر الهجرى العشرين الميلادى ، رسالة دكتوراه ، عام ٢٠٠٩ ، نقلاً عن : مقال بعنوان (١١ قرناً من البناء الروحى للصوفيين ٩ إعداد أحمد عامر عبد الله ، صحيفة الأهرام المصرية ، عدد الجمعة ٢٠١١/٩/٢٣ .

[2]) الأستاذ أحمد موسى محمد ـ رحمه الله ، من أشراف الجعافرة بقرية "سلوا" بكوم أمبو ، التى تسود فيها الطريقة النقشبندية ، وشيخها سيدى الشريف إسماعيل النقشبندى رضى الله عنه ، الذى قدم إلى "سلوا" قادماً من بحر الغزال بالسودان ، وعاش حقبة من الزمن فى "سلوا" حتى سافر منها ، ولايعلم أحد حتى الآن إلى أين سافر أو أين استقر .

[3]) الأخ / أحمد الشريف ، مقيم بكوم أمبو ، وعمل لمدة قائداً لسيارة الشيخ ، وصحبه فى كثير من تحركاته .

النبى ورحمة الله وبركاته "، وكان الشيخ يردد هذا الورد كثيراً مع أحبابه، ولا غرو فى ذلك، فالعارفون بالله تُطوى لهم الأزمنة والأماكن.

كذا، أخذ الشيخ الطريقة الإدريسية المنتسبة للسيد أحمد ابن إدريس الشريف، وعن أبنائه: السيد محمد، والسيد أبو القاسم، والسيد مصطفى، وذلك بساحة الأدارسة بدراو، كما أخذ عن ابن عمهم السيد عبد العزيز الأدريسى الشريف بساحة الأدارسة بقرية حجازة بكوم أمبو .

كما أخذ الشيخ عن كثير من الأولياء الذين تتلمذوا فى مدرسة شيخه الأول العارف بالله تعالى الحاج أحمد رضوان، كالشيخ عبد الغفور السورى، والشيخ إبراهيم أبو شوشة، والشيخ على البلينى، والشيخ مصطفى عبد السلام، والشيخ إسماعيل (من نجع هلال)، وغيرهم كثير، فضلاً عن اتخاذه أبناء شيخه الأربعة أشياخاً له .

ولم يكتف الشيخ بالرجال فأخذ أيضاً عن المؤمنات الصالحات من نساء زمانه، فأخذ عن الحاجة سميرة من أولياء عصرها، والحاجة زكية عبد المطلب، وساحتها عامرة بالقاهرة، وضريحها بجوار ساحتها الأخرى المقامة بجوار سيدى أبو الحسن الشاذلى حالياً.

يقول الشيخ : أخذت عن تسعين شيخاً، وامرأتين كانتا من الأبدال، بل أخذت عن تسعمائة، وكل ما أجد البركة فى أحد أضع يدى فى يده"- أى لأخذ العهد الصوفى .

تتلمذ الشيخ على كل منْ يلتمس فيه الصدق والبركة، أو يتزين بالصلاح والتقوى من أهل عصره، فالميراث المحمدى يُقسم على كل العارفين، فأراد الشيخ أن ينهل من كل منهم، فأخذ عن رجال كثر، وما انتقص منهم أحدا.

وكان الشيخ قبل أن يأخذ عن أحدهم يتفحصه، فيجِدَّه بعين المعرفة، ويحيط بمدى حبه، وشوقه، واشتياقه، وقربه من الحضرة العلية، ثم يعايشه أمة معدودة من الزمن فإن وجد فيه الكمال أخذ عنه وصاحبه، وإن وجد غير ذلك أمده من مواهب الله فيه، فيكمله، ويرقيه.

ويبدو أن الشيخ قد ترسم طريق العارفين بالله، وسلك سلوكهم؛ تعبداً لله ورقاً، فسعى فى طلب قربه ووده، من خلال أحبائه وأوليائه، وأخذ فى

البحث عن الرجل الذى يطوى به طريق القوم، ويدخله على الله فى نَفَسٍ واحد، بلا مجاهدات، ولا استغراق فى طى المقامات.

بيد أن الشيخ لم يرابط فى صحبة أى من الأشياخ الذين أخذ عنهم العهود الصوفية كما رابط مع شيخين اثنين هما: العارف بالله تعالى الحاج أحمد محمد رضوان، الذى تزين بحلل الشريعة الغراء، والعارف بالله تعالى الإمام محمد أبو الفتوح العربى، الذى تدثَّر بدثر الحقيقة، فكان الشيخ مجمع البحرين، وملتقى الرافدين، وثمار الدوحتين العظيمتين، وسوف نخصص الفصل التالى للحديث عن الإمام محمد أبو الفتوح العربى، ونفرغ هنا للحديث عن شيخه الأول العارف بالله تعالى الحاج أحمد محمد رضوان، وذلك من خلال المبحث التالى:

المبحث الثانى

شيخه الأول

العارف بالله تعالى الحاج أحمد محمد رضوان

(رضى الله عنه)

هو مولانا العارف بالله تعالى السيد/ أحمد بن السيد/ محمد بن السيد/ أحمد بن السيد/ محمد بن السيد/ رضوان وينتهى نسبه إلى الإمام الحسن ابن الإمام على بن أبى طالب (كرم الله وجهه)[1]، وساحته العامرة بقرية البغدادى من أعمال مركز الأقصر وتسمت بعد ذلك ب "الرضوانية"، تخليداً لذكراه. يقول الحاج أحمد رضوان عن نفسه: " اعلموا أيها الأحبة أن سبب مجئ جدى إلى هذا المكان أنه رأى النبى صلى الله عليه وسلم يأمره بالرحيل من (نجع العرب) بأسوان، والسفر إلى هذا المكان، وألا يرجع إلى بلده مرة أخرى، وقد ظل هنا أربعين عاماً، وقال لى والدى إن الولاية لم تنقطع عن بيتنا ونحن فى الأصل من العراق من نسل سيدى عبد القادر الجيلانى، وكان جدى يقول: أنا ومالى لله تعالى ... اللهم اعطنا من عطاياك .. وافض علينا بما أفضته على أهل حضرتك ..."[2].

وُلِدَ رضى الله عنه فى الثامن والعشرين من ربيع الأول عام ١٣١٣هـ الموافق السابع عشر من شهر سبتمبر عام ١٨٩٥م، بقرية البغدادى، وانتقل إلى جوار ربه فى يوم الأحد الثالث من ربيع الأول عام ١٣٨٧هـ الموافق العاشر من يونيو عام ١٩٦٧م.

نشأ رضى الله عنه فى أسرة شريفة، فحفظ كتاب الله فى صغره، وقرأ فى كتب الفقه والتوحيد، وشهد له أقرانه بمقرأة القرية بذكاء فذ، كما كان وقوراً فى مجلسه مهاباً، لا يخشى فى الله لومة لائم .

يقول الشيخ: كانت أم الحاج أحمد رضوان تجتمع برسول الله صلى الله عليه وسلم يقظة، وذات مرة اشتد الجوع بولدها وهو فى سن ثلاث سنوات

---

[1]) محمد فؤاد شاكر ، " العارف بالله الشيخ أحمد رضوان ، حياته ، وآثاره ، ص ٢٢ .

[2]) محمد فؤاد شاكر ، " العارف بالله الشيخ أحمد رضوان ، حياته ، وآثاره ، مرجع سابق ،ص٣٣ ، ص١١٣ .

فنام فجاءه الحبيب الأعظم وأعطاه زجاجة لبن فشربها، ولما قام من نومه وجد الزجاجة فى يده؛ تصديقاً لرؤيا جده صلى الله عليه وسلم. وعَنْ أَنَسٍ (رضى الله عنه) قَالَ قَالَ النَّبِىُّ صلى الله عليه وسلم: " مَنْ رَآنِى فِى الْمَنَامِ فَقَدْ رَآنِى ، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ لاَ يَتَخَيَّلُ بِى، وَرُؤْيَا الْمُؤْمِنِ جُزْءٌ مِنْ سِتَّةٍ وَأَرْبَعِينَ جُزْءًا مِنَ النُّبُوَّةِ"[1].

شب العارف بالله الحاج أحمد رضوان على حب الله ورسوله، وتعبد الله على المذهب المالكى وتصوف فأخذ الطريقة السمانية على يد والده، وهى فرع من الطريقة الشاذلية، كما أخذ الطريقة الخلوتية وهى فرع من الطريقة السهروردية على يد الشيخ أبى القاسم الحجازى، والشيخ محمد عبد الجواد الدومى، وجددها على يد الشيخ محمد الرملى[2].

وقد عمل العارف بالله الحاج أحمد رضوان بالزراعة ثم بالتجارة، وكان عهده فى كسب رزقه ما عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم بأن يكفى من الدنيا زاد الراكب: فعَنْ أَنَسٍ قَالَ اشْتَكَى سَلْمَانُ فَعَادَهُ سَعْدٌ فَرَآهُ يَبْكِى فَقَالَ لَهُ سَعْدٌ مَا يُبْكِيكَ يَا أَخِى أَلَيْسَ قَدْ صَحِبْتَ رَسُولَ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- أَلَيْسَ أَلَيْسَ قَالَ سَلْمَانُ مَا أَبْكِى وَاحِدَةً مِنَ اثْنَتَيْنِ مَا أَبْكِى صَبًّا لِلدُّنْيَا وَلاَ كَرَاهِيَةً لِلآخِرَةِ وَلَكِنْ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- عَهِدَ إِلَىَّ عَهْدًا فَمَا أُرَانِى إِلاَّ قَدْ تَعَدَّيْتُ. قَالَ وَمَا عَهِدَ إِلَيْكَ قَالَ عَهِدَ إِلَىَّ أَنَّهُ يَكْفِى أَحَدَكُمْ مِثْلُ زَادِ الرَّاكِبِ وَلاَ أُرَانِى إِلاَّ قَدْ تَعَدَّيْتُ وَأَمَّا أَنْتَ يَا سَعْدُ فَاتَّقِ اللَّهَ عِنْدَ حُكْمِكَ إِذَا حَكَمْتَ وَعِنْدَ قَسْمِكَ إِذَا قَسَمْتَ وَعِنْدَ هَمِّكَ إِذَا هَمَمْتَ. قَالَ ثَابِتٌ فَبَلَغَنِى أَنَّهُ مَا تَرَكَ إِلاَّ بِضْعَةً وَعِشْرِينَ دِرْهَمًا مِنْ نَفَقَةٍ كَانَتْ عِنْدَهُ[3].

وعَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ قَالَ مَا شَبِعَ آلُ مُحَمَّدٍ - صلى الله عليه وسلم - مِنْ طَعَامٍ ثَلاَثَةَ أَيَّامٍ حَتَّى قُبِضَ[4]؛ حفظاً عليهم من ضغيان الدنيا، ونجاة لهم من سؤال الآخرة، فقد قال الله تعالى {ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ }[5].

وكان العارف بالله تعالى الحاج أحمد رضوان راضياً بما قسمه الله له من كفاف قوت، وقد يبيت الليالى جائعاً، فإذا ما أفاض الله عليه من وسع

---

[1]) صحيح البخارى ، التعبير ، حديث رقم ٦٩٩٤ نقلاً عن : موسوعة الحديث الشريف ، مرجع سابق .
[2]) محمد فؤاد شاكر ، " العارف بالله الشيخ أحمد رضوان ، حياته ، وآثاره ، مرجع سابق ، ص٢٣ .
[3]) سنن ابن ماجة ، الزهد ، حديث رقم٤٢٤٣ ، نقلاً عن : موسوعة الحديث الشريف ، مرجع سابق .
[4]) صحيح البخارى ، الأطعمة ، حديث رقم ٥٣٧٤ . نقلاً عن : موسوعة الحديث الشريف ، مرجع سابق .
[5]) التكاثر : ٨ .

رزق، لم يدخر منه شيئاً لأهله، وبذله على الفقراء والمحتاجين الطوافين بساحته، فأقام لهم موائد الطعام، و حرص على أن يساوى بين الفقراء والأغنياء فى مجالس الطعام، وأوصى أبناءه قائلاً: "ستظل الساحة عامرة بزوارها مالم تفرقوا "[١]، وقد حفظ الأبناء وصية أبيهم حتى أضحت الساحة الرضوانية موئلاً للفقراء، ومنهلاً للعلماء من شتى أرجاء العامرة .

وقد حظى العارف بالله تعالى الحاج أحمد رضوان بتقدير العلماء من أهل عصره، لتزييه بالزى الأزهرى الشرعى، وسعى إلى ساحته كبار علماء الأزهر الشريف، ينهلون من علمه اللدنى، ومنهم الشيخ عبد الحليم محمود شيخ الأزهر، والشيخ الباقورى مدير جامعة الأزهرآنذاك، والشيخ أبو العيون، وغيرهم فى ذلك الوقت .

كما شهد الأزهر الشريف حفلاً مهيباً تكريماً لفضيلته[٢]، ودُعِيَّ رضى الله عنه لحضور مؤتمر علماء المسلمين عام ١٩٦٥م، وألقى فيه كلمة حظت بإعجاب واستحسان رؤساء وفود علماء المسلمين، وقام بعضهم بمصافحة الشيخ وتقبيل يده؛ اعترافاً بفضله، ومنزلته[٣].

وبالإضافة إلى الرداء الشرعى الأزهرى الذى توشح به مولانا العارف بالله تعالى الحاج أحمد محمد رضوان ـ فقد دانت له الولايات وبانت على يديه الكرامات الدالات على ولايته وفضله وعلو همته، وعظيم قدره عند ربه، ويقص أحباب الحاج أحمد رضوان ومريديه العديد من الكرامات التى وقعت لهم على يد شيخهم، بما لاتسع هذه السطور ملاحقته، ولكن يمكن الإشارة إلى بعضها تبركاً ، وتيمناً[٤].

---

[١]) محمد فؤاد شاكر ، " العارف بالله الشيخ أحمد رضوان ، حياته ، وآثاره ، مرجع سابق ، ص٢٤

[٢]) تحدثت الصحافة عن الحفل فى مقال بعنوان :(الأزهر يكرم صوفياً جليلاً) ، مجلة المسلم ، عدد رمضان ١٣٨٤هـ السنة الخامسة عشر العدد الثالث ،نقلاً عن : محمد فؤاد شاكر ، " العارف بالله الشيخ أحمد رضوان ، حياته ، وآثاره ، مرجع سابق ، هامش ص٣٨ .

[٣]) ناقش المؤتمر ما يتعلق بالأحوال الاجتماعية والمعاملات وراى علماء الإسلام فى هذه المسائل ، وقد كتبت جريدة الجمهورية تتحدث عن دور الشيخ فى المؤتمر الإسلامى مقالاً بعنوان :(حول مؤتمر علماء المسلمين) ، نقلاً عن : محمد فؤاد شاكر ، " العارف بالله الشيخ أحمد رضوان ، حياته ، وآثاره ، مرجع سابق ، ص٤٨ .

[٤]) سرد الدكتور محمد فؤاد شاكر فى مؤلفه العارف بالله الشيخ أحمد رضوان العديد من الكرامات الباهرات للشيخ ، راجع : ص ٥٤ ، وما بعدها من المؤلف السالف .

من هذه الكرامات تلك الكرامة التى وقعت للشيخ فى بداياته من سهام نظرة مولانا الحاج أحمد رضوان من صورته، والتى دخل الشيخ على إثرها الخلوة[1].

ويروى الشيخ كرامة أخرى لشيخه الحاج أحمد رضوان، فيقول: جاء رجل فى زيارة لساحته، وبعد أن سلَّمَ الشيخ على الرجل سأله: يافلان أو سبق أن رأيت النبى صلى الله عليه وسلم منذ عشرين عاماً فأعرض عنك النبى صلى الله عليه وسلم ولم يسلم عليك؟ فرد الرجل نعم حدث ذلك يامولانا، فسأله الشيخ: أتدرى لما لم يسلم عليك رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ فقال الرجل أنت أعلم منى، فقال الشيخ: أخبرنى النبى صلى الله عليه وسلم أنك اعتددت أن تجمع صلاة الظهر مع العصر، فعلم الرجل أنها كرامة للحاج أحمد رضوان، ونهض منذ ذلك الحين فى أداء الصلوات فى أوقاتها.

ويروى الإمام محمد أبو الفتوح العربى فيقول:" مكثت أتردد على الشيخ أحمد رضوان لمدة خمس سنوات حتى توفى سنة ١٩٦٧م، وفى خلال هذه المدة رأيت بعض الكرامات للشيخ أحمد رضوان، مثل أننى عندما كنت أركب السيارة متجهاً لأى مكان، فكنت أرى الشيخ أحمد رضوان واقفاً بجانب السيارة، وكأنه يسير بسرعة السيارة، ولكنه كان ساكناً فى الأرض، كما أننى كنت فى إحدى المرات أسْبَح فى الترعة، وكدت أغرق إلا أننى فوجئت بيد قوية تدفعنى إلى البر، وعرفت أنها يد الشيخ أحمد رضوان، وقد رأيت بعض الكرامات الأخرى للشيخ بعد وفاته، حيث أننى كنت فى إحدى المرات بمنزلى، وكانت زوجتى تحمل زلعة (جرة) بها مياة، وتعثرت قدمها فسقطت منها الزلعة على رأسى، أو فى ناحية رأسى، إلا أننى فوجئت بيد الشيخ أحمد رضوان تتلقى الزلعة، وتبعدها عنى"[2].

ولم ينشغل العارف بالله تعالى الحاج أحمد رضوان بما خصه الله من كرامات بيِّنات، ولم يقف عندها، أو يتجاوز بها رسوم الشريعة، بل كان يحذر وينبه منها ويقول: الولاية تقريب ربانى يحصل للعبد بموافقة الكتاب والسنة، فياعبد الله لاتتعد حدود الشريعة، ولو رأيت من ولىٍّ ألف كرامة[3].

---

[1]) سيقت هذه الكرامة فى معرض الحديث عن : (خلوته وهجرته) المبحث الأول من الفصل الثانى من الباب الأول من هذا المؤلف .

[2]) أقوال الإمام محمد أبى الفتوح العربى فى تحقيقات النيابة ، قضية العصبة الهاشمية ، غير منشورة .

[3]) محمد فؤاد شاكر ، " العارف بالله الشيخ أحمد رضوان ، حياته ، وآثاره ، مرجع سابق ، ص١١٤ .

ويقول رضى الله عنه: إذا جاءك الإلهام فأعرضه على الكتاب والسنة فإذا وافقها فاعمل به، وإذا لم يوافقهما فاضرب به عرض الحائط وكل ما أعطيه الرسول صلى الله عليه وسلم فهو من حضرة الإطلاق، وأما الإلهام فهو من الله وهو مقيد وهو مشروط بالكتاب والسنة، لأنه قد يكون الإلهام مكراً واستدراجاً، والتقييد هنا بالنسبة للعبد لابالنسبة لله تعالى، والإلهام لو كان مطلقاً لكان عمل به الأولياء، ولكنهم كانوا يعرضونه على الكتاب والسنة[1].

فقد كان رضى الله عنه حاضراً فى معية ربه، ومتابعاً لسيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى كل أوقته ، مطبقاً لسنته فى جميع حالاته، حتى أنه كان يقول: " والله الذى لاإله إلا هو ماغبت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وكيف أغيب عنه وأنا مكلف بالمتابعة[2]. قال تعالى { وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَـٰنُ فَاتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوا أَمْرِي }[3].

يقول الشيخ: أن العارف بالله تعالى الحاج أحمد رضوان قائم بحال عربى فلم يسبقه فى الجانب العربى فى وقته سابق، ومع استغراقه فى المعية، لم يسبقه فى المتابعة الشرعية سابق.

وأما عن علمه (رضى الله عنه) فالمأثور عنه كثير وكثير، وإليك النزر اليسير، قال (رضى الله عنه) فى تأويل قوله تعالى: {حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَىٰ وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ}[4] هى الصلاة التى لاإفراط فيها، ولا تفريط، لاهى بالطويلة المملة، ولا بالقصيرة المخلة[5].

وعن مقام الجمع يقول: " مقام الجمع حضورك مع الله تعال ، وجمع الجمع فناؤك فيه، ومقام الفرق بعد الفناء أعلى منه، هو أنه تقيم كل شئ أمرك به، وفرق الفرق ذهاب روحك مع الله وهى الرحلة من الظاهر إلى الباطن { وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَهْدِينِ}[6]، تعطى فلا ترى أنك أعطيت

---

[1]) محمد فؤاد شاكر ، " العارف بالله الشيخ أحمد رضوان ، حياته ، وآثاره ، مرجع سابق، ١٤٢ .
[2]) محمد فؤاد شاكر ، " العارف بالله الشيخ أحمد رضوان ، حياته ، وآثاره ، مرجع سابق، ١٣٩ ، ١٤٠ .
[3]) طه : ٩٠ .
[4]) البقرة : ٢٣٨ .
[5]) سرد الدكتور/ محمد فؤاد شاكر فى مؤلفه :" العارف بالله الشيخ أحمد رضوان ، حياته ، وآثاره" الكثير من تأويلات الشيخ للآيات القرآنية تحت عنوان الشيخ والقرآن، ص ٧٠ ، وما بعدها .
[6]) الصافات : ٩٩ .

وتصلى فلا ترى أنك صليت، فهو الذى أقامك وأركعك وأسجدك، به يسمعك من قلبك كلامه، وينطق على لسانك ذكره ويسمعك ما ينفعك، فأنت به تسمع، وأنت به تبصر، فلا تقوم إلا به وله وفيه، فإذا صمتَّ فأنت فيه، وإذا تكلمت فأنت به {الرَّحْمَـٰنُ * عَلَّمَ الْقُرْآنَ * خَلَقَ الْإِنسَانَ }[1] لاشئ لك حقيقة تبصر ، وهكذا تناديك اعضاؤك فأخرج عن حولك وقوتك .. وهذا هو الفرق، وصاحب الفرق لايقع منه ذنب، لأنه دخل فى حماية الله وصاحب الفناء يصحو ويفيق ويقع .. نسأل الله السلامة ".

ويستطرد قائلاً: " وجمع الجمع أن يرجع روحك إلى ماكانت عليه فى عالم الذر، فهى كانت سميعة عليمة داركة ولا تحجب عن الله تعالى، فإذا خرجت عن نفسك وعن تدبيرك ورجعت إلى ماكنت عليه، فإذا أردت أن ترجع فاخلع الأوزار وصن نفسك عن الذنوب، وارجع إليه وأحبه حباً لايكون فى قلبك سواه فعند ذلك يكشف لك عن ملكوت السموات والأرض، وتسمع الذكر من جميع الجهات، والتسبيح والتقديس من جميع الجهات ويكون هو الذاكر على لسانك المذكور سبحانه وتعالى .. اللهم اجعلنا منهم ياكريم . على حد قوله (بى يسمع وبى يبصر ، وبى يبطش)، وتصير مؤيداً بحفظ الله تعالى لاحول لك ولاقوة ولااختيار، عند ذلك ينادى عليك فى الملكوت بأنك عبد الله وتصير محبوباً عند ربك وعند رسوله وعند ملائكته وأوليائه .. اللهم اجعلنا منهم يارب العالمين والكلام فى هذا كثير عندنا ..واشترطوا إذا تكلم العبد ألا يغفل عن الله فإذا تكلم وغفل عن ربه فالفضل له الصمت حتى لايحجب عن ربه اللهم لاتجعلنا كذلك "[2].

وعن حال الفناء يقول رضى الله عنه: " الفناء حال يجرف ما سوى الله فيدخل القلب فيمزق الأغيار والأكوان ثم يفيق القلب ويحفظ الفرج واللسان واليد، وتنزل منه ملكة المعرفة فيأخذ المراقبة ثم يرد إلى صحوة الإقامة، فإن نطق فبالله وإن صمت فمع الله، ولولا الفناء ماثبت لسائر قدم، فإن الفناء يحرق مافى القلب وإن علمه الحق ذلك أنزل فى قلبه نور المعرفة

---

[1]) الرحمن : ١ ،٢ ، ٣ .

[2]) محمد فؤاد شاكر ، العارف بالله الشيخ أحمد رضوان ، حياته ، وآثاره ، مرجع سابق ، ص١٢٢ ، ١٢٣ .

ونور التوحيد وأضاءت القلوب والجوارح، فلا تفعل شيئاً إلابإذن الله تعالى"[1].

ويوصى أبناءه وأحبابه فيقول: " أبنائى أوصيكم بالتوبة النصوح والإقبال على الله تعالى، وأن تكتفوا به وأن تخرجوا من حولكم وقوتكم، فإذا أقامكم فى الأسباب فلا تقفوا معها وكونوا معه، فإنه قادر أن يسلب منكم الأسباب من سمع وبصر وقوة وكلها بيده، ومن وقف مع السبب حجب عن الله تعالى، وراقبوه فى الأسباب ولاتغفلوا عنه، فمن شغله المسخَّر عن المسخِّر فهو عبد سوء يجب أن يتوب عن هذا. اللهم تب علينا توبة لاتقضى عهدها أبدا حتى نلقاك بجاه نبيك صلى الله عليه وسلم"[2]. ويستكمل قائلاً: "فعليك أيها السامع بالتقوى فالتقوى أولاً أن تتقى الكفر فلاتشرك بالله شيئا وتتقى النار فلا تعمل عملاً يدخلك النار وكن مع ربك على ما أمرك وجالس الصالحين فإن القلوب تصدأ ولايصلحها إلا رجل أناب لربه، فإذا شعرت أن قلبك مال لغير الله أو أحب الدنيا أو نسى الآخرة أو ماج فى المعاصى أو أغتاب أو نم أو قسى أو ظلم أو تكبر، فعليك بمجالسة العلماء فإنهم يدلونك على مايشفى قلبك، فهم خبراء الله[3]:{ الرَّحْمَـٰنُ فَاسْأَلْ بِهِ خَبِيرًا }[4].

ومع هذا العلم الغزير لم يرض الشيخ عن نفسه، وكان يقول: " من قام من نومه راضياً عن نفسه سقط من عين الله"، ويقول: أردت فى مرة أن أقرأ الحزب الكبير حتى أعجب عمى الشيخ الجيلانى، فقال اسكت، لاتقرأ .. أنت تقرأ لغير الله[5].

واستمر الشيخ الحاج أحمد أبو الحسن فى مصاحبة شيخه الحاج أحمد رضوان، فدأب على ملازمته، ومعايشته، يقتدى بفعله، وينهل من علمه، فمنْ لم ينتفع بأفعال شيخه لم ينتفع بأقواله "[6].

وفى معرض التعريف بمناقب شيخه أنشأ الشيخ قائلاً:

إمام الأماجد وشيخ النوادر * مُجَدِد لدين وارث ابن راما**

---

[1]) محمد فؤاد شاكر ، العارف بالله الشيخ أحمد رضوان ، حياته ، وآثاره ، مرجع سابق ، ص١٤٠ .

[2]) محمد فؤاد شاكر ، العارف بالله الشيخ أحمد رضوان ، حياته ، وآثاره ، مرجع سابق ، ص ١٢٣ .

[3])) محمد فؤاد شاكر ، العارف بالله الشيخ أحمد رضوان ، حياته ، وآثاره ، مرجع سابق ، ص١٣٠ .

[4]) الفرقان : ٥٩ .

[5]) محمد فؤاد شاكر ، العارف بالله الشيخ أحمد رضوان ، حياته ، وآثاره ، مرجع سابق ، ص١١٤ .

[6]) قول أبى زكريا يحيى بن معاذ بن جعفر الواعظ الرازى رضى الله تعالى عنه ، نقلاً عن : الإمام عبد الوهاب الشعرانى ، الطبقات الكبرى ، مرجع سابق ، ص١٤٠ .

سليل الرضوان هو الحاج أحمد * فذاك الحسنى بتاج الزعاما**
حوى سر طه بأمر ونهى * وداعى بإذن لأمر تساما**
وآل الرضوان شموس العرفان * لقاصى ودانى أتموا التماما[1]**

وبعد مماته حزن الشيخ عليه حزناً شديداً ـ فهو فلتة زمانه، ولا نظير يسد فراغه، وقلَّ أن يجود الزمان بمثله- وتأوه الشيخ قائلاً:

حلف الزمان بأن يجود بمثله * حنثت يمينك يازمان فكفر .

وقد شعر الشيخ بفراغ قلبى كبير عقب وفاة شيخه الحاج أحمد رضوان، الذى كان يحبه ملء القلب، وانقلبت أحواله من بهجة وبهاء الصحبة إلى ذبول وحيرة الفرقة.

عزفت نفسه عن الدنيا، والأهل، والمال، وقنع بما ورثه عن شيخه الأول، وبما حظى به من ثمار الصحبة، وصدق الرفقة، ومواهب المعرفة والمحبة، فمنْ صحب الأولياء بصدق ألهاه ذلك عن أهله، وماله، وعن جميع الأشغال، ولمَّا صح للشيخ ذلك شم رائحة الاشتغال بالله، وترقى إلى هذا المقام ، فاشتغل بالله عمن سواه.

وظل الشيخ وفياً لعهد شيخه الأول، ولأبنائه من بعده، يجلهم، ويواليهم، ويتابع أحوالهم، ويسعى فى قضاء حاجاتهم، يداوم على زيارة الساحة، متمثلاً قول القائل:

وإن عز الوفاء بأى أرض * فنحن الأوفياء إلى مداها

---

[1]) مولانا العارف بالله تعالى الحاج أحمد أبو الحسن ، قصيدة الفقه الشامخ فى الدين الحنفى السامح ، مطبوعة ، بدون نشر ، فى حوزة الكثير من أحباب الشيخ نسخ منها .

ووجدته موليًّاً وجهه شطر الساحة الرضوانية بالبغدادى حيث أبناء شيخه، ولقاء مريديه. وكثر سفره إلى الساحة الرضوانية زائرا، وعلى الأحباب طوافا.

ادَّكر الشيخ ـ بعد أمة ـ حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم عَنْ أَنَسٍ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ـصلى الله عليه وسلمـ :" مَثَلُ أُمَّتِى مَثَلُ الْمَطَرِ لاَ يُدْرَى أَوَّلُهُ خَيْرٌ أَمْ آخِرُهُ "[١]، وساروه الحديث فوجدته فى حيرة من أمره، مقلباً وجهه فى السماء، سائلاً ربه الخبير الذى يلملم شتاته، ويقيم أوده، ولكن هيهات هيهات!! حتى جمعه الله على الشيخ الأكبر الإمام محمد أبو الفتوح العربى، فلملم شتاته، وضمد جراحه، وملأ فراغه، وفاضت عليه نفحاته، وهو ما نتناوله من خلال الفصل التالى.

[١]) سنن الترمذى ، الأمثال ، حديث رقم ٣١٠٩ ، نقلاً عن : موسوعة الحديث الشريف ، مرجع سابق .

الفصل الثانى

شيخ العصبة الهاشمية، العارف بالله تعالى

الإمام محمد أبو الفتوح العربى

(رضى الله عنه)

الإمام محمد أبو الفتوح العربى دوحة من دَوْحِ النبى صلى الله عليه وسلم، وكينونة ذاتية لايُحاط بها، وعارف بالله يستحيل تناوله بالمقال، ويصغر فى حضرته كَمَلَة الرجال، ولا يسع المرء أمامه إلا الوقوف تَعَجُبَا: وَيْكَأَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الفضلَ لِمَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ !!! .

ونتناول فى هذا الفصل نبذة عن سيرة الإمام محمد أبو الفتوح العربى، واتصال الشيخ به، ثم استعراض مقتطفات من علومه ومعارفه، وذلك من خلال مبحثين على التوالى، وعلى الوجه التالى:

المبحث الأول

سيرة الإمام العربى، واتصال الشيخ به

نبذة من سيرته[١]: هو شيخ العصبة الهاشمية، فضيلة الإمام السيد/ محمد بن السيد/ على بن السيد/ سليمان الأدريسى ، وينتهى نسبه من جهة الأب إلى مولانا الإمام الحسن بن مولانا الإمام على بن أبى طالب (رضى الله عنه، وكرم الله وجهه)، وأمه السيدة زينب النجَّارية الشريفة ينتهى نسبها إلى مولانا الإمام الحسين بن مولانا الإمام على بن أبى طالب، زوج السيدة / فاطمة الزهراء البتول، سيدة نساء العالمين، أم أبيها بنت سيدنا رسول الله

[١]) اعتمد الباحث ـ بصفة أساسية ـ فى الحديث عن سيرة الإمام العربى على ما جاء على لسان حضرته فى تحقيقات نيابة أمن الدولة العليا ، المحررة بمعرفة علاء الدين موسى وكيل نيابة أمن الدولة العليا ، باشراف المستشار رجاء العربى المحامى العام فى القضية المعروفة باسم "العصبة الهاشمية" يومى ١٩٨٢/٧/٣٠ ، ١٩٨٢/٨/٣، باعتبارها وثيقة رسمية "غير منشورة" ، وقد تحصل الباحث على نسخة رسمية منها ، فضلاً عن أحاديث العارف بالله الحاج أحمد أبو الحسن عن شيخه الإمام العربى .

صلى الله عليه وسلم، فهو شريف محض، حسنى الأب حسينى الأم، نفعنا الله به، ودعانا بحضرته يوم يُدْعَى كُل أناس بإمامهم ...آمين[١].

يقول الإمام العربى: "أنا شريف إدريسى من أهل البيت"، وفى موضع آخر يقول: "أنا أُعتبر ابن غير مباشر للسيدة فاطمة الزهراء، فأنا من سلالتها"، ويقول: "أنا شريف والد عن جد".

ويمثل بيت الإمام العربى أعرق بيوتات السادة الأشراف فى مدينة فاس بدولة المغرب، ويدعى بيت آل سالمين، أو السالمينية الإدريسية. يقول الإمام العربى:" مما منَّ الله به علينا أنا من عائلة لايستهان بخيالها ومن بيت إن لم يشفعوا فى الناس فلا شفاعة لهم وربما تتوقف الشفاعة على صبى فيهم "[٢].

وُلِدَ الإمام العربى - على الأرجح - فى غضون عام ألف وتسعمائة وثلاثين وستة من الميلاد(١٩٣٦م)[٣] فى مدينة فاس بالمغرب، وعندما بلغ عمره ست سنوات جاءت به أمه إلى مصر المحروسه، ثم خَلَّته فرداً يبدأ رحلة حياته، ويشق طريق القوم بمفرده .

يتحدث الإمام العربى عن نشأته، ورحلة حياته، وعقيدته، وأفكاره، وملابسات تكوين العصبة الهاشمية فيقول:" بدأت اهتم بالنواحى الدينية وأنا فى سن العاشرة، حيث أننى بدأت الصلاة فى هذه السن، وسبب صلاتى فى هذه السن المبكرة أننى قررت أن أسلك سلوك والدى فى الصلاة، حيث أنه كان يصحبنى معه فى المسجد للصلاة، وكانت والدتى وأنا فى سن السادسة من عمرى تخبرنى بأن والدى ينتسب للإمام الحسن، وأنها هى تنتسب للإمام الحسين من بيت النجار، ثم حدث إننى وأنا فى سن الثانية عشر رأيت لأول مرة حضرة المصطفى صلى الله عليه وسلم، وقال لى يا ابنى ياحبيبى تعرف سيدى عطية فى المنصورة، وكنت أنا لاأعرف من هو الشيخ عطية، فسألت عليه، ودلونى عليه أهل الخير، وكان عمره ثمانون

---

[١]) جاء فى تفسير البغوى فى قوله تعالى :{ يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ } عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما : بإمام زمانهم الذي دعاهم في الدنيا إلى ضلالة أو هدى ، قال الله تعالى: " وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا" الأنبياء – ٧٣ وقال : (وجعلناهم أئمة يدعون إلى النار)القصص – ٤١ .

[٢]) نقلاً عن: الشيخ جابر عبد المنعم على ، فى تقديمه لديوان العارف بالله الحاج أحمد أبو الحسن ، (اللطائف السنية فى مدح خير البرية) ص ١٢ .

[٣]) قرر الإمام العربى فى بداية تحقيقات النيابة ، فى قضية العصبة الهاشمية - التى جرت أحداثها عام ١٩٨٢م - أن سنه (٤٦) عاماً .

سنة، وكانت ساحته عامرة بالفقراء والمساكين، وسلَّمت عليه وقبَّلت يده، وأقمت فى ضيافته، ومكثت معه مدة كبيرة أتردد عليه.

وظللت أتردد عليه إلى أن حصلت رؤية أخرى من سيد الوجود صلى الله عليه وسلم، وقال لى فى هذه الرؤية عليك بالشيخ أبو الوفا الشرقاوى فى الصعيد نجع حمادى، فذهبت إليه فى ساحته فى الصعيد، ورأيت ساحته عامرة بالبشوات، وكبار رجال الدولة، وتقابلت معه وعندما وضع يده فى كفى رأيت يد من نور تمسك يدينا نحن الاثنين، فقلت للشيخ يد من هذه ياامولانا؟ قال لى أنها يد رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وظللت فى التردد على الشيخ أبو الوفا الشرقاوى إلى أن جاء لزيارته الشيخ أحمد رضوان، فتقابلت عنده مع الشيخ أحمد رضوان، ووجدته رجل وقور، وسلَّمت عليه، وأخذنى معه إلى ساحته فى البغدادى بقنا، وتتلمذت على يد الشيخ أحمد رضوان حتى توفى سنة ١٩٦٧م "[١].

ومما يذكر فى هذا المقام أن الشيخ أحمد رضوان أخذ عهداً مع الإمام العربى على ألا يفصح عن نسبه الشريف أو يُعَرِف بنفسه، وأن يدلل عليه هو، وعاهده الإمام على ذلك مستثنياً حالة الاضطرار.

حدث ذلك عندما تعرَّضَ الإمام العربى هو وأحبابه إلى محنة شديدة، وبلاءٍ عظيمٍ، إثر وشاية الحاقدين، وشكايتهم الكيدية للأجهزة الأمنية، وقد جرت واقعات هذه المحنة فى النصف الأخير من سنة ثنتى وثمانين وتسعمائة وألف من الميلاد (١٩٨٢م).

حذا الإمام حذو الصِدِّيقين، ودخل السجن وهو أحب إليه، ودخل معه صاحبه وفتاه العارف بالله تعالى الشيخ أحمد أبو الحسن، وبعض من أحبابهما.

وفى التحقيقات اضطر الإمام العربى (رضى الله عنه) إلى التعريف بنفسه، ونسبه الشريف، وادَّكَرَ عهده مع الحاج أحمد رضوان فقال: "اضطررت يا أحمد"، وفى موضع آخر يقول: " لولا أنى أرغمت ما تحدثت عن نفسى، أو عن نسبى ".

---

[١]) من أقوال الإمام العربى بتحقيقات نيابة أمن الدولة ، سالف الإشارة إليها .

فلم يشأ الإمام العربى التحدث عن نفسه، أو عن نسبه الشريف، فهو من عباد الله الذاتيين، اختصهم الله لذاته، وحرم عليهم الانتساب لغيره، أوالتعريف بسواه، ويقول فى ذلك:" أنا من العباد الذين سيرهم الله بيده لنفسه لا لغيره "[1].

أوضح الإمام العربى السبيل أمام الجهات الرسمية، واستبرأ لساحته وإخوانه من التُهَمات، وحُفِظت فى مهدها التحقيقات، وأضحت هذه المحنة سبيلاً لنشر دعوته، التى عمَّت ـ بعد ذلك ـ الآفاق، وفى المأثور:" إذا أراد الله نشر فضيلة سلط عليها لسان حقود ".

ويستطرد الإمام العربى سيرته قائلاً: "بعد وفاة الشيخ أحمد رضوان قررت أن أفتح ساحة خاصة بى، وسبب اختيارى لكلح المفالسة بمركز إدفو أننى رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المنام، وأمرنى الرسول أن افتح ساحة (مضيفة) فى هذا المكان، وفتحت الساحة، وبنينا فيها مسجد، وبدأ الزوار، والأحباب يترددون علىَّ، وبدأت البلاد المجاورة تعرفنى، وبدأ يزورنى كذلك الناس اللى كانت بتذهب للشيخ أحمد رضوان على أننى تلميذه ومُحِبَه.

وفى هذه السنوات كنت أرى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المنام كثيراً، وفى إحدى المرات كنت مريضاً ورأيت سيد الوجود صلى الله عليه وسلم فى المنام، وقام بوضع يده الشريفة على بطنى وصدرى، فَخَفَّت مابىَّ من آلآم، فانتبهت واستيقظت وقد شُفيت، وفى منام آخر جاء الرسول صلى الله عليه وسلم وفتح لى كم جلبابه، ودخلت داخل جلبابه فى الكم، ووصلت إلى صدره الشريف، وقد خُيِّل لىَّ أن رأسه فى السماء، وقد سدت الأفق".

وحينما حلَّ الإمام العربى بقرية الكلح[2] كانت آيته ألا يكلم الناس، فيحسبه الجاهل أبلم، وكان أهل القرية يدعونه ب" الشيخ محمد"، وإن

[1]) جاء هذا القول على لسان الإمام محمد أبو الفتوح العربى رضى الله عنه وأرضاه بتاريخ ١٩٨٤/٢/٢٩ ، بمنزل أحد أحبابه وهو: .د: فاروق القاضى ، بمصر الجديدة ، القاهرة ، وكان الإمام العربى لايقيم فى القاهرة إلا فى منزله ، ويذكر العارف بالله الحاج أحمد أبو الحسن أن بيت الدكتور فاروق خير وأشرف بيوتات مصر المحروسة ، ولو وجد الإمام العربى أن هناك منزل يفضله لنزل فيه ، (سمعته من الحاج / سيد البواب تاجر جملة بكوم أمبو ، من أحباب الشيخ المخلصين) .

[2]) قرية كلح المفالسة من أعمال مركز أدفو شمال محافظة أسوان فى أقصى صعيد مصر ، وتشتهر حالياً باسم : " كلح العربى" انتساباً إلى الإمام العربى .

خاطبوه بكلام، يعيده عليهم كما قالوه، ، فإذا قيل له أهلاً ياشيخ محمد، يرد مجيباً عليهم: " أهلاً ياشيخ محمد "، وهكذا.

وعن هذه الحال يقول الشيخ ـ صاحب السيرة ـ: أن الإمام محمد أبو الفتوح العربى يعايش حياة النبى صلى الله عليه وسلم حتى أنه كان يرى السادة الصحابة (رضوان الله عليهم) فى طور سنه، يخاللهم، ويأنس برفقتهم، وذلك من غزارة أعماق ما هو فيه من جمعية بسيد الوجود.

وفى تأصيل ذلك يقول صاحب السيرة:" وُلِدَ العارف، الذى ليس له صبوة، ولا كبوة، لمَّاح، نفسه قدسية مختومة من الحضرة الأحمدية فى مقعد صدق، روحه عرشية ذواقة تواقة ثاقبة، فذاته محكومة لنفسه المطمئنة، هيكله نفسه، وروحه وحدة اتحاد، حتى أنه يرى الصحابة فى مطالع طفولته، يكون فى محيطهم يراهم فى عمره، هذا أبو بكر، وهذا عمر، ليحجب عن العالم الحسى، حتى بالآدمية"[1].

أحبه أهل الكلح وأنزلوه عندهم منزلة أبنائهم، وكان مُكثه فيهم مكوث السيَّاحين فى الأرض، الذين لايسألون الناس إلحافا، عايشهم، ومالأهم على قضاء حوائجهم، وباراهم فى رياضة التحطيب هوايتهم، التى اشتهروا بها، فظهر عليهم، فأُعجِبوا بجسارته وفتوته، وانبهروا من حرفيته رغم حداثة سنه، وذاع صيته بينهم.

ثم أبان لهم الله يسيراً من الشواهد، والآيات البيِّنات على صلاحه وبركته، فقدروه، وأحبوه، وحنوا عليه، وفتحوا له أبواب منازلهم ليُطعَم الطعام على حبه، ومما يحكى أن أحدهم[2] استضافه فى منزله وقدَّمَ له طعام إلا أن الشيخ رفض أن يأكل منه ثم هَرَقَه على الأرض، ثم تبين بعد ذلك أن ذلك الطعام كان مسموماً، فبانت كرامته، وعظم قدره لدى أهل قريته، وظل كذلك حتى اتخذ على الشاطئ الشرقى لنيل مصر العريق فى أطراف القرية سكناً لأسرته، ومن إحدى حجراته خلوة له.

ويتحدث الإمام العربى عن خلوته قائلاً: " بعد وفاة الشيخ أحمد رضوان مكثت فى الخلوة مدة اثنى عشر عاماً لا التقي بأحد حتى خرجت

[1]) راجع : المبحث الثانى بعنوان (أمالى الشيخ) ، وحديثه عن العارف بالله ، الفصل الأول من الباب الرابع ، من هذا المؤلف ، .

[2]) يدعى الحاج فكرى رحمه الله ، من أحباب الإمام العربى ، من قرية الكلح .

منها سنة١٩٧٩م، وسبب خلوتى هى رؤية سيد الوجود صلى الله عليه وسلم، وقال لىَّ داوى روحك ونفسك بخلوتنا، حاول أن لايكون فى قلبك إلا الله ورسوله، كما قال لىَّ عليه الصلاة والسلام اعتزل الناس إلى أن نأمرك بالخروج، وبالفعل اعتزلت الناس.

وظللت فى الخلوة حتى جاء الأمر والأذن، جاء الرسول صلى الله عليه وسلم فى رؤية، وأخبرنى بأن أنهى خلوتى، وقال لىَّ:" المسلم من سَلِمَ المسلمون من لسانه ويده، فسلمت وسلموا منك"، كما قال لىَّ الرسول عليه الصلاة والسلام: "جدد الساحة والمضيفة"، وخرجت بعد هذه الرؤية من خلوتى سنة١٩٧٩م، وبدأت فى مقابلة زوارى".

وعن العصبة الهاشمية يقول الإمام العربى:"من حوالى سنتين تقريباً رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المنام ومعه السيدة فاطمة الزهراء، وسيدنا الإمام الحسين، وسيدنا أبو بكر، وسيدنا عمر، ورفع الرسول صلى الله عليه وسلم يديه الشريفتين إلى السماء، وقال:" اللهم تهلك هذه العصابة لن تُعبد فى الأرض"، وقلت له يارسول الله نطمع أن نكون تحت لوائك يوم القيامة، وأنت الشفيع لنا، فقال لىَّ: " أنت من محبينا، وفى عصبتنا الهاشمية، وعصبتى كل من قال لا إله إلا الله محمد رسول الله".

يستطرد الإمام: " انتبهت من المنام مسروراً، وحدَّثت بعض الأحباب بهذه الرؤيا، قالوا كلنا نتبرك بتبعيتنا للعصبة الهاشمية، ومنذ ذلك التاريخ وجدت عبارة العصبة الهاشمية، ودخول العصبة الهاشمية كان بلا شروط، ولاقيود، ولكن كان استحباباً وتبركاً، وأبناء العصبة الهاشمية لايدينون لىَّ، ولكنهم يدينون بالولاء لله ورسوله، ومن لم يدن لله ورسوله ليس منا، وممكن لأى شخص مسلم الانضمام إليها محبة فى رسول الله صلى الله عليه وسلم، حيث أنها منسوبة لرسول الله صلى الله عليه وسلم".

وعن اهتمامات العصبة الهاشمية يقول الإمام العربى:"وتهتم العصبة الهاشمية بتقوية الروح، ومحاربة الشوائب التى فى داخل النفس الأمارة بالسوء، وإعمال العقل لكونه موهبة من الله ، وكل أفكار العصبة تتعلق بحب الله ورسوله، وما اجتمعت عليه الأمة الإسلامية خلفاً ، وسلفاً، وشعارها الحمد والتكبير".

وفى ذلك ينشأ صاحب السيرة قائلاً[1]:

بشرى لاتباع قد قاموا رفعوا الرايات*وشعارالعصبة تكبيروالحمد رعود

وعن عقيدته وأفكاره يقول الإمام العربى: "أنا مؤمن بالنبى صلى الله عليه وسلم، وموحد بالله سبحانه وتعالى، الله موجود ومتصرف، وليس له شريك، وليس له فى الملك شريك، والذى خلق السموات والأرض القادر على أن يخلق مثلهم، وهو الخلاق العليم الرزاق ذو القوة،{قل هو الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد}، ولم يكن له صاحبة، ولا ولد، ولا متصرف فى الكون إلا الله، هو الواحد الأزلى المعبود المتفرد بوحدانيته وقدرته، لاتأخذه سنة ولانوم له ما فى السموات وما فى الأرض، وهو العزيز الحكيم. والله سبحانه وتعالى لم يكن محتاجاً لخلق السموات والأرض، فخلقه لهما لم يزده شيئاً، وعدم خلقهما لم ينقصه شيئاً، فهو الخالق والمنظم، لاتصريف فى شئون الله، بل الله سبحانه وتعالى يتصرف فى ملكه كيف يشاء، لايشرك أحد، ولايعينه أحد، ولايطلب المعونة من أحد، بل هو أحد، إنه فرد صمد قيوم السموات والأرض"[2].

ومن هذا المنطلق العقائدى، يرفض الإمام العربى ما ادعاه البعض بأن أفكار العصبة الهاشمية تقوم على أن الله سبحانه وتعالى انتهت مأموريته بخلقه السموات والأرض، وأنه ترك مهمة تصريف الأمر فى الأرض للأنبياء، ولمن بعدهم من الصحابة، ثم أولياء الله.

ويستطرد الإمام العربى في طرح عقيدته:"النبى رسول من الله للأمم، مخلوقٌ عابدٌ، عَبْدٌ، {سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ}[3]، الرسول عبدٌ أول العابدين. وأن الرسول مخلوق، خلقه الله سبحانه وتعالى رحمة منه للعباد، فجاء بالحديث، والسنة المطهرة، وناول التنزيل المنزل من رب العالمين، نزل به الروح الأمين سيدنا جبريل على قلب رسول الله الكريم؛ ليهدى الله به الخلق،

---

[1]) العارف بالله تعالى الحاج أحمد أبو الحسن ، ديوانه (بساتين الجنات فى المدائح والصلوات على سيد السادات) ، مطبعة دار إحياء الكتب العربية ، فيصل عيسى البابى الحلبى ، القاهرة ، قصيدة بعنوان (الخوف والرجاء فى ساحات العطاء)، ص١٩ .

[2]) أقواله فى التحقيقات سالفة الإشارة .

[3]) الإسراء : ١ .

ويخرجهم من الظلمات إلى النور. والرسول عليه الصلاة والسلام تختلف بشريته عنا، بحيث أنها بشرية شفافة، لطيفة، والرسول رحمة الله المهداة. فالرسول عليه الصلاة والسلام هو المبشر، والنذير، وهو حى بيننا فى أعماله، وحى فى قبره، وحى فى قوله، وفعله".

وعن فكرة المهدى المنتظر- يقول الإمام العربى: "إن كان الفقهاء يقررون أن هناك مهدى منتظر آخر الزمان فإن ذلك لا يخصنى فى التوحيد، بل توحيدى لا إله إلا الله محمد رسول الله، وإقامة الصلاة، وتقاة الله، وفعل ما استطعت من خير، أما إشارة بعض الأصابع إلىَّ بأنى المهدى المنتظر فهو عبث لا أرضاه"[١].

أنجب الإمام العربى ثلاثة أولاد: أولهم - السيد/ أحمد العفيفى المشهور بالسيد أحمد الفاتح، وهو شريف مهاب، ورث أباه فى الكرم والفتوة، أتمَّ تعليمه الأزهرى، وسجَّلَ لنيل درجة الماجستيرفى العلوم الأزهرية، والثانى- السيد/ على البدرى (رحمة الله عليه) صاحب السريرة النقية، والأحوال الفتية، مجمع الأحباب، الآخذ بالألباب، والثالث- السيد/ أحمد البدوى ذو القلب الحنون، مأوى الفقراء، ونصير الضعفاء، القائم على ساحة الإمام على بالكلح، ومعمرها.

كما أنجب الإمام سبعة من السيدات الشريفات، وهم على التوالى: السيدة/ صفية، والسيدة/ منتهى، والسيدة/ خديجة الكبرى، والسيدة/ الزهراء، والسيدة/ آمنة، والسيدة/ كريمة، والسيدة/ زينب، رضى اللهم عنهم أجمعين، ونفعنا الله بهم، آمين.

انتقل مولانا الإمام محمد أبو الفتوح العربى (رضى الله عنه) إلى الرفيق الأعلى فى ظهيرة يوم الأربعاء السادس والعشرين من شهر صفر للعام الألف والأربعمائة والخمسة الهجرى (١٤٠٥هـ)، الحادى والعشرين من شهر نوفمبر للعام الألف والتسعمائة والثمانين وأربعة الميلادى (٢١/ ١١/١٩٨٤م)، ودفن بضريحه الملحق بمسجد الإمام على بالكلح شرق (كلح المفالسة) فى يوم الخميس التالى لوفاته.

محمدنا العربى ما جاء قبله *** يتيمة عقد قد خفت فى الهوية

---

[١]) أقوال الإمام العربى بتحقيقات النيابة سالفة الإشارة .

اتصال الشيخ بالإمام العربى: **يقول صاحب السيرة: " كنت كلما مررت وأنا فى طريقى من بلدتى إلى الساحة الرضوانية، أرى رسول الله صلى الله عليه وسلم يشير إلى قرية الكلح، وتتكرر الرؤية ذهاباً وإياباً، فأدركت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يرشدنى إلى هذه القرية.**

انتبه نظر الشيخ، وجأشت نفسه إلى قرية الكلح، وراح يستطلع أمرها، فعرف أنها قرية لا يُعبأ بها متاخمة للشاطئ الشرقى لنهر النيل، تسمى الكلح شرق (المفالسة) شمال مدينة أدفو بأسوان. ويقطن بها رجل صالح من أهل الله يدعى بالشيخ العربى، يعيش مع أسرته فى منزل بسيط، ألحق به ساحة صغيرة لاستقبال ضيوفه وزائريه، وقد أُطلق عليها ساحة الشيخ العربى.

دُكَ الطور، وزال ما غشاه من الديجور، فالآن حصحص الحق، وحنَّت جوارحه إلى المكان، وحَنِفَ قلبه إلى السُكان، فكان بينهما ما كان، وشعر بدُفء القرب من المشار إليه، واعجباه!!! وأكرِم برجل يشير إليه رسول الله صلى الله عليه وسم ، ويدلل عليه !!! إنها الهداية والكرامة، إنه الخبير الذى مابرحت أسأل به ربى.

ويروى عن الشيخ، أنه بينما كان نائماً فى عيادة طبيب عيون بأسوان مرافقاً لعمته المريضة رأى النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ فسأله الشيخ عن صحة بعض الأحاديث النبوية، وأجابه صلى الله عليه وسلم عنها، ثم قال له الشيخ بأبى أنت وأمى يارسول الله متى الفتح؟ فأومأ صلى الله عليه وسلم براحته الشريفة مشيراً إلى قرية الكلح، فانطوى الزمان والمكان، ورأى الشيخ دار الإمام العربى مفتوحاً على مصراعيه، ويقف على باب الدار الرسول المختار، وبجواره الشيخ العربى، ويقف من خلفهما جمع من الصحابة، وكانا فى زى واحد، فاشتبه الأمر عليه أيهما الرسول؟، وهنا أبدى الإمام العربى بإيماءة إلى الشيخ أشار فيها إلى الرسول صلى الله عليه وسلم فميَّزه وعرفه. وفى ذلك يقول الشيخ: "لم يُعَرِفَنى أحد بشيخى، بل عرفنى به سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وساقنى إليه"[1].

---

[1]) الشيخ جابر عبد المنعم ، ربيب الساحة العلوية وخادمها ، فى مقدمته لديوان بعنوان : (الأكسير فى التخميس والتشطير فى مدح طه البشير) للعارف بالله تعالى الحاج أحمد أبو الحسن ، ص ٢٧ ، ٢٨ .

وعن أول لقاء مع الإمام العربى، يشير الشيخ إلى قوله تعالى:{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ}[1]، ولم يقل الله عز وجل (كونوا من الصادقين)[2]، فهذا دليل أن نكون مع الصادقين، صفوة اختارها الله واصطفاها، وهى التى يؤخذ عنها من أقوالها وأفعالها السير القويم؛ لتبصرها بالعبودية، ولما كانت هذه الآية كنت أبحث حتى أجد منْ يملك تلك القدرات. ويقول العارف بالله تعالى الحاج أحمد محمد رضوان فى تأويل هذه الآية: "هذا أمر على سبيل الوجوب أن تبحث عن الصادقين المخلصين العارفين بربهم، العاملين بأحكامه وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم وتكون معهم أيها العبد المريد لربك"[3].

وكان الشيخ على عقيدة ثابتة، ومعرفة جازمة بوجود رجل من هؤلاء الصادقين فى كل عصر وأوان، ويقول: لو انقطع مثل هذا الرجل عن الأرض لأنطفأ سراج الهداية، فهو المجدد للدعوة، وعَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- قَالَ « إِنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ لِهَذِهِ الأُمَّةِ عَلَى رَأْسِ كُلِّ مِائَةِ سَنَةٍ مَنْ يُجَدِّدُ لَهَا دِينَهَا »[4].

ويستطرد الشيخ قائلاً: والتقيت على عارفين بالله على بصيرة[5]، وذهبت لألتقى الشيخ محمد أبو الفتوح العربى، وزرت ساحته، دون أن أقابله، وتكررت زيارتى إلى الساحة مرات ومرات، وفى إحدى زياراتى نهرنى قائلاً لى:"محمد العربى يطير ورا الصالحين وطار وراك" فانتابنى الخوف، والقلق، وشعرت ساعتها بأن رأسى قد فتحت، وخرج منها هواء، ولكن سرعان ما أردف الإمام العربى لى بقوله: " ولمَّا طار وراك، عاتبوه أهل الحضرة، والآن أصبح وداده معك من وداد الله"، ففرحت بهذه البشرى".

---

[1]) التوبة :١١٩ .

[2]) جاء فى تفسير الطبرى للآية ١١٩ من سورة التوبة قال، حدثنا آدم العسقلاني قال، حدثنا شعبة، عن عمرو بن مرة قال: سمعت أبا عبيدة بن عبد الله بن مسعود يقول: قال ابن مسعود: إن الكذب لا يحلُّ منه جدٌّ ولا هزلٌ، اقرءوا إن شئتم) :يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَكُونُوا مِنَ الصَّادِقِينَ(، قال: وكذلك هي قراءة ابن مسعود):من الصادقين فهل ترون في الكذب رُخْصَة؟

[3]) محمد فؤاد شاكر ، " العارف بالله الشيخ أحمد رضوان ، حياته ، وآثاره ، ص٧٠ .

[4]) سنن أبى داوود ـ الملاحم حديث رقم ٤٢٩٣ . نقلاً عن : موسوعة الحديث الشريف ، مرجع سابق .

[5]) أقوال الشيخ فى تحقيقات نيابة أمن الدولة بتاريخ ١٩٨٢/٧/٣٠ م ، فى قضية العصبة الهاشمية ، غير منشورة .

وعلى صعيد متصل يقول الشيخ: "سبق أن رأيت خليل الله إبراهيم فى عالم الرؤية، إذ وجدت سيدنا إبراهيم قابض علي يدىَّ عند بيت الله الحرام، وألقى علىَّ قوله تعالى: {وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ}[١]، ورؤيتى لخليل الله صادقة، وعَنْ أَبِى سَعِيدٍ الْخُدْرِىِّ أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - يَقُولُ « الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ جُزْءٌ مِنْ سِتَّةٍ وَأَرْبَعِينَ جُزْءًا مِنَ النُّبُوَّةِ»[٢].

ويستدرك الشيخ: " بعد هذه الرؤية توجهت لزيارة الإمام العربى فى ساحته، فكشف لىَّ عن كرامة صريحة؛ إذ أخرج إلىَّ المصحف من خلوته، مشيراً إلى موضع الآية التى ألقاها علىَّ خليل الله إبراهيم فى الرؤية، فلن أقارن بينه وبين الخليل، وإن وضح الدليل، وكان من أولياء الله الصالحين، فحكَّمت فيه عقلى، ولم ارتض فيه إلا بالمنطق". وعندما شاهدته رأيته بذات الهيئة التى كنت أشاهده بها فى عالم الرؤيا، وتحادثت معه فى علم التوحيد مع التنزيه بعبارات منطقية عادية إلى أن شاء الله"[٣].

وعن كرامات الإمام العربى يقول الشيخ: " لقد خص الله الشيخ العربى بكرامة عزيزة يشهد لها جميع الأحباب، حتى تلَقَّبَ بها، فهو "سابق الياء"، بمعنى أن الله يجيب دعوة الداعى به، قبل أن يتم دعاءه؛ تكريماً وتأييداً، وعَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - « إِنَّ اللَّهَ قَالَ مَنْ عَادَى لِى وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَىَّ عَبْدِى بِشَىْءٍ أَحَبَّ إِلَىَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِى يَتَقَرَّبُ إِلَىَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِى يَسْمَعُ بِهِ ، وَبَصَرَهُ الَّذِى يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِى يَبْطُشُ بِهَا وَرِجْلَهُ الَّتِى يَمْشِى بِهَا، وَإِنْ سَأَلَنِى لأُعْطِيَنَّهُ، وَلَئِنِ اسْتَعَاذَنِى لأُعِيذَنَّهُ، وَمَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَىْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ تَرَدُّدِى عَنْ نَفْسِ الْمُؤْمِنِ ، يَكْرَهُ الْمَوْتَ وَأَنَا أَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ »[٤].

---

[١]) الحج : ٢٧ .

[٢]) صحيح البخارى ، التعبير ، حديث رقم ٦٩٨٩ . نقلاً عن : موسوعة الحديث الشريف ، مرجع سابق .

[٣]) من أقوال العارف بالله تعالى الحاج أحمد أبو الحسن فى تحقيقات النيابة ، فى قضية العصبة الهاشمية ، سالف الإشارة إليها .

[٤]) صحيح البخارى ، الرقاق ، حديث رقم ٦٥٠٢ . نقلاً عن : موسوعة الحديث الشريف ، وزارة الأوقاف ، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ، مرجع سابق .

وهذه الكرامة من خصوصيات الشيخ العربى، التى منَّ الله بها عليه، وقد شهد الكثير من الأحباب بهذه الكرامة فى حياة الشيخ، أو بعد انتقاله، فلا يستجير به مضطر إلا وأجير تواً، من قبل أن يكمل ياء النداء، فهو سابق الياء، وينشأ الشيخ قائلاً[1]:

ياسابق للياء يامدرك للطالب * فاغث خديماً ياسلالة غالب

ويضيف الشيخ: " دعا لىَّ الشيخ العربى بأن يفتح الله علىَّ، وأن يلهمنى الحجة عند وقتها، وقد استجاب الله لدعائه فأصبحت استطيع التحدث بمنطق الإسلام، دون أن أتعلم، فأنا إنسان عمى، لا أقرأ ولا أكتب، وأتعامل فى الأسواق، ورغم ذلك ألهمنى الله التعامل بالنص القرآنى الشريف، أنا أنظم الأذكار باللغة العربية الصحيحة، أما النصوص كالأحاديث فقد تعلمتها بالسمع إذا ذُكِرَت مرة واحدة، وأما الأحكام فتأتى بفيض السنة مع النص، فأنا اتحدث أكثر من ثمانية عشرة ساعة، ولا أدرى ما اتحدثه وإن وعيته حسا"[2].

ويجمل الشيخ القول فى كرامات الإمام العربى قائلاً: "من أراد أن يثبت كرامة للإمام العربى، فأنا كرامة من كراماته"، وينظم قائلاً[3]:

لولا المربى ما هُديت رشاد * فهو الذى للمكرمات أشاد

وعن إرثه من شيخه ـ يقول الشيخ:" لقد أخذت عن الإمام العربى كل شيئ"، حدث ذلك حال مرض الإمام الأخير بالقاهرة، فعندما قَدِمَ الشيخ لعيادته تهلل وجه الإمام العربى، ووضع يده فى يده وقال: جئت يا أحمد؟. يقول الشيخ: فى تلك اللحظة انتقل بنا المكان من منزل الدكتور/ فاروق القاضى بالقاهرة إلى جبل قاف، وأعطانى الإمام كل شيئ كان فيه، واستخلفنى على أمانات كى أؤديها لأهلها.

---

[1]) مولانا العارف بالله تعالى الحاج أحمد أبو الحسن ، ديوانه " بساتين الجنات فى المدائح والصلوات على سيد السادات " ، قصيدة قصيرة بعنوان (سرعة الإجابة لسبق ياء الندا) ، ص١٩٦ .

[2]) من أقوال الشيخ بتحقيقات النيابة سالفة الإشارة .

[3]) العارف بالله الحاج أحمد أبو الحسن ، ديوانه (اللطائف السنية فى مولد خير البرية) ، قصيدة بعنوان : "شكر اليد التى عنها المد" ، ص١٠١ ،ـ ١٠٤ ، وذات البيت ورد فى ديوانه (بساتين الجنات فى المدائح والصلوات على سيد السادات) ، قصيدة بعنوان :" السند الذى عنه المدد" ، ص ٦١ ، ٦٢ .

وفى رثاء الإمام العربى - يندب الشيخ شيخه بقصيدة طويلة جاء فيها[1]:

يانفس هل رمت فى علم الهدى جلدا*وهل لك بعده حرص على أحد**
وهل لك سلوة فى طول غيبته * وهل تلوذ بغير السيد السند**
أجابت النفس والحسرات منطقها * تقول لاصبر لى فالصبر قد نفد**
عليك يبكى كتاب الله فى حزن * وسنة المصطفى والخير والرشد**
عليك تبكى المروءة يابن فاطمة * وكذا الشجاعة بعدك عزمها شرد**
أهان ياإخوتى أن تدفنوا قمرا * وهل رضيتم له فى الروض إن رقد**
أهان عليكم ان تهيلوا على الهدى * ولاتروا حقى فيه ياليتنى الفدا**
ألا فاعذرونى يالحر مصيبتى * إذا قد أصابت من أولى العزم أقعد**

وقد عبَّرَ الشيخ من خلال رثائه عن مدى حزنه على فراق شيخه الإمام العربى، ذلك الحزن الذى عشش فى قلبه حتى أدماه، ومابرح يخيم على حياته حتى أودى بها، لحوقاً بشيخه فى الرفيق الأعلى.

نكتفى بهذا القدر، ويبقى لنا استعراض مقتطفات من علوم الإمام العربى ومعارفه، وذلك من خلال المبحث التالى:

---

[1]) أبيات منتخبة من قصيدة رثاء طويلة مكونة من (٥٧) بيت ، نظمها الشيخ ندباً على وفاة شيخه الإمام العربى ، وقد ضمن الشيخ فى هذه القصيدة ملامح سيرة الإمام العربى ، وما اختص به من أوصاف ، وأحوال ، ومقامات وكرامات ، ومعارف .

المبحث الثانى

علوم الإمام العربى، ومعارفه

لئن كان ما تقدم يمثل نبذة من سيرته، وما أبداه للسطر والنقل من عقيدته، وإشارة إلى كراماته، فإن مكنون علم الإمام العربى وجوهر معرفته، هو من مكبوتات قلبه التى صانها، فلم يُطْلِع عليها أحدا، أو يطرحها عامة، إلا - على حد قول الإمام - أن يفتح الله القلب، فيتنفس، وينطلق اللسان، ويترجم ببعض القطرات القلبية.

وقد وفقنى الله فى اقتناء نسخة من كتيب نادر بعنوان" تبرك ودعاء"[1]، أملاه الإمام فى بداياته، وتم طباعته فى حينه، وقد خلت صفحات الكتيب من فواصل أو فقرات أو علامات ترقيم، فجهدت طويلاً فى ترقيم بعضها، وتجزئتها إلى جمل وفقرات؛ استرواحاً للمبانى، وتقريباً للمعانى، وتمهيداً لهضم فحواها، لكن هيهات هيهات!! وأنَّى للمرء بلوغ المراد، فها هو وابل المعرفة منهمر بلا انقطاع، والقطع بين تسلسله قد يذهب الانتفاع، وتنميق الكلمات إلى جمل وفقرات قد يودى بالمقاصد، وتذهب نفسك معه حسرات، فهلموا عليه بقلوبكم، واغتنموا منه ببصائركم، بقصد التبرك والدعاء لا الرفعة والاعتلاء. وبالطبع، فإن هذه العلوم والمعارف أَجَلَّ من أن يتناولها مثلى - تعليقاً، أو تأويلاً - فهى لآلئ مكنونة فى صدفاتها، فآثرت السلامة، وكففت أيدى عن أية تعليقات، أوتبياناً، عصمة لنفسى أن تقع فى الجريرة، وفى المأثور:" فى الجريرة تشترك العشيرة"، فقدمته إليك - عزيزى القارئ - منسوخاً طبقاً للمكتوب، وَرُبَّ مُبَلَّغٍ أَوْعَى من سَامِعٍ.

وهآؤم الفيض الربانى مترادف، والمعرفة الإلهيَّة متجسدة فى قول ختم كل ولى، وإمام كل عالم وتقى، يقول الإمام العربى:

" أما بعد...من مكبوتات قلب العبد الفقير عندما فتح الله القلب تنفس، فنطق اللسان، فترجم ببعض القطرات القلبية، فسبحان واهب العطايا

---

[1]) محمد العربى ، كتيب " تبرك ودعاء " ، وقد تحصل الباحث على نسخة مطبوعة طباعة بدائية بمكتبة صغيرة بكوم أمبو ، باسم مكتبة يوسف جعلوص ، وقد تم غلق هذه المكتبة منذ زمن طويل ، وهذه النسخة هى التى اعتمد عليها الباحث فى النسخ فى هذا المبحث .

والمنن، وذلك رحمة بهم من الهلاك. بسم الله الرحمن الرحيم {نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ}[1] رحيم بشرف جلال وجه الله الكريم وأشرقت الأرض بنور ربها ووضع الكتاب فى الموضع الحقيقى بيد القدرة الإلهية الواحدة الأحدية فى قلب حضرة الذات المحمدية {نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ} تنزيل من لدن عزيز حكيم على أصل الأصول ومصدر الكائنات وجابر كل قلب مكسور{حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ }[2]. مولانا الحبيب المحبوب الكوكب الدرى صراط الحق المستقيم وهو الهادى بإذن ربه وسراجاً منيرا فهو سراج الحق المنير وسر أسرار الغيوب سيدنا ومولانا سيد العالمين حبيبنا الأعظم والواسطة الكبرى والوسيلة العظمى ومصدر الحقائق من بدء الزمان إلى الغاية فى مقعد صدق عند مليك مقتدر شيخ الأنبياء وأستاذ المرسلين ومربى المؤمنين والموحدين بمواهب الاجتباء من رب العالمين ونور الهداية ومطهرهم بآيات الله الكريم ومزكيهم ومعلمهم الكتاب والحكمة كما قال. طلب ذلك أبيه خليل الرحمن إبراهيم عليه السلام تفضلاً من خيرته الصمدانية المقدسة القدسية مصدر جميع الحقائق الإلهية بجميع المحامد المحمودية الربانية خلق وخليق وخلق إنسانية بدقة الإخلاص الخصوصية بجميع القيم الخلقية الإيمانية الحنيفية بنور اليقين بضياء شمس الذات الأصلية خلق محمدية إلهية صلى الله عليه وسلم فهو مصدر الخير كله فى جميع الأولين والآخرين وهو مصدر الأنبياء والمرسلين وعقدهم الأعظم المأخوذ له العهد عليهم أجمعين وممد جميع المؤمنين الموحدين العارفين بالله حق من أهل السموات وأهل الأرض تبياناً لكل شيئ وتفصيلاً لكل شيئ القرآن الكريم صلى الله عليه وسلم . كيف لا وقد جعله الحق سبحانه وتعالى بين يدى قدرته وتجلى عليه بكمال التجليات الربانية فهذه أخلاق الله سبحانه وتعالى جل شأنه التى حلاه بها فلما جلاه بها. قال {وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ}[3]، {وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ}[4] خلقه ونطقه القرآن الحكيم صلوات الله تعالى وسلامه عليه. نبينا المحبوب صاحب الجاه العظيم من أرسله ربه رحمة

---

[1]) فصلت : ٣٢ .
[2]) التوبة : ١٢٨ .
[3]) القلم : ٤ .
[4]) النجم : ٣ .

للعالمين{حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ}[1] فى الدنيا وفى الآخرة، من عالم النور وإلى عالم العقل، وعالم الأرواح فى ساحة الفتاح، وعلى ظهور التجليات الإلهية القدسية جاذباً محل مجذوب بأنوار الاجتباء، وهادياً لكل منيب، قانتاً لله بأنوار الشرايع السماوية من لدن آدم إلى يوم الدين، فهو حقيقة كل شيئ، فمن الأول تحققت جميع الحقائق من حقيقة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، فهو سيد العالمين، ما من ملك ولانبى ولارسول ولا ولى من أهل السموات وأهل الاراضين إلا هو صلى الله عليه وسلم حريص عليهم رؤوف بهم رحيم لهم حريص أمين صادق الوعد حريص حفيظ سيد وحصور وشجاع ومهيمن فى جميع العالمين على العالمين للعالمين من عالم الغيب والشهادة بجميع المواهب والمنن والعطايا التى وهبها الحق سبحانه وتعالى لجميع إخوانه الأنبياء والمرسلين والأولياء والصالحين من أهل السموات وأهل الأرضين، مهيمن لهم بها وحريص عليها لهم ، وما من مطلب يطلبونه من حضرته صلى الله عليه وسلم فى الدنيا وفى الآخرة إلا وهو ضامنه لهم أمين عليه قيوم بواجباته التى اختصه بها سبحانه وتعالى الحق جعلها من خصائصه حريص عليهم بالمؤمنين رؤوف رحيم .

بسم الله الرحمن الرحيم ، جهلكم وعنادكم والمكابرة يا أهل الأرض يعزعلى الحبيب الأعظم حيث أنه رجل منكم ومن أنفسكم رسول الله رحمة للعالمين وداعياً إلى سبيل الحق بالحكمة لجميع المواعظ الحقيقية المتقنة بدقائق الإتقان وربائب الإخلاص الموهوبة من الحضرة العلية إلى الحضرة الآدمية الإنسانية الجوهرية المصطفوية المحمدية المهيمن بدين الحق جميع العالمين معصوم بسلطان الحضرة الربانية عصمة إلهية أحدية ذاتية يتيم فى مقامه صلى الله عليه وسلم لايشاركه ملك مقرب ولا نبى ولارسول ولاتجرأ ثمة أحد هذا المقام السامى الأسمى لم يكن لأحد غيره صلى الله عليه وسلم. وجميع الأنبياء والمرسلين والصديقين والشهداء والصالحين ـ من بدء الخليقة العالمية إلى منتهاها فى الحظيرة الربانية بتمام المنتهى فى حكم قضاء الحق الحكم العدل سبحانه وتعالى جل شأنه ـ عليهم الصلاة والسلام يعلمون بنور اليقين وعارفين بالله تمام المعرفة أن مولانا وسيدنا محمد بن

[1]) التوبة :١٢٨ .

عبد الله مصدر لكل حقيقة فى هذا الوجود ومصدر لكل آية وحكمة وأنه عليه أفضل الصلاة والسلام مصدر لكل نعمة فى بواطن الآيات والحكم باطنية وظاهرية إذ وصفه ربه {وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ}[1]صلى الله عليه وسلم. وأنه أكرم الخلق على الله تعالى صلى الله عليه وسلم، فلا ينظرون عليهم الصلاة والسلام إلى مقام حضرته صلى الله عليه وسلم حياءً منه وتوقيراً وتعظيماً له ولايطلبون من الله مقاماً كمقام حضرته صلى الله عليه وسلم بل ينظرون إلى حضرته بشوق واهتمام وحب من أعماق قلوبهم إذ أنهم صلوات الله عليهم متأدبين مع حضرته صلى الله عليه وسلم بخلاصة إخلاص الأدب الربانى النزيه المنزه المخلص لأنهم فى عباد الله المخلِصين المخلَصين بعناية عين الله سبحانه وتعالى عليهم الصلاة والسلام يعرفونه حق المعرفة ويقربون إليه بحقيقة القرب والدنو الأعلى ويؤمنون به صلى الله عليه وسلم بحقيقة الإيمان ومتمسكين بسنته وشريعته فى جميع الأمم وقد أُرسِلوا فيها بإذن الله تعالى منذرين ومبشرين بحضرته صلى الله عليه وسلم فى جميع الأمم عليهم الصلاة والسلام فكل نبى مرسل فى كل من الأمم فى جميع القرون عليهم الصلاة والسلام يُعلِمُون جميع الأقوام والأمم بحضرته صلى الله عليهم وسلم وشريعته وسنته أنه لا إله إلا الله محمد رسول الله كل نبى ورسول يخبر أمته بذلك عليه وعليهم الصلاة والسلام . ويُعلِمُون أقوامهم بالتعريف الكامل لحضرته أنه سيد العالمين والأولين والآخرين محمد بن عبد الله نبى آخر الزمان رسول الله رب العالمين سيظهره الله فى الزمن المناسب لحضرته صلى الله عليه وسلم إن شاء الله تعالى جل شأنه تبارك سبحانه وتعالى .... يعلمون جميع الأمم وينادون بإذن الله مهللين ومكبرين باسم حضرته بالتوحيد الجامع إلى الحضرة العلية أنه لا إله إلا الله محمد رسول الله منْ أرسله ربه رحمة للعالمين{حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ}[2]. فهو صراط الحق المستقيم، وهو السراج المنير المهيمن بدين الحق فى أسرار الوجود، والكوكب الدرى المضيئ بنور الله فى جميع الكائنات، ومصدر جميع الأفلاك، ومضيئ لجميع العوالم، وسراجاً منيرا من الحضرة العلية الربانية الإلهية الأحدية عليه

---

[1]) الأنبياء : ١٠٧ .
[2]) التوبة : ١٢٨ .

أفضل الصلاة والسلام، نبى الرحمة. فهو الكوكب الدرى المضيئ لعالم العقول ومدير لأفلاكها، ومضيئ لعالم الأرواح ومدير لأفلاكها، ومضيئ لعالم القلوب ومدير لأفلاكها، ومضيئ لعالم الأنوار ومدير لأفلاكها، ومضيئ لعالم الأسرار ومدير لأفلاكها، ومضيئ لعالم البصائر ومدير لأفلاكها، ومضيئ لعالم الإلهامات ومدير لأفلاكها، ومضيئ لعالم الإدراكات ومدير لأفلاكها، ومضيئ لعالم الأشواق ومدير لأفلاكها صلى الله عليه وسلم . وهو الكوكب الدرى والسراج المنير بدين الحق القويم مهيمن بأصل الأصول ومنبع الحقائق من حضرته صلى الله عليه وسلم، وهو الكوكب الدرى المهيمن فى العالمين بضوء شمس الذات الأصلية الأحدية، ومضيئ لعالم الحب ومدير لأفلاكها، ومضيئ لجميع عوالم المبانى الحقيقية ومدير لأفلاكها، ومضيئ لجميع عوالم الحس ومدير لأفلاكها، ومضيئ لجميع خوارق العادات الإلهية ومدير لأفلاكها ومشاهد الكل تحقيقها، الكوكب الدرى المضيئ لعوالم المواهب والعطايا الربانية ومدير لأفلاكها، ومضيئ لجنود السماء والأرض ومدير لأفلاكهم. وهو الكوكب الدرى المضيئ لعلم الله المكنون ومدير لأفلاكه، ومضيئ لأهل الجذب المنعرج ومدير لأفلاكهم، ومضيئ لعالم الجنة ونعيمها المقيم ومدير لأفلاكها، ومضيئ لأسرار العالمين ومدير لأفلاكها، وهو الكوكب الدرى والسراج المنير لدين الحق المضيئ لأسرار دقة دقائق تلاويح تلويح القرآن الكريم ومدير لأفلاكه، ومضيئ لأهل الاستغراق فى حضرة الخلاق ومدير لأفلاكهم، ومضيئ لعالم الفكر من أفق إلى أفق ومن حياز إلى حياز ومدير لأفلاكهم، ومضيئ لعالم الذكر الحكيم ومدير لأفلاكهم، ومضيئ لعالم السيرومدير لأفلاكهم، ومضيئ لعالم السلك ومدير لأفلاكهم، ومضيئ لعالم التحقيق ومدير لأفلاكهم، ومضيئ لعالم القرب ومدير لأفلاكهم صلى الله عليه وسلم، ومضيئ لأسرار عالم الملكوت الشامل بدقة جميع الأسرار ومدير لأفلاكه، ومضيئ لأسرار العالم الأسمى السامى ومدير لأفلاكه.

وهو الكوكب الدرى والسراج المنير وصراط الحق المستقيم {بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ} صلى الله عليه وسلم، رؤوف مستمد الرأفة من إمدادات ومدد الرآفة الإلهية، فتمحى وتمحص جميع اللمم والذنوب والرجس الذى فعلوه مع الرؤوف بالمؤمنين فى الحكم المحكوم به عليهم فى المكابرة

والعناد والجهل والجحد والكفر فى الجاهلية، فرؤوف بهم إذا تابوا وآمنوا بحقيقة الإيمان. إن لكل شيئ حقيقة وأعظم نعمة فى الدنيا والآخرة هى حقيقة الإيمان بنور اليقين ولذة الشهود والمشاهدة للحق والمقام الأسمى، فهى أقصى الغايات والغاية القصوى وأعلى الدرجات ومنتهى الآمال، رحيم لهم يتقلبون فى رحمة رسول الله كما يتقلب التجلى الإلهى بجمال الوصول فى قلوب المحبين، حريص عليكم صلى الله عليه وسلم لاجئ إلى ربه فى مقام العبودية الحقيقية راجياً لكم من رب العالمين تكرماً من حضرته بمحض الفضل والهداية بمحبة الحبيب المحبوب صراط الحق المستقيم صلى الله عليه وسلم، حريص عليكم صلى الله عليه وسلم{إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَـٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ}[1] صلى الله عليه وسلم راجياً من ربه سبحانه وتعالى ولاجئاً إلى الحق جل شأنه مراقباً متراقباً جائراً حفيظاً وحافظاً وحريصاً على هداية الذين أراد الله سبحانه وتعالى لهم بالإيمان الحقيقى من الأزل فى علمه المكنون بالتخصيص الذى هو فى إرادته وقدرته جل شأنه سبحانه وتعالى سائلاً لحضرة ربه بكل الكمال والجلال الذاتى صلى الله عليه وسلم أن يتوب الله عليهم من قريب فيتوب رسول الله عليهم فتقبل، وتتجلى لهم ويتجلى لهم ربهم فيتوبوا، وتقبل توبتهم فيشربوا من بحر جوده سبحانه وتعالى يغذيهم بجميع نعمه جل شأنه الظاهرية والباطنية، ويسقيهم ماء غدقا فيستقيموا على طريق الحق جل وعلا، ويتبعوا النور الجاذب لهم الذى قد جذبهم من الأزل وهم قد جُذِبوا بضيائه إلى حضرته بتمام المعرفة بالله من العدم .

فهو صراط الحق المستقيم والكوكب الدرى العظيم الذى علاه نور من لدن آدم إلى عبد الله، وسراج دين الحق المضيئ المنير فى جميع أسرار العالمين فى كل الوجود صلى الله عليه وسلم، حريص عليكم مهيمن لكم على جميع المواهب والمنن والعطايا الكاملة الربانية صلى الله عليه وسلم، حريص عليكم ظاعناً بجميع المؤمنين الموحدين المتمسكين بنهج حضرته، وعلى نهجه سائرين سابحين فى ضياء كوكب ذاته الدرى عليه الصلاة والسلام ظاعناً على موجة الأسرار فى مركب الأشواق الإلهية الربانية، فيوم

[1]) الأنبياء : ١٠١ .

لهم فى ساحة الفتاح وحظيرة القدس، فاتح جميع الأبواب الإحسانية المغلقة وزاج به فى أصل الأصول، وهم فى ركابه على طور التجليات فى مركب الأشواق الحقيقية فى مشاهدة الحق فى المقام الأسمى الذى هو أرقى أرقى الدرجات وأعلاها، والدنو الأعلى الأجل، والغاية الكبرى بحقيقة عين وصل الوصل، وحقيقة عين قرب القرب الذى ليس بعده قرب بشدة الأشواق الإلهية الربانية المحمدية المصطفوية صلى الله عليه وسلم، {لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَىٰ}[1]فى علم الله المكنون صلى الله عليه وسلم. فهو أمين على علم النبوات بأسرارها ودقائقها من عالم الغيب والشهادة هو الرحمن الرحيم بحبيبه ومحبوبه صلى الله عليه وسلم {بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ }[2]، رأفته جذبت خيرة أشجع الأقوام والأمم والجيوش الحق العالمتية المصطفوية الإلهية الربانية لله الواحد القهار صلى الله عليه وسلم، وأشجع الرجال صلى الله عليه وسلم{بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ} رأفته جذبت أشجع الرجال، وجذبت كل سيف بتار سيداً فى قومه عزيزاً مهاباً موقراً بكل الآداب، ينصر قومه فى كل كرب أوضيق، تحزن عليه جميع الناس إذا فقدوه أو سقط أو غاب، "خِيَارُكُمْ فِى الْجَاهِلِيَّةِ خِيَارُكُمْ فِى الإِسْلاَمِ"[3] صلى الله عليه وسلم، ورحمته فككت قيود المقيدين المأسورين فى سجون المعاندين والمكابرين الطغاة الجاحدين الكافرين، الذين حقت كلمة العذاب عليهم بكفرهم وشدة عنادهم للحبيب الأعظم ورسول رب العالمين ونبى الرحمة صلى الله عليه وسلم. يعلم تمام العلم وعالِم ببصيرة عين الله الأحدية الذاتية المسلمين المؤمنين الموحدين اصطفاهم رب العالمين لحضرته سبحانه وتعالى جل شأنه أعطى حبيبه الخير كله صلى الله عليه وسلم بالمؤمنين رؤوف رحيم رحمته فكت أسر المأسورين، وقضت الدّين عن المدينين، وأطلقت سراح ورق العبيد المذلولين المعذبين فى سجون أهل الكفر المعاندين الجاحدين لسيد العالمين عليه الصلاة والسلام. يعرف بأصول المعرفة الحقيقية عليه الصلاة والسلام بعين أعيان البصائر الإلهية الربانية بكشف هو مصدر الحقائق والإلهامات

---

[1]) النجم : ١٨ .

[2]) التوبة : ١٢٨ .

[3]) ورد فى مسند أحمد ، مسند أبى هريرة ، حديث رقم ١٠٥٦٧- عَنْ عَمَّارٍ قَالَ سَمِعْتُ أَبَا هُرَيْرَةَ يَقُولُ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم- « خِيَارُكُمْ فِى الْجَاهِلِيَّةِ خِيَارُكُمْ فِى الإِسْلاَمِ إِذَا فَقِهُوا ». نقلاً عن : موسوعة الحديث الشريف ، مرجع سابق .

القدسية الصادرة لحضرته صلى الله عليه وسلم من الحضرة القدسية الربانية له، ومنبع المواهب والمنن والعطايا من سيادته لأهل خلاصته صلى الله عليه وسلم {بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ}. ورحمته أطلقت من ربقة اللمم كل مسجون مريض بالسوء والاستئام والسموية والمساومة والضلال، ومرض القلوب والصدر والجفاوة، ورحمته صلى الله عليه وسلم أبرأت الأبصار من الرمد، وجذبت القلوب من أعماق ظلام ومن أعماق الظلمات بعضها فوق بعض ظلمات مترادفة كثيرة، وجذبت الأرواح بإذن الله سبحانه من أمواج بحار الكفر أمواج كالجبال موج من فوقه موج صلى الله عليه وسلم أكرم خلق الله على الله{بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ} عليه أفضل الصلاة والسلام، صاحب اللواء المعقود، والمقام المحمود الذى لاينبغى لأحد سواه . رحمته جذبت القلوب من طبقات السحاب وسحب الدان ودخان قلوب الكفار المختم بأختام الظلام كالجبال، ورحمته جذبت الأنفس من تنجوم الشهدات وقذفتها قذفاً حقيقياً فى بحر المعرفة والغفران فطهرت من جميع الذنوب والآثام طهارة حقيقية لانجاسة بعدها أبداً، وسعادة أبدية لاشقاء بعدها أبداً، وعناية إلهية وأنوار قدسية لاطمس بعدها أبداً، فصارت على الصراط المستقيم، صراط الذين أنعم الله عليهم من النبيين والمرسلين والصديقين والشهداء والصالحين والأولياء والطيبين من المؤمنين {النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ}[1] {بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ } صلى الله عليه وسلم. من بحر جوده تتنزل الرحمات بدقتها بالفيض العميم نزلاً من لدن عزيز حكيم برحمته المستمدة من الرحمن الرحيم ورأفته من الرؤوف الكريم الجواد الرحيم، مدت بإمدادات الحق الموصل للتحقيق جميع المواهب والأذواق الربانية والمشاريب الصافية الرائقة المروقة بالصفاء الصافى أصفى الصافى البصائر فرأت مصدر المواهب ورضوان من الله أكبر، الذين جعلهم الحق أهلاً لنظره سبحانه وتعالى جل شأنه يعطى المعاطى والمواهب والخصوصيات لأهلها، وهم أهلاً لحضرته رضى الله عنهم أجمعين وخلع عليهم خلع الرضوان ورضى عنهم ورضوا عنه { أُولَـٰئِكَ هُمْ خَيْرُ

[1]) الأحزاب : ٦

الْبَرِيَّةِ}[1]سبحانه وتعالى جل شأنه ،{وَإِنَّ اللَّهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ}[2]. نبهكم وأرسل رسوله لكم صلى الله عليه وسلَّم يذكركم بالميثاق الذى أخذه عليكم واشترط على نفسه سبحانه وتعالى جل وعلا بالتمكين لكم من حضرته ويدفعكم إليه بقطرات من المحبة القدسية فلا سلطان عليكم غير سلطانه هو الكبير المتعال، اذكروا آلاء الله عليكم لا إله إلا الله آلائك يا الله، {وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ}[3]، فاذكروا نعمة الله عليكم، {وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا}[4] سبحانه وتعالى، {وَإِنَّ اللَّهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ} .

نبهكم وأرسل رسوله لكم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم والله بكم لرؤوف رحيم سبحانه وتعالى جل شأنه فرأفة رسول الله رأفة ربانية إلهية ورحمته رحمة حقيقية ربانية إلهية، فمنها صدرت الأرحام والتراحم والرحمات، ومن رحمته صدر العطف والحلم والعفو والرضا والرضوان والذوق والمذاق والأذواق والكاسات والمدامة والكأس والسلافة والشرب والمشروب المروق المصفصف والمصفانى أصفى التصافى لأعدا الأعادى ورؤوس العناد فجذبهم فشربوا وسكروا منها مرة أوجدوا فى البوادى وسلكوا فى الحب أعلى المراقى، وأداموا فى ترقى ففاضوا فى كل بحر للحب، وهاجوا، وخرقوا الصفوف والحجب، فجمعوا وجمعوا المدد قبض من إمدادات الواحد الصمد والقبض والبسط حليفهم فى قلوبهم الحب قد عقد بالأشواق عقدة لايحلها إلا النظر إلى وجهه تعالى الكريم، وهو مشاهدة الحق فى منتهى الكمال الكامل فى مقام العبودية الحقيقية للمعبود الأحد الحق المحقق لعباده كل الحقائق وموجد سبحانه وتعالى لكل ذرة فى جميع الموجودات مايلزمها ومستلزماتها ولزائمها وخصوصياتها وخصائصها فى تكوين كل شيئ ودخل فى تكوين كل شيئ ودخل فى تكوين الموجودات كل مايلزمها فى الدنيا وفى الآخرة .

فتكوين أهل الحق المحبوبين المحبين لله ولرسوله من الأزل فانطوى تكوينهم على جوهر ولؤلؤ مكنون على الفطرة الربانية فطرة الله فاطر

---

[1]) البينة : ٧ .
[2]) الحديد : ٩ .
[3]) النحل : ٥٣ .
[4]) النحل : ١٨ .

السموات والأرض سبحانه وتعالى، وهم دائماً فى شهود ومشاهدة للحق دائماً وأبداً مادام حب الله فى قلوب المؤمنين الراسخين فى العلم ما دامت السموات والأرض بدوام بقاء الحق سبحانه وتعالى، رضى الله عنهم أجمعين تمكنوا بالتمكين الكامل من الحق سبحانه وتعالى فى أعماق أصول أصل مصدر التمكين ومصدره فى عين أعيان حقيقة ذاته جل وعلا على طور الأطوار التجلى الذاتى الحقيقى فى الحظيرة القدسية متمكنين وبالحق تمكنوا بالتمكين الحقيقى فى عين أعيان الحق سبحانه وتعالى فى غليظ العهود والميثاق المأخوذ عليهم بالحق من الحق بحقيقة الإيمان وتحقيقه .

فاعلم يا أخى وفقك الله تعالى إن العهد والميثاق الذى أخذه الله تعالى جل شأنه فى غليظ العهود على جميع الأنبياء والمرسلين، وجميع أهل الحق المؤمنين بحقيقة الإيمان والتوحيد الذاتى الحقيقى لله الواحد الأحد من بدء الزمان إلى الغاية القصوى التى ليس بعدها خطوة فى جنة الشهود بتمتيع النظر فى سناء الحضرة العليا، بشدة الأشواق الإلهية الربانية المحمدية المصطفوية صلى الله عليه وسلم، بشدة الشهود الذوقى وجميع الأذواق والأسرار الإلهية، بعظمة جمال الشرب والشراب الصافى وجميع المشاريب القدسية وبحر الأحدية الذاتى وكل الخمور الربانية وجميع أنوار مكانة التمكين اليقينية الحقيقية بأصل أصول حقيقة عين أعيان اليقين فى لذاذة الخطاب فى الحضرة الربانية من الحضرة العلية فى الحضرة الربانية بحقيقة سر أسرار الحق الحقيقية فى سر أسرار سرائر عباد الحق المخلصين بالتخليص الربانى القدس الحقيقى الموهوب من الودود الجواد الواحد الأحد الحق الوهاب لأحبابه المحبوبين المخاطبين فى خاص خواص الخصوصيات والتخصيص بحقيقة إخلاص أرباب الإخلاص بعين أعيان عين الحق بحقيقة التمكين لسر أسرار حقيقة تحقيق حقائق أهل سر الحال، وأسرارهم، وقلوبهم مصدر الأسرار ومفاتيحها، وقلوبهم خزائن الأسرار الإلهية، وبصائرهم مهبط الرحمات ومعاريج عرج معاريج معراج الإلهامات القدسية الحقيقية الربانية، وأرواحهم مصدر العزائم والهمم الإلهية وخوارق العادات والنداءات الربانية وهواتف الحق الحقيقية القدسية الخمرية بالخمور والسكر المفرج والصحو والبقاء وسحائب فيوضات الفيض بالأمطار والطل والوابل والديم والندى الربانى وماء الغيب والمياه المعينية السلسبيلية فى

لذاذة الخطاب والنداءات الربانية لهم والخطب الإلهية ولذاذة الخطاب .... واسمع لذيذ خطابنا بلا أين ولاكيفية، سبحانه وتعالى خلق الأين وتنزه عن الأينية، وخلق الكيف وتنزه عن الكيفية، سبحانه وتعالى جل شأنه حجب عن البصائر كما حجب عن الأبصار، يدرك البصائر ولا تدركه الأبصار، سبحانه وتعالى جل شأنه فما كان عطاء ربك محذورا {ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا}[١]. إيمانهم مشاهدة يقينية إن الخطب الإلهية الذاتية والنداءات الربانية والوحى والإيحاءات والإلهامات القدسية والكشف المقدس الخاطف والكامل والذوق والأذواق والقرب والتقارب والمكنون والغيوب والكلام والأنس والمسامرة والتجلى والجمال والرؤية والنظر والدنو العلى الأجل والمشاهدة فى حضرة الشهود الربانية والمشاهدة للحق يقظة سبحانه وتعالى وبحد الإشارات وهو فاتق الحق من الحق فى سرائر رحمة الله المطلقة من عباد الله الصالحين والحركة فى السير بالتسيير المطلق الربانى والحركة والبركة بالقدرة الإلهية الأحدية الذاتية، والتقدم والمدد والوصول والتوصيل والوصال والدفع والهمم والخطف والحفظ والعناية والنصح والنصيحة والتراحم والرحمة والنفع والشئون والآمال والدفع والدفعة والمعالى والمواهب والعطايا والهدايا والهداية والجودة والكرم وخير الدنيا وخير الآخرة بأيديهم رضى الله عنهم أجمعين. اللهم ادخلنا برحمتك يارحمن يارحيم يا أرحم الراحمين ادخلنا برحمتك فى عبادك الصالحين، فى صميم تصميم التمكين، فى أعماق ذات ساحات منبع الكرم ومصدره وأصول الرضا والتكريم، واقذفنى قذفاً فى أرض أودية رحمات ساحات حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم صلى الله عليه وسلم بصلوات الحق سبحانه وتعالى حبيبه ومحبوبه حبيبه الأعظم {وَإِنَّ اللَّهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ} جل شأنه .

{النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ}[٢] {حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ} فرأفة رسول الله رأفة حقيقية مطلقة ورحمة رسول الله رحمة حقيقية مطلقة فرأفة رسول الله هى رأفة الله لأنها من الله لحبيبه الأعظم ورحمة رسول الله هى رحمة الله لأنها من الله نزلها تنزيلا على حبيبه كما

---

[١]) محمد : ١١ .
[٢]) الأحزاب : ٦ .

نزل القرآن الكريم {نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ}[1] سبحانه وتعالى أفضل الصلاة والسلام على الحبيب الأعظم. رحمةً رسول الله انبعث منـها الكرم والنور الذى أضاء القلوب وإكرامه وتكريمه وحلمه كشف إسناد العقول صلى الله عليه وسلم، ورحمة رسول الله أمطرت منها الفيوضات على الأرواح فتوقدت وتشوقت وعرجت وترقت وتغذت بالمعانى وساحت فجالت فى رحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الرؤوف الرحيم ورتعت وترقت وتطلعت وغذيت بالفيض العميم وتحلت وتبخترت فى ساحة رحمته فوجدت بنا هَلَّ صلى الله عليه وسلم.

ورحمة رسول الله مزجت الأكباد بمحبة ربها ونورت البصائر والأبصار ونورت اللب والألباب وطهرت السرائر، ورحمته جمعت ومازالت جميع الآمال لجميع المؤمنين وجميع المؤمنات من أهل الثقلين إنس وجان، ورحمة رسول الله تآوت فيها جميع الملائكة صلى الله عليه وسلم نبى الرحمة والتراحم عليه الصلاة والسلام الحبيب الأعظم أنعته ربه {وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ}[2] خلقناك رحمة وأرسلناك رحمة للعالمين فهو نبى الرحمة والتراحم {النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ} . صلى الله عليه وسلم خُلُقُه ونُطقُه القرآن الكريم تبياناً لكل شيئ وتفصيلاً لكل شيئ {وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ}[3]، على خلق عظيم - نعم - يعنى على دين عظيم، وهو النور المبين، رحمة الله المطلقة للعالمين صلى الله عليه وسلم أول العابدين وصراط الحق المستقيم للعالمين، أَهَّلَ العقول الرحيمة والألباب الفطنة بنور اليقين عليه الصلاة والسلام .

وهو الكوكب الدرى والسراج المنير المنور بنوره، ومضيئ لجميع العالمين، وهادياً بإذن ربه، وسراجاً منيراً عليه الصلاة والسلام، فهو النور المنور فى أسرار العالمين فى جميع العالمين بنوره الذاتى الربانى الصمدانى المصطفوى الحقيقى بالحق من الحق بجميع الحقائق بالحكم الإلهية والكتاب والحكمة من العزيز الحكيم عليه أفضل الصلاة والسلام. المربى الأول لجميع الأنبياء والمرسلين وجميع المؤمنين الراسخين فى العلم

---

[1]) فصلت : ٣٢ .
[2]) الأنبياء : ١٠٧ .
[3]) النجم : ٣ .

الموحدين بأحدية الأحد، وهو عليه الصلاة والسلام شيخ الأنبياء والمرسلين وإمام أهل الحق على صراط الحق بالحق إلى كل تحقيق، وهو الرؤوف الرحيم بالمؤمنين رؤوف رحيم وهو عليه الصلاة والسلام إمام المشرعين وإمام جميع الأنبياء والمرسلين والشهداء والصالحين والأولياء والصديقين.

وهو عليه أفضل الصلاة والسلام أول المتحدثين عن حضرة الذات العلية بالشكر والمعرفة والوعى السليم، وهو الصادق المصدق عليه أفضل الصلاة والسلام، القائل فى حديثه النبوى الشريف وهو الصادق المصدوق:" أصحابى كالنجوم الزهر بأيهم اقتديتم اهتديتم"، فهم نجوم الحق، وكواكب العرفان، وشموس المعرفة والعرفان، وأقمار الحق، ودلائل الخير والخيرات، وساحات المعرفة والبركات بجميع الهمم والنفحات.

وهو عليه أفضل الصلاة والسلام أول محدث وهو الصادق المصدوق عن الصالحين والسعداء والأتقياء بحقيقة التقى تقوية الحق بالحق من الحق لعباده المتقين لله حق التقوى لله رب العالمين، لايغفلون طرفة عين عن الحق سبحانه وتعالى، واهب العطايا والمنن، وممدهم دائماً وأبداً بمدده المطلق برحمة الله ورسوله على أحبابة المحبوبين المحبين لله وللرسول، لايعصون الله أبداً مادامت السموات والأرض بدوام حب الحضرة العلية فى قلوبهم، ويفعلون ما يؤمرون، ولايعصون الله ما أمر ويفعلون مايؤمرون، فعجبت منهم الملائكة لطاعتهم الطاهرة المطهرة لحضرة ربهم. خلقهم الله سبحانه وتعالى على معرفة الله فاطر السموات والأرض، فهمُ على الفطرة الربانية بنور اليقين، قائمون بالله لله، عالمين بتمام اليقين على الفطرة أنه أحد أحد الواحد الصمد رضى الله عنهم، فهمُ دائماً فى شهود ومشاهدة للحق يقظة. خلقهم الله سبحانه وتعالى للمشاهدة لحضرته، وللنظر إلى وجهه الكريم، مستغرقين بالحق مع الحق دائماً وأبداً، مُخَلَّصِين بيد القدرة الإلهية من جميع الشوائب، ومن جميع العلائق، ومتجهين عن جميع الأكوان، لايرون إلا الله فى كل معنى بلا كيف ولا انحصار ولاجهة ولامكان. وكل طرفة عين يطرفون بها أهل السموات وأهل الأرض إلا ورجال الحق سائرين بها مهللين بكل الأذواق، سائرين فيها إلى أقصى الترقى وغاية الغايات والقرب الأعلى والدنو الأجل والغاية القصوى والمقام الأسمى لمشاهدة الحق سبحانه وتعالى، فهى اللذة التى ليس بعدها لذة، وهى الحظوة العظمى التى ليس

بعدها حظوة، والغاية القصوى وغاية الغايات وأقصى أعلى الدرجات وغاية الغايات ومنتهى الآمال فى مشاهدة الحق جل وعلا سبحانه وتعالى العلى الكبير المتعال أول من غير بدء وآخر بغير انتهاء. اللهم أنت الأول ليس قبلك شيئ وهو الآخر ليس بعده شيئ وهو الباطن ليس دونه شيئ وهو الظاهر ليس فوقه شيئ وهو المتجلى لأحبابه المحبوبين دائماً وأبداً بجلال وجهه الكريم، وعظيم سلطانه القهار الودود الوهاب الجواد الواحد الأحد. لايشغله شأن عن شأن سبحانه وتعالى جل شأنه المربى لأحبابه المحبوبين الممد لهم لجميع الإمدادات بحضرته من فيضه العميم بمحض الفضل تفضلاً من حضرته بكرمه القديم وتكريمه لهم بحلمه وعطفه وجوده العظيم، فهم لايغفلون عنه طرفة عين. لحضرة ذاته خلقهم سبحانه وتعالى لنفسه، واصطنعهم بيده لحضرته ونفسه، فصنعوا بيده على عينه سبحانه وتعالى فى حضرته لحضرته لاحول لهم ولاقوة إلا به جل شأنه، لايفعلون شيئ إلا بأمر من الله.

يصدرون الحق سبحانه وتعالى الحكم بالجوهر ببروق الوصال فى قلوب المقربين الطاهرين المطهرين الأخيار، ما صدر عن الحق ينبع فى القلب، فهم قائمون لله بالله منه وإليه، بقدرته استعانوا فى حضرته لحضرته، فهم معه دائماً وأبداً، وهو سبحانه وتعالى معهم دائماً وأبداً. فهم مستغرقين بالله فى الله لاقوت لهم إلا محبة ربهم، ابتلاهم فشكروا، وأعطاهم فآثروا، وأعانهم به تكرماً من حضرته عليهم لما فيه شكروا، ليس لهم أحد سواه، عاكفين بقلوبهم فى حظيرة حضرته الربانية، قائمين بعقولهم على فهم سنة الحضرة المحمدية، عاملين بكل أمر، واقفين عند كل حد. عباد الرحمن سبحانه وتعالى لايعصون الله ما أمرهم، ويفعلون ما يؤمرون، عاملين بكل حُكْمٍ من الله فيه أمر أو نهى، جُبِلُوا رضى الله عنهم بحقيقة الإيمان، ولكل شيئ حقيقة، وحقيقة المخلص العبد المؤمن هى حقيقة الإيمان، وحلاوته وتزيينه فى قلوبهم بيد القدرة الإلهية، راكعين ساجدين عابدين لحضرة ربهم، فهو محبوبهم. تجلى لهم بالخير كله، وبالرحمة والرحمات، فبيده سبحانه وتعالى فعلوا الخير بجميع التراحم والرحمات، فداموا فى ترقى، وفى شهود للحق دائماً وأبداً، عباداً بالحق بحقيقة العبودية للمعبود الواحد الأحد، فهم السعداء دنيا وأخرى، وجعلهم الله سبحانه وتعالى أهلاً لحضرته،

وجعلهم أهلاً لنظره فهم أهل قبلته، لو أراد الله سبحانه وتعالى لأهل الدنيا بعذاب نظر إلى أهل حضرته فصرف عن أهل الدنيا العذاب، وهُمُ ممن حدث عنهم الصادق الصدوق صلى الله عليه وسلم كما جاء فى الحديث المروى فى خصائص أبى هريرة بطريق أقوام:" إذا جذع الناس لم يفزعوا، وإذا طلب الناس الأمان من النار لن يخافوا " إلى أن قال الصادق الصدوق رسول الله عليه الصلاة والسلام:" ركب القوم طريقاً صعباً حتى لحقوا بدرجة الأنبياء، آثروا الجوع بعد ما أشبعهم الله، والعرى بعد ما أكساهم الله، والعطش بعد ما أرواهم الله، تركوا ذلك رجاءها عند الله، تركوا الحلال مخافة محاسبتهم، صحبوا الدنيا بأبدانهم، ولم يشتغلوا بشئ منها، عجبت الملائكة والأنبياء من طاعتهم لدينهم، طوبى لهم طوبى لهم، ورأيت أن جَمَعَ الله بينى وبينهم، ثم بكى رسول الله صلى الله عليه وسلم شوقاً إليهم، ثم قال: إذا أراد بأهل الأرض عذاباً حِفْظِه إليهم صرف العذاب عنهم، فعليك ياأبا هريرة بطريقتهم، فمن خالف طريقتهم تعب فى شدة الحساب".

ياعارجاً فوق البساط عساك *** فتمنحنى عند الكريم رضاك
فى حفظ لوح بالحقائق فى العلا *** فى ركابك أسرى بك وباك
أنت سماء الحوض أنت غريفه ** والكل يعطى من سمو علاك
حققت كل حقيقة إلى أهلك *** أنت لنا رب العلا خلاك
بعين ربك فى الوجود وراعيا*** والحق أنت فى العلا مناك
حققت لكل مشوق وجده *** والكل يسعى فى سناء ضياك.

محمد العربى"

وبعد التبرك بنقل هذه الدرر السنية من ذخائر المعرفة اللدنية للعارف بالله الإمام محمد أبو الفتوح العربى (رضى الله عنه) لعلك عزيزى القارئ تقبل عذرى؛ إذ اعتصمت بنقل المتن مادة خام، كما سُطِرَت، فهو حديث العارفين المتمكنين فى حضرة العلى العليم، السابحين فى حضرة الرءوف الرحيم (صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم).

ولعلك أيها القارئ الكريم قد استشرفت غزير علم الإمام، وجليل معرفته، فقد جمع فى حديثه بين الحادث والقديم، ومزج بين علوم الشريعة ومعارف أهل التمكين، فأبلغ، وأوعى، وحَلَّقَ بنا فى أفلاك، وعوالم غيبية لم

يدركها من مدركها إلا هو، فالعارف يضم فى صدره علوم مائة ألف وأربعة وعشرين ألف عالم، والإنس والجن عالمان.

فضلاً عن قدرة الإمام، وتحكمه فى نواصى اللغة العربية، وبلاغته فى توضيح المشاهد العُلوية، والمعانى السنية، وصياغتها فى كلمات رصينة، وعبارات جزيلة، مطعمة بالمحسنات البديعية من طباق، وجناس، وسجع. قولٌ مؤكَّدُ بلا تكرار، فلو شئت أن تحذف أو تستقطع من سياق القول كلمة، أو حرفاً لتغير معنى الكلام، وقصر عن المقصود والمرام، ولو أردت أن تضيف كلمة أو حرفاً تعدى المعنى وخرج عن حدود المُرام.

فقد أُوتى الشيخ من الحكمة وفصل الخطاب خيراً كثيراً؛ إرثاً وتعصيباً من جده صلى الله عليه وسلم، الذى أُوتىَّ جوامع الكلم، والعرق للفرع نازع، فسبحان الواهب المنان!!!.

وبالطبع، لم يسع المقام هنا لتفصيل هذه المعانى، إلا أنى على يقين أن أقلام الصادقين من المحبين ستتناول سيرة وعلوم الإمام العربى، بمايقسطه حقه، وليت ذلك يكون قريبا، فلتترقب عزيزى القارئ نشر هذه السيرة العطرة، وأنا معكم من المنتظرين[١].

نكتفى بهذا القدر من ذكر مشايخ الشيخ، الذين أثروا ـ بلا ريب ـ فى شخصية الشيخ، وفى تكوين عقيدته وآرائه، وهو ما سنعالجه من خلال الباب التالى.

الباب الثالث

عقيدته، وآراؤه فى بعض المسائل العقائدية

---

[١]) بعد أن طال انتظارى دون أن ينشر عن سيرة إمامنا العربى الكتاب المنتظر ـ وفقنى الله في جمع وتقديم كتاب متواضع عن سيرته العطرة بعنوان (رفع هضم الإمام الختم) تم نشرة في الربع الأخير من عام ٢٠٢٠م ، وعزمت إعادة طباعته تزامنا مع هذه الطبعة الجديدة لهذا المؤلف ليكونا متاحين للقارئ .

العقيدة لغة[1] : هى ما لايشك معتقد المرء فيه، كعقيدة وجود الله، وبعثة الرسل، أما الأفكار فهى جمع (الفِكْرُ)، وهو جملة النشاط الذهنى، أو أسمى صور العمل الذهنى بما فيه من تحليل، وتركيب وتنسيق[2].

ولانبتغى من وراء هذا المبحث الوقوف على مخبوء عقيدة الشيخ، فذاك أمر يستحيل بلوغه، فهو يم عم جم، لايبلغ المرء أعماقه، ويلزم الوقوف عند شاطئه، واستمطار أنواء أمواجه الهادرة، وما تلقيه من صدفات جواهره.

وتعد مكنونات عقيدة الشيخ الأساس الذى قامت عليه أفكاره، ويأتى بعد ذلك دور الذهن لينشط فى تحليل هذه المكنونات، وتنسيقها، وتركيبها، واستخلاصها فى فِكْرَة أو مجموعة أفكار تبلورها، وتنفى غموضها، وعلى هذا النحو فهما وجهان لعملة واحدة.

ويتناول الفصل الأول من هذا الباب عقيدة الشيخ وأفكاره، بينما يتطرق الفصل الثانى إلى آراء الشيخ فى بعض المسائل العقائدية، بوصفها انعكاساً لعقيدته وأفكاره، وعلى النحو الآتى.

---

[1]) المعجم الوجيز ، مجمع اللغة العربية ، طبعة خاصة بوزارة التربية والتعليم ، ١٤٢٦هـ -٢٠٠٥م ، ص٤٢٧ .
[2]) المعجم الوجيز ، مرجع سابق ، ص٤٧٨ .

الفصل الأول

عقيدته، وأفكاره

ينقسم هذا الفصل إلى بحثين: أولهما- عقيدة جماعة أهل السنة، والثانى - فرائد عقيدة الشيخ وأفكارة، وذلك على الوجه التالى:

المبحث الأول

جماعة أهل السنة

يستتبع تناول عقيدة الشيخ - بداية - طرح عقيدة السلف الصالح، وجماعة أهل السنة من الأشاعرة والماتريدية، بوصفها المنهل الذى استقى الشيخ منه فرائد عقيدته.

ويقصد بالسلف الصالح صحابة رسول الله صلى الله عليه سلم، وتابعيهم، والأئمة المُـتَّبِعون، الذين اتخذوا القرآن الكريم خضماً عذباً ييستخرجون منه لآلئ مذهبهم، تفكروا فى محكمات آياته، وجعلوها أساساً لتأصيل عقائدهم، ثم ارتكنوا إلى عقولهم، وقواعد اللغة العربية، وأساليبها فى إدراك المتشابهات منها، ثم التزموا وفَوَّضُوا فيما غُمَّ عليهم، أو فاق عقولهم.

أما جماعة أهل السنة فقد ظهرت فى أواخر القرن الثالث الهجرى، وأوائل القرن الرابع؛ للرد على المعتزلة، والتصدى لفكرهم، وتفنيد حججهم، فاحتلت مكانها فى الدفاع عن الدين، وكان ظهورها انتصاراً للفقهاء والمـُحَدِّثين[1].

وتنطلق عقائد جماعة أهل السنة من عقيدة التوحيد، التى تدور بدورها فى فلك علم التوحيد.

ويقصد بالتوحيد فى اللغة[2]: الإيمان بالله تعالى وحده لا شريك له، وعلم التوحيد: علم الكلام، كما يقصد به: العلم بأن الشئ واحد، أو الإيمان بالله

[1]) حسن السيد متولى ، مذكرة التوحيد والفرق ، مقرر المرحلة الثانوية بالمعاهد الأزهرية ، الجزء الأول ، المكتبة الأزهرية للتراث ، ١٤١١هـ ، ١٩٩١م ، ص١٦ .

[2]) المعجم الوجيز ، سالف الإشارة ، ص٦٦٢ .

تعالى وحده لاشريك له، وفى الشرع: إفراد المعبود بالعبادة، أو ما يطلق عليه توحيد الألوهية، مع اعتقاد وحدته والتصديق به ذاتاً، وصفاتاً، وأفعالاً، أو ما يطلق عليه توحيد الربوبية[١].

وقد سُمِىَ علم التوحيد كذلك باعتبار أن مبحث الوحدانية أشهر مباحثه، كما أُطْلِقَ عليه علم الكلام لكثرة القول فى صفة الكلام، أو لقولهم فى ترجمة مسائله الكلام عن كذا، والكلام عن كذا.

ويمثل علم التوحيد أهم العلوم الدينية وأشرفها بوصفه الأصل وما سواه فرع منه، فإذا لم يثبت إله عالم مُرسِل للرُسُل، مُنَزِل للكُتب لم يتصور علم تفسير، وحديث، وفقه، وأصول[٢].

ويتعرض علم التوحيد للبحث عما يجب وما يستحيل وما يجوز فى حق الله، والرسل، والسمعيات، ويستمد حجته من الأدلة اليقينية - العقلية والنقلية - فهى وسيلته فى دفع الشبهة عن أصول الدين.

يقول أحدهم[٣] لرجل: تدرى لما لايصح لك التوحيد؟ قال: لا. قال: لأنك تطلبه بإياك، فلا يصح التوحيد إلا لمن كان جحدُه إثباتَه، فسُئِل عن الإثبات فقال: إسقاط الياءات، فالموحد فى الحقيقة يجحد إثباته إياه: يعنى إثبات نفسه كقوله: بى ولى ومنى وإلى وعلى وفى وعنى، فيسقط هذه الياءات ويجحدها بسره، وإن كانت جارية، من حيث الرسم على لسانه.

وقد استنهج جماعة أهل السنة نهج السلف الصالح فى عقيدة التوحيد، وكانت طريقتهم فى فهم العقائد ما كانوا عليه، وتميز هذا النهج بالوسطية، والجمع بين النقل والعقل.

ويطلق مصطلح "جماعة أهل السنة" على فريقين اثنين هما، الأشاعرة، والماتريدية: فأما فريق الأشاعرة فهم أتباع أبى الحسن على بن إسماعيل الأشعرى، المولود بالبصرة سنة مائتين وستين، والمتوفى سنة ثلاث مائة وثلاثين ونيف من الهجرة النبوية، ولقب بالأشعرى نسبة لجده السابع سيدنا أبى موسى الأشعرى رضى الله عنه.

---

[١]) حسن السيد متولى ، مذكرة التوحيد والفرق ، مرجع سابق ، ص٢٣ .

[٢]) حسن السيد متولى ، مذكرة التوحيد والفرق ، مرجع سابق ، ص٢٥ .

[٣]) قول الشبلى رحمه الله ، نقلاً عن : أبى نصر عبد الله بن على السراج الطوسى ، اللُّمَّعُ فى تاريخ التصوف الإسلامى ، مرجع سابق ، ص٣٨ .

وقد ارتبط الأشعرى فى بدايته بالمعتزلة، إلا أنه خلا بعد ذلك بنفسه، وساقه البحث إلى مذهبه الذى اعتنقه، فألفَّ كثيراً من المؤلفات لمناصرة مذهب أهل السنة والجماعة، وفنَّدَ مزاعم المعتزلة، فأيده العامة والخاصة، وتبعه أهل الفقه والحديث، واتخذوه إمامهم.

وأما فريق الماتريدية فهم أصحاب أبى منصور الماتريدى محمد بن محمد بن محمود المولود بقرية(ماتريد، أو ماتريت) من أعمال سمرقند سنة ثمان وثلاثون ومائتين، والمتوفى سنة ثلاث وثلاثين وثلاثمائة من الهجرة النبوية، وقد بدأ أبو منصور الماتريدى حنفى المذهب، ثم نبغ فى علوم الدين، وأصبح له مذهب فى العقيدة، أو ما يسمى بعلم الكلام، وقد تبعه أهل خراسان فيما ذهب إليه[1].

واجتمع الأشاعرة والماتريدية فى مذهبهم، ومبادئ عقائدهم، وإن تباينوا فى أمور فرعية، مما لايُعَد خلافاً حقيقياً فى المذهب، ولا يلثم فى اتفاقهم حول أمَّات مسائله.

وذهب جماعة أهل السنة إلى أن طريق وجوب المعرفة هو الشرع، وأن العالم حادث، وأن الإيمان هو التصديق، وأن العمل كمال للإيمان، وأثبتوا لله صفات المعانى، كما أثبتوا سؤال القبر، ونعيمه وعذابه، وأن البعث للجسم والروح معاً، وأثبتوا وجود الجنة والنار، وخلودهما، وأثبتوا الشفاعة لأهل الكبائر، وأنه سبحانه لايجب عليه شيئ، وجوَّزوا رؤية الله تعالى فى الدنيا، وحققوا الرؤية للمؤمنين فى الآخرة، كما أقروا بحقه تعالى فى الثواب والعقاب، وإرسال الرسل، وإرادته الخيروالشر، وأنه الخالق لأفعال العباد الاختيارية، وآمنوا بالقضاء والقدر فيها، وأن القرآن الكريم قديم، وأنه لاعصمة إلا للأنبياء، وأن الإمامة العظمى ليست ركناً من الدين[2].

كما ذهب جماعة أهل السنة إلى زيادة الإيمان ونقصانه، ولكن بتفصيل، فالإيمان من حيث محله ثلاثة أقسام، الأول لايزيد ولاينقص وهو إيمان الملائكة لأن إيمانهم طبيعى، والثانى يزيد ولاينقص، وهو إيمان الأنبياء لأن العصمة تمنع النقص، والثالث يزيد وينقص وهو إيمان بقية الأمة من الأنس والجن.

---

[1]) حسن السيد متولى ، مذكرة التوحيد والفرق ، مرجع سابق ، ص١٥ ، ١٦ .
[2]) حسن السيد متولى ، مذكرة التوحيد والفرق ، مرجع سابق ، ص١٧ .

والإيمان لغة[1]: هو التصديق والثقة والإيقان، وشرعاً، هو التصديق بالقلب، والإقرار باللسان، وقد ذهب جمهور الأشاعرة والماتريدية إلى أن الإيمان يشمل الاعتقاد، والانقياد معاً، فالإيمان هو التصديق والإثبات والاعتراف بوجود الخالق سبحانه وتعالى، وكذا القبول عنه، والطاعة له، وتصديق نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، والإذعان والرضا والقبول فى كل ما علم مجيئه به من الدين بالضرورة، ومعنى علمه بالضرورة أنه اشتهر وصار العلم يشبه العلم الضرورى لشهرته، كالوحدانية، وإرسال الرسل، والملائكة، ووجوب الصلاة، وحرمة الزنا، وغيرها[2].

ويعتقد الأشاعرة والماتريدية أن منْ قال كلمة التوحيد (لا إله إلا الله محمد رسول الله)، وأدى حقها وفريضتها دخل الجنة، وهذا مُعتَقَد القوم المحسنين[3].

وقد أشار الشيخ إلى أن مجمل عقيدته مستقاه من عقيدة جماعة أهل السنة والجماعة من الأشاعرة الماتريدية، فيقول:" أنا مسلم موحد بالله، وأن محمداً عبده ورسوله، وأنا أشعرى ماتريدى". ويصدر كلامه بقوله:" أشهد أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له تلقيناً كما أمر، لانفى ولا إثبات، تعالى جل وعلا عن المشاركة، والمشاكلة، والند، والضد، والشبيه، والمثيل، والنظير، إلهٌ واحدٌ، وربٌ شاهدٌ، ونحن له عابدون، أولٌ بلا بداية، وآخرٌ بلا نهاية، واحد لا من قلة، موجود لا من علة، لا أرض تقله، ولا سماء تظله، لايدخل فى شيئ، ولا يدخل فيه شيئ، ولا يحل فى شيئ، ولا يحل فيه شي ، ليس كمثله شيئ وهو السميع البصير".

وفى موضع آخر يقول:" كان الله ولا شيئ معه، وهو الآن على ما عليه كان، فعَّال لما يريد، ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن، لم يُعصَ مغلوباً، ويُطاع بتوفيقه".

ويقول:" الله أكبر، والكون صنعة، والعرش والكون وما احتوى فى علم الله كذرة، لا معلقة، ولامتكئة، فلو صعدت إلى أبد الآبدين ما التحقت بشئ، ولو نزلت إلى أبد الآبدين ماالتصقت بشئ". وفى موضع آخر، يقول:"

---

[1]) المعجم الوجيز ، مرجع سابق ، ص٢٦ .

[2]) حسن السيد متولى ، مذكرة التوحيد والفرق ، مرجع سابق ، ص ٥١ ، ٥٢ .

[3]) فى تفصيل الأمر راجع : حسن السيد متولى ، مذكرة التوحيد والفرق ، مرجع سابق، ص٥٧ وما بعدها .

أشهد أن لا إله إلا الله وحده وأشهد أن محمد رسول الله، ومختاره ومصطفاه، وأول العابدين، عَبَدَ الله من حيث لا خلا، ولاملا بنص الآى:{ قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَـٰنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ}[1]؛ لأن الله لو اتخذ ولداً لاتخذه صلى الله عليه وسلم، وحاشا لله أن يكون له ولد، أو يحتاج لذلك".

ويقول:" أن رسول الله صلى الله عليه وسلم من البشر، محمد بن عبد الله، أمه آمنة كان يأكل الطعام، ويأتى النساء، ويركب الدابة، بيد أن الرسول صلى الله عليه وسلم له أسماء وصفات ذكرها الله فى كتابه، ولكل اسم حال، لأن الاسم صفة، والصفة لها حال، فهو محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو أحمد الذى بشر به عيسى عليه السلام، وهو طه، وهو يسن، وهو المختار، وهو الشاهد بالنص القرآنى، وهو البشير، وهو المزمل، وهو المدثر، وهو الرءوف، وهو الرحيم، وهو الرحمة، وهو السميع، وهذه الصفات المشتركة فى مسمياتها بين الصفات الربانية، لا الإلـهية.

وقد أُوتِيَّ جوامع الكلم، وجَمَعَ أحكام الدين فى أربعة أحاديث، قال فى الأول عن الأعمال:"إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ"[2] إلى آخر الحديث، وقال فى القضاء:" الْبَيِّنَةُ عَلَى مَنِ ادَّعَى وَالْيَمِينُ عَلَى مَنْ أَنْكَرَ"[3]، وقال فى الاصلاح الاجتماعى:" لا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ"[4]، وجمع الدين كله فى كلمة فقال:" الدِّينُ النَّصِيحَةُ"[5].

ومن خصائصه صلى الله عليه وسلم تسبيح الحصا فى راحتيه، ونبع الماء بين أصابعه، وإن نبع الماء لموسى من الحجر، فالحجر من نوعيته، ولكن نبع الماء من بين أصابع النبى صلى الله عليه وسلم وليس من نوعيته،

---

[1]) الزخرف : ٨١ .

[2]) صحيح البخارى ، بدء الوحى ، حديث رقم ١: عن عُمَرِ بْنَ الْخَطَّابِ - رضى الله عنه - قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - يَقُولُ « إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى ، فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى دُنْيَا يُصِيبُهَا أَوْ إِلَى امْرَأَةٍ يَنْكِحُهَا فَهِجْرَتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ » .

[3]) سنن الدرقطنى، الحدود والديات وغيرها ، حديث رقم ٣٢٣٧ - عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِىِّ -صلى الله عليه وسلم- قَالَ « الْبَيِّنَةُ عَلَى مَنِ ادَّعَى وَالْيَمِينُ عَلَى مَنْ أَنْكَرَ إِلاَّ فِى الْقَسَامَةِ ». نقلاً عن : موسوعة الحديث الشريف ، وزارة الأوقاف ، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية .

[4]) صحيح البخارى ، الإيمان ، حديث رقم ١٣ ، عَنْ أَنَسٍ - رضى الله عنه - عَنِ النَّبِىِّ - صلى الله عليه وسلم . نقلاً عن : موسوعة الحديث الشريف ، وزارة الأوقاف ، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية .

[5]) صحيح البخارى ، الإيمان ، حديث رقم ٢٠٥ ، عَنْ تَمِيمٍ الدَّارِىِّ أَنَّ النَّبِىَّ -صلى الله عليه وسلم- قَالَ « الدِّينُ النَّصِيحَةُ » قُلْنَا لِمَنْ قَالَ « لِلَّهِ وَلِكِتَابِهِ وَلِرَسُولِهِ وَلأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ ». نقلاً عن : موسوعة الحديث الشريف ، وزارة الأوقاف ، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية .

وكان إذا سار مع قوم يكون أطولهم، وإذا جلس إلى أصحابه يكون أعلاهم كتفاً، ولايقع الذباب على بدنه قط، ولم يتثاءب قط، ولم يُر أثر لبوله على الأرض قط، وليس له ظل قط ، فالظل للمادة، ومن كرامته على ربه لم يجعل له ظل حتى لايطأه السائر خلفه، ولم يحتلم قط، وكان يرى من خلفه كما يرى من أمامه[1]، ومُدِحَ وأقر المدح، وطلب أن يُمدَح".

ويقول الشيخ:"العبودية فهم، وعلى قدر فهمك يكون إيمانك ومقامك، وكل يوم تزداد فهماً تزداد إيماناً، ومقاما"، وقد يقصد بالفهم هنا "المعرفة بالله".

وبعد الإشارة إلى عقيدة أهل السنة، بوصفها تأصيلاً لمجمل عقيدة الشيخ التى اعتنقها ـ نفرغ فيما يلى لاستعراض فرائد عقيدة الشيخ وأفكاره، وذلك من خلال المبحث التالى:

المبحث الثانى

فرائد عقيدته، وأفكاره[2]

شهد الشيخ لله تعالى بالوحدانية، وما يستحقه من الصفات العلية ـ مع جماعة أهل السنة على النحو السالف بيانه ـ كذلك شهد لسيدنا ومولانا محمد صلى الله عليه وسلم بالرسالة إلى كافة الناس، وبَلَّغَ جميع ماأُنْزِلَ إليه من ربه، وأدى أمانته، ونصح أمته، وهو أحمد مَنْ حَمَد وحُمِدَ عند ربه، كعبة الحمد، وعرش المحامد محمد صلى الله عليه وسلم.

وعن مفردات عقيدته فى شخص رسول الله صلى الله عليه وسلم، يقول الشيخ: عقيدتى تتمثل فى النقاط الآتية:

"النقطة الأولى ـ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس كعامة البشر، فهو معصوم بالنص، قال تعالى:{وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ}[3]، فالرسول بشر

---

[1]) مسند أحمد ، مسند أنس بن مالك ، حديث رقم ١٢٥٨٧- عَنْ أَنَسٍ قَالَ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- يُقْبِلُ عَلَيْنَا بِوَجْهِهِ قَبْلَ أَنْ يُكَبِّرَ فَيَقُولُ « تَرَاصُّوا وَاعْتَدِلُوا فَإِنِّى أَرَاكُمْ مِنْ وَرَاءِ ظَهْرِى ». نقلاً عن : موسوعة الحديث الشريف ، مرجع سابق .

[2]) اعتمد الباحث فى عرض فرائد عقيدة الشيخ وأفكاره على أقواله التى أدلى بها فى معرض إجابته على أسئلة المحقق فى قضية العصبة الهاشمية ، غير منشورة ، والتى تحصل الباحث على نسخة رسمية منها : محضر تحقيق يومى الجمعة والسبت ٣٠ ، ١٩٨٢/٧/٣١ ، بمعرفة حسنى عبد الله وكيل النيابة ومحمد النبوى أحمد طاهر أمين السر مع العارف بالله تعالى الحاج/ احمد أبو الحسن .

[3]) المائدة : ٦٧ .

لا كالبشر، بل هو ياقوتة بين الحجر، وإن من الحجر لياقوت، فإذا كان فى الحجر حجارة تسمى بالأحجار الكريمة، كالياقوتة والجوهر".

ويقول أحدهم[1]:" قلت مرة فى مجلس محمد بشر لا كالبشر بل هو ياقوت بين الحجر فرأيت النبى صلى الله عليه وسلم فقال لى قد غفر الله لك ولكل من قالها معك"، فلم يزل يقولها في كل مجلس إلى أن مات.

ويستطرد الشيخ:" فإن من البشر منْ تعمه البشرية فى كون خلقته، ويجمع الله فيه كل مزية وأفضلية، فما وجد به فى النوعية البشرية صلى الله عليه وسلم لاختياره واختصاصه وكونه من النوعية البشرية، يقول فنهتدى، أو يعمل فنقتدى". فالذى يخطئ ولو عن طريق النسيان لم يكن محلاً لنظر الله، وسيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله سنة، وفعله سنة، وإقراره سنة، فإن كان له حال يتغير فيه عن كونه مع ربه فلايؤخذ عنه، كل أوقاته دين صلى الله عليه وسلم، وأنا على هذا النحو اختلف كعقيدة عن كل من يقول أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطئ، وهذه أول نقطة من عقيدتى عن شخص رسول الله صلى الله عليه وسلم، وعلى قدر فهمى".

وفى ذات السياق، جاء فى اللُّمَّعُ[2]: أن الرسول صلى الله عليه وسلم محال عليه الخطأ والنسيان، ويجب علينا نفى الهوى عن نطقه، ويشهد له الله بذلك، قال تعالى:{مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ* وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ}[3].

ويستطرد الشيخ فرائده قائلا:

"النقطة الثانية ـ له صفة يلتقى بها مع الوحى فوق البشرية، وإلا لظَهَرَ المـَلَك وحدَّثَه بالحِس، لأن الحس يُدرَك بالحس، والخيال يُدرَك بالخيال، والغيب يُدرَك بالغيب، فالرسول عليه الصلاة والسلام له حال يختلف عن حال البشر لملاقاة الملك، الذى هو جبريل عليه السلام، ولايستطيع باقى البشر أن يسمعوا كلام الله المنزل على رسوله.

---

[1]) قول الشيخ محمد أبو المواهب الشاذلى رحمه الله ، نقلاً عن : عبد الوهاب الشعرانى ، الطبقات الكبرى ، مرجع سابق ،ص٤٨٣ .

[2]) أبو نصر عبد الله بن على السراج الطوسى ، اللُّمَّعُ فى تاريخ التصوف الإسلامى ، مرجع سابق ، ص٩٤ .

[3]) النجم : ٢ ـ٤ .

وحينما أراد جبريل أن يُحَدِثَه عن الشرع جاءه فى صورة رجل، وفى الحديث الذى رواه سيدنا عمر بن الخطاب[1]:" جَاءَهُ رَجُلٌ يَمْشِى حَسَنُ الْوَجْهِ حَسَنُ الشَّعْرِ عَلَيْهِ ثِيَابُ بَيَاضٍ فَنَظَرَ الْقَوْمُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ مَا نَعْرِفُ هَذَا وَمَا هَذَا بِصَاحِبِ سَفَرٍ ثُمَّ قَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ آتِيكَ قَالَ:" نَعَمْ" فَجَاءَ فَوَضَعَ رُكْبَتَيْهِ عِنْدَ رُكْبَتَيْهِ وَيَدَيْهِ عَلَى فَخِذَيْهِ فَقَالَ مَا الإِسْلاَمُ ..." الحديث.

ثُمَّ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « عَلَىَّ الرَّجُلَ ». فَطَلَبُوهُ فَلَمْ يَرَوْا شَيْئاً فَمَكَثَ يَوْمَيْنِ أَوْ ثَلاَثَةً ثُمَّ قَالَ « يَا ابْنَ الْخَطَّابِ أَتَدْرِى مَنِ السَّائِلُ عَنْ كَذَا وَكَذَا ». قَالَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ « ذَاكَ جِبْرِيلُ جَاءَ يُعَلِّمُكُمْ دِينَكُمْ »، فجاء جبريل بالطور البشرى، أما القرآن فلم يأت جبريل بالطور البشرى، ولاندرى كيف تلقاه من جبريل، وبأى لغة، ولكن حدثنا القرآن:{ فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ}[2]، فيُسِرَ بلسان النبى حينما يكون بالحال البشرى الذى يلاقى به المَلك.

وعن صفة الشفافية لرسول عليه الصلاة والسلام يقول الشيخ:"أن صفات الرسول صلى الله عليه وسلم - كما هى معلومة فى السُنَّة - تختلف عن صفات البشر، فمثلاً لكل إنسان ظل، وليس لرسول الله صلى الله عليه وسلم ظل، وقوة تلقيه الوحى، وبلقائه بالملك على هيئته أمر لايتحمله البشر، ورؤية الله فى ليلة الإسراء والمعراج فهى ليس فى مقدور البشر، ويرى من خلفه كما يرى من أمامه ليس لكافة البشر[3]، وسماعه للجمادات

---

[1]) مسند أحمد ، مسند عمر بن الخطاب ، حديث رقم ١٨٦ ١٨٦- عن ابن عمر قَالَ أَخْبَرَنِى عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ أَنَّهُمْ بَيْنَا هُمْ جُلُوسٌ أَوْ قُعُودٌ عِنْدَ النَّبِىِّ -صلى الله عليه وسلم- جَاءَهُ رَجُلٌ يَمْشِى حَسَنُ الْوَجْهِ حَسَنُ الشَّعْرِ عَلَيْهِ ثِيَابُ بَيَاضٍ فَنَظَرَ الْقَوْمُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ مَا نَعْرِفُ هَذَا وَمَا هَذَا بِصَاحِبِ سَفَرٍ ثُمَّ قَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ آتِيكَ قَالَ « نَعَمْ ». فَجَاءَ فَوَضَعَ رُكْبَتَيْهِ عِنْدَ رُكْبَتَيْهِ وَيَدَيْهِ عَلَى فَخِذَيْهِ فَقَالَ مَا الإِسْلاَمُ قَالَ « شَهَادَةُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّداً رَسُولُ اللَّهِ وتُقِيمُ الصَّلاَةَ وَتُؤْتِى الزَّكَاةَ وَتَصُومُ رَمَضَانَ وَتَحُجُّ الْبَيْتَ ». قَالَ فَمَا الإِيمَانُ قَالَ « أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ وَمَلاَئِكَتِهِ وَالْجَنَّةِ وَالنَّارِ والْبَعْثِ بَعْدَ الْمَوْتِ وَالْقَدَرِ كُلِّهِ ». قَالَ فَمَا الإِحْسَانُ قَالَ « أَنْ تَعْمَلَ لِلَّهِ كَأَنَّكَ تَرَاهُ فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ ». قَالَ فَمَتَى السَّاعَةُ. قَالَ « مَا الْمَسْئُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ ». قَالَ فَمَا أَشْرَاطُهَا قَالَ « إِذَا الْعُرَاةُ الْحُفَاةُ الْعَالَةُ رِعَاءُ الشَّاءِ تَطَاوَلُوا فِى الْبُنْيَانِ وَوَلَدَتِ الإِمَاءُ أَرْبَابَهُنَّ ». قَالَ ثُمَّ قَالَ « عَلَىَّ الرَّجُلَ ». فَطَلَبُوهُ فَلَمْ يَرَوْا شَيْئاً فَمَكَثَ يَوْمَيْنِ أَوْ ثَلاَثَةً ثُمَّ قَالَ « يَا ابْنَ الْخَطَّابِ أَتَدْرِى مَنِ السَّائِلُ عَنْ كَذَا وَكَذَا ». قَالَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ « ذَاكَ جِبْرِيلُ جَاءَ يُعَلِّمُكُمْ دِينَكُمْ ». قَالَ وَسَأَلَهُ رَجُلٌ مِنْ جُهَيْنَةَ أَوْ مُزَيْنَةَ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ فِيمَا نَعْمَلُ أَفِى شَىْءٍ قَدْ خَلاَ أَوْ مَضَى أَوْ فِى شَىْءٍ يُسْتَأْنَفُ الآنَ قَالَ « فِى شَىْءٍ قَدْ خَلاَ أَوْ مَضَى ». فَقَالَ رَجُلٌ أَوْ بَعْضُ الْقَوْمِ يَا رَسُولَ اللَّهِ فِيمَا نَعْمَلُ قَالَ « أَهْلُ الْجَنَّةِ يُيَسَّرُونَ لِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ وَأَهْلُ النَّارِ يُيَسَّرُونَ لِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ ».. نقلاً عن : موسوعة الحديث الشريف ، مرجع سابق .

[2]) مريم : ٩٧ ، الدخان : ٥٨ .

[3]) مسند أحمد ، مسند ابن مالك ، حديث رقم ١٢٥٨٧- عَنْ أَنَسٍ قَالَ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- يُقْبِلُ عَلَيْنَا بِوَجْهِهِ قَبْلَ أَنْ يُكَبِّرَ فَيَقُولُ « تَرَاصُّوا وَاعْتَدِلُوا فَإِنِّى أَرَاكُمْ مِنْ وَرَاءِ ظَهْرِى ». نقلاً عن : موسوعة الحديث الشريف ، مرجع سابق .

أمر ـ أيضاً ـ ليس فى مقدور البشر. وقد قال صلى الله عليه وسلم لأصحابه حينما أرادوا أن يقلدوه فى كل حركاته: « إِنِّى لَسْتُ كَهَيْئَتِكُمْ إِنِّى أَبِيتُ يُطْعِمُنِى رَبِّى وَيَسْقِينِى »"[1].

ويستطرد الشيخ:"ونوجز فى هذا القصد أنه بشر مباشر للتنزلات، ومباشر للمخلوقات فى التبليغ، فهو بشر مثل البشر، وكأن البشر لو جمعوا جميعاً لجاءوا فى معادلة بشريته، وإلا لجاءت الآية إنما أنا بشر منكم، ولكن جاءت:{ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ }[2]، وهذا يعنى أن بشريته تسمو كل البشر، فإن أراد الله العظيم أن يرسل فيرسل عظيماً، يمثله فى البشر.

ولا غرو، فإن بشرية الرسول تعدل، أوتماثل البشرية جمعاء، ففى حديث معناه:" لو وُزِنَ النبى صلى الله عليه وسلم بأمته لرجحها"[3]، وأمته شملت جميع الخلق، فهو المرسول للناس كافة.

وقد أطلق الله اسم "الناس" على رسول الله للناس، قال تعالى:{أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَىٰ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ}[4]، وقوله تعالى{ الناس } يعنى النبى صلى الله عليه وسلم[5]، الذى يعدل جميع الناس.

ويوضح الشيخ قائلاً:" ولا يعنى ذلك أن الرسول عليه الصلاة والسلام بهذه الصفات قادر قدرة الله، أو أنه فوق النواميس الطبيعية، فالرسول عليه الصلاة والسلام ليس خالقاً، بل هو مخلوق، وعبد من عباد الله فى الأرض، أنعم الله عليه بتلك الصفات، لا لقدرة الرسول عليه الصلاة والسلام، فالقدرة

---

[1]) موطأ مالك ، الصيام ، حديث رقم ٦٧٣ - وَحَدَّثَنِى عَنْ مَالِكٍ عَنْ أَبِى الزِّنَادِ عَنِ الأَعْرَجِ عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- قَالَ « إِيَّاكُمْ وَالْوِصَالَ إِيَّاكُمْ وَالْوِصَالَ ». قَالُوا فَإِنَّكَ تُوَاصِلُ يَا رَسُولَ اللَّهِ. قَالَ « إِنِّى لَسْتُ كَهَيْئَتِكُمْ إِنِّى أَبِيتُ يُطْعِمُنِى رَبِّى وَيَسْقِينِى ».نقلاً عن : موسوعة الحديث الشريف ، مرجع سابق .

[2]) الكهف : ١١٠ ، فصلت : ٦ .

[3]) سنن الدارمى ، كتاب المقدمة ، حديث رقم ١٤ـ أَخْبَرَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عِمْرَانَ حَدَّثَنَا أَبُو دَاوُدَ حَدَّثَنَا جَعْفَرُ بْنُ عُثْمَانَ الْقُرَشِىُّ عَنْ عُثْمَانَ بْنِ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ عَنْ أَبِيهِ عَنْ أَبِى ذَرٍّ الْغِفَارِىِّ قَالَ قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ كَيْفَ عَلِمْتَ أَنَّكَ نَبِىٌّ حَتَّى اسْتَيْقَنْتَ؟ فَقَالَ :« يَا أَبَا ذَرٍّ أَتَانِى مَلَكَانِ وَأَنَا بِبَعْضِ بَطْحَاءِ مَكَّةَ ، فَوَقَعَ أَحَدُهُمَا إِلَى الأَرْضِ وَكَانَ الآخَرُ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ ، فَقَالَ أَحَدُهُمَا لِصَاحِبِهِ : أَهُوَ هُوَ؟ قَالَ : نَعَمْ. قَالَ : فَزِنْهُ بِرَجُلٍ. فَوُزِنْتُ بِهِ فَوَزَنْتُهُ ، ثُمَّ قَالَ : زِنْهُ بِعَشَرَةٍ. فَوُزِنْتُ بِهِمْ فَرَجَحْتُهُمْ ، ثُمَّ قَالَ : زِنْهُ بِمِائَةٍ فَوُزِنْتُ بِهِمْ فَرَجَحْتُهُمْ ، ثُمَّ قَالَ : زِنْهُ بِأَلْفٍ فَوُزِنْتُ بِهِمْ فَرَجَحْتُهُمْ ، كَأَنِّى أَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَنْتَثِرُونَ عَلَىَّ مِنْ خِفَّةِ الْمِيزَانِ ، قَالَ فَقَالَ أَحَدُهُمَا لِصَاحِبِهِ : لَوْ وَزَنْتَهُ بِأُمَّتِهِ لَرَجَحَهَا ». نقلاً عن : موسوعة الحديث الشريف ، مرجع سابق .

[4]) النساء : ٥٤ .

[5]) جاء فى تفسير ابن كثير : (أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله) ، يعني بذلك حسدهم النبي صلى الله عليه وسلم على ما رزقه الله من النبوة العظيمة ومنعهم من تصديقهم إياه حسدهم له لكونه من العرب وليس من بني إسرائيل ، كما جاء مثل هذا التأويل فكتب أخرى .

لله وحده، وتلك الصفات كنعوت سُمِيَّ بها لكونه نبياً، وخاتم المرسلين، فهى مجازة لأنه عليه الصلاة والسلام أفضل خلق الله، وأشرفهم".

والنقطة الثالثة ـ هى الصفات الربانية المضافة للرسول عليه الصلاة والسلام، يقول الشيخ:" أنا مؤمن بها كعقيدة، وتتمثل فى قوله تعالى:{وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ}[1]، فكل ماسوى الله مرحوم برسول الله، فرحمة رسول الله بنص الآية، فهذه صفة ربانية، كإشراق حضرته على العالمين، فهو الرحمة المجسدة فيه، المشرقة من كل نواحيه، التى بها كل شيئ مرحوم، ولازالت هذه الرحمة من مصدرها لها استمرارية الآية فى كتاب الله، مادام مُلْك الله باقيا، فلم يغيبها الموت، فلو غيبها الموت لوضعنا تحتها خط فى المصحف".

ويوضح فى موضع آخر[2]:" من مقتضيات رحمته للعالمين مواجهته صلى الله عليه وسلم لجميع المخلوقات، حتى يكون لها نصيب من هذه الرحمة، ولمَّا سألت أهل الحضرة بما يواجه النبى صلى الله عليه وسلم المخلوقات، قالوا يواجه النبى القمر بلمسه، ويواجه القلم بعقله، ويواجه اللوح بنفسه، أما قلبه فهو عرش الله، وفى الحديث القدسى:" لايسعنى أرضى ولا سمائى ويسعنى قلب عبدى المؤمن"[3]، ويواجه العوالم العلوية بلطافته، ويواجه العوالم السفلية بكثافته، ويواجه الملائكة بخواطره، ويواجه الفَتَّانين بوساوسهم، ويواجه الأسد بقسوته، ويواجه الذئب بخداع الذئب، ويواجه الثعلب بمكر الثعلب، ويواجه كل العوالم والمخلوقات بحسب خصائصها؛ كى يمدها بنصيبها من رحمته صلى الله عليه وسلم .

كما له صلى الله عليه من الصفات الربانية ما أضيف من أسماء الله لأسمائه قال تعالى:{لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ}[4]، وتلك الصفات الربانية: "الرءوف"، "الرحيم" المضافة للرسول لها استمراريتها؛ لأن الصفات

---

[1]) الأنبياء : ١٠٧ .

[2]) ورد هذا القول فى أحاديث الشيخ العامة فى أكثر من مناسبة ، وهذه الأحاديث محفوظة ومسجلة على شرائط فيديو ، وأسطوانات مدمجة ، ويوجد لدى كثير من أحباب الشيخ نسخ منها .

[3]) قال سهل بن عبد الله التسترى القلب كالعرش والصدر كالكرسى وقد ورد عن الله تعالى " لايسعنى أرضى ولا سمائى ويسعنى قلب عبدى المؤمن "، نقلاً عن : السهروردى ، تكملة كتاب عوارف المعارف بهامش الجزء الثانى من كتاب إحياء علوم الدين للإمام الغزالى ، ص٣٨١

[4]) التوبة : ١٢٨ .

البشرية هى صفة "محمد" الذى مات، وروضته بالمدينة، أما{ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ } فمادام فى الوجود مؤمنين فما أحوجهم للرءوف الرحيم، وهذا مقام باقى لرسول الله مستمر؛ لأنه من صفات الله لا من صفات البشر، وهما (الرءوف الرحيم)، بوصفهما صفتين ربانيتين، تكرم الله بهما على حبيبه وسمَّاه بهما، ولهذا لم يكن منازعاً لله فى سلطانه عليه".

وتشهد آى القرآن بصفاته الخالدة، قال تعالى:{ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ }[1]، فهذه الآية باقية ومستمرة، والرسول صلى الله عليه وسلم مخاطب بالقيام بتلك المهمة، ما بقيت أمته، وعليه أن يصلى علينا، أى يدعو لنا بما ينفعنا، وبدعائه صلى الله عليه وسلم تسكن نفوسنا، وتطمئن قلوبنا".

ويقول الشيخ فى قوله تعالى:{وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا }[2]: خاطب الله رسوله صلى الله عليه وسلم قائلاً:(جاءوك) بكاف الخطاب للحاضر، وليس بضمير الغائب فلم يقل (جاءوه)، الأمر الذى يدل على بقاء الرسول صلى الله عليه وسلم فى أمته، يستغفر لمن جاءه منهم مستغفراً لذنبه، فيتوب الله عليه، سواء كان ذلك حال حياته أو بعد مماته صلى الله عليه وسلم، فالله منزه عن خلف الميعاد، وقد وعد سبحانه بالتوبة لمن جاءه واقفاً ببابه، وسأله واستغفر ربه، وهذا لايشك فيه ولايرتاب إلا جاحد معاند لله ورسوله نعوذ بالله من الحرمان.

ويعقب الحافظ بن كثير رحمه الله فى معرض تفسيره الآية بروايته قصة العتبى، فيقول:" وقد ذكر جماعة منهم الشيخ أبو النصر الصباغ فى كتابه الشامل هذه القصة المشهورة عن العتبى قال:" كنت جالساً عند روضة النبى صلى الله عليه وسلم فجاء أعرابى فقال السلام عليك يارسول الله سمعت الله يقول:{وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا }وقد جئتك مستغفراً لذنبى مستشفعاً بك إلى ربى، ثم أخذ يقول:

ياخير من دفنت بالقاع أعظمه * فطاب من طيبهن القاع والأكم

---

[1]) التوبة : ١٠٣ .
[2]) النساء : ٦٤ .

نفسى الفداء لقبر أنت ساكنه * فيه العفاف وفيه الجود والكرم

ثم أنصرف الأعرابى فغلبتنى عينى فرأيت النبى صلى الله عليه وسلم فى النوم فقال: ياعتبى الحق الأعرابى فبشره بأن الله قد غفر له، وروى القصة كذلك البيهقى[1].

وفى تأصيل المعنى السابق يقول الدكتور/على جمعة (مفتى الديار المصرية سابقاً): "أن هذه الآية مطلقة ليس لها مقيد نصى ولا عقلى، فليس هناك ما يقيد معناها بحياة الرسول الدنيوية، فهى باقية إلى يوم القيامة، فالعبرة بعموم اللفظ وليست بخصوص السبب ومن زعم تخصيص تلك الآية بحياته صلى الله عليه وسلم، أو تخصيصها به فعليه أن يأتى بالدليل، فالإطلاق لا يحتاج إلى دليل؛ لأنه الأصل والتقييد هو الذى يحتاج للدليل"[2].

كما يقول الشيخ فى قوله تعالى: { وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ}[3] أن الخطاب بضمير الحاضر (أنت) دليل على بقائه صلى الله عليه وسلم فى أمته، يذب عنها العذاب المعجل فى الدنيا، وتدل أيضاً على استمرار تواجده صلى الله عليه وسلم يراه العارفون والمحبون ببصائرهم، ويخفى حسنه صلى الله عليه وسلم عن أعين المعاندين الجاحدين بالموت الحسى. وينشأ الشيخ قائلاً[4]:

ماكان الله معذبنا ورسول الله * قرآن الله حكى نصاً نبقى ببقاه

وإشارة أنت لنا مظهر المطلوب * منها استمرار تواجده فالحسن خفاه

وهذه خصيصة أخرى من خصائص الرسول عليه الصلاة والسلام، ويعنى ذلك أن الرسول عليه الصلاة والسلام باقى فينا، وموجود بين

---

[1]) والاستدلال هنا بعدم اعتراض شيخ المفسرين الإمام الحافظ ابن كثير على هذه القصة ، التى ساقها فى معرض تفسيره للآية ، وإقرار العتبى للأعرابى فى فعله ، وعدم الإنكار عليه بطلب الاستغفار من النبى صلى الله عليه وسلم - بعد انتقاله الشريف .

[2]) على جمعة (مفتى الديار المصرية سابقاً) ، مقالة بعنوان (حقيقة رؤية سيدنا محمد فى اليقظة)، مجلة التصوف الإسلامى ، صادرة عن المجلس الصوفى الأعلى ، العدد ٣٥٢ ، السنة ٣٠ ، ربيع ثان ١٤٢٩ه ، أبريل ٢٠٠٨م ، ص٦،٧.

[3]) الأنفال : ٣٣ .

[4]) مولانا العارف بالله تعالى الحاج أحمد أبو الحسن ، ديوانه بعنوان (بساتين الجنات فى المدائح والصلوات على سيد السادات) ، مرجع سابق ، قصيدة بعنوان : (برسول الله اجتمعنا) ، ص٢٧٤ .

ظهرانينا، يُصلى علينا، ويستغفر لنا، ويقى أمته من عذاب الله المعجل فى الدنيا، الذى كان يقع فى الأمم السابقة.

وفى الحديث الشريف، عَنْ أَوْسِ بْنِ أَوْسٍ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- « إِنَّ مِنْ أَفْضَلِ أَيَّامِكُمْ يَوْمَ الْجُمُعَةِ فِيهِ خُلِقَ آدَمُ وَفِيهِ قُبِضَ وَفِيهِ النَّفْخَةُ وَفِيهِ الصَّعْقَةُ فَأَكْثِرُوا عَلَىَّ مِنَ الصَّلاَةِ فِيهِ فَإِنَّ صَلاَتَكُمْ مَعْرُوضَةٌ عَلَىَّ ». قَالَ قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ وَكَيْفَ تُعْرَضُ صَلاَتُنَا عَلَيْكَ وَقَدْ أَرِمْتَ يَقُولُونَ بَلِيتَ. فَقَالَ « إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ حَرَّمَ عَلَى الأَرْضِ أَجْسَادَ الأَنْبِيَاءِ »[١].

ويستطرد الشيخ قائلاً: كما يمكن الاستشهاد بقوله تعالى:{ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا}[٢]، وقوله:{ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا * لِّتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا}[٣]، فإذا غاب الشاهد فلا يمكن أن تقام القضية، أى أن هذا دليل يقضى على أن الرسول حى شاهد، مشاهد، ومشهود، نور ممدود، قابض على دروب الوحى كله، وإلا لما كان مرسل للكافة، وما كان شق التوحيد أى الشهادة، لأن الشهادة غيب، وشهود الله غيب، والرسول شهادة ومشهود، فالمشهود ممدود من الغيب مشهود للعقل والنقل والسطر، وارث عن ربه ما وهبه له".

ويبسط الشيخ قائلاً: "أنا مؤمن إيمان كامل بأن روح الرسول بيننا، فالروح لله باقية لاتموت، ولكن النفس هى التى تموت؛ لوضوح النص القرآنى:{كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ}[٤].

بيد أن الموت فى حق سيد الأنبياء صلى الله عليه وسلم لا يعنى أنه قد بَلِىَ، أوفَنِىَ، وباد وجوده، بل هو اختفاء عن الماديات البشرية، فقد حرَّمَ الله على الأرض أجساد الأنبياء، وفى الحديث الشريف، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ« أَتَيْتُ - وَفِى رِوَايَةِ هَدَّابٍ مَرَرْتُ - عَلَى مُوسَى لَيْلَةَ أُسْرِىَ بِى عِنْدَ الْكَثِيبِ الأَحْمَرِ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّى فِى قَبْرِهِ»[٥]، كما رُوِىَ عنه صلى الله عليه وسلم أنه رأى نبى الله موسى عليه السلام، وكذا

---

[١]) سنن أبى داوود ، الصلاة ، حديث رقم ١٠٤٩ . نقلاً عن : موسوعة الحديث الشريف ، مرجع سابق .
[٢]) الأحزاب : ٤٥ .
[٣]) الفتح : ٨ ، ٩ .
[٤]) العنكبوت : ٥٧ .
[٥]) صحيح مسلم ، ، الفضائل ، حديث رقم ٦٣٠٦ . نقلاً عن : موسوعة الحديث الشريف ، مرجع سابق .

نبى الله يونس عليه السلام يلبيان للحج، فعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ـ صلى الله عليه وسلم ـ مَرَّ بِوَادِى الأَزْرَقِ فَقَالَ" أَىُّ وَادٍ هَذَا". فَقَالُوا هَذَا وَادِى الأَزْرَقِ. قَالَ " كَأَنِّى أَنْظُرُ إِلَى مُوسَى ـ عَلَيْهِ السَّلاَمُ ـ هَابِطًا مِنَ الثَّنِيَّةِ وَلَهُ جُؤَارٌ إِلَى اللَّهِ بِالتَّلْبِيَةِ". ثُمَّ أَتَى عَلَى ثَنِيَّةِ هَرْشَى. فَقَالَ " أَىُّ ثَنِيَّةٍ هَذِهِ ". قَالُوا ثَنِيَّةُ هَرْشَى قَالَ " كَأَنِّى أَنْظُرُ إِلَى يُونُسَ بْنِ مَتَّى ـ عَلَيْهِ السَّلاَمُ ـ عَلَى نَاقَةٍ حَمْرَاءَ جَعْدَةٍ عَلَيْهِ جُبَّةٌ مِنْ صُوفٍ خِطَامُ نَاقَتِهِ خُلْبَةٌ وَهُوَ يُلَبِّى"[١].

فإذا كان الأنبياء أحياء فى قبورهم، يصلون، ويلبون للحج كل عام، فما بالك بإمامهم صلى الله عليه وسلم، ألم يُصلى الأنبياء خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ليلة الإسراء[٢] ؟! ألم يكونوا ميتين؟! ألم يكن موسى ميتاً حينما خفف الصلاة من خمسين إلى خمس فى ليلة الإسراء[٣] ؟! فإذن نَفَعَ موسى، واستمرارية نفعه للأمة المحمدية جاءت بعد انتقاله، فمنْ الذى يغفل ذلك! يقول الشيخ:" نعم نَفْعُ الرسول عليه الصلاة والسلام بعد مماته أمر مؤكد بالسنة المطهرة، والمقصود بنفعه هو شفاعته للمسلمين فى الدنيا والآخرة، لأنه وفقاً لما ورد من صفاته أنه الشاهد، والشافع، وشفاعة الرسول دليل على نفعه الأبدى، فالرسول شهيد على المسلمين، شاهد لأمته، وشاهد عليها، يصلى عليهم، ويستغفر لهم.

---

[١]) صحيح مسلم ، الإيمان ، حديث رقم ٤٣٨ ، نقلاً عن : موسوعة الحديث الشريف ، مرجع سابق .

[٢]) جاء فى تفسير ابن كثير عن آية { سبحان الذى أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى... } أنه ورد فى سنن النسائى (المجتبى) عن أنس بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال" أتيت بدابة فوق الحمار ودون البغل خطوها عند منتهى طرفها فركبت ومعي جبريل عليه السلام فسرت فقال انزل فصل فصليت فقال أتدري أين صليت؟ صليت بطيبة وإليها المهاجرة ثم قال انزل فصل فصليت فقال أتدري أين صليت؟ صليت بطور سيناء حيث كلم الله موسى ثم قال انزل فصل فصليت فقال أتدري أين صليت صليت ببيت لحم حيث ولد عيسى عليه السلام ثم دخلت بيت المقدس فجمع لي الأنبياء عليهم السلام فقدمني جبريل عليه السلام حتى أممتهم ..." ، وورد مثله فى تفسير الطبرى وغيره .

[٣])جاء فى تفسير ابن كثير عن الآية الأولى من سورة الإسراء ، تكملة حديث أنس بن مالك فى الهامش المتقدم ثم صعد بي إلى السماء الدنيا فإذا فيها آدم عليه السلام ثم صعد بي إلى السماء الثانية فإذا فيها ابنا الخالة عيسى ويحيى عليهما السلام ثم صعد بي إلى السماء الثالثة فإذا فيها يوسف عليه السلام ثم صعد بي إلى السماء الرابعة فإذا فيها هارون عليه السلام ثم صعد بي إلى السماء الخامسة فإذا فيها إدريس عليه السلام ثم صعد بي إلى السماء السادسة فإذا فيها موسى عليه السلام ثم صعد بي إلى السماء السابعة فإذا فيها إبراهيم عليه السلام ثم صعد بي فوق سبع سموات وأتيت سدرة المنتهى فغشتني ضبابة فخررت ساجدا فقيل لي إني يوم خلقت السموات والأرض فرضت عليك وعلى أمتك خمسين صلاة فقم بها أنت وأمتك فرجعت بذلك حتى أمر بموسى عليه السلام فقال ما فرض ربك على أمتك؟ قلت خمسين صلاة قال فإنك لاتستطيع أن تقوم بها لا أنت ولا أمتك فارجع إلى ربك فاسأله التخفيف فرجعت إلى ربي فخفف عني عشرا ثم أتيت موسى فأمرني بالرجوع فرجعت فخفف عني عشرا ثم ردت إلى خمس صلوات قال فارجع إلى ربك فاسأله التخفيف فإنه فرض على بني إسرائيل صلاتين فما قاموا بهما فرجعت إلى ربي عز وجل فسألته التخفيف فقال إني يوم خلقت السموات والأرض فرضت عليك وعلى أمتك خمس صلوات فخمس بخمسين فقم بها أنت وأمتك قال فعرفت أنها من الله عز وجل "

وذلك خير دليل على أنه حى حياة أبدية، أما موته صلى الله عليه وسلم فله خصوصية[١]، كموت الشهداء، قال تعالى:{وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ}[٢]. ولم يكن الرزق للميت[٣]، فمابالك برسول الله.

ويستدرك الشيخ:" أقصد من ذلك كله أن الرسول عليه الصلاة والسلام حَىٌ بين كل مسلم بسنته، وحَىٌ بكتاب الله، وحَىٌ بعترته، وحَىٌ بحياة ارتضاها الله له، وأقرها هو لغيره من الأنبياء فى الأحاديث المذكورة، ولا يفهم من ذلك أنه صلى الله عليه وسلم حى جسدى، أو أنه ـ كما يزعم البعض ـ انتقل انتقال مؤقت، وعاد مرة أخرى، فهذا غير مقبول دينياً، وكل الذى أنادى به هو أن يشعر كل مسلم أخلص لربه أن نور الرسول عليه الصلاة والسلام باقى فى رسالته، ودعوته، وسنته، وليس فى شخصه.

كما أحب أن أظهر حقيقة إسلامية تظهر وتبين لكل من أخلص لله- أن الوجود الذى أعنيه هو وجود حى لروح طاهر يمد من أخلص إن أخلص، وليس وجود مادى لأن الوجود المادى بعيد، والآية الكريمة:{إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ}[٤] قاطعة الدلالة على موت الرسول كبشر، وتكذيب الآية كفر، فهو كجسد ميت، أما روحه، وقلبه فهما بين أظهر كل مسلم أخلص فى عبادته لربه[٥]، لقوله تعالى:{وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ}[٦].

---

[١]) فى توضيح موت الرسول – صلى الله عليه وسلم – يقول العارف بالله الحاج أحمد رضوان : وقد ذكر الحافظ الرملى فى فتاويه أن النبى صلى الله عليه وسلم يصلى فى قبره بأذان وإقامة وقد صلى كثير من التابعين حين حرب الحرة ذكروا أنهم كانوا يسمعون ذلك منه ويقتدون به ، وقد ذكر الحافظ السيوطى فى الحاوى للفتاوى أنه يصلى فى قبره بأذان وإقامة جماعة ، وقد ذكر الحافظ الرملى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يحج كل عام ، وقد روى عن النبى صلى الله عليه وسلم عن سيدنا يونس انه رآه ماراً على ناقة حمراء يلبى وهو ذاهب إلى الحج .. فإذا ثبت للأنبياء عن هذا عنه صلى الله عليه وسلم فهو أحق بذلك لأن موت الأنبياء ليس كموتنا بل ترد أرواحهم عليهم فيصلون فى قبورهم ويخرجون منها إذا شاءوا كما ذكر الحفاظ كثيراً . وكفانا الحافظ الرملى والحافظ السيوطى حجة وكفانا بصلاة التابعين فى الاقتداء بالنبى صلى الله عليه وسلم فى غزوة الحرة . دكتور محمد فؤاد شاكر ، " العارف بالله الشيخ أحمد رضوان " حياته وآثاره ، الخطاب الثالث ، ص ١٦٠ ، ١٦١ .

[٢]) آل عمران : ١٨٩ .

[٣]) جاء فى تفسير القرطبى للآية (١٨٩) من سورة آل عمران قوله : " وأما من تأول في الشهداء أنهم أحياء بمعنى أنهم سيحيون فبعيد يرده القرآن والسنة ؛ فإن قوله تعالى " : بل أحياء " دليل على حياتهم ، وأنهم يرزقون ولا يرزق إلا حي.

[٤]) الزمر : ٣٠ .

[٥]) جاء فى تفسير الطبرى : حدثنا ابن بشار، قال: ثنا يحيى، قال: ثنا ربيعة بن كلثوم، قال: سألت الحسن عن قوله: (وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ) قال: في الناس. وقال آخرون: الأنبياء . وفى أشهر الأقول : المصلين .

[٦]) الشعراء : ٢١٩ .

كما يؤمن الشيخ بأن رؤية رب العزة جائزة فى الدنيا، فقد رآه الإمام أحمد بن حنبل تسعاً وتسعون مرة، فقال لو رأيته إكمال المائة لسألته بما يتقرب عبده إليه، قال فرأيته إكمال المائة فقال: بما يتقرب عبدك إليك ياربى، قال بتلاوة كلامى يا أحمد، قال: بفهم وبغير فهم، قال بفهم وبغير فهم[١]، هذا سند من علماء الأزهر الشريف.

كما يجوز لمن فى قلبه الشفافية ومرآة قلبه مصقولة أن يلتقى برسول الله صلى الله عليه وسلم، وهناك من ألتقى به فعلاً وحَدَّثَ عن فضل الله، وأقرب الناس عهداً الإمام الدكتورعبد الحليم محمود.

ويقول أحدهم:" رأيت رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقلت يارسول الله ما حقيقة المتابعة؟ فقال رؤية المتبوع عند كل شيئ ومع كل شيئ وفى كل شيئ "[٢].

ويقرر الشيخ قائلاً:" والتقيت أنا به شخصياً، بروحه الزكية، وسألته عن أحاديثه، وعن صحة بعض الأحاديث: هل قلت هذا يارسول الله، يقول: نعم قلته، ولا أتقول عليه لعلمى أنه صلى الله عليه وسلم قال:" مَنْ كَذَبَ عَلَىَّ فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ"[٣].

---

[١]) فى معنى قول الإمام أحمد بن حنبل رضى الله عنه حين رأى رب العزة جل جلاله فى منامه فقال : " يارب بم يتقرب إليك المتقربون ؟ قال ياأحمد بتلاوة كلامى قال يارب بفهم أم بغير فهم ؟ قال ياأحمد بفهم وبغير فهم " ، يقول سيدى على الخواص البرلسى رضى الله تعالى عنه : " المراد بفهم ما يتعلق بعلماء الشريعة وبغير فهم ما يتعلق بعلماء الحقيقة فإن العلماء ما لهم آلة لفهم كلام الله تعالى إلا بالفكر والنظر وأما العارفون فطريقهم إلى فهمه الكشف والتعريف الإلهى وذلك لايحتاج إلى تفهم فقيل له فما تقول فيمن يقرؤه من العوام من غير فهم فقال له قد صح أن له بكل حرف عشر حسنات فتحت قوله وبغير فهم مسألتان والله أعلم .، نقلاً عن : الإمام عبد الوهاب الشعرانى ، الطبقات الكبرى ، مرجع سابق ، ص ٦١١ .

[٢]) قول الشيخ أبو الحسن الشاذلى رضى الله عنه ، نقلاً عن :عبد الوهاب الشعرانى ، الطبقات الكبرى ، مرجع سابق ، ص ٣٦٥ ، وفى توضيح الأمر يقول الشيخ محمد أبو المواهب الشاذلى رضى الله عنه : نظر الحق تعالى بالبصر جائز وقوعه فى الدنيا عقلاً لمن شاء الله تعالى صرح بذلك الشيخ أبو الحسن الأشعرى رضى الله تعالى عنه ولا يلزم على ذلك محال فإياك يا أخى أن تقع فى ورطة الإنكار فإنه يستحيل على السيد موسى عليه الصلاة والسلام أن يسأل ما كان مستحيلاً أو أن يعطل صفة من صفات ربه أو أن يجهلها وكان يقول إنما حجب الخفاش عن الإبصار لضوء النهار ماغلب عليه من تراكم الأنوار فافهم ، ذات المرجع ، ص٤٧٦ .

[٣]) صحيح البخارى ، العلم ، حديث رقم ١٠٧ ، حَدَّثَنَا أَبُو الْوَلِيدِ قَالَ حَدَّثَنَا شُعْبَةُ عَنْ جَامِعِ بْنِ شَدَّادٍ عَنْ عَامِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ عَنْ أَبِيهِ قَالَ قُلْتُ لِلزُّبَيْرِ إِنِّى لاَ أَسْمَعُكَ تُحَدِّثُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ـ صلى الله عليه وسلم ـ كَمَا يُحَدِّثُ فُلاَنٌ وَفُلاَنٌ . قَالَ أَمَا إِنِّى لَمْ أُفَارِقْهُ وَلَكِنْ سَمِعْتُهُ يَقُولُ « مَنْ كَذَبَ عَلَىَّ فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ » . نقلاً عن : موسوعة الحديث الشريف ، مرجع سابق .

ويخلص الشيخ قائلاً:" أقصد من ذلك أن لقائى برسول الله صلى الله عليه وسلم جائز بالسنة المطهرة، وقد قال صلى الله عليه وسلم:" مَنْ رَآنِى فِى الْمَنَامِ فَسَيَرَانِى فِى الْيَقَظَةِ لاَ يَتَمَثَّلُ الشَّيْطَانُ بِى"[1].

وفى بيان ذلك، يوضح فضيلة الشيخ على جمعه(مفتى الديار المصرية سابقاً) قائلاً:" ولا يستحيل عقلاً رؤيته صلى الله عليه وسلم فى اليقظة؛ ذلك أن المستحيل العقلى هو وجود أى ذات فى مكانين فى وقت واحد، والقول برؤيته صلى الله عليه وسلم لايلزم منها ذلك؛ إذ مقامه صلى الله عليه وسلم فى روضته الشريفة يحيا فيها لربه ويأنس به، كما أن الأنبياء جميعاً ـ كما سلف القول ـ أحياء فى قبورهم .

ولا تعد رؤيته صلى الله عليه وسلم إلا أن تكون انكشافاً، أو كشفاً للولى فى اليقظة عن حال النبى صلى الله عليه وسلم القائم فى روضته، ويخرق الله الحجب للرائى ويزيل الموانع حتى يراه كل راء ولو من المشرق والمغرب، أو تصير الحجب شفافة لا تحجب ما ورائها، وهو ما لاينكره العقل. كما أن القول بأن رؤيته فى اليقظة مخصص بيوم القيامة هو تخصيص بغير مخصص، ومن ادعى ذلك بغير تخصيص منه صلى الله عليه وسلم فهو متعسف، وغير مصدق بقول الصادق الصدوق، بل هو جاهل بقدرة القادر، ومنكر لكرامات الأولياء مع ثبوتها بدلائل الكتاب والسنة الواضحة، فضلاً عن أن احتمال إرادة القيامة بعيد من لفظ اليقظة، فلا فائدة إذن فى التقييد، ذلك أن أمته جميعاً ستراه صلى الله عليه وسلم يوم القيامة، منْ رآه منهم فى المنام، أو منْ لم يره .

ويستكمل الشيخ نقاط عقيدته :

" النقطة الرابعة ـ أنا مؤمن بأن من صفات الرسول عليه الصلاة والسلام أن له صفة نورانية من محض مواهب الله، وفى الحديث القدسى فيما معناه:"يامحمد أنت قبضة من نورى ليس لها صبر حتى تعود إلىّ".

---

[1]) مسند أحمد ، حديث أبى قتادة الأنصارى ، حديث رقم ٢٣٢٧٥- عن أَبِى هُرَيْرَة قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- يَقُولُ « مَنْ رَآنِى فِى الْمَنَامِ فَسَيَرَانِى فِى الْيَقَظَةِ أَوْ فَكَأَنَّمَا رَآنِى فِى الْيَقَظَةِ لاَ يَتَمَثَّلُ الشَّيْطَانُ بِى ». فَقَالَ أَبُو سَلَمَةَ قَالَ أَبُو قَتَادَةَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- « مَنْ رَآنِى فَقَدْ رَآنِى الْحَقَّ ». نقلاً عن : موسوعة الحديث الشريف ، مرجع سابق .

وفى أجواء قوله تعالى:{ قَدْ جَاءَكُم مِّنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ}[1] يقول الشيخ: أن النور هو رسول الله صلى الله عليه وسلم، وليس المقصود القرآن، فالعطف يقتضى المغايرة، إذن فالنورغير الكتاب، فالنور هو سيد الوجود، والكتاب هو القرآن، ولولا أن النور يسبق الكتاب- كما جاء فى الآية ـ لما استطعنا قراءة القرآن، أو ظهوره لنا. ويستشهد بآية أخرى فى كتاب الله قال تعالى:{ وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا}[2]، ولم يُرَ من الشمس إلا النور، ويشهد القرآن فى موطن آخر أن الرسول نور، قال الله تعالى:{وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا}[3]، ورُوِىَّ عنه صلى الله عليه وسلم ما معناه:" كنت نوراً بين يدى الله عز وجل قبل أن يخلق آدم بأربعة عشر ألف عاماً ".

وينبه الشيخ فى هذا الموضع فيقول:" لايعنى ذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم جزء من الله عز وجل، فالعلم نور، والوحى نور، فالنبى صلى الله عليه وسلم على حسب مفهومى لهذه الآيات القرآنية الكريمة، والأحاديث القدسية، والنبوية الشريفة ليس جزءاً، وليس بعضاً من الله عز وجل، فالله واحد أحد ليس كمثله شيئ، ولايدخل فيه شيئ، ولايحل فى شيئ، ولايلتصق به شيئ.

وأن المقصود فى عقيدتى أن الله قد وصف الرسول عليه الصلاة والسلام بهذه الصفات وأهليته للنبوة، أو هى نعوت لنور القرآن الكريم، الذى اصطفاه ربه لإبلاغه للبشر، فلا يفهم أن الرسول جزء من الله، فهذا كفر بَيِّن لم اتحدث فيه، ولن اتحدث فيه".

النقطة الخامسة:" أؤمن أن أولياء الله الصالحين هم أُناس مثلنا قاموا بالإحسان على أعلى وجه، وشفَّت روحهم، فتولاهم الله بقدرته فى كل أعمالهم، وتصرفاتهم، وكانوا أولياء له فى الأرض، ينطقون باسم الله،

---

[1]) المائدة : ١٥ ، وقد جاء فى تفسيرالبغوى : قوله عز وجل: " قد جاءكم من الله نور" ، يعني : محمداً صلى الله عليه وسلم ، وقيل: الإسلام، " وكتاب مبين" ، أي: بين ، وقيل: مبين وهو القرآن ، كما جاء فى تفسير الطبرى ، قال أبو جعفر: يقول جل ثناؤه لهؤلاء الذين خاطبهم من أهل الكتاب " :قد جاءكم" ، يا أهل التوراة والإنجيل من الله نور "، يعني بالنور، محمدًا صلى الله عليه وسلم الذي أنار الله به الحقَّ، وأظهر به الإسلام، ومحق به الشرك، فهو نور لمن استنار به يبيِّن الحق. ومن إنارته الحق، تبيينُه لليهود كثيرًا مما كانوا يخفون من الكتاب .

[2]) نوح : ١٦ .

[3]) الأحزاب : ٤٦ ، وقد جاء فى تفسير البغوى : وداعياً إلى الله"، إلى توحيده وطاعته،" بإذنه"، بأمره،" وسراجاً منيراً"، سماه سراجاً لأنه يهتدى به كالسراج يستضاء به فى الظلمة .

ويحيون بقدرته عز وجل، ولنا فى الدنيا أمثلة فى ذلك، فأولياء الله كثيرون، ومعلومون، ونحتفل بذكراهم، ولهم التاريخ العريق. ويضيف الشيخ:" الرسول صلى الله عليه وسلم مبلغ لحجة ربه، وخيَّره الله فى ليلة مسراه، لقوله صلى الله عليه وسلم:"أوتيت ليلة الإسراء ثلاثة علوم: علم أفشيته للأمة، وعلم خُيِّرت فيه للبعض دون البعض من الصحابة، وعلم أُمِرْت بكتمه، وهو علم سر القدرة"[1].

إذن فهناك علوم كعلم حذيفة الذى يعرف به النفاق دون الصحابة، وإن رأوه يقولون يا وارث سررسول الله، والمقصود بالوارث فى هذا الشأن هو حذيفة، إذن الرسول لم يورث هذا العلم إلا لحذيفة، وورث غيره من الصحابة علوم أخرى كأبى هريرة، فلم يكن حذيفة وأبى هريرة أنبياء. إن توريث العلم من رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى الآن وبعد الآن، فهناك من الأولياء من هم على قدم النبوءات السابقة، لقوله صلى الله عليه وسلم فيما معناه:" علماء أمتى كأنبياء بنى إسرائيل"[2]، وقال:" إِنَّ الْعُلَمَاءَ وَرَثَةُ الأَنْبِيَاءِ وَإِنَّ الأَنْبِيَاءَ لَمْ يُوَرِّثُوا دِينَارًا وَلاَ دِرْهَمًا وَرَّثُوا الْعِلْمَ فَمَنْ أَخَذَهُ أَخَذَ بِحَظٍّ وَافِرٍ"[3].

والولاية اجتباء، ولاينال الولاية من طلب الولاية لذاتها، ولكن الولاية ينالها من طلبه الله لذاته، سبقت له مواهب الله وإن أباها، وإن أباها ".

ويَدِين الشيخ بأن حب أهل البيت فرض على كل مسلم، وأن حبهم من حب سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم، وحبه صلى الله عليه وسلم من حب الله عز وجل، فعَن ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم:"

---

[1]) ابن عطاء الله السكندرى رضى الله عنه ،" لطائف المنن فى مناقب الشيخ أبى العباس المرسى وشيخه الشاذلى أبى الحسن ، مرجع سابق ، ص ٨٤ ، حيث نبه قائلاً : فاعلم أنه ليس كل شئ أطلع الله عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم يلزمه الإعلام به كيف وقد روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال " علمنى ربى ثلاثة علوم : علم أمرنى بإفشائه ، وعلم نهانى عن إفشائه ، وعلم خيرنى فى إفشائه " .

[2]) نقلاً عن : ابن عطاء الله السكندرى ،" لطائف المنن فى مناقب الشيخ أبى العباس المرسى وشيخه الشاذلى أبى الحسن ، مرجع سابق ، ص١٨ ، وقال فى الحديث "علماء أمتى كأنبياء بنى إسرائيل " أى يأتون مقررين ومؤكدين وآمرين بما جئت به لا أنهم يأتون بشرع جديد .

[3]) سنن أبى داوود ، العلم ، حديث رقم ٣٦٤٣ - حَدَّثَنَا مُسَدَّدُ بْنُ مُسَرْهَدٍ حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ دَاوُدَ سَمِعْتُ عَاصِمَ بْنَ رَجَاءِ بْنِ حَيْوَةَ يُحَدِّثُ عَنْ دَاوُدَ بْنِ جَمِيلٍ عَنْ كَثِيرِ بْنِ قَيْسٍ قَالَ كُنْتُ جَالِسًا مَعَ أَبِى الدَّرْدَاءِ فِى مَسْجِدِ دِمَشْقَ فَجَاءَهُ رَجُلٌ فَقَالَ يَا أَبَا الدَّرْدَاءِ إِنِّى جِئْتُكَ مِنْ مَدِينَةِ الرَّسُولِ -صلى الله عليه وسلم- لِحَدِيثٍ بَلَغَنِى أَنَّكَ تُحَدِّثُهُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- مَا جِئْتُ لِحَاجَةٍ. قَالَ فَإِنِّى سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- يَقُولُ « مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَطْلُبُ فِيهِ عِلْمًا سَلَكَ اللَّهُ بِهِ طَرِيقًا مِنْ طُرُقِ الْجَنَّةِ وَإِنَّ الْمَلاَئِكَةَ لَتَضَعُ أَجْنِحَتَهَا رِضًا لِطَالِبِ الْعِلْمِ وَإِنَّ الْعَالِمَ لَيَسْتَغْفِرُ لَهُ مَنْ فِى السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِى الأَرْضِ وَالْحِيتَانُ فِى جَوْفِ الْمَاءِ وَإِنَّ فَضْلَ الْعَالِمِ عَلَى الْعَابِدِ كَفَضْلِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ عَلَى سَائِرِ الْكَوَاكِبِ وَإِنَّ الْعُلَمَاءَ وَرَثَةُ الأَنْبِيَاءِ وَإِنَّ الأَنْبِيَاءَ لَمْ يُوَرِّثُوا دِينَارًا وَلاَ دِرْهَمًا وَرَّثُوا الْعِلْمَ فَمَنْ أَخَذَهُ أَخَذَ بِحَظٍّ وَافِرٍ ». نقلاً عن : موسوعة الحديث الشريف ، وزارة الأوقاف ، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية

أَحِبُّوا اللَّهَ لِمَا يَغْذُوكُمْ مِنْ نِعَمِهِ وَأَحِبُّونِى بِحُبِّ اللَّهِ وَأَحِبُّوا أَهْلَ بَيْتِى لِحُبِّى "[1].

وأنشأ الشيخ فى ذلك مادحاً [2]:

مديح الآل مدح للنبى * ومدح المصطفى مدح العلى

وهم خصوا بفضل سرمدى * بنو الزهراء منْ عمت ضياهم

كما يَدِين الشيخ أن المسلمين مسئولون أمام الله عز وجل عن حب أهل البيت ومودتهم، ومن أظهر ألوان الحب ودلالات مودتهم؛ موالاتهم، والاقتداء بهم[3].

ويعتبر الشيخ محبة أهل البيت هى المعيار الحقيقى الذى يفرق بين المؤمن والمنافق، فكان يقول:" إذا أردت أن تميز المنافق عن المؤمن امدح آل البيت وتحدث فى فضلهم، تجد المنافق قد امتعض وجهه، وسيئ به، وضاق ذرعا، بينما تجد المحب يتهلل وجهه، وتنفرج أساريره؛ ابتهاجاً، وفرحاً بمديح آل البيت"، وعن جابر بن عبد الله رضى الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" لايحبنا أهل البيت إلا مؤمن تقى، ولا يبغضنا إلا منافق شقى"[4].

ويرى الشيخ أن أهل البيت أفضل من خاصة الناس إن كان فى الناس خاصة، وأن أهل البيت لايقاس بهم أحد، وعن أنس رضى الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" نحن أهل البيت لايقاس بنا أحد "[5]؛ لذا، كان الشيخ رضى الله عنه يود أهل البيت المعاصرين زمانه، وتغالى فى مودتهم، وانْكَبَّ على شئونهم، وسعى فى قضاء حوائجهم، وأخذ بكل سبيل لرضائهم، ناصرهم، وتَحزَّبَ لمنْ يناصرهم، وعادى منْ عاداهم، أكرمهم، وبَجَّلَهم، مدحهم، وقدح فى عدوهم، ملأ قلبه بحبهم، فأكثر لسانه من ذكرهم، ولا حرج من التغالى فى محبة أهل البيت، والتفانى فى ودهم، طالما أن المسلم سليم الاعتقاد فى التوحيد.

---

[1]) سنن الترمذى ، المناقب ، حديث رقم ٤١٥٨ ، نقلاً غن موسوعة الحديث الشريف ، مرجع سابق .

[2]) العارف بالله تعالى الحاج أحمد أبو الحسن ، ديوان "اللطائف السنية فى مولد خير البرية" مطبعة دار إحياء الكتب العربية ، فيصل عيسى البابى الحلبى ، مرجع سابق ، مطلع قصيدة بعنوان (كمال الوسائل وعطاء النائل) ، ص ٢٠٦ .

[3]) توفيق أبو علم ، السيدة نفيسة رضى الله عنها ، مرجع سابق ، ص٥٤ .

[4]) توفيق أبو علم ، السيدة نفيسة رضى الله عنها ، مرجع سابق ، ص٥٦

[5]) ورد بمرجع : توفيق أبو علم ، السيدة نفيسة رضى الله عنها، مرجع سابق ، ص ٥٥ .

وينصح الشيخ أحبابه قائلاً: إذا اغتابوك الأشراف، أو ضربوك، أو أكلوا مالك، أو أساءوا إليك أدخلوك الجنة، وذلك بأن يضع الحكم العدل الميزان يوم القيامة، فلا يرضى أن يدخل الأشراف النار، ولكن يأتى إلى صاحب الحق، ويقول أتصفح وتعفو عمن أساء إليك وأنا أدخلك الجنة بعفوى، فيقول العبد: نعم ياربى، فيدخله الجنة، كما يدخل الشريف الجنة؛ إرضاءً لحبيبه صلى الله عليه وسلم.

ولا غرو فى ذلك، فلمَّا ضرب جعفر بن سليمان الإمام مالك رضى الله عنه، غشى على مالك فدخل عليه الناس، فلما أفاق قال لهم أشهدكم أنى قد جعلت ضاربى فى حل، فقيل: لم؟ فقال: خفت أن أموت فألقى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأستحى أن يدخل أحد من آله النار بسببى، فلما تولَّى المنصور طلب أن يقتص له منه، فقال الإمام مالك رضى الله عنه: أعوذ بالله، والله ما ارتفع منها سوط عن جسمى إلا وقد جعلته فى حل منه لقرابته من رسول الله صلى الله عليه وسلم[1].

ومن مقتضيات حب أهل البيت التأدب فى التعامل معهم، وفى مخاطبتهم، فكلما زاد حب المسلم لأهل البيت ازداد تواضعاً وهضماً لنفسه فى رحابهم، وازدان أدباً فى الحديث معهم، فمحبة وأدب وصول بلا تعب . يقول أحدهم[2]:" لم يصل أولياء الله تعالى إلى ما وصلوا إليه بكثرة الأعمال وإنما وصلوا إليه بالأدب".

وتجسيداً لأدب الحديث والخطاب مع أهل البيت، أسوق رسالة أرسلها الشيخ إلى أحد مريديه من المنتسبين إلى أهل البيت، قدَّمَ فيها الشيخ مثالاً ونموذجاً فى أدب الخطاب مع أهل البيت، وضمنها رموزاً لعقيدته، ومنْ أراد أن يقف على رموز الأشياخ فلينظر فى مكاتباتهم ومراسلاتهم فإن رموزهم فيها لا فى مصنفاتهم، يقول الشيخ: "بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله حمداً يليق بجلال جمال وجهه الكريم، مثل حمده لذاته وحمد الحامدين، وأشهد أن لا إله إلا الله شهادة المنزهين الحق عن المكان والزمان، وصل اللهم على كعبة الحمد، وعرش المحامد سيدنا محمد أحمد منْ حَمَدَ وحُمِد

---

[1]) توفيق أبو علم ، السيدة نفيسة رضى الله عنها ، مرجع سابق ، ص٥٦ ، ٥٧ .

[2]) قول لأبى السعود بن أبى العشائر رحمه الله ، نقلاً عن : الإمام عبد الوهاب الشعرانى ، الطبقات الكبرى ، مرجع سابق ، ص ٢٧٦ .

عند ربه، وعلى آله المختصين بتخصيص{وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَن يَشَاءُ}[١]، خير عترة من أعظم زهرة، وخير زهرة من أعظم شجرة، عرف طه، موطن رضاها، ومصدر عطاها، ونجوم سماها، ونور ضياها، عنصر الشجرة الذكية، وثمرة الشجرة الهاشمية، وخزائن صفاء العلوم اللدنية، وعلى أصحابه الممدوحين{ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ }[٢]، وعلى أحبابه وأحباب آل بيته مَنْ مدحهم الله فى كتابه :{إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا الْحُسْنَىٰ }[٣]، وعلى عباد الله الصالحين، وأوليائه المقربين.

إلى/ السيد مِن عبده، ومن البعض إلى مصدر مده، السيد الحسيب النسيب ...جعلكم الله سنداً وعوناً لأمة جدكم، ولكل الخلق كما أنتم كذلك...سلام من الله عليكم، وسلام من رسوله عليكم، وسلام منكم علينا، نسأل الله أن يشرف أسماعنا بذكركم، وأبصارنا بالنظر إليكم، وقلوبنا سكن ومسكن لكم، ولحبكم فى الدنيا وفى الآخرة، وأن يرزقنا فى جواركم حسن الختام. آمين .. خويدم نعلكم المتطفل على موائد كرمكم المستور ببركة حبكم النزيل فى ساحتكم / أحمد أبو الحسن"[٤].

ويختم الشيخ حديثه المبسوط عن عقيدته، وأفكاره قائلاً:" مجموع ما ذكرته هى تمثل عقائد آمنت بها"، ويقول:" أنا عقيدتى هى أفكارى وكل حياتى "[٥].

هآؤم ما تيسر جمعه مما بسطه الشيخ عن عقيدته، وأفكاره، ومفردات المسائل التى دان بها، تلك التى كرَّسَ حياته على نشرها فى أهل عصره، يتحدث بها على الملأ فى مجالسه العامة، لاسيما فى المحافل التى يقيمها بمناسبة الموالد، والمواسم، والاحتفالات الدينية فاقرأوها.

وسوف يلمس القارئ انعكاس عقيدة الشيخ على آرائه فى بعض المسائل العقائدية التى ثار حولها جدل الفقه على مر التاريخ الإسلامى، وهو ما سنفرغ له من خلال الفصل التالى.

---

[١]) البقرة : ١٠٥ ، وقال تعالى :{ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَن يَشَاءُ ۗ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ } ، آل عمران : ٧٤ .

[٢]) الفتح : ٢٩ .

[٣]) الأنبياء : ١٠١ .

[٤]) خطاب من مولانا العارف بالله تعالى الحاج أحمد أبو الحسن إلى الأستاذ الدكتور / تمساح على أبو نخيلة الجعفرى ، أستاذ الأدب والفقه بجامعة الأزهر الشريف ، من مريدى الشيخ ، مقيم ببرديس من أعمال محافظة سوهاج ، ويجسد الخطاب الأدب الجم ، والمثال المحتذى فى مخاطبة أهل بيت النبى .

[٥])راجع : أقوال الشيخ فى تحقيقات النيابة ، قضية المعروفة بـ "العصبة الهاشمية " ، مرجع سابق .

الفصل الثانى

آراء الشيخ فى بعض المسائل العقائدية

كان الرعيل الأول فى عصر النبى صلى الله عليه وسلم، ثم فى عصر الخلفاء الراشدين يستمدون آراءهم فى المسائل العقائدية من الكتاب والسنة؛ وذلك بفضل نقاء سريرتهم، وحرارة إيمانهم، وانشغالهم بعبادة الله، والجهاد فى سبيل تمكين الدين الجديد، فنأوا بأنفسهم عن الجدل والمناقشات التى تثير المشاكل الاعتقادية، وسَلَّموا بصحة ما جاءت به النصوص القرآنية والأحاديث النبوية؛ لكونها مُنَزَّلَة من عند الله ورسوله، وصدق الله ورسوله.

وبعد أن صارت الخلافة ملكاً عضوداً فى عصر بنى أمية، وما تلاه، واتسعت الفتوحات الإسلامية، واعتنق الإسلام كثير من أهل الديانات السابقة، وأصحاب المذاهب الفلسفية القديمة، واختلطوا بالمسلمين، فنقلوا مشكلاتهم العقائدية إلى المسلمين، وأخذوا فى تشكيكهم فى عقيدتهم، وأثاروا الجدل والشبهات حول خلق القرآن، والقضاء والقدر، وهل الإنسان مسير، أم مخير؟ وغيرها.

وقد تصدى فقهاء الأمة الإسلامية الأوائل بالرد على هذه الشبهات، وتأصل بذلك علم الكلام، وظهرت الفرق الاعتقادية[1].

وقد أدلى الشيخ بالعديد من الآراء في تلك المسائل العقائدية، بوصفها انعكاساً لمجمل عقيدته؛ فكان من الملائم إردافهما فى التناول.

ويلمح المتتبع بجلاء أن آراء الشيخ تتسم بالوسطية، والتسامح، والتسامى، الأمرالذى يحد من غلواء المذهبية الدينية، ويعمل على إذابة الفوارق، ويقرب بين الآراء المتباينة، ويزيل الخلافات التي يعانى منها عالمنا الإسلامى المعاصر.

ومن الصعوبة بمكان حصر جميع المسائل التى عَنِيَ الشيخ بها وساهم برأى فيها؛ لذا، انتخب الباحث النزر اليسير منها لتناوله فى هذا الفصل،

---

[1]) صفوت حامد مبارك ، مقال بعنوان : (الفرق) ، الموسوعة الإسلامية العامة ، صادرة عن المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ، وزارة الأوقاف بجمهورية مصر العربية ، إشراف أ .د / محمود حمدى زقزوق ، وزير الأوقاف السابق ، القاهرة ١٤٢٢هـ ، ٢٠٠١م ، ص ١٠٧٧ ـ١٠٧٩ .

الذى ينقسم إلى مبحثين: أولهما- يتناول رأى الشيخ فى قضايا الوحى، والناسخ والمنسوخ، والقضاء والقدر، والثانى - يستعرض رأى الشيخ فى معجزة الإسراء والمعراج، وسمو النفس البشرية، وذلك على الوجه التالى :

المبحث الأول

رأيه فى الوحى، والنسخ، والقضاء والقدر

أولاً - رأى الشيخ فى قضية الوحى، وكيفية تلقى القرآن

الوَحْيُ لغة[١]: ما يوحيه الله إلى أنبيائه، وأوحى إليه، وله - أى: أشار وأومأ - وكَلَّمَه بكلام يخفى على غيره - وبَعَثَهُ، وأوحى الله إليه: أرْسَلَ وألْهَمَهُ، وفى القرآن:{ وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ ... }[٢]. وفى الشرع[٣]: هو إعلام الله تعالى لنبى من أنبيائه بحكم شرعى ونحوه بواسطة، أوغير واسطة، أو بمعنى آخر هو نقل مراد الله فى أمر ما إلى نبيه، أو إلى رسوله عن طريق مَلَك؛ بقصد إبلاغه إلى الناس، فالوحى بهذا المعنى هو أمر يلازم النبوة أو الرسالة كالمعجزة، كما أنه ضرورى لحياة البشر.

ويجب الإيمان بالوحى؛ لارتباطه بالإيمان بما أنزل الله من كتب، وصحف وَحْيَّاً من الله، كما يجب الإيمان بأن علم الله قديم مسطور فى اللوح المحفوظ، أو ثابت فى أم الكتاب، وإنما ينزل الوحى بما سُطِرَ فيه. والإيمان بالوحى يبطل الزعم بأنه مس من الشيطان، أو آفة فى العقل، أو مجرد تخيلات، أو أوهام - كما يدعى المبطلون الجاهلون - ويبطل كذلك القول بأن العقل يغنى عن الوحى - كما تدعى فرقة البراهمة - ولا يسوغ أيضاً القول بأن الوحى مجرد نوع من الكشف أو الفيض، كما يدعى بعض أدعياء التصوف، أو المتسوفة.

ومَلَكُ الوحى فى القرآن هو جبريل عليه السلام، يقول عز وجل: {قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ}[٤]، وهو "الروح الأمين" قال تعالى: {نَزَلَ بِهِ

---

[١]) المعجم الوجيز ، مرجع سابق ، ص٦٦٣.
[٢]) النحل : ٦٨ .
[٣]) فى تفصيل الأمر راجع : عبد اللطيف محمد العبد ، مقال بعنوان : (الوحى) ، الموسوعة الإسلامية العامة ، مرجع سابق ، ص١٤٣٨ -١٤٤٠ .
[٤]) البقرة : ٩٧ .

الرُّوحُ الْأَمِينُ }[1]، و"روح القدس" قال تعالى:{ قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ ...}[2]، كما يطلق عليه "الناموس"، فعَنِ ابْنِ شِهَابٍ سَمِعْتُ عُرْوَةَ قَالَ قَالَتْ عَائِشَةُ ـ رضى الله عنها فَرَجَعَ النَّبِىُّ صلى الله عليه وسلم إِلَى خَدِيجَةَ يَرْجُفُ فُؤَادُهُ، فَانْطَلَقَتْ بِهِ إِلَى وَرَقَةَ بْنِ نَوْفَلٍ، وَكَانَ رَجُلاً تَنَصَّرَ يَقْرَأُ الإِنْجِيلَ بِالْعَرَبِيَّةِ. فَقَالَ وَرَقَةُ مَاذَا تَرَى فَأَخْبَرَهُ. فَقَالَ وَرَقَةُ هَذَا النَّامُوسُ الَّذِى أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى مُوسَى، وَإِنْ أَدْرَكَنِى يَوْمُكَ أَنْصُرْكَ نَصْرًا مُؤَزَّرًا[3].

ويعتنق الشيخ رأياً متميزاً فى قضية الوحى، وكيفية تلقى الرسول القرآن، وينبع هذا الرأى من عقيدته فى تنزيه الله سبحانه.

وإجمالاً، يرى الشيخ أن وُحَى النبى صلى الله عليه وسلم كانت منه وإليه، بمعنى أن الله الحكيم العليم أودع فى قلب الحبيب الأعظم جميع قرآنه، فالقرآن الكريم مسطور بقلم القدرة فى جوانب الحبيب الأعظم صلى الله عليه وسلم، يقول تعالى:{ الرَّحْمَـٰنُ * عَلَّمَ الْقُرْآنَ * خَلَقَ الْإِنسَانَ * عَلَّمَهُ الْبَيَانَ}[4] فمنْ الذى علَّمه الله القرآن قبل خلق الإنسان؟!.

ويصح الفرض ـ هنا ـ أن الرحمن عَلَّمَ قرآنه بمعنى: أن جعل له أمارات وعلامات يعرفها، وهو أحد المعانى اللغويه للفعل(عَلَّمَ)[5]، وأن هذه العلامات والأمارات سبق أن سَطَّرَها الله فى طور أول العابدين، وخير خلقه سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، يقول تعالى:{ قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَـٰنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ }[6].

ويقول عز وجل:{وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى الْقُرْآنَ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ }[7] أى: وإنك يارسول الله لتتلقى القرآن من ربك الحكيم العليم، فقد قرأه الله عليه، وآياته مجموعة فى صدره صلى الله عليه وسلم قِدَماً، ويتعجل صلى الله عليه وسلم بقرآته، لكن الله يُمَكِّنُهُ إلى حين يأتى ميقات ظهور الآية، فتقع حادثة تكون سبباً لنزولها، يقول عز وجل:{ لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ * إِنَّ

---

[1]) الشعراء : ١٩٣ .
[2]) النحل : ١٠٢ .
[3]) صحيح البخارى ، بدء الوحى ، رقم ٣ ، وجاء أيضاً فى حديث الأنبياء رقم ٣٣٩٢ ، النَّامُوسُ : صَاحِبُ السِّرِّ الَّذِى يُطْلِعُهُ بِمَا يَسْتُرُهُ عَنْ غَيْرِهِ ، نقلاً عن : موسوعة الحديث الشريف ، وزارة الأوقاف ، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية .
[4]) الرحمن : ١ -٤ .
[5]) المعجم الوجيز ، مرجع سابق ، ص ٤٣٢ .
[6]) الزخرف : ٨١ .
[7]) النمل : ٦ .

عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ * فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ * ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ }[١] أى: لاتتعجل أيها الرسول الكريم بقراءة القرآن، فقد جمعناه من قبل فى صدرك، وقرآناه عليك، فإذا قرأه جبريل عليك فاتبع قراءته[٢].

ويمتثل الرسول صلى الله عليه وسلم لأمر ربه فينتظر حتى يقضى إليه وحيه، يقول تعالى:{ وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰ إِلَيْكَ وَحْيُهُ }[٣]، ويقول عز وجل:{ وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنزِيلًا}[٤].

وغنى عن البيان أن الله يوحى للبشر بثلاثة طرق: أولها - الوحى أو الإلهام، فيقذف العلى الحكيم فى روع النبى صلى الله عليه وسلم مراده، والثانية - التكلم من وراء حاجز، كما كلم الله موسى عليه الصلاة والسلام، والثالثة - أن يرسل المـَلَك على النبى صلى الله عليه وسلم، وقد أجمل العلى القدير الصور الثلاث فى آية واحدة، يقول تعالى:{وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ }[٥].

وورد عَنْ السيدة عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ(رضى الله عنها) أَنَّ الْحَارِثَ بْنَ هِشَامٍ (رضى الله عنه) سَأَلَ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ كَيْفَ يَأْتِيكَ الْوَحْىُ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: « أَحْيَانًا يَأْتِينِى مِثْلَ صَلْصَلَةِ الْجَرَسِ - وَهُوَ أَشَدُّهُ عَلَىَّ - فَيُفْصَمُ عَنِّى وَقَدْ وَعَيْتُ عَنْهُ مَا قَالَ، وَأَحْيَانًا يَتَمَثَّلُ لِىَ الْمَلَكُ رَجُلاً فَيُكَلِّمُنِى فَأَعِى مَا يَقُولُ » . قَالَتْ عَائِشَةُ رضى الله عنها وَلَقَدْ رَأَيْتُهُ يَنْزِلُ عَلَيْهِ الْوَحْىُ فِى الْيَوْمِ الشَّدِيدِ الْبَرْدِ، فَيَفْصِمُ عَنْهُ وَإِنَّ جَبِينَهُ لَيَتَفَصَّدُ عَرَقًا "[٦].

فهناك فرضان لاتصال المـَلَك بالرسول صلى الله عليه وسلم: الأولى- أن ينتقل ملك الوحى من الملائكية إلى البشرية، فينسلخ الملك (جبريل) من

---

[١]) القيامة : ١٦ – ١٩ .
[٢]) محمد سيد طنطاوى (شيخ الأزهر سابقاً) ، القرآن الكريم والتفسير الميسر ، طبعة خاصة بوزارة التربية والتعليم ، ٢٠٠٤ / ٢٠٠٥م ، ص٤٩٤ .
[٣]) طه : ١١٤ .
[٤]) الإسراء : ١٠٦ .
[٥]) الشورى : ٥١ .
[٦]) صحيح البخارى ، بدء الوحى ، حديث رقم ٢ . نقلاً عن : موسوعة الحديث الشريف ، مرجع سابق .

طور الملكية الروحانية إلى طور البشرية، فقد ورد فى الحديث الشهير أن جبريل جاء النبى صلى الله عليه وسلم فى صورة بشر ليُعلِم الناس دينهم فسأل النبى صلى الله عليه وسلم ما الإسلام؟ وما الإيمان؟ وما الإحسا ؟ وتعتبر هذه الصورة هى الأخف أثراً، ووقعاً على النبى صلى الله عليه وسلم[1].

والثانية ـ أن ينسلخ الرسول صلى الله عليه وسلم من طور البشرية إلى طور الملكية، وهى المشار إليها فى الحديث سالف الذكر بحالة صلصلة الجرس، وتعتبر هذه الصورة هى الأشد أثراً، ووقعاً على النبى صلى الله عليه وسلم؛ لأنها انسلاخ من البشرية واتصال بالروحانية[2].

ويستبعد الشيخ فرضية أن يكون سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم قد سمع القرآن بأُذِنْه المادية من المـَلَك جبريل، فذلك يستتبع أن يكون قد تلقاه من فم جبريل، وهو ما يودى بدوره لأن يكون جبريل قد سمعه بأذنه عن فم المتكلم، والله سبحانه وتعالى مخالف للحوادث، أو كما يشير الشيخ فى أحاديثه، فإن الحس يُدرَك بالحس، والخيال يُدرَك بالخيال، والغيب يُدرَك بالغيب.

وحيال ما تقدم، يرجح الشيخ فرضاً مفاده أن الآية التى حان نزولها تسطع نوراً من اللوح المحفوظ، فتنعكس على مرآة قلب سيدنا جبريل (عليه السلام) فيهلع بها جبريل الأمين، ويهبط على رسول رب العالمين، ويتهيأ الرسول الأمين صلى الله عليه وسلم لملاقاة جبريل الأمين، فتنعكس الآية نوراً من مرآة قلب الأخير على مرآة قلب سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم، يقول الله تعالى:{وَإِنَّهُ لَتَنزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ * نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ * عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ * بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ}[3].

ويقول فى تأويل قوله تعالى:{فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ}[4]، أن التيسير من تلقاء الله، ولكن بلسان رسوله صلى الله عليه وسلم، فالرسول صلى الله عليه وسلم هو الذى فسر لنا كلام الله المستور، وخاطب العقل،

---

[1]) سبق ذكره ، راجع صحيح البخارى ، الإيمان ، حديث رقم ٥٠ ، وقد جاء فى آخره : « هَذَا جِبْرِيلُ جَاءَ يُعَلِّمُ النَّاسَ دِينَهُمْ " .

[2]) فى تفصيل ذلك انظر : عبد اللطيف محمد العبد ، مقال بعنوان : (الوحى) ، الموسوعة الإسلامية العامة ، مرجع سابق ، ص١٤٣٨ ـ١٤٤٠ .

[3]) الشعراء : ١٩٢ ـ١٩٥ .

[4]) الدخان : ٥٨ .

والهياكل، والسطور، ولولاه ما ظهر لنا كلام الله القديم، فهو باب الله، ومصطفاه: " أنت باب الله أى امرئ أتاه من غيره لايدخل".

ويلمح الشيخ إلى حرف الباء فى قوله تعالى{بلسانك}- بدلاً من اللام (للسانك)- يدل على رفعة شأن الرسول صلى الله عليه وسلم، وأن القرآن الكريم مطبوع بين جنباته قدما، مستشهداً بحديث السيدة عائشة (رضى الله عنها) عندما سئلت (رضى الله عنها) عن خُلق رسول الله صلى الله عليه وسلم، قالت: "كان خُلُقُه القرآن"[1]، ولم تقل كان القرآن خلقه؛ إشارة إلى أن القرآن شمائل الحضرة المحمدية صلى الله عليه وسلم.

كما تشير الباء فى قوله تعالى:{بلسانك} إلى إحدى خصائصه صلى الله عليه وسلم، فقد أُوتِىَّ جوامع الكلم، وأحكم كلام الله القديم، ويسره للناس بلسان عربى مبين، وصاغه، وركبه فى كلام من جنس كلام العرب، وتحداهم به، فافتتح بالحروف العربية المقطعة تسعاً وعشرين سورة من سور القرآن الكريم، فلمَّا عجزوا على أن يأتو بمثله دلَّ هذا على أنه من عند الله، فاستبشر به المتقون، وأنذر به الخصم اللدود، يقول عز وجل:{ فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِ قَوْمًا لُّدًّا}[2].

ثانياً - رأى الشيخ فى "الناسخ والمنسوخ فى القرآن"

النسخ لغة[3]: الإزالة، ويقال: نسخ الله الآية: أزال حكمها، ويقال نسخ الحاكم القانون: أبطله، وفى القرآن: {مَا نَنسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا أَوْ مِثْلِهَا}[4].

وقد يقصد بالنسخ - فى معنى لامدخل له فى هذه الآية - التحويل والنقل، ومنه نسخ الكتاب: نَقَلَه وكَتَبَه حرفاً بحرف، أو أن يحول من كتاب

---

[1]) مسند أحمد ، حديث رقم ٢٦٥٦٤- حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ حَدَّثَنِى أَبِى حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ عَنْ يُونُسَ عَنِ الْحَسَنِ قَالَ سُئِلَتْ عَائِشَةُ عَنْ خُلُقِ رَسُولِ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- فَقَالَتْ كَانَ خُلُقُهُ الْقُرْآنَ . نقلاً عن : موسوعة الحديث الشريف ، مرجع سابق .

[2]) مريم : ٩٧ .

[3]) المعجم الوجيز ، مرجع سابق ، ص ٦١٢ .

[4]) البقرة : ١٠٦ .

إلى كتاب، فعلى هذا الوجه كل القرآن منسوخ لأنه نسخ من اللوح المحفوظ.[1]

والنسخ اصطلاحاً عند الأصوليين: هو بيان انتهاء حكم شرعى بطريق شرعى متراخ عنه، فالحكم الشرعى له عند الله غاية، أو محدد بوقت معين، فإذا تحققت الغاية، أوحل الوقت المعين انتهى الحكم لذاته[2]، كما لحظ بعضهم أنه رفع الحكم بدليل شرعي متأخر، فاندرج في ذلك نسخ الأخف بالأثقل وعكسه والنسخ لا إلى بدله [3].

وقد أقر غالب الفقهاء والعلماء الأصوليين وقوع النسخ شرعاً، وعقلاً، بينما ذهب غيرهم من المحدثين إلى عدم وقوعه فى القرآن الكريم، وإن أجازوا وقوعه فى السنة النبوية، ومنع أبو مسلم الأصفهانى وقوع النسخ شرعاً، وأجازه عقلاً.

ويفرق الفقه بين النسخ وما يتشابه معه من أمور أخرى: فلايعد نسخاً إذا ما نزل حكم فيه تكليف بعبادة معينة فى أمورعقلية الأصل فيها الإباحة، إنما هى زالت بما افترضه الله من عبادة، فالنسخ لا يكون إلا فى الأحكام الشرعية، كما لايعد نسخاً إذا ارتفع الحكم الشرعى بموت المكلف به، إنما هو سقوط هذا التكليف عن الميت، فالنسخ لا يكون إلا بخطاب شرعى، لا بموت المكلف.

ويجب لكى يُعَد نسخاً أن يكون الحكم السابق مقيداً بوقت معين، وأن يكون الناسخ متراخياً عن المنسوخ، كما لايسمى نسخاً من اقترن بالشرط والصفة والاستثناء، بل هو تخصيص.

وفرَّق البعض بين النسخ والبداء، فأما النسخ فهو تحويل العبادة من شيء إلى شيء قد كان حلالا فيحرم، أو كان حراما فيحلل، وأما البداء فهو ترك ما عزم عليه، كقولك: امض إلى فلان اليوم، ثم تقول لا تمض إليه، فيبدو لك العدول عن القول الأول، وهذا يلحق البشر لنقصانهم[4].

---

[1]) انظر : تفسير البغوى لآية النسخ ، وجاء فى تفسير القرطبى مثله : وعلى هذا يكون القرآن كله منسوخا ، أعني من اللوح المحفوظ وإنزاله إلى بيت العزة في السماء الدنيا ، وهذا لا مدخل له في هذه الآية ، ومنه قوله تعالى " : إنا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون" الجاثية : ٢٩ أي نأمر بنسخه وإثباته.

[2]) تعريف البيضاوى ، نقلاً عن : عبد الفتاح محمود إدريس ، مقال بعنوان ، (النسخ) ، الموسوعة الإسلامية العامة ، مرجع سابق ، ص ١٣٩٤ ـ١٣٩٦ .

[3]) راجع : تفسير ابن كثير عن آية النسخ .

[4]) قول النحاس ورد فى تفسير القرطبى لآية النسخ .

وقد تحدث الفقه فى شروط النسخ مثل ألا ينسخ القرآن إلا بقرآن، ولا السنة إلا بالسنة، وأن يكون الناسخ والمنسوخ نصين قاطعين متقابلين، وأن يكون الناسخ أقوى من المنسوخ، أو يتماثل معه، فلا ينسخ الحديث المتواتر بالآحاد، وقد اختلف الفقهاء فى وجوب توافر هذه الشروط، وفى جواز النسخ قبل إتاحة تنفيذ المكلف للفعل المنسوخ.

وقد تمثلت الحكمة من النسخ فى تدرج الأحكام الشرعية فى وضع المبادئ الأساسية للمجتمع الإسلامى بما يتلاءم مع ما تعود عليه المسلمون الأوائل فى مجتمعهم الجاهلى، وبما يحقق مصالحهم، فيتدرج الحكم الشرعى تبعاً لمصالح المسلمين من الأخف إلى الأشد أو العكس، وذلك حتى يألفوا الأحكام الشرعية التى ستسود فيهم. ومن هنا يكون النسخ رحمة وتوسعة على الأمة[1].

وسُجِلَ للشيخ رأى متفرد فى مسألة نسخ القرآن، استقاه من ينابيع عقيدته الراسخه، فالقرآن كلام الله القديم بقدم الله، والله سبحانه وتعالى منزه عن التردد، فهو العليم بالحادث والقديم، وهو خبير محيط بالخلائق وما يعملون، وهو على كل شيئ قدير، وهو المتعالى المخالف للحوادث، يغير ولا يتغير.

وعلى هذا، يرى الشيخ أنه: لايوجد فى القرآن ناسخ ومنسوخ، بالمعنى الذى يبدو بأن الله يرفع، أو يزيل، أو يُمحو آياته القرآنية، فالقرآن كلام الله قديم بقدم الله، وقد تعهد سبحانه وتعالى بحفظه يقول الله:{ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ }[2]، والحفظ لايتسق مع النسخ، كما يجحد النسخ فى القرآن- علم الله القديم المحيط بكل شيئ. كما وصف الله كتابه العزيز بقوله:{الر كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ}[3].

ولا مشاحة فى أن إحكام الله لكتابه يتعارض مع جريان النسخ، كما أن مجرد توهم تردده سبحانه وتعالى، أو ارتيابه فى الفصل بأحكامه بالتعديل أو بالتبديل عن طريق النسخ - لايليق بجلال الله وكماله.

---

[1]) اعتمد الباحث – بصفة أساسية – فى تعريف النسخ، وتمييزه عما يشببه، وشروطه، وحكمته - على مرجع : عبد الفتاح محمود إدريس، مقال بعنوان : (النسخ)، الموسوعة الإسلامية العامة، مرجع سابق، ص ١٣٩٤ -١٣٩٦ .
[2]) الحجر : ٩ .
[3]) هود : ١ .

ويستطرد الشيخ: " لكن الله يخلق من الآية القرآنية ـ من غير مثال سابق ـ خلقاً هم الآيات الكونية للآية القرآنية الوارد عليها النسخ، أى يخلق الله من الآية القرآنية خلقاً ـ إيجاداً وحكماً وانتشاراً ـ فتكون الآية القرآنية هى مصدر وجودهم، ويكونون هم محلاً لحكمها، ومثالاً بين الخلق لسريان دوامها إلى أن يرفع الله القرآن فى آخر الزمان .

ويضرب لذلك مثلاً بتدرج الآيات فى تحريم الخمر، فالآية الأولى:{ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا}[1]، أوجدت أُناساً يشربون الخمر، ويلعبون الميسر، وكان لهم ـ بحكم الآية ـ فى الخمر والميسر إثم كبير، ومنافع أقل، ومازال هؤلاء الأناسى منتشرين بين الخلق بدوام الآية القرآنية.

كذلك الآية الأخرى:{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنتُمْ سُكَارَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ }[2] فقد أوجدت قوماً مؤمنين، قضت عليهم بتناولهم الخمر، إلا أنهم لايشربونها حال صلاتهم، وقد محا الله من قلوبهم حكم نفع الخمر والميسر الوارد فى الآية الأولى فنسوه، فهم خير من أصحاب الآية الأولى، ومازال هؤلاء المؤمنون باقين بين الخلق بحكم الآية.

ولما جاءت الآية:{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ}[3] أبدعت مؤمنين آخرين يجتنبون الخمر، ولايقربوها سواء فى صلاتهم، أوفى بقية أوقاتهم، فهى رجس من عمل الشيطان بحكم الآية، وقد محا الله من قلوبهم حكم الآيتين السابقتين، فأضحوا خيراً من أصحابهما، ومازال هؤلاء المؤمنون قائمين بين الخلق بدوام حكم الآية .

وبمعنى آخر، الآيات القرآنية جوهر، والخلق الخاضعين لحكمها مظهر، فالخلق آيات كونية مظهرية لآى القرآن الجوهرية التى تحكم عليهم، وتجد آىُ القرآن الجوهرية تفسيرها الحقيقى بوجود آياتها الكونية، فآيات كتاب الله تجد تفسيرها الحقيقى بوجود خلق الله ممن تتحدث عنهم، فهى

---

[1]) البقرة : ٢١٩ .
[2]) النساء : ٤٣ .
[3]) المائدة : ٩٠ .

آيات تتحدث عن آيات، وتبقى الآيات الكونية ببقاء آى القرآن الجوهرية إلى قيام الساعة.

وعلى هذا، يمكن حمل قوله تعالى:{ مَا نَنسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا أَوْ مِثْلِهَا}[1] على تلك الآيات الكونية، أو المخلوقات التى هى مظهر للآيات القرآنية الجوهرية أى ننسخ المخلوقات الذين خُلِقوا من الآيات القرآنية بمثلهم، أو بخير منهم، فالله يرفع أو يزيل أو ينسى هؤلاء المخلوقات، لا ينسخ آيات الذكر الحكيم.

يقول الشيخ رضى الله عنه: " أعز الله المؤمنين ونزههم، فنسبهم إلى الإيمان بخطابه لهم { يا أيها الذين آمنوا } آمنوا بفضل الله، آمنوا فى اليوم الأول، عندما جعلهم فى كتابه آيات، فالمؤمنون آيات، والآيات موجودة فى كتاب الله القديم، وكتاب الله لايأتيه الباطل من بين يديه، ولا من خلفه، فهم بيننا لا يأتيهم الباطل، ووجودهم بيننا تفسير للآية".

وقريب من ذلك، تأويل سيدى أبى العباس المرسى لآية النسخ قال:" ما من ولى لله إلا ونأتى بخير منه أو مثله، فيجب دوام أنوار الأولياء لدوام ظهور نور رسول الله صلى الله عليه وسلم فيهم"[2]، فالأولياء آيات الله يتلوها على عباده بإظهار إياهم واحداً تلو آخر:{ تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ}[3].

وفى ذات الاتجاه، عُرِفَ النسخ بأنه: " رفع الحكم الشرعى بدليل شرعى متأخر، ويقصد به رفع تعلق الحكم الشرعى بأفعال المكلفين لا رفعه هو، فإنه أمر واقع والواقع لايرتفع"[4].

واعتصم أهل هذا النظر- أيضاً - بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: « إِنَّ اللَّهَ لاَ يَنْتَزِعُ الْعِلْمَ مِنَ النَّاسِ انْتِزَاعًا وَلَكِنْ يَقْبِضُ الْعُلَمَاءَ فَيَرْفَعُ الْعِلْمَ مَعَهُمْ وَيُبْقِى فِى النَّاسِ رُءُوسًا جُهَّالاً يُفْتُونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ فَيَضِلُّونَ وَيُضِلُّونَ

---

[1]) البقرة : ١٠٦ .

٢) ابن عطاء الله السكندرى ،لطائف المنن فى مناقب الشيخ أبى العباس المرسى وشيخه الشاذلى أبى الحسن ، مرجع سابق ، ص٢١ .

[3]) البقرة : ٢٥٢ ، آل عمران : ١٠٨ ، الجاثية : ٦ .

[4]) تعريف ابن الحاجب للنسخ ، نقلاً عن : عبد الفتاح محمود إدريس ، الموسوعة الإسلامية العامة ، مرجع سابق ، مقال بعنوان "النسخ" ، ص ١٣٩٤ -١٣٩٦ .

»[1]، وقوله صلى الله عليه وسلم: « بَدَأَ الإِسْلاَمُ غَرِيبًا وَسَيَعُودُ كَمَا بَدَأَ غَرِيبًا فَطُوبَى لِلْغُرَبَاءِ »[2]. وتعزو الغربة هنا إلى فقدان المسلمين حقاً فى آخر الزمان، لا غربة آياته النصية.

وعن عبد الله بن مسعود قوله:" تَعَلَّمُوا الْعِلْمَ قَبْلَ أَنْ يُقْبَضَ، وَقَبْضُهُ أَنْ يَذْهَبَ أَهْلُهُ، أَلاَ وَإِيَّاكُمْ وَالتَّنَطُّعَ وَالتَّعَمُّقَ وَالتَّبَدُّعَ، وَعَلَيْكُمْ بِالْعَتِيقِ"[3]. أى أن رفع العلم محمول على رفع آياته الكونية، وهم العلماء، وليس برفع العلم من الناس.

وأخيراً، يتسق رأى الشيخ (رضى الله عنه) فى النسخ مع ما لفت إليه البعض من أن لفظة "آية" وردت فى جميع سور القرآن بصيغة الجمع " آيات " باستثناء آية النسخ، التى وردت بصيغة الإفراد:{ما ننسخ من آية}، الأمر الذى حدا بهؤلاء إلى تأويل لفظة "آية" فى آية النسخ لا إلى الآية القرآنية، بل إلى الآية الكوني ، أو تأويلها على أنها العلامة[4]، أو المعجزة[5].

وهناك منْ يعزو النسخ إلى نسخ القرآن الكريم لجميع الكتب السماوية السابقة، فما يوجد فى هذه الكتب من آية إلا وقد أتى الله فى القرآن الكريم بخير منها، أو مثلها، بوصفه خاتم الكتب المنزلة[6]، فرسول الله صلى الله عليه وسلم هو خاتم النبيين ، وشريعته هى آخر الشرائع، وأحكامها ناسخة لما سبقها، بوصفها الشريعة التى ارتضاها الله لعباده، فالدين عند الله الإسلام، وآى القرآن هى آيات الله السرمدية، يقول عز وجل:{ إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ }[7].

ويشير الشيخ فى صلواته الكنزية إلى ذلك المعنى بقوله: "اللهم صل على سيدنا محمد الكل المحيط بالبرازخ، منْ نال عنك للمقام الشامخ، المحيط

---

[1]) صحيح مسلم ، باب العلم ، حديث رقم ٦٩٧٤ ، نقلاً عن : موسوعة الحديث الشريف ، مرجع سابق .
[2]) صحيح مسلم ، باب الإيمان ، حديث رقم ٣٨٩ ، نقلاً عن : موسوعة الحديث الشريف ، مرجع سابق .
[3]) سنن الدارمى ، كتاب المقدمة ، حديث رقم ١٤٤ ، نقلاً عن : موسوعة الحديث الشريف ، مرجع سابق .
[4]) انظر : رأى الأستاذ الدكتور محمد البهى ، مشار إليه فى مقال عبد الفتاح محمود إدريس بعنوان (النسخ) ، الموسوعة الإسلامية العامة ، مرجع سابق ، ص ١٣٩٤ ـ١٣٩٦ .
[5]) انظر : دراسة بعنوان : (معنى النسخ عند الشيخ محمد أبو زهرة) ، مجلة الأزهر ، صادرة عن مجمع البحوث الإسلامية ، عدد ذى القعدة ١٤٣٤هـ ـ سبتمبر/ أكتوبر ٢٠١٣م ، الجزء "١١" السنة ٨٦ ، ص٢٢٥٤ .
[6]) قول أبى مسلم وارد فى دراسة بعنوان : (معنى النسخ عند الشيخ محمد أبو زهرة) ، مجلة الأزهر ، مرجع سابق ، ص ٢٢٥٠ .
[7]) آل عمران : ١٩ .

بدروب الوحى، وشرعه لكل شرع ناسخ، صل اللهم عليه صلاة بالمدد الزاخخ، وعلى آله الكُمَل الرواسخ، وعلى اصحابه منْ مشوا فى سبيل الله أميال وفراسخ، وسلم تسليماً كثيرا"[1].

ثالثاً – رأى الشيخ فى مسألة القضاء والقدر

"القضاء" فى اللغة[2]: هو الحكم والفصل بين الناس، يقال قضى يقضى قضاء، ويقول ابن حزم:" ذهب بعض الناس، لكثرة استعمال المسلمين لهاتين اللفظتين إلى أن ظنوا فيهما معنى الإكراه والإجبار- وليس كما ظنوا - وإنما معنى القضاء فى لغة العرب أنه هو" الحكم " فقط، وقضى الله عز وجل بكذا، أى حكم به"[3]. ويكون أيضاً بمعنى أمر، قال تعالى:{وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا }[4] أى: أمر أن لاتعبدوا إلا إياه، أو بمعنى: أخبر قال تعالى: { وَقَضَيْنَا إِلَيْهِ ذَٰلِكَ الْأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَٰؤُلَاءِ مَقْطُوعٌ مُّصْبِحِينَ}[5]، أى: أخبرناه أن دابرهم مقطوع فى الصباح. وقد يكون بمعنى أراد، وهو قريب من معنى حكم، يقول تعالى: { إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ }[6]، أى: أراد، أو حكم بكَوْنه فكَوَّنه.

أما "القدر" لغة[7]: فهو القضاء الذى يقضى به الله على عباده، وفى معنى آخر: هو الترتيب والحد، الذى ينتهى إليه الشيئ، قال تعالى : {وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا}[8] ، بمعنى رتب أقواتها وحددها، وعلى هذا، فمعنى قضى وقدر، أى: حكم ورتب.

والقضاء والقدر اصطلاحاً: هو ما قدره الله وقضاه على العالمين، فى علمه الأزلى، مما لايملكون صرفه عنهم[9].

---

[1]) العارف بالله تعالى الحاج أحمد أبو الحسن ، كتيب الصلوات الكنزية ، مطبوع ، وغير منشور .
[2]) المعجم الوجيز ، مرجع سابق ، ص٥٠٦ .
[3]) صفوت حامد مبارك ، مقالة بعنوان "القضاء والقدر"، الموسوعة الإسلامية العامة ، مرجع سابق ، ص ١١٤٩ .
[4]) الإسراء : ٢٣
[5]) الحجر :٦٦ .
[6]) آل عمران : ٤٧ ، مريم : ٣٥ .
[7]) المعجم الوجيز ، مرجع سابق ، ص ٤٩٢ .
[8]) فصلت : ١٠ .
[9]) صفوت حامد مبارك ، مقالة بعنوان (القضاء والقدر)، الموسوعة الإسلامية العامة ، مرجع سابق ، ص ١١٤٩ .

ويُعد إيمان المسلم بالقضاء والقدر من أبرز لوازم الإيمان، فليس هناك مؤمن قط ينكر الإيمان بالقضاء والقدر، وتؤكد السنة المطهرة الإيمان بالقضاء والقدر، فعن عبد الله بن عمرو بن العاص ـ رضى الله عنهما ـ قال:" قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ" كَتَبَ اللَّهُ مَقَادِيرَ الْخَلاَئِقِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ـ قَالَ وَعَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ""[1].

ولقد ثبت فى الصحيحين عَنْ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ حَدَّثَنَا رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم وَهُوَ الصَّادِقُ الْمَصْدُوقُ:" إِنَّ أَحَدَكُمْ يُجْمَعُ خَلْقُهُ فِى بَطْنِ أُمِّهِ فِى أَرْبَعِينَ يَوْماً ثُمَّ يَكُونُ عَلَقَةً فِى مِثْلِ ذَلِكَ ثُمَّ يَكُونُ مُضْغَةً فِي مِثْلِ ذَلِكَ ثُمَّ يُرْسَلُ إِلَيْهِ الْمَلَكُ فَيَنْفُخُ فِيهِ الرُّوحَ وَيُؤْمَرُ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ رِزْقِهِ وَأَجَلِهِ وَعَمَلِهِ وَشَقِيٌّ أَمْ سَعِيدٌ فَوَالَّذِى لاَ إِلَهَ غَيْرُهُ إِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلاَّ ذِرَاعٌ فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ فَيُخْتَمُ لَهُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ فَيَدْخُلُهَا وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلاَّ ذِرَاعٌ فَيَسْبِقُ عَلَيْه الْكِتَابُ فَيُخْتَمُ لَهُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَيَدْخُلُهَا""[2].

ويقول الإمام الحسن البصرى:" منْ كذَّب بالقدر، فقد كذَّب بالحق، إن الله قَدَّرَ خَلْقَاً، وقَدَّرَ أجلاً، وقَدَّرَ بلاءً، وقَدَّرَ مُصِيبَةً، وقَدَّرَ معافاة، فمنْ كذَّبَ بالقدر إذن فقد كذَّب بالقرآن""[3].

ويجدر بالمسلم ألا يخوض فى مسألة القضاء القد ، بوصفها من الأسرارالتى استأثر الله تعالى بعلمها، والتى يعجز الإنسان على الإحاطة بها؛ إذ يستحيل على العقل الإنسانى إدراك حكمة الله فى الخلق، وتدبير الأمور، وما هية الوجود، والأصول التى بنى عليها نظام هذا الكون، وغرض الخالق من ترتيب الأمور بعضها على بعض، ومعنى الثواب والعقاب .

ومن ثَمَ وجب على المسلم الإيمان بأن لا قدرة لمخلوق مع قدرة الخالق، وأن لاعمل إلا بتوفيق الله ومشيئته، وأنْ يَكِل أمر مسألة القضاء والقدر إلى الله تعالى ولا يحتج بها، فقد حكم الله بالشرك على منْ يتعلل

---

[1]) صحيح مسلم ، القدر ، حديث رقم ٦٩١٩ ، نقلاً عن : موسوعة الحديث الشريف ، مرجع سابق .

[2]) مسند أحمد ، مسند عبد الله بن مسعود ، حديث رقم ٣٦٩٣ .نقلاً عن : موسوعة الحديث الشريف ، مرجع سابق .

[3]) عامر النجار، الحسن البصرى ، الجزء الأول ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ٢٠٠٣م ،ص٩٩ .

بالقضاء والقدر فى كفره، وعصيانه[1]، يقول تعالى: { سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَيْءٍ}[2].

لذا، تعد مسألة "القضاء والقدر" من أدق المسائل التى شغلت عقول الأمة، وأثارت الجدل الكثير فى ساحات علم الكلام، وقد أدلى الشيخ (رضى الله عنه) برأى فريد فى هذا المضمار، استلهمه من وحى عقيدته الإيمانية، ويقينه الراسخ، وفكره السامى.

وإجمالاً، يشايع الشيخ مذهب الأشاعرة والماتريدية فى مسألة القضاء والقدر، ويخالف الجبرية وزعيمهم جهم بن صفوان، وطائفة من الأزارقة، الذين يرون أن الإنسان لا اختيار ولاقدرة له، وأنه مجبر فى اختياراته، وإنما تنسب الأفعال إليه مجازاً، والفاعل فى الحقيقة هو الله؛ إذ يتناقض قول الجبرية، والأزراقة مع صحيح عقيدة التوحيد، ومبدأ الثواب والعقاب.

كما يخالف الشيخ قول المعتزلة فى مسألة القضاء والقدر؛ إذ يرون أن الإنسان يملك حرية الإرادة، وهو خالق لأفعاله ومختار فيها، ومن ثم كان التكليف والثواب والعقاب؛ إذ يتناقض ذلك مع تفرد الله بالخلق وحده، يقول عز وجل: { اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ }[3]. فالإنسان لايخلق أفعاله، وإنما الخالق هو الله، يقول عز وجل:{وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ}[4]، وليس للإنسان فى أفعاله الاختيارية سوى "الكسب".

ويعتبر الكسب مناط التكليف، والمسئولية، والثواب، والعقاب عند جماعة أهل السنة[5]، بيد أن الأشاعرة والماتريدية مختلفون فى تفسير معنى "الكسب"، فالكسب عند الأشاعرة يعنى مقارنة قدرة العبد للفعل من غير تأثير لها فيه، وعند الماتريدية هو العزم والتصميم على الفعل[6]، ويستدلون بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم:" إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ

---

[1]) صفوت حامد مبارك ، مقالة بعنوان : (القضاء والقدر)، الموسوعة الإسلامية العامة ، مرجع سابق ،ص١١٥٠.
[2]) الأنعام : ١٤٨ .
[3]) الزمر : ٦٢ .
[4]) الصافات : ٩٦ .
[5]) صفوت حامد مبارك ، مقالة بعنوان (القضاء والقدر) ، الموسوعة الإسلامية العامة ، مرجع سابق ، ص ١١٤٩، ١١٥٠.
[6]) صفوت حامد مبارك ، مقالة بعنوان : (القضاء والقدر) ، الموسوعة الإسلامية العامة ، ص ١١٤٩-١١٥٠ .

امْرِئٍ مَا نَوَى، فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى دُنْيَا يُصِيبُهَا أَوْ إِلَى امْرَأَةٍ يَنْكِحُهَا فَهِجْرَتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ"[1].

ويتفرد الشيخ رضى الله عنه برأى وجيه فى تعريف القضاء والقدر، فيقول:" أن القضاء هو عِلْم الله، والقدرهو تنفيذ علم الله، فلما قدم سيدنا عمر ليدخل مصر من الأمصار أخبروه بأن مرض الطاعون قد تفشى بين سكانها، فأمر بالعودة ولم يدخلها، فقيل له: أتفر من قضاء الله يا أمير المؤمنين؟ قال: نعم أفر من قضاء الله إلى قدره.

ويضرب الشيخ مثلاً لتوضيح رأية - ولله المثل الأعلى- بأن"القضاء" بمثابة حكم القاضى، وأن "القدر" بمثابة تنفيذ ذلك الحكم، فالقاضى قد قضى، وأمضى حكمه، أما تنفيذ ذلك الحكم فقد يكون معجلاً، أومؤجلاً، أو حتى مشمولاً بإيقاف التنفيذ مدة معينة، أو موقوفاً إيقافاً شاملاً لجميع الآثار. فهناك قضاء، وهناك نفاذ القضاء، وهو القدر، لذا، ورد الدعاء المأثورب: (اللهم إنا لا نسألك رد القضاء، ولكن نسألك اللطف فيه)، وكذا الدعاء ب: (اللهم الطف بنا فيما جرت به المقادير)[2].

ويستطرد الشيخ: " قضى الله أن يجعل آدم خليفة فى الأرض، قال تعالى:{ إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً }[3]، ففى علم الله وحكمه أن يهبط آدم إلى الأرض، ويستخلف فيها، ثم يأتى بعد ذلك دور القدر فى تنفيذ علم الله وحكمه، فيأمر الله آدم بألا يقرب الشجرة، ويغرى الشيطان آدم وزوجه أن يأكلا منها، فلما ذاقا ثمرتها حق هبوطهما إلى الأرض المستخلف فيها قدماً".

ويقول الشيخ:" أمر الله تعالى سيدنا آدم عليه السلام بألا يقرب الشجرة، فقال تعالى :{ وَيَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ }[4] - ولئن كان النهى عن القرب يحتوى النهى عن الأكل ويشمله - إلا أن نبى الله آدم (عليه السلام) لم

---

[1]) صحيح البخارى ، بدء الوحى ، حديث رقم ١ ، نقلاً عن : موسوعة الحديث الشريف ، مرجع سابق .

[2]) سنن الترمذى – القدر ، حديث رقم ٢٢٨٩ ، عَنْ سَلْمَانَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم « لاَ يَرُدُّ الْقَضَاءَ إِلاَّ الدُّعَاءُ وَلاَ يَزِيدُ فِى الْعُمُرِ إِلاَّ الْبِرُّ ». نقلاً عن : موسوعة الحديث الشريف ، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ، مرجع سابق .

[3]) البقرة : ٣٠ .

[4]) الأعراف : ١٩ .

يصدر له نهياً صريحاً عن الأكل من الشجرة، فذاقها. يقول عز وجل:{ فَدَلَّاهُمَا بِغُرُورٍ فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ الْجَنَّةِ وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ }[١].

والفرض أن عصمة نبى الله آدم تمنعه من الاقتراب من الشجرة، امتثالاً لنهى الله، وأن يكون الشيطان هو الذى اقتطف ثمرة من هذه الشجرة، وقربها لآدم وحواء، ثم قاسمهما بالله أنه ناصح لهما، يقول تعالى:{ وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ}[٢]، ولم يخطر ببال نبى الله آدم أن هناك خلقاً يمكن أن يُقسِمَ بالله كذباً، وخدعهما بالله فانخدعا له، ما زال يغرى بهما ليذوقا تلك الثمرة حتى أغواهما، وأكلا هذه الثمرة[٣].

يقول الشيخ: " سيدنا آدم فعل ما فعل بداخل العصمة، فنظر آدم من خلال المقدرات بعين القدرة فرأى الله فى كل شيئ، ولم ير قادراً غير الله، وأن عصمته ومتعلقاتها من قوة، وثبات، وصبر على أمر الله مصدرها جميعاً قدرة الله، فلا عزم له، ولا قدرة لنفسه، والذى سينفذ القدرهو الله، يقول الله عز وجل:{ وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَىٰ آدَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا }[٤]، فليس لآدم هنا عزم"[٥].

وفى لطيفة من لطائفه، يقول الشيخ: " إن عصمة الأنبياء ليست كالوضوء تنتقض بالنوم، بل كل ما يفعله النبى، أو يحدث منه فهو بداخل عصمته ".

وعن مسألة هل الإنسان مخير أم مسير؟ - بوصفها مسألة متصلة بالقضاء والقدر- يجيب الشيخ بإجابة يسيرة، شافية، جامعة، مانعة قائلاً: " أن المسلم الحق يجب أن يطع ما جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم، فينفذ أوامره ويجتنب نواهيه، وعلى المسلم الوقوف عند هذا الحد، وعدم

---

١) الأعراف : ٢٢ .

٢) الأعراف : ٢١ .

٣) جاء فى تفسير ابن كثير فى قوله تعالى : "وقاسمهما" ، أى وقاسمهما بالله جهدا لأنتم ألذ من السلوى إذ ما نشوزها أي حلف لهما بالله على ذلك حتى خدعهما وقد يخدع المؤمن بالله وقال قتادة في الآية حلف بالله إني خلقت قبلكما وأنا أعلم منكما فاتبعان أرشدكما وكان بعض أهل العلم يقول من خدعنا بالله انخدعنا له.

٤) طه : ١١٥ .

٥) جاء فى تفسير الطبرى عن قوله تعالى " ولم نجد له عزما" : حدثني عليّ، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، في قوله (وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا) يقول: لم نجعل له عزما.

الخوض فيما وراء ذلك؛ إذ أن طاعته صلى الله عليه وسلم واجبة كطاعة الله[١]، لقوله تعالى :{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ}[٢]، وقوله: { مَّن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ}[٣]، وأن ما أمر به صلى الله عليه وسلم واجب أخذه بالقبول لقوله عز وجل:{وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ}، وأن ما نهى عنه صلى الله عليه وسلم واجب الانتهاء عنه لقوله جل وعلا :{ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا}[٤].

فهو صلى الله عليه وسلم الأسوة الحسنة لكل مؤمن لقوله تعالى:{لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا}[٥]. وأن مخالفة أمره صلى الله عليه وسلم توقع الفتنة وتوجب العذاب لقوله عز وجل:{فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْيُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ}[٦].

وإزاء ما تقدم، يوصى الشيخ قائلاً: "صن لسانك عن التسيير والتخيير، واضرب خيامك عند "خذوا عنى مناسككم "؛ فالوقوف عند حد الأخذ بما آتاه رسول الله صلى الله عليه وسلم، والانتهاء عما نهى عنه صلى الله عليه وسلم، وعدم الخوض فى الجبرية، أو الاختيارية بأكثر من ذلك، لهى الحصن الحصين للمسلم الحق، وبهذا القسط يأمن المسلم على سلامة قلبه وعقيدته من التشويه، الذى أودى بفرقتى الجبرية، والمعتزلة إلى الوقوع فى الهاوية.

نكتفى بهذا القدر، ويبقى لنا استعراض رأى الشيخ فى معجزة الإسراء والمعراج، وسمو النفس البشرية، وهو ما سنفرغ له من خلال المبحث التالى :

---

[١]) أبو حامد الغزالى ، إحياء علوم الدين ، مرجع سابق ، ص ٣١٢ ، حيث أورد ما روى عن سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه أنه سُمِعَ بعد موت رسول الله صلى الله عليه وسلم يبكى ويقول بأبى أنت وأمى يارسول الله لقد كان جذع تخطب الناس عليه فلما كثر الناس اتخذت منبرا لتسمعهم فحنَّ الجذع لفراقك حتى جعلت يدك عليه فسكن فأمتك كانت أولى بالحنين إليك لما فارقتهم ، بأبى أنت وأمى يارسول الله لقد بلغ من فضيلتك عنده أن جعل طاعتك طاعته فقال عز وجل { من يطع الرسول فقد أطاع الله } .... " .

[٢]) النساء : ٥٩ ، محمد : ٣٣ .

[٣]) النساء : ٨٠

[٤]) الحشر : ٧ .

[٥]) الأحزاب : ٢١ .

[٦]) النور : ٦٣ .

المبحث الثانى
رأيه فى الإسراء والمعراج، وسمو النفس

أولاً- رأى الشيخ فى معجزة الإسراء والمعراج

ساهم الشيخ برأى متفرد فى معجزة الإسراء والمعراج، سواء من حيث حكمتها، أو حقيقة غايتها، وقد استلهم الشيخ رأيه من فرائد عقيدته فى خصائص، وخصوصية رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم.

والإسراء لغة[1]: مصدر الفعل (أَسْرَى)، أسرى بفلان أى: سَرَى به، و(سرى) بالليل أى: قطعه بالسير، ويراد به السير ليلاً، أما المعراج[2]: فهو المِصْعَدُ والسُّلَّمُ، وما عرج عليه النبى صلى الله عليه وسلم ليلة الإسراء. واصطلاحاً: هى المعجزة الكبرى التى أسرى الله تعالى فيها بنبيه وحبيبه محمد صلى الله عليه وسلم من المسجد الحرام بمكة إلى المسجد الأقصى بالقدس، ثم عرج به إلى السموات العُلا، وجاز للمقام الأسنى المرتفع الذى لم يشاركه فيه نبى مرسل ولا ملك مقرب. وقد فرض الله فى هذه الليلة الصلاة على الرسول وأمته[3].

وقد أثبت القرآن الكريم، وأوردت السنة الشريفة معجزة الإسراء والمعراج، كما أقرها جمهور المسلمين ونالت إجماعهم.

فأما ماجاء فى القرآن الكريم، فقوله تعالى:{ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ}[4]، وقوله تعالى:{ وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ * عِندَ سِدْرَةِ الْمُنتَهَىٰ * عِندَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَىٰ * إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ * مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ * لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَىٰ}[5].

وأما ما ورد فى السنة، ففى الحديث الطويل عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ: " أُتِيتُ بِالْبُرَاقِ ـ وَهُوَ دَابَّةٌ أَبْيَضُ طَوِيلٌ

---

[1]) المعجم الوجيز ، مرجع سابق ، ص ٣٠٩ ، ٣١٠ .

[2]) المعجم الوجيز ، مرجع سابق ، ص ٤١٢ .

[3]) مروان محمد مصطفى شاهين ، مقال " الإسراء والمعراج " ، الموسوعة الإسلامية العامة ، مرجع سابق ، ص ١٣٠.

[4]) الإسراء : ١ .

[5]) النجم : ١٣ – ١٨ .

فَوْقَ الْحِمَارِ وَدُونَ الْبَغْلِ يَضَعُ حَافِرَهُ عِنْدَ مُنْتَهَى طَرْفِهِ - قَالَ فَرَكِبْتُهُ حَتَّى أَتَيْتُ بَيْتَ الْمَقْدِسِ - قَالَ - فَرَبَطْتُهُ بِالْحَلْقَةِ الَّتِي يَرْبِطُ بِهِ الأَنْبِيَاءُ - قَالَ - ثُمَّ دَخَلْتُ الْمَسْجِدَ فَصَلَّيْتُ فِيهِ رَكْعَتَيْنِ ثُمَّ خَرَجْتُ فَجَاءَنِى جِبْرِيلُ - عَلَيْهِ السَّلاَمُ - بِإِنَاءٍ مِنْ خَمْرٍ وَإِنَاءٍ مِنْ لَبَنٍ فَاخْتَرْتُ اللَّبَنَ فَقَالَ جِبْرِيلُ — عليه السلام - اخْتَرْتَ الْفِطْرَةَ. ثُمَّ عَرَجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ فَقِيلَ مَنْ أَنْتَ قَالَ جِبْرِيلُ. قِيلَ وَمَنْ مَعَكَ قَالَ مُحَمَّدٌ. قِيلَ وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ قَالَ قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ. فَفُتِحَ لَنَا فَإِذَا أَنَا بِآدَمَ فَرَحَّبَ بِى وَدَعَا لِى بِخَيْرٍ. ثُمَّ عَرَجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ الثَّانِيَةِ فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلاَمُ. فَقِيلَ مَنْ أَنْتَ قَالَ جِبْرِيلُ. قِيلَ وَمَنْ مَعَكَ قَالَ مُحَمَّدٌ. قِيلَ وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ قَالَ قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ. فَفُتِحَ لَنَا فَإِذَا أَنَا بِابْنَىِ الْخَالَةِ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَيَحْيَى بْنِ زَكَرِيَّاءَ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمَا فَرَحَّبَا وَدَعَوَا لِى بِخَيْرٍ. ثُمَّ عَرَجَ بِى إِلَى السَّمَاءِ الثَّالِثَةِ فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ. فَقِيلَ مَنْ أَنْتَ قَالَ جِبْرِيلُ. قِيلَ وَمَنْ مَعَكَ قَالَ مُحَمَّدٌ -صلى الله عليه وسلم-. قِيلَ وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ قَالَ قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ. فَفُتِحَ لَنَا فَإِذَا أَنَا بِيُوسُفَ إِذَا هُوَ قَدْ أُعْطِىَ شَطْرَ الْحُسْنِ فَرَحَّبَ وَدَعَا لِى بِخَيْرٍ. ثُمَّ عَرَجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ الرَّابِعَةِ فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ - عَلَيْهِ السَّلاَمُ - قِيلَ مَنْ هَذَا قَالَ جِبْرِيلُ. قِيلَ وَمَنْ مَعَكَ قَالَ مُحَمَّدٌ. قَالَ وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ قَالَ قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ. فَفُتِحَ لَنَا فَإِذَا أَنَا بِإِدْرِيسَ فَرَحَّبَ وَدَعَا لِى بِخَيْرٍ قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ (وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا) ثُمَّ عَرَجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ الْخَامِسَةِ فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ. قِيلَ مَنْ هَذَا قَالَ جِبْرِيلُ. قِيلَ وَمَنْ مَعَكَ قَالَ مُحَمَّدٌ. قِيلَ وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ قَالَ قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ. فَفُتِحَ لَنَا فَإِذَا أَنَا بِهَارُونَ فَرَحَّبَ وَدَعَا لِى بِخَيْرٍ. ثُمَّ عَرَجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ السَّادِسَةِ فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلاَمُ. قِيلَ مَنْ هَذَا قَالَ جِبْرِيلُ. قِيلَ وَمَنْ مَعَكَ قَالَ مُحَمَّدٌ. قِيلَ وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ قَالَ قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ. فَفُتِحَ لَنَا فَإِذَا أَنَا بِمُوسَى فَرَحَّبَ وَدَعَا لِى بِخَيْرٍ. ثُمَّ عَرَجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ السَّابِعَةِ فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ فَقِيلَ مَنْ هَذَا قَالَ جِبْرِيلُ. قِيلَ وَمَنْ مَعَكَ قَالَ مُحَمَّدٌ -صلى الله عليه وسلم-. قِيلَ وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ قَالَ قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ. فَفُتِحَ لَنَا فَإِذَا أَنَا بِإِبْرَاهِيمَ مُسْنِدًا ظَهْرَهُ إِلَى الْبَيْتِ الْمَعْمُورِ وَإِذَا هُوَ يَدْخُلُهُ كُلَّ يَوْمٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ لاَ يَعُودُونَ إِلَيْهِ ثُمَّ ذَهَبَ بِى إِلَى السِّدْرَةِ الْمُنْتَهَى وَإِذَا وَرَقُهَا كَآذَانِ الْفِيلَةِ وَإِذَا ثَمَرُهَا كَالْقِلاَلِ - قَالَ - فَلَمَّا غَشِيَهَا مِنْ أَمْرِ اللَّهِ مَا غَشِىَ تَغَيَّرَتْ فَمَا أَحَدٌ مِنْ خَلْقِ اللَّهِ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَنْعَتَهَا مِنْ حُسْنِهَا. فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَيَّ مَا أَوْحَى فَفَرَضَ عَلَيَّ خَمْسِينَ صَلاَةً فِى كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ فَنَزَلْتُ إِلَى مُوسَى- فَقَالَ مَا فَرَضَ رَبُّكَ عَلَى أُمَّتِكَ قُلْتُ خَمْسِينَ صَلاَةً.

قَالَ ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ فَإِنَّ أُمَّتَكَ لاَ يُطِيقُونَ ذَلِكَ فَإِنِّى قَدْ بَلَوْتُ بَنِى إِسْرَائِيلَ وَخَبَرْتُهُمْ. قَالَ فَرَجَعْتُ إِلَى رَبِّى فَقُلْتُ يَا رَبِّ خَفِّفْ عَلَى أُمَّتِى. فَحَطَّ عَنِّى خَمْسًا فَرَجَعْتُ إِلَى مُوسَى فَقُلْتُ حَطَّ عَنِّى خَمْسًا. قَالَ إِنَّ أُمَّتَكَ لاَ يُطِيقُونَ ذَلِكَ فَارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ. - قَالَ - فَلَمْ أَزَلْ أَرْجِعُ بَيْنَ رَبِّى تَبَارَكَ وَتَعَالَى وَبَيْنَ مُوسَى - عَلَيْهِ السَّلاَمُ - حَتَّى قَالَ يَا مُحَمَّدُ إِنَّهُنَّ خَمْسُ صَلَوَاتٍ كُلَّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ لِكُلِّ صَلاَةٍ عَشْرٌ فَذَلِكَ خَمْسُونَ صَلاَةً. وَمَنْ هَمَّ بِحَسَنَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كُتِبَتْ لَهُ حَسَنَةً فَإِنْ عَمِلَهَا كُتِبَتْ لَهُ عَشْرًا وَمَنْ هَمَّ بِسَيِّئَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا لَمْ تُكْتَبْ شَيْئًا فَإِنْ عَمِلَهَا كُتِبَتْ سَيِّئَةً وَاحِدَةً - قَالَ - فَنَزَلْتُ حَتَّى انْتَهَيْتُ إِلَى مُوسَى فَأَخْبَرْتُهُ فَقَالَ ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم- فَقُلْتُ قَدْ رَجَعْتُ إِلَى رَبِّى حَتَّى اسْتَحْيَيْتُ مِنْهُ"[1].

وقد اعتمد الشيخ رأى الفقهاء فى أن الإسراء والمعراج كانا معاً فى ليلة واحدة، وترجيح أنها فى ليلة السابع والعشرين من شهر رجب، قبل هجرته صلى الله عليه وسلم، وبعد عام الحزن الذى مات فيه عمه أبو طالب، وزوجته السيدة خديجة (رضى الله عنها).

كما اتفق الشيخ مع جمهور العلماء فى أن معجزة الإسراء والمعراج كانت بالجسد والروح معاً، وليس بالروح فقط، وأن الإسراء والمعراج تم فى اليقظة لا فى النوم، وأن لفظة (بعبده) الواردة فى قوله تعالى:{ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ } دليلاً على قولهم؛ فالعبد يطلق على مجموع الروح والجسد معاً، ولايصح إطلاقه على الروح دون الجسد. فضلاً عن أنه لم يكن هناك وجه لتكذيب قريش للرسول صلى الله عليه وسلم فى معجزة الإسراء والمعراج إذا كانت بالروح فقط، أو وقعت للرسول مناماً، بل لايمثل ذلك فى الأصل معجزة.

ويؤيد ذلك بعث البراق ليحمله صلى الله عليه وسلم، والبراق دابة، والحمل يكون للجسد والروح معاً، فالروح لاتحتاج لمركب يحملها. وفى المجمل يقول الإمام النووى رحمه الله تعالى: والحق الذى عليه الناس ومعظم السلف وعامة المتأخرين من الفقهاء، والمحدثين، والمتكلمين أنه

---

[1]) صحيح مسلم ، الإيمان ، حديث رقم ٤٢٩ ، نقلاً عن : موسوعة الحديث الشريف ، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ، مرجع سابق .

أسرى بجسده صلى الله عليه وسلم، والآثار تدل عليه لمن طالعها، وبحث عنها، ولا يعدل عن ظاهرها إلا بدليل، ولا استحالة فى حملها عليه .."[1].

كما يعتمد الشيخ القول بأن رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى ربه ليلة الإسراء بقلبه، وبعينى رأسه، متفقاً مع رواية حبر الأمة سيدنا عبد الله بن عباس، وأنس بن مالك، والإمام مالك – رضى الله عنهم – جميعاً. وهو ما قال به أبو الحسن الأشعرى أيضاً[2].

ويرى الشيخ مع جمهور العماء أن معجزة الإسراء والمعراج تحمل فى طياتها إشارة واضحة إلى إمامة النبى صلى الله عليه وسلم لجميع الأنبياء والمرسلين، فقد تراصوا له ليصلى بهم إماما فى بيت المقدس[3].

وفضلاً عما تقدم، يرى الشيخ أن إمامة النبى للأنبياء والمرسلين فى بيت المقدس تتضمن إشارة إلى إقراره صلى الله عليه وسلم لمن سبقه من الأنبياء والمرسلين، وانطواء نبوءاتهم ورسالاتهم فى نبوته ورسالته الخاتمة، كما حازوا فى هذه الليلة شرف الصحبة، والمعية لحضرته صلى الله عليه وسلم.

الحكمة من الإسراء والمعراج: ذكر العلماء العديد من الحكم والعلل من وراء هذه المعجزة، أهمها الإعلام بقدر النبى صلى الله عليه وسلم ومنزلته عند ربه، وقيل بأن معجزة الإسراء والمعراج إنما جاءت لتسريته صلى الله عليه وسلم بعد ما لاقاه من أذى من مشركى قريش، أو قيل أن معجزة الإسراء والمعراج كانت مواساة للرسول صلى الله عليه وسلم فى موت عمه أبى طالب، وزوجته السيدة خديجة، وهما من كانا عوناً وملاذاً له، فحزن عليهما حزناً شديداً حتى أطلق على هذا العام عام الحزن.

فلما ضاقت مكة بالرسول صلى الله عليه وسلم بعد وفاة عمه وزوجته، وطول عناد مشركى مكة، وشدة إيذائهم له، ولأتباعه، فتوجه إلى الطائف يدعو أهلها إلى الإسلام، فلم يستجيبوا له، وقابلوه بالإساءة، حتى اشتكى

---

[1]) مروان محمد مصطفى شاهين ، مقال " الإسراء والمعراج "الموسوعة الإسلامية العامة ، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ، مرجع سابق ، ص١٣١ .

[2]) وهو رأى الحسن البصرى ، راجع : عامر النجار، الحسن البصرى ، الجزء الأول ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ٢٠٠٣م ، ص ١٠٣ .

[3]) فى هذا المعنى ، راجع : محمد فؤاد شاكر ، العارف بالله الشيخ أحمد رضوان حياته وآثاره ، مرجع سابق ، الخطاب الثالث، ص ١٦٠ ، ١٦١ .

صلى الله عليه وسلم إلى ربه ضعف قوته، وقلة حيلته، وهوانه على الناس، فكانت معجزة الإسراء والمعراج تسرية وتكريماً من الله لحبيبه، وتخفيفاً عنه ومواساة له فى أحزانه.

ومن الحكم التى قيلت فى معجزة الإسراء والمعراج أنها كشفت عن ضعاف الإيمان ممن اعتنقوا الإسلام فجحدوا المعجزة، وما برحوا مكانهم حتى ارتدوا عن دينهم[1].

ويرى الشيخ أن معجزة الإسراء والمعراج تطوى فى طياتها حِكَماً باطنة لايفطن إليها إلا أهلها ـ وذلك إضافة إلى الحِكَمْ والعلل التى طرحها عامة العلماء ـ وأن أهم هذه الحكم هى الوصول بحقائق عباد الله الصالحين إلى حيث حقيقة المقام الأسنى المخصص للنبى صلى الله عليه وسلم، ففى هذه الليلة ضم الرسول حقائق عباد الله الصالحين فى صدره، وعَرَجَ بهم إلى السماوات العلا، وتخطى بهم سدرة المنتهى، فرأوا فى ضم حضرته ما رآه من آيات ربه الكبرى، وبلغوا فى صدره مقاماً لم يبلغه ملك مقرب، ولا نبى مرسل، وهو المقام الأسنى الذى اختص الله به حبيبه صلى الله عليه وسلم وحده، لايشاركه فيه أحد، حيث زُجَّ به فى النور الإلهى.

أقام الحبيب فى حضرة ربه، ثم ركع وسَبَّحَ ربه العظيم، فقال له ارفع فرفع، ثم سجد، وحَمَّدَ وسَبَّحَ ربه الأعلى، فقال له ارفع فرفع، وجلس بين يدى ربه، وبادر بالتحيات والزكيات والطيبات والصلوات لربه، وتفضلت الحضرة الإلهية وألقت على النبى السلام والرحمة والبركة، ورد الحبيب الأعظم أصالة عن نفسه، ونيابة عن عباد الله الصالحين: السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين. وهنا شهد النبى صلى الله عليه وسلم، وحقائق عباد الله الصالحين وراءه أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له، وأن محمداً صلى الله عليه وسلم عبده ورسوله.

لذا، تمثل ليلة الإسراء والمعراج الميلاد الحقيقى لعباد الله الصالحين، ورُبَمَا يكون ذلك هو الداعى إلى اهتمام الشيخ بالاحتفاء بهذه الليلة الغراء، وإشارته بأنها ليلة ميلاده، كما سبق ذكره فى موضعه[2].

---

[1]) فى تفصيلات الموضوع راجع : مروان محمد مصطفى شاهين ، مقال " الإسراء والمعراج "الموسوعة الإسلامية العامة ، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ، مرجع سابق ، ص١٣١ ، ١٣٢ .

[2]) راجع : راجع ""مولده" فى المبحث الثانى بعنوان (نشأته) ، الفصل الأول من الباب الأول من هذا المؤلف .

وقد جاء فى الأثر:" الصلاة معراج المؤمن"، فلو حسنت الصلاة، وتمت أركانها فى حضور قلب وخشوع، نقلت المؤمن من دنيا المادة إلى عالم الروح، ومن عالم الشهادة إلى عالم الغيب، وارتقت به السماوات السبع حتى سدرة المنتهى، ثم ينال القرب والدنو من الحضرة الإلهية، فتمثل الصلاة من هذا الباب معراجاً للمؤمن، يرقى بها إلى حيث وصلت حقيقته فى ليلة الإسراء والمعراج، أى وهى بضم صاحب الإسراء صلى الله عليه وسلم[١].

يبدأ المصلى معراجه بالتكبير للصلاة، ثم القيام، مروراً بالركوع، ثم الرفع منه، ثم السجود، ثم الجلوس، ثم السجود، وهى سبع، وختاماً يجلس المصلى للتحيات؛ لذا، يُسَنُ للمصلى التسليم عقب الصلاة، وما كان ذلك إلا لنزول المصلى من مقام حقيقته، ورجوعه مرة أخرى إلى عالم الحس، فيبدأ أهله بالسلام.

وفى أجواء قوله تعالى:{ مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ }[٢]، يعتمد الشيخ قول شيخه الإمام العربى (رضى الله عنه): أن رسول الله صلى الله عليه وسلم اتَّجَهَ إلى ربه، ولم يلتفت بوجهه إلى ما عُرِضَ عليه من زينة ملك الأرض والسماء، فما حاد الطرف عن نظر ربه؛ لأنه كان عزيزاً، ولا يشغل العزيز إلا بالعزيز، مع غض بصره صلى الله عليه سلم، فلم يرفعه مليَّاً إلى الوجه الكريم؛ حياءً وتأدباً مع ربه، ووَجَاهَةً منه صلى الله عليه وسلم "[٣].

ويرى الشيخ أن هناك حكمة أخرى فى المعراج، متمثلة فى تشريف الله للعوالم العلوية السنية، ومباركتها بالبدن القرشى الشريف للحضرة المحمدية، حيث طاف به سيدنا جبريل على جميع هذه العوالم كى تشرف بحضرته البشرية، وتستمد من أنواره السنية. فطاف به جبريل ـ عليه السلام ـ على الجنة، وشاهد حقائق أهلها، وعلى النار وشاهد حقائق أصحابها، وجَسَّدَ الله تعالى لنبيه ـ خلال تلك الرحلة ـ بعض الصور العملية لصنوف من الثواب والعقاب، لأقوام يقومون ببعض الطيبات، أو يرتكبون بعض الخبائث،

---

[١]) محمد سعيد جمال الدين ، مقال بعنوان (المعراج) ، موسوعة التصوف الإسلامى ، مرجع سابق ، ص ٦٩٦ .

[٢]) النجم : ١٧ .

[٣]) وقريب منه ـ جاء فى تفسير السعدى للآية : مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى { أي: ما زاغ يمنة ولا يسرة عن مقصوده } وَمَا طَغَى { أي: وما تجاوز البصر، وهذا كمال الأدب منه صلوات الله وسلامه عليه، أن قام مقاما أقامه الله فيه، ولم يقصر عنه ولا تجاوزه ولا حاد عنه.

لتكون تلك الصورة العملية ماثلة أمام أمته صلى الله عليه وسلم، فيكثرون من الصالحات، ويتجنبون الكبائر[1].

أما الغاية من معجزة الإسراء والمعراج ـ على حد قول الشيخ ـ فهى تحقيق مقام الخلوة للنبى صلى الله عليه وسلم، فلم تكن خلوته صلى الله عليه وسلم فى غار حراء، كما يرى غالب الفقه؛ إذ كان يهبط فى الغار سيدنا جبريل (عليه السلام)، والخلوة لا تكون إلا بين اثنين لا ثالث لهما.

فقد تحققت خلوة النبى صلى الله عليه وسلم بربه فى هذه الليلة، فاختلى الحبيب بحبيبه فى مقام خصه الله به وحده، فلم يشاركه فيه نبى مرسل، ولا ملك مقرب، حتى رفيق رحلته جبريل (عليه السلام) لم يكن له قِطٌّ من هذا المقام الأوحد، ولما قال له الرسول صلى الله عليه وسلم: " أهنا يترك الحبيب حبيبه قال جبريل أنا لو تقدمت لأحترقت، أما أنت لو تقدمت لأخترقت" ـ ويجدر التنويه إلى أن ليلة الإسراء والمعراج ليست أول عهد الرسول صلى الله عليه وسلم بلقاء ربه، فعَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ـصلى الله عليه وسلمـ قَالَ " إِيَّاكُمْ وَالْوِصَالَ إِيَّاكُمْ وَالْوِصَالَ". قَالُوا فَإِنَّكَ تُوَاصِلُ يَا رَسُولَ اللَّهِ. قَالَ " إِنِّى لَسْتُ كَهَيْئَتِكُمْ إِنِّى أَبِيتُ يُطْعِمُنِى رَبِّى وَيَسْقِينِى "[2].

بل تتجلى خصوصية الرسول فى هذه الليلة بتحقيق خلوته صلى الله عليه وسلم بربه، ووقوع الرؤية بالعين، كما تجلَّىَ الله فى هذه الليلة فى حبيبه المصطفى بالجمال والكمال الإلهى، فما تصدع بنيانه صلى الله عليه وسلم، وما زاغ البصر وما طغى، وكان قد تجلَّىَ على الجبل بالجلال الإلهى، فدُكَّ الطور، وخر موسى صَعِقًا.

وفى إشارة إلى تلك الخصوصية، يقول الشيخ فى إحدى صيغ الصلوات الكنزية[3]: "اللهم صلى على سيدنا محمد أول منْ قال لاإله إلا الله، الناطق عن ربه ولم ينطق بهواه، منْ خُصَّ قبل الإسراء وفى الإسراء رآه، وتمت رؤيته بقلبه وعيناه، الواحد الذى لم يكن له شباه، صلى الله عليه صلاة بها

---

[1]) مروان محمد مصطفى شاهين ، مقال " الإسراء والمعراج "الموسوعة الإسلامية العامة ، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ، مرجع سابق ، ص١٣٢ .

[2]) موطأ مالك ، الصيام ، حديث قم ٦٧٣ ، نقلاً عن : موسوعة الحديث الشريف ، مرجع سابق .

[3]) مولانا العارف بالله الحاج أحمد أبو الحسن ، كتيبه : (الصلوات الكنزية فى الصلوات على خير البرية) ، مطبوع وغير منشور .

نراه، وعلى آله المزملين فى كساه، وعلى أصحابه الأنجم فى سماه، وسلم تسليماً كثيرا".

ثانياً – رأى الشيخ فى سمو منزلة النفس

انفرد الشيخ رضى الله عنه برأى استلهمه من وحى عقيدته، ورؤية شيخه الإمام محمد أبو الفتوح العربى فى سمو منزلة النفس، ورفعة مكانتها، وذلك على خلاف ما يراه أغلب الفقه، وأهل التصوف.

والنفس لغة[1]: ذات الشيئ وعينه، ونَفُسَ الشيئ نفاسة: كان عظيم القيمة. فهو نفيس، واصطلاحاً[2]: تطلق على الروح فيقال: خرجت نفسه، أى: روحه، وقد شاع استعمال النفس فى الإنسان على أنها: هذا المركَّب، أو الجملة المشتملة على الجسم والروح، أو الدم، وهو المقصود من قولهم " ماله نفْس سائلة "، أى: دم سائل.

وقد درس الفلاسفة المسلمون "النفس" دراسة عميقة فى موسوعاتهم مثل "الشفاء" لابن سينا، وتأثروا فى أبحاثهم بفلاسفة اليونان كأرسطو وأفلاطون، وقسموا الأنفس إلى نفس نباتية، ونفس حيوانية، ونفس ناطقة، وعرجوا إلى قوى النفس الظاهرة والباطنة، ووحدتها، وكثرتها، وقِدَمِها وحدوثها إلى غير ذلك.

وقد ذهب الأشاعرة ومعهم الإمام الغزالى إلى أن النفس ليست جسماً ولا عرضاً حالاً فى جسم، وإنما هى جوهر مجرد قائم بذاته غير متحيز، وتعلقه بالبدن تعلق تحريك وتدبير فقط، ويرى أحدهم[3] أن القول بتجرد النفوس لايتنافى مع شيئ من قواعد الإسلام.

بينما ذهب بعض من المتكلمين إلى أن النفس "جسم لطيف" يسرى فى البدن سريان الماء فى العود الأخضر، فالنفس تحل فى البدن كما يحل

---

[1])المعجم الوجيز ، مرجع سابق ، ص ٦٢٧ .

[2]) أحمد الطيب ، مقال بعنوان "النَّفْس" ، الموسوعة الإسلامية العامة ، مرجع سابق ، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ، ص ١٤٠٩ .

[3]) أبو البقاء فى كلياته ص ٨٩٨ ، مشار إليه بمرجع : أحمد الطيب ، مقال بعنوان "النَّفْس" ، الموسوعة الإسلامية العامة ، مرجع سابق ، ص١٤١٠ .

العرض فى الجوهر، ويرى الإمام النووى أن هذا المذهب هو الأصح عند علماء الحديث[١].

ويتبنى الصوفية مراتب النفس الواردة بالقرآن الكريم، فقد وردت كلمة " النفس" فى القرآن الكريم ثنتى وسبعين مرة (٧٢)، مفردة ومضافة ومعرفة ومنكّرة، إضافة إلى مواضع ثلاثة وردت فيها النفس موصوفة. فقد وصف القرآن النفس بالأمارة، واللوامة، والمطمئنة، والراضية، والمرضية، وأضاف البعض وصفاً آخر هو "النفس الملهمة"، ولاتكون هذه النفس إلا لأنبياء الله، وخاصة أوليائه. وهذه الأوصاف ليست تعدداً فى الأنفس إنما هى مراتب متدرجة للنفس الواحدة، فتزكية النفس الأمارة تصيرها إلى نفس لوَّامة، وتزكية اللوامة ترفعها للمطمئنة، وهكذا.

ويتم تزكية النفس بالتزام صاحبها بالشرع والمجاهدة، يقول أحدهم[٢]: إنها نفس واحدة، وأن هذه الأسماء اعتبارات، وتحققات تحصل للنفس بالمجاهدة.

ويرى بعض الصوفية أن النفس تنقسم إلى ظاهرة، وباطنة، فأما النفس الظاهرة، فهى غير مذمومة ولامحمودة، وإنما هى لمن غلب، فإن غلب عليها التقوى، والنور كانت تابعة لهما، وإن غلبت عليها الظلمة، والفجور انقادت لهما. وأما النفس الباطنة، فهى جوهر الشيئ؛ إذ خُلِقَت من موطئ قدم إبليس كبعض جسده، فهى الشيطان، الذى يجرى من الإنسان مجرى الدم من العروق[٣]، وهى تعمل كى تظفر على النفس الظاهرة، وتأسِرها، مدفوعة فى ذلك بالعداوة التى بين أبليس وآدم، ومن ثم كان جهادها هو " الجهاد الأكبر"[٤].

وقد أطلق الصوفية لفظ "النفس" على كل ما كان معلولاً من أوصاف العبد، أو مذموماً من أفعاله وأخلاقه، فهى مبدأ الصفات الرديئة، والأحوال السيئة فى الإنسان، وهى عدوه الأول، بل أعدى أعدائه[٥]، مما حدا بالإمام

---

[١]) أحمد الطيب ، مقال بعنوان "النَّفْس" ، الموسوعة الإسلامية العامة ، مرجع سابق ، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ، ص ١٤٠٩ ، ١٤١٠ ..

[٢])ابن القيم ، الروح ، مشار إليه بمرجع : أحمد الطيب ، مقال بعنوان "النَّفْس" ، الموسوعة الإسلامية العامة ، مرجع سابق ، ، ص١٤١٠.

[٣]) عبد المحسن الحسينى ، نظرية المعرفة عند الترمذى ، ص٣٨٥.

[٤]) أحمد الطيب ، مقال بعنوان "النَّفْس" ، الموسوعة الإسلامية العامة ، مرجع سابق ، ، ص١٤١٠.

[٥]) أحمد الطيب ، مقال بعنوان "النَّفْس" ، الموسوعة الإسلامية العامة ، مرجع سابق ، ، ص١٤١٠.

البوصيرى إلى أن آسى بين النفس وبين الشيطان فى خطرهما، ونصح بمجاهدتهما ومخالفتهما، واتهامهما فى نصائحهما، كما شبه النفس بالطفل فى ضرورة تربيته، وفطمه عن الرضاع، فها هو ينشد فى بردته قائلاً[١]:

وخالف النفس والشيطان واعصيهما * وإن هما محضاك النصح فاتهم**

والنفس كالطفل إن تهمله شب على * حب الرضاع وإن تفطمه ينفطم**

وقد عالج الصوفية أمراض النفس الكسبية، كالذنوب والمعاصى بالوقوف عند أحكام الشريعة أمراً ونهياً، أما آفات النفس الخفية، أو الجِبِلّية فعلاجها يكون بالمجاهدات، أو الرياضات، فالكِبْرُ مثلاً يعالج بالتواضع، والحِرْصُ بالقناعة، والشُح بالسخاء، وهكذا.

ويرى الصوفية أن رؤية النفس والعجب بها أشد آفات النفس، بل أنهم يعدونها شركاً خفياً، فيقدمون مجاهدته عن مجاهدة سائر أمراض النفس الأخرى[٢].

ويطلق الشيخ على هذه النفس المريضة بالعجب والخُيَلاء اسم "النفس الفرعونية "، ويرجع خطرها إلى أنها تؤدى إلى اغترار المرء بنفسه، فلا يرى فى الناس منْ هو أفضل منه، حتى إذا نصحه أحدهم بعلاج آفته نظر إليه نظرة دونية، فلم يقبل النصيحه، وأمسك عن العلاج، فما يزال حرضاً حتى يصبح من الهالكين.

ويمثل الشيخ حالة "النفس الفرعونية" بنبات العاقول الشجيرى(الشوك) الذى تشابكت به أوبار من العهن المنفوش مما يصعب تخليصها منه، بل يكاد يستحيل تجميع هذه الأوبار الناعمة من بين طيات هذه الشجيرات الشائكة مرة أخرى.

ويرى الشيخ أن النفس ـ من حيث حقيقتها وجوهرها ـ عالم يسمو على ما سواه من عوالم تكوين دولة الإنسان، كعالم الروح، وعالم العقل، وعالم البدن، بل هى الجامعة لكل هذه العوالم، وأكملها. يقول الشيخ: لو كانت النفس رديئة لما عَبَّرَ بها الحق كناية عن عقابه الذى لايرد، بقوله عز

---

[١]) الإمام البوصيرى ، البردة ، أو البرأة .

[٢]) أحمد الطيب ، مقال بعنوان "النَّفْس" ، الموسوعة الإسلامية العامة ، مرجع سابق ، ، ص١٤١٠

وجل: { وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ }[١]، أي يحذركم نقمته في مخالفته وسطوته وعذابه لمن والى أعداءه وعادى أولياءه[٢] ولا يحذر الله إلا من خطير، كما فسرت "النفس" فى الآية بذات الله، وحقيقته[٣].

بينما تأول البعض "النفس" فى قوله تعالى:{ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ}[٤] بالعندية بمعنى: تعلم ماعندى ولا أعلم ما عندك، أوتعلم جميع ما أعلم من حقيقة أمري ولا أعلم حقيقة أمرك[٥].

كما أقسم الله بالنفس، فقال عز وجل:{وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ}[٦]، وهى التى تلوم صاحبها على ارتكاب ما لايليق، وقال سبحانه:{ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا }[٧]، فهى من عجائب صنع الله، ولايُقسِمَ الله العظيم إلا بعظيم، فالنفس آية كبيرة من آياته حقيقة بالإقسام بها، فإنها في غاية اللطف والخفة، سريعة التنقل، والحركة، والتغير، والتأثر، والانفعالات النفسية، من الهم، والإرادة، والقصد، والحب، والبغض، وهي التي لولاها لكان البدن مجرد تمثال لا فائدة فيه، وتسويتها على هذا الوجه آية من آيات الله العظيمة[٨].

وكثيراً ما كان الرسول صلى الله عليه وسلم يقسم قائلاً: " والذى نفسى بيده "[٩]، وعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ بُرَيْدَةَ الأَسْلَمِىِّ عَنْ أَبِيهِ قَالَ سَمِعَ النَّبِىُّ صلى الله عليه وسلم- رَجُلاً يَدْعُو وَهُوَ يَقُولُ اللَّهُمَّ إِنِّى أَسْأَلُكَ بِأَنِّى أَشْهَدُ أَنَّكَ أَنْتَ اللَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنْتَ الأَحَدُ الصَّمَدُ الَّذِى لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ. قَالَ فَقَالَ « وَالَّذِى نَفْسِى بِيَدِهِ لَقَدْ سَأَلَ اللَّهَ بِاسْمِهِ الأَعْظَمِ الَّذِى إِذَا دُعِىَ بِهِ أَجَابَ وَإِذَا سُئِلَ بِهِ أَعْطَى »[١٠].

---

١) آل عمران ، الآيتين : ٢٨ ، ٣٠ .

٢) تفسير ابن كثير للآية ، وغيره .

٣) قول الزجاج ، قال: أي ويحذركم الله إياه ، مشار إليه فى تفسير القرطبى للآية .

٤) المائدة : ١١٦ .

٥) قول الزجاج ، حيث يعرف النفس بأنها عبارة عن جملة الشيء وحقيقته ، مشار إليه فى تفسير البغوى للآية .

٦) القيامة : ٢ .

٧) الشمس : ٧ .

٨) راجع : تفسير السعدى للآية .

٩) على سبيل المثال ما ورد فى صحيح البخارى ، الأذان ، حديث رقم ٦٤٤ :عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - قَالَ « وَالَّذِى نَفْسِي بِيَدِهِ لَقَدْ هَمَمْتُ أَنْ آمُرَ بِحَطَبٍ فَيُحْطَبَ ، ثُمَّ آمُرَ بِالصَّلاَةِ فَيُؤَذَّنَ لَهَا ، ثُمَّ آمُرَ رَجُلاً فَيَؤُمَّ النَّاسَ ، ثُمَّ أُخَالِفَ إِلَى رِجَالٍ فَأُحَرِّقَ عَلَيْهِمْ بُيُوتَهُمْ ، وَالَّذِى نَفْسِى بِيَدِهِ لَوْ يَعْلَمُ أَحَدُهُمْ أَنَّهُ يَجِدُ عَرْقًا سَمِينًا أَوْ مِرْمَاتَيْنِ حَسَنَتَيْنِ لَشَهِدَ الْعِشَاءَ » . نقلاً عن : موسوعة الحديث الشريف ، مرجع سابق .

١٠) سنن الترمذى ، الدعوات ، حديث رقم ٣٨١٢ ، نقلاً عن : موسوعة الحديث الشريف ، مرجع سابق .

وينبه الرسول صلى الله عليه وسلم على عِظَم النفس، وجلال قدرها استقلالاً عن حال صاحبها، فقد جاء فى الصحيحين وغيرهما: حَدَّثَنَا آدَمُ حَدَّثَنَا شُعْبَةُ حَدَّثَنَا عَمْرُو بْنُ مُرَّةَ قَالَ سَمِعْتُ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ أَبِى لَيْلَى قَالَ كَانَ سَهْلُ بْنُ حُنَيْفٍ وَقَيْسُ بْنُ سَعْدٍ قَاعِدَيْنِ بِالْقَادِسِيَّةِ، فَمَرُّوا عَلَيْهِمَا بِجَنَازَةٍ فَقَامَا. فَقِيلَ لَهُمَا إِنَّهَا مِنْ أَهْلِ الأَرْضِ، أَىْ مِنْ أَهْلِ الذِّمَّةِ فَقَالاَ إِنَّ النَّبِىَّ - صلى الله عليه وسلم - مَرَّتْ بِهِ جَنَازَةٌ فَقَامَ فَقِيلَ لَهُ إِنَّهَا جَنَازَةُ يَهُودِىٍّ . فَقَالَ " أَلَيْسَتْ نَفْسًا"[1].

وفى أجواء تأويل قوله تعالى: {وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ }[2]، يقول الشيخ أى: ياأيها الموقنون إذا أفلت غفلتكم عن ربكم فسوف تبصرونه فى أنفسكم، فهو أقرب إليكم من حبل الوريد، وقيل أن ما في بدن الإنسان الذي هو العالم الصغير شيء إلا وله نظير في العالم الكبير، وفى ذلك من الاعتبار ما يكفي ويغني لمن تدبر[3]. يقول الإمام على (كرم الله وجهه): "وتزعم أنك جرم صغير وفيك انطوى العالم الأكبر"، ويقول سيدى ابن عطاء الله السكندرى فى حِكَمِه: "لولا ميادين النفوس ماتحقق سير السائرين؛ إذ لامسافة بينك وبينه حتى تطويها رحلتك، ولاقطعة بينك وبينه حتى تمحوها وصلتك"[4].

وقد تبنى الشيخ وصف "النفس الملهمة" للتعبير على هذه الكينونة الإلهية، فهى التى تلهم الإنسان خيره وشره، وهى التى يجب أن تكون محلاً لخشية المسلم، كما تسمو النفس بكونها موطن التمييز، وموطن الذوق. كما جاء فى الحديث الشريف (منْ عرف نفسه عرف ربه) فهذا يدل على أن معرفة النفس موصلة إلى معرفة الله تعالى، وهى كون من الأكوان، ففيه إثبات توصيل الكائنات إليه، يقول سيدى أبو العباس المرسى رضى الله عنه: فى هذا الحديث تأويلان أحدهما من عرف نفسه بذلها وعجزها وفقرها عرف ربه بعزته وقدرته وغناه، فتكون معرفة النفس أولا ثم معرفة الله تعالى من بعد، والتأويل الثانى من عرف نفسه عرف ربه، أى من عرف نفسه فقد دل

---

[1]) صحيح البخارى ، الجنائز ، حديث رقم ١٣١٢ ، نقلاً عن : موسوعة الحديث الشريف ، مرجع سابق .
[2]) الذاريات : ٢١ .
[3]) تفسير القرطبى للآية .
[4]) محمد إبراهيم محمد سالم ، شرح متن حكم ابن عطاء الله السكندرى ، المسمى بالهداية للإنسان إلى الكريم المنان ، لسيدى على البيومى ، مرجع سابق ، ص١١٠ .

ذلك منه على أنه عرف الله من قبل، فالأول حال السالكين، والثانى حال المجذوبين[١].

وتعد النفس إحدى المصالح الخمس التى جاء الإسلام لحفظها، وهى: الدين، والنفس، والنسل، والعرض، والمال، فحرَّمَ الله قتل النفس، أوتهديدها بسوء، بيد أن المسلم قد تذهق نفسه، ويقضى نحبه فى جهاد نفسه؛ لتزكيتها، وترقيتها، حتى تموت عن طلب الدنيا، وهذه هى الموتة الأولى، وهذا الترقى، والسمو هو منتهى الصدق مع الله، والقرب منه، والوصول لساحته فى الدنيا قبل الموتة الآخرة[٢]. يقول أحدهم[٣]: "إذا مت عن الخلق قيل لك رحمك الله وأماتك عن هواك فإذا مت عن هواك قيل لك رحمك الله وأماتك عن إرادتك ومنك فإذا مت عن إرادتك ومناك قيل لك رحمك الله وأحياك فحينئذ تحيا حياة طيبة لاموت بعدها".

وقيل فى حديث " إنكم لن تروا ربكم حتى تموتوا "[٤]: "لما كان ظاهر هذا هو الموت الطبيعى استصعبه الغافلون واستهونه المشتاقون فخفف عن الطائفتين بتوجيهه إلى الموت المعنوى، فقال " موتوا قبل أن تموتوا" أى جردوا أنفسكم من الصفات المذمومة تقيلوها، ويؤيده قول عمر (رضى الله عنه) فى البصل فإن كنتم لابد آكليها فأميتوها طبخاً يعنى اطبخوها حتى يذهب خبثها فافهم"[٥]؛ لذا، رُوِىَ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال حين رجع من بعض غزواته: "رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر"، فأخبر بذلك أن جهاد النفس أكبر من جهاد العدو، وقال عبد الله بن

---

[١]) ابن عطاء الله السكندرى رضى الله عنه ، لطائف المنن ، مرجع سابق ، ص٤٤ .

[٢]) ورد فى صحيح البخارى ، الجنائز ، حديث رقم١٢٤١ - حَدَّثَنَا بِشْرُ بْنُ مُحَمَّدٍ أَخْبَرَنَا عَبْدُ اللَّهِ قَالَ أَخْبَرَنِى مَعْمَرٌ وَيُونُسُ عَنِ الزُّهْرِىِّ قَالَ أَخْبَرَنِى أَبُو سَلَمَةَ أَنَّ عَائِشَةَ - رضى الله عنها - أَخْبَرَتْهُ قَالَتْ أَقْبَلَ أَبُو بَكْرٍ - رضى الله عنه - عَلَى فَرَسِهِ مِنْ مَسْكَنِهِ بِالسُّنْحِ حَتَّى نَزَلَ ، فَدَخَلَ الْمَسْجِدَ ، فَلَمْ يُكَلِّمِ النَّاسَ ، حَتَّى نَزَلَ فَدَخَلَ عَلَى عَائِشَةَ - رضى الله عنها - فَتَيَمَّمَ النَّبِىَّ - صلى الله عليه وسلم - وَهُوَ مُسَجًّى بِبُرْدِ حِبَرَةٍ ، فَكَشَفَ عَنْ وَجْهِهِ ، ثُمَّ أَكَبَّ عَلَيْهِ فَقَبَّلَهُ ثُمَّ بَكَى فَقَالَ بِأَبِى أَنْتَ يَا نَبِىَّ اللَّهِ ، لاَ يَجْمَعُ اللَّهُ عَلَيْكَ مَوْتَتَيْنِ ، أَمَّا الْمَوْتَةُ الَّتِى كُتِبَتْ عَلَيْكَ فَقَدْ مُتَّهَا .

[٣]) قول سيدى عبد القادر الجيلى رضى الله عنه ، نقلاً عن : الإمام عبد الوهاب الشعرانى ، الطبقات الكبرى ، مرجع سابق ، ص ١٢١ .

[٤]) مسند أحمد ،حديث عبادة ابن الصامت ، حديث رقم٢٣٤٣٥- عَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ أَنَّهُ قَالَ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- قَالَ « إِنِّى قَدْ حَدَّثْتُكُمْ عَنِ الدَّجَّالِ حَتَّى خَشِيتُ أَنْ لاَ تَعْقِلُوا إِنَّ مَسِيحَ الدَّجَّالِ رَجُلٌ قَصِيرٌ أَفْحَجُ جَعْدٌ أَعْوَرُ مَطْمُوسُ الْعَيْنِ لَيْسَ بِنَاتِئَةٍ وَلاَ حَجْرَاءَ فَإِنْ أُلْبِسَ عَلَيْكُمْ - قَالَ يَزِيدُ - رَبَّكُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّ رَبَّكُمْ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لَيْسَ بِأَعْوَرَ وَإِنَّكُمْ لَنْ تَرَوْنَ رَبَّكُمْ تَبَارَكَ وَتَعَالَى حَتَّى تَمُوتُوا ». قَالَ يَزِيدُ « تَرَوْا رَبَّكُمْ حَتَّى تَمُوتُوا ».

[٥]) قول سيدى على محمد وفا رضى الله عنه ، نقلاً عن الإمام الشعرانى ، الطبقات الكبرى ، ص ٣٩٨ .

المبارك في قوله تعالى:{وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ}[١]، هو مجاهدة النفس والهوى وذلك حق الجهاد، وهو الجهاد الأكبر[٢].

ويؤكد أفضلية جهاد النفس أنه واجب على كل مسلم، وعلى كل مسلمة أيضاً، أما قتال العدو فهو فرض كفاية إذا قام به البعض سقط عن الكل، فليس على المرأة قتال، فعَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ هَلْ عَلَى النِّسَاءِ جِهَادٌ قَالَ " عَلَيْهِنَّ جِهَادٌ لاَ قِتَالَ فِيهِ الْحَجُّ وَالْعُمْرَةُ "[٣]، أما ما تواترت الأنباء بشأن مشاركة المرأة ومساعدتها فى المعارك الإسلامية فهو من قبيل التطوع ، لا الواجب عليها.

وقد نجد ظلاً لرأى الشيخ المتفرد فى سمو النفس فى كتابات الفلاسفة القدماء فالنفس ـ عندهم ـ من الموجودات الروحانية التى تنتمى إلى العالم العلوى، التى لاتفنى، كما تحدث ابن سينا عن عروج النفس إلى الملأ الأعلى من الوجهة الفلسفية، وذلك فى كتابيه " النجاة " و" التنبيهات والإشارات "، وهو ما سجله أيضاً فى رسالته التى كتبها بالفارسية بعنوان "معراج نامة"، أى "رسالة المعراج"، ونظم قصيدته المشهورة عن "النفس"، التى جاء فيها:

هبطت إليك من المحل الأرفع *** ورقاء ذات تعزز وتمنع
محجوبة عن كل مقلة عارف *** وهى التى سفرت ولم تتبرقع[٤]

كما نجد أصداءً لرأى الشيخ فى سمو النفس فى كلام القوم عن خلافة الإنسان فى الأرض، فنزول سيدنا آدم عليه السلام من الجنة إلى الأرض كان نزول كرامة لانزول إهانة، فآدم عليه السلام كان يعبد الله فى الجنة بالتعريف، فأنزله إلى الأرض ليعبده بالتكليف، فلما توفرت فيه العبوديتان

---

[١]) الحج : ٧٨ .

[٢]) السهروردى ، تكملة كتاب عوارف المعارف بهامش الجزء الثانى من كتاب إحياء علوم الدين للإمام الغزالى ، ص ٦٧ ، حيث جاء فى قوله تعالى :{ وجاهدوا فى الله حق جهاده } قال عبد الله بن المبارك هو مجاهدة النفس والهوى وذلك حق الجهاد وهو الجهاد الأكبر على ماروى فى الخبر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال حين رجع من بعض غزواته " رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر " وقيل إن بعض الصالحين كتب إلى أخ له يستدعيه إلى الغزو فكتب إليه يا أخى كل الثغور مجتمعة لى فى بيت واحد والباب على مردود فكتب إليه أخوه لوكان الناس كلهم لزموا مالزمته اختلت أمورالمسلمين وغَلَبَ الكفار فلابد من الغزو والجهاد فكتب إليه ياأخى لو لزم الناس ما أنا عليه وقالوا فى زواياهم على سجاداتهم الله أكبر انهدم سور قسطنطينية.

[٣]) سنن الدارقطنى ، الحج ، حديث رقم ٢٧٤٨ ، نقلاً عن : موسوعة الحديث الشريف ، مرجع سابق .

[٤]) راجع فى تفصيلات ذلك : محمد سعيد جمال الدين ، مقال بعنوان (المعراج) ، موسوعة التصوف الإسلامى ، مرجع سابق ، ص٦٩٥ ـ٧٠٩ .

استحق أن يكون خليفة، وأنت أيضا لك قسط من آدم كانت بدايتك فى سماء الروح فى جنة المعارف، فانزلك إلى أرض النفس لتعبده بالتكليف، فإذا توافرت فيك العبوديتان استحققت أن تكون خليفة"[1].

وبلور الشيخ رؤيته الفريدة باعتبار النفس أسمى عوالم دولة الإنسان، ومجمعها، فأنشأ قائلاً[2]:

أنا لسانك أنت ضميرى***أنت مليكى وعنك أميرى
منك إليك يعود كتابى***يحمل عنى إليك وزيـرى
جئت خليفة أقمت بلاطى***وغدا فوق بلاطى سريرى

حتى وصل إلى قوله:

إن الروح أمير عُدَّ***فوق الكون قديم شُـــدَّ
رُفِعَ إليه حديث الود***عنه يكتب بالتسطـــير
وكذا العقل وزير ثاقب***فيها دواماً شارق غـارب
نحو أميره مطية راكب***وهو السالك بالتقديــر
أما سرير الملك ترابى***فهو المزج وفيه خطابــى
جسر البحر وعين حجابى***فيه الضعف أريد نصيرى
واجمع كل شئون الدولة***نفس فيها يتم القـولا
فهى الملهمة خير وهولا***خوف منها سألت مجيـرى

وبعد هذا العرض البسيط لآراء الشيخ فى بعض القضايا العقائدية والفكرية الشهيرة، التى كانت محلاً للجدل الفقهى الواسع على مر التاريخ الإسلامى، نفرغ فيما يلى لإلقاء الضوء على شيئ من علوم الشيخ ومعارفه، وذلك من خلال الباب التالى.

---

[1]) ابن عطاء الله السكندرى ، لطائف المنن فى مناقب الشيخ أبى العباس المرسى وشيخه الشاذلى أبى الحسن ، مرجع سابق ، ، ص٨٥ .

[2]) قصيدة للشيخ ـ رضى الله عنه ـ مخطوطة ، لم تنشر بعد.

الباب الرابع

علومه، ومعارفه

يقسم هذا الباب إلى فصلين، يستعرض الفصل الأول نبذة عن ماهية التفسير الإشارى الفيضى وأمالى الشيخ، ويتناول الفصل الثانى قصائده، وصدوره، وصلواته، وعلى النحو الآتى.

الفصل الأول

التفسير الإشارى، وأمالى الشيخ

تجدر الإشارة ـ بداية ـ إلى ماهية التفسير الإشارى الفيضى، بوصفه تأصيلاً شرعياً لما يفيض الله به على عباده الصالحين من غير سبق تعليم، أو شيخ معلم، ثم الانتقال إلى عرض نماذج لهذا الفيض الربانى من أمالى الشيخ التى أملاها على بعض أحبابه، وذلك من خلال مبحثين متتابعين، وعلى الوجه التالى :

المبحث الأول

التفسير الإشارى الفيضى

حاز الشيخ علوماً شريفة، ومعارف جليلة، بلغ بها مقام الراسخين فى العلم، وارتقى بها إلى رجال الأعراف، فرأيته خضماً ساكناً، تطفو عليه الجوارى المنشآت في البحر كالأعلام، ويغوص فى أعماقه اللؤلؤ والمرجان.

ولا غرو فى أن يفيض الله على الشيخ بهذه العلوم والمعارف اللدنية إلهاماً، بلا سابق كس ، أو تدريس أستاذ، أو تلقين شيخ مربى، فمنْ عَرَفَ الله عَرَّفَه الله كل شيئ، يقول تعالى: { وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ}[1] .

---

[1]) البقرة : ٢٨٢ .

وقد أقر جمهور الفقهاء بالعلوم اللدنية، التى يفيضها الله على عباده الصالحين، فهم أصفياؤه، وإحباؤه، وخاصة خلقه، كما أقروا بشرعية النهج الإشارى فى تأويل الآيات القرآنية، والأحاديث النبوية.

بيد أن فريق من أهل النقل الآخذين بظاهر النص أنكر النهج الإلهامى فى التفسير، وشنعوا به، حتى ذهب بعضهم إلى تكفير أصحابه، وقد احتج هذا الفريق بما روىَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ عَنِ النَّبِىِّ -صلى الله عليه وسلم- قَالَ: " اتَّقُوا الْحَدِيثَ عَنِّى إِلاَّ مَا عَلِمْتُمْ فَمَنْ كَذَبَ عَلَىَّ مُتَعَمِّدًا فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ وَمَنْ قَالَ فِى الْقُرْآنِ بِرَأْيِهِ فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ"[1]، وقول سيدنا أبى بكر رضى الله عنه :"أىِّ أرض تقلنى وأىِّ سماء تظلنى إذا قلت فى القرآن برأيى"، إلى غير ذلك مما ورد فى الأخبار، والآثار[2].

وقد انبرى أهل المعرفة والدراية فى تفنيد مزاعم هؤلاء المنكرين، وقدموا الأدلة العقلية، والنقلية على مشروعية التفسير الإشارى، فأما الأدلة العقلية: قدرة الله على أن يورث عبداً من عباده الفقراء المخلصين فهماً فى آيات القرآن، مالم يؤت غيره من أهل العلم، وذلك من وحى حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم:{منْ عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم}، وهو العلم الذى ليس لغيرهم من أهل العلم[3].

وعَنْ أَبِى جُحَيْفَةَ قَالَ قُلْتُ لِعَلِىٍّ هَلْ عِنْدَكُمْ كِتَابٌ قَالَ لاَ، إِلاَّ كِتَابُ اللَّهِ، أَوْ فَهْمٌ أُعْطِيَهُ رَجُلٌ مُسْلِمٌ، أَوْ مَا فِى هَذِهِ الصَّحِيفَةِ. قَالَ قُلْتُ فَمَا فِى هَذِهِ الصَّحِيفَةِ قَالَ الْعَقْلُ، وَفَكَاكُ الأَسِيرِ، وَلاَ يُقْتَلُ مُسْلِمٌ بِكَافِرٍ"[4]، والفهم المشار إليه بخلاف التفسير المنقول؛ لذا يقول الإمام على (كرم الله وجهه):" لو شئت لأوقرت سبعين بعيرا من تفسير فاتحة الكتاب"، فى حين أن تفسير ظاهرها غاية فى الاقتصار[5].

---

[1]) سنن الترمذى ، تفسير القرآن ، حديث رقم ٣٢٠٥ ، نقلاً عن : موسوعة الحديث الشريف ، مرجع سابق .

[2]) أبو حامد الغزالى ، إحياء علوم الدين ، المجلد الأول ، دار إحياء الكتب العربية ، فيصل عيسى البابى الحلبى ، مرجع سابق ، ص٢٩١ .

[3]) أبو نصر عبد الله بن على السراج الطوسى ، اللُّمَّعُ فى تاريخ التصوف الإسلامى ، تحقيق عماد زكى البارودى ، مرجع سابق ، ص١١٢ .

[4]) صحيح البخارى ، العلم ، حديث رقم ١١١ ، نقلاً عن : موسوعة الحديث الشريف ، مرجع سابق ، كما أخرجه النسائى والترمذىوخرجه عنهم الشيخ عبد الله دراز فى حاشيته على الموافقات للشاطبى ٣٧٢/٢ ط دار المعرفة .

[5]) أبو حامد الغزالى ، إحياء علوم الدين ، مرجع سابق ، ص٢٩٠ .

ويقول أبو الدرداء (رضى الله عنه):"لايفقه الرجل حتى يجعل للقرآن وجوها"[1]، وأخرج ابن حبان فى صحيحه، وغيره من حديث ابن مسعود (رضى الله عنه) أن النبى صلى الله عليه وسلم قال:" إن للقرآن ظهراً، وبطناً، وحداً، ومطلعاً "[2].

فالظهر: ما يظهر من معانى القرآن لأهل التفسير الظاهر، والبطن هو: ماعرفه أهل الحقائق من أسرار التأويل، والحد: هو مُنْتَهَى الفهوم فى معنى حروف القرآن، أو هو ما يرتقى به من البطن إلى المطلع، والأخير: هو ما يُتَوصَّلُ به إلى معرفة الغامض من المعانى والأحكام، ويوقف على المراد به، أو هو تجلى الله بمعانى القرآن فى قلوب أحبابه[3]، وقد أشار الإمام جعفر الصادق (رضى الله عنه) إلى ذات المعنى بقوله: (لقد تجلى الله تعالى فى كتابه لعباده ولكن لاتبصرون)[4]. واستدل البعض على أهمية التفسير الإشارى الفيضى بقوله تعالى: {أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا *وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَىٰ أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا }[5]، فلولا أن هناك معانى وراء ما يظهر من هذا القرآن لما يستدعى الحث على تدبره لإزالة ما وجدوه فيه من اختلاف، كما أنه أثبت لأهل العلم والدراية استنباطاً، والاستنباط وراء السماع، وهو فهمهم لما وراء ظاهر النص، ومقتضى ذلك جواز أن يستنبط كل أحد من القرآن بقدر فهم إشاراته، أو بما يفيض الله به عليه[6]. فالقرآن الكريم لا تنقضى عجائبه، ولا يخلقه كثرة الترديد فيثبت بذلك لأهل الفهم خصوصيتهم بإدراك غرائبه فيما وراء ظاهره، ولذلك قال صلى الله عليه وسلم:" اقرءوا القرآن والتمسوا غرائبه "[7].

---

[1]) أبو حامد الغزالى ، إحياء علوم الدين ، مرجع سابق ، ص٢٩٠ .

[2]) خرجه العراقى فى المغنى بحاشية الإحياء ٩٩/١ ، مشار إليه فى إحياء علوم الدين ، مرجع سابق ص ٢٩٠ .

[3]) جودة أبو اليزيد المهدى ، دراسة بعنوان : التفسير الصوفى الإشارى ، موسوعة التصوف الإسلامى ، مرجع سابق ، ص١٤٦

[4]) الألوسى : شهاب الدين ابو الثناء محمود ، روح المعانى ٧/١ ط المنيرية ، مشار إليه بمرجع : موسوعة التصوف الإسلامى ، مرجع سابق ، ص ١٤٦ .

[5]) النساء : ٨٢ ، ٨٣ .

[6]) أبو حامد الغزالى : إحياء علوم الدين ، مشار إليه بمقال جودة أبو اليزيد المهدى ، التفسير الصوفى الإشارى ، موسوعة التصوف الإسلامى ، مرجع سابق ، ص١٤٥ .

[7]) نقلاً عن : أبى حامد الغزالى ، إحياء علوم الدين ، المجلد الأول ، مرجع سابق ، ص ٢٩١ .

وقد جمع القرآن شرح ذات الله، وأفعاله، وصفاته، وهى علوم لانهاية لها، وفى القرآن إشارة إلى مجامعها، كما ضم القرآن بين جنباته رموزاً ودلالات على جميع النظريات، والمعقولات المتفق عليها، أو المختلف فيها، وبالطبع فإن التفسير المنقول من ظاهر النص لايستوف إدراك مفردات تلك الجمل، ويشير الإمام على (كرم الله وجهه) إلى ذلك فيقول:"من فهم القرآن فسر به جُمَلَ العلم"[1].

ومن جماع ما تقدم، يتضح جلياً أن التفسير المنقول من ظاهر النص لا يدرك غاية معانى القرآن، وبَطَل ـ بالتالى ـ عقلاً أن يكون قوله صلى الله عليه:" من فسر القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار" محمولاً على النهى المحرم عن الفهم والاستنباط من القرآن بصفة عامة.

ذلك أن اشتراط أن يكون مسموعاً من رسول الله صلى الله عليه وسلم يلزم عدم قبول ما ورد عن ابن عباس، أو عن ابن مسعود، أوغيرهم من الصحابة (رضى الله عنهم) مما لم يسمعوه من رسول الله صلى الله عليه وسلم، بوصفه تفسيراً منهم بالرأى، لاسيما أن المسموع عنه صلى الله عليه وسلم فى تفسير الآيات لم يستغرق القرآن كله.

كما ثبت اختلاف الصحابة فى تفسير بعض الآيات بحيث لايمكن الجمع بينها، ومحال أن يكونوا جميعاً قد سمعوها من رسول الله صلى الله عليه وسلم، لو سمعها أحدهم من حضرته صلى الله عليه وسلم لردَّ بسماعه أقوال بقيتهم، وهو ما لم يثبت[2].

هذا من وجه، ومن وجه آخر فقد ورد أن سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وضع يَدَهُ عَلَى كَتِفِ حبر الأمة عبد الله بن عباس (رضى الله عنه)، ودعا له رسول الله صلى الله عليه وسلم: " اللَّهُمَّ فَقِّهْهُ فِى الدِّينِ وَعَلِّمْهُ التَّأْوِيلَ"[3]، فإن كان التأويل مسموعا كالتنزيل، أومحفوظا نقلاً، فلا معنى لتخصيص ابن عباس (رضى الله عنه) به. وإذا بطل حمل نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن التفسير بالرأى فى القرآن بصفة عامة، ثبت عقلاً جواز الاستنباط من القرآن بقدر فهم صاحبه.

---

[1]) أبو حامد الغزالى ، إحياء علوم الدين ، مرجع سابق ، ص ٢٩٠ ، ٢٩١ .

[2]) أبو حامد الغزالى ، إحياء علوم الدين ، مرجع سابق ، ص ٢٩١ .

[3]) مسند أحمد ، مسند عبد الله بن عباس ، حديث رقم٢٤٣٩ ، نقلاً عن : موسوعة الحديث الشريف ، مرجع سابق .

وأما الأدلة النقلية، فقوله تعالى: {فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا}[١]، فالآية تصرح بالعلم اللدنى الذى آتاه الله الخضر عليه السلام[٢]، وأن هذا العلم اللدنى لم يعلمه نبى الله موسى عليه السلام؛ ذلك لأن الخضر لم يتعلمه من أستاذ، ولم يطلع عليه بشر، حتى يعلمه موسى عليه السلام[٣]، وجاء فى تفسير البغوى لقوله تعالى {من لدنا علما} قال: أي علم الباطن إلهاماً .

وقوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا}[٤]، والفرقان عند أهل المعرفة هو النور الذى يجعله الله تعالى فى قلوب المتقين، فيفرقون به بين الحق والباطل، وهو كذلك المخرج الذى جعله الله لأهل التقوى فى قوله تعالى: {وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا * وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ}[٥]، والرزق المقصود فى الآية هو العلم بغير تعليم، والفطنة من غير تجربة[٦].

كما استشهد أهل المعرفة بما ورد عن عبد الله بن مسعود قال:" تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله تعالى: {أَفَمَن شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِ}[٧] قلنا: يارسول الله كيف انشراح صدره؟ قال: إذا دخل النور القلب انشرح وانفسح، قلنا: يارسول الله فما علامة ذلك؟ قال: الإنابة إلى دار الخلود، والتجافي عن دار الغرور، والتأهب للموت قبل نزول الموت [٨].

ولم يكتف أهل المعرفة، والسلف الصالح على الكتاب والسنة دليلاً على شرعية المعرفة الإلهامية اللدنية، فراحوا يقتطفون من ثمار أقوال الصحابة وأفعالهم ما يعضد حججهم، ومنها ما بعث به أمير المؤمنين عمر بن الخطاب (رضى الله عنه) إلى أمراء الأجناد بأن يحفظوا ما يسمعون من المطيعين

---

[١]) الكهف : ٦٥ .
[٢]) محى الدين بن عربى ، الفتوحات المكية ٤١/٣ ، وانظر م١ ، ١٥٠ ، ٢٥٤الخ .
[٣]) أبو القاسم عبد الكريم القشيرى ، لطائف الإشارت ، الهيئة العامة للكتاب ، ٨٠/٤ط .
[٤]) الأنفال : ٢٩ .
[٥]) الطلاق : ٢ ، ٣ .
[٦]) انظر : القوت ١٦٤/١ ، ٢٤٢ ، ٣١/٢ ، مشار إليه : عبد الحميد مدكور ، مقال بعنوان (العرفان الصوفى) ، موسوعة التصوف الإسلامى ، مرجع سابق ، ص٥٦٣.
[٧]) الزمر : ٢٢ .
[٨]) راجع : تفسير البغوى للآية ، وغيره من التفاسير .

فإنه تتجلى لهم أمور صادقة، وقوله " يا سارية الجبل الجبل "، وقول أبى الدرداء: المؤمن ينظر إلى الغيب من وراء ستر رقيق، والله إنه للحق، يقذفه الله فى قلوبهم ويجريه على ألسنتهم[1].

وألحقوا بأقوال الصحابة رضوان الله عليهم أقوال بعض الأئمة والتابعين، ومنها ماقاله الإمام مالك بن أنس:" ليس العلم بكثرة الرواية، وإنما العلم نور يجعله الله فى القلب"، وما قاله الإمام أحمد:" العلم إنما هو ما جاء من فوق "، وقد فسره بعض الصوفية بأنه الإلهام بغير تعليم"[2]؛ لذا، وقد خلص الإمام الغزالى - بعد أن أورد العديد من الأدلة - إلى القول:" فهذه شواهد النقل، ولو جُمع فيه كل ماورد من الآيات والأخبار والآثار لخرج عن الحصر"[3].

هذا عن التأصيل الشرعى للتفسير الإشارى، والآن ما هو مفهوم هذا التفسير؟

تتفجر المعارف الإلهامية فى قلوب أهل المعرفة من ينابيع القرآن الكريم؛ إذ ترتبط هذه المعارف غالباً بتأويل آيات القرآن، والتأويل بخلاف التفسير، وفى المأثور:"من فسر القرآن برأيه فقد كفر، أما التأويل فلا يبقى ولايزر".

ويشير الشيخ إلى ارتباط أهل العرفان بآيات القرآن الكريم بقوله: "جعل الله لهم ميقات في سوح الآيات، فحُمِلوا إلى الله بالله، فبثق فيهم مكنون الدرايات ".

فالقرآن الكريم هو المنبع الخصب، الذى يفيض على وديان قلب العارف، فيرتوى من عذب علومه، ويسبح عقله فى أفلاك آياته، وتعرج روحه لبروج سمائه، فتسطع عليها شموس معارفه، وتهوى إليها لوامع نجومه، فيشهد العارف خفى أسرار الآيات، ويتذوق لطائف الإشارات، ويصبح القرآن فرقانه، يفرق به بين الحق والباطل، فينطق بالصدق لسانه،

---

[1]) أبو طالب المكى ، القوت ،٢٤٢/١ ، الإحياء ٣١/٣، ٣٤ نقلاً عن :عبد الحميد مدكور ، (العرفان الصوفى) ، موسوعة التصوف الإسلامى ، مرجع سابق ، ص ٥٦٤.

[2]) أبو طالب المكى ، قوت القلوب ٢٨٢/١ ، مشار إليه : عبد الحميد مدكور (العرفان الصوفى) ، موسوعة التصوف الإسلامى ، مرجع سابق ، ص٥٦٤ .

[3]) أبو حامد الغزالى ، إحياء علوم الدين ٣/ ٣٠ ،٣٢ ، نقلاً عن : عبد الحميد مدكور (العرفان الصوفى) ، موسوعة التصوف الإسلامى ، مرجع سابق ، ص ٥٦٤ .

وما ينطق عن ميل، أو هوى. وقوله تعالى: {بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ }[1]، أى أن هذا القرآن آيات واضحات فى قلوب أهل المعرفة، الذين حفظوه وتدبروه وعملوا بتوجيهاته[2].

ويمثل التفسير الإشارى الفيضى للقرآن الكريم أحد مناهج التفسير القرآنى بالرأى المحمود، أو ما يطلق عليه التأويل، وذلك فى مقابل كل من التفسير بالمأثور، والتفسيربالرأى المذموم، وقد تضمنت أمَّات التفاسير نماذج من ذلك التأويل[3].

فالتفسير الإشارى - إذن - هو تأويل الآيات القرآنية على خلاف ما يظهر منها بمقتضى إشارات خفية تظهر لأرباب السلوك، ويمكن التوفيق بينها وبين الظواهر المرادة[4].

والتأويل لغة: مشتق من آل إليه - إيالا، وأيلولة، ومآلاً: رجع وصار، و(أوَّل) الشيئ إليه: أرجعه و(تأوَّل) الكلام فسره[5]. أما التأويل بالمعنى الاصطلاحى فيعرفه الجرجانى فى كتابه "التعريفات" بأنه: الترجيح، وفى الشرع صرف اللفظ عن معناه الظاهر إلى معنى يحتمله، إذا كان المحتمل الذى يراه موافقاً للكتاب والسنة، مثل قوله تعالى:{ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ}[6]، إن أراد به إخراج الطيرمن البيضة، كان تفسيراً، وإن أراد به إخراج المؤمن من الكافر، أو العالم من الجاهل، كان تأويلاً. ويقول أبو طالب الثعلبى: التأويل إخبار عن حقيقة المراد، والتفسير إخبار عن دليل المراد، لأن اللفظ يكشف عن المراد[7].

وفى بيان حقائق التأويل فى أجواء الآيات القرآنية والأحاديث، يقول الشيخ: " هناك رجل يوزن بحرف من القرآن، وهناك رجل يوزن بآية، ومنهم من يوزن بسورة فيرجح، ومنهم من يوزن بالسنة النبوية فيرجح،

---

[1]) العنكبوت : ٤٩ .
[2]) محمد سيد طنطاوى ، القرآن الكريم والتفسير الميسر ، مرجع سابق ، ص ٣٣٦ .
[3]) السيوطى الحافظ جلال الدين أبو الفضل عبد الرحمن ، الإتقان فى علوم القرآن ، تحقيق محمد أبى الفضل إبراهيم ، ١٩٨/٤ . وانظر د. محمد حسين الذهبى ، التفسير والمفسرون ١٨/٣ .
[4]) لمزيد من التفصيل : راجع : جودة أبو اليزيد المهدى ، مقاله (التفسير الصوفى الإشارى) ، موسوعة التصوف الإسلامى ، مرجع سابق ، ص ١٤٥ .
[5]) المعجم الوجيز ، مرجع سابق ، ص٣٠ .
[6]) الأنعام : ٩٥ ، الروم : ١٩ .
[7]) لمزيد من التفصيل انظر : فيصل عون ، مقاله (التأويل) ، موسوعة التصوف الإسلامى ، مرجع سابق ، ص١١٧- ١٣٣ .

وهناك رجل يوزن بالقرآن كله، فيقوم الله سبحانه وتعالى بمؤاخاة هذا الرجل بقرآنه، وكلماته، وآياته، وينادى الله القرآن: صُبَّ فى أخيك ما أودعته فيك من علوم، وغرائب، وعجائب، فينطق بها الرجل، وتتكشف له فى كلمات الله أسرار لايعلمها إلا مثله".

ويمثل الشيخ بنفسه قائلاً: الفيض من الله هو إلهام من الله على قلبى، أو ينفخ ملك الإلهام فى روحى، فتأتى أحاديثى مشاهدة، ومشافهة، يعنى مشاهدة عن النص المقروء لىَّ وأنا أسمعه، ومشافهة عن طريق السادة العلماء، والدليل على ذلك قول الله تعالى:{وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ }[1].

ويستطرد قائلاً: وأقصد من ذلك أنه فيض من الله عز وجل على قلبى يلهمنى التحدث، وأنا لا أطلب ذلك، ولا اشتهيه، نحمده ونشكره، سببه تقربنا من الله عز وجل وعَنْ أَنَسٍ (رضى الله عنه) عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم يَرْوِيهِ عَنْ رَبِّهِ قَالَ: " إِذَا تَقَرَّبَ الْعَبْدُ إِلَيَّ شِبْرًا تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعًا، وَإِذَا تَقَرَّبَ مِنِّي ذِرَاعًا تَقَرَّبْتُ مِنْهُ بَاعًا، وَإِذَا أَتَانِي مَشْيًا أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً"[2]، وتقرب الله إلى عبده منفعة لعبده لا أن يأتى من مكان إلى مكان، فهو سبحانه المنزه عن المكان والزمان .

يقول أحدهم[3]:" كلام الأنبياء عليهم الصلاة والسلام عن حضور، وكلام الصديقين إشارات عن مشاهدات ".

يتداعى - هنا - تساؤل عما إذا كان معرفه أهل الحقائق بإشارات الآيات، تختلف عن علم أئمة التفسير الظاهرى للقرآن؟

تناول علماء الأصول، ومشايخ الصوفية فى كتاباتهم، ودراساتهم الإجابة عن التساؤل السابق، فذهب علماء الأصول إلى أن العلم والمعرفة سواء، لكنهم أجازوا أن يقال للحق تعالى عالماً، ولا يجوز أن يقال له عارفاً، لعدم التوافق[4]، ومنهم منْ ذهب إلى أن المعرفة والعلم اسمان لشيئ واحد، فكل علم معرفة، وكل معرفة علم، وكل عالم بالله تعالى عارف، وكل عارف

---

[1])) الأنبياء : ٧٣ .

[2]) صحيح البخارى ، التوحيد ، حديث رقم ٧٥٣٦ ، نقلاً عن : موسوعة الحديث الشريف ، مرجع سابق .

[3]) أبو القاسم الجنيد ، نقلاً عن : عبد الوهاب الشعرانى ، الطبقات الكبرى ، مرجع سابق ، ١٤٦

[4]) للمزيد انظر : محفوظ عزام ، مقال بعنوان (المعرفة) ، موسوعة التصوف الإسلامى ، مرجع سابق ، ص ٧١٢-٧٢٤ .

عالم[1]. بينما فرق غالب مشايخ الصوفية بين المعرفة من جهة، وبين العلم من جهة أخرى، فيطلقون "المعرفة" على العلم المقرون بالمعاملة والحال، بينما يطلقون "العلم" على العلم المجرد الخال من المعاملة، ويسمون من يكون عالماً بمعنى الشيئ، وحقيقته عارفاً، ويسمون العالم المتجرد عن المعاملة عالماً، فالعارف قائم بربه، والعالم قائم بنفسه[2].

وقال بعضهم إن تبين الأشياء على الظاهر علم، وتبينها على استكشاف بواطنها معرفة، وأن الله تعالى أباح العلم للعامة، وخص أولياءه بالمعرفة، فالعارف خزينة من خزائن الله تعالى، يتناول عن الله، ويمسك لله، ويعطى لله[3]، ومن صفات المعرفة بالله أنها لدُّنية مباشرة، و ليست عن طريق وسائط، أو وسائل تعليمية مكتسبة، فالصوفى مَنْ قد وجد، لا مَنْ قد علم .

ومن صفات المعرفة بالله أيضاً التجدد والتغير، فهى عاكفة فى أجواء الحقيقة الإلهية، راقية من كمال إلى أكمل وكمال الله لايتناهى، لذا، أقر الصوفية بالعجز التام عن اكتناه واستيعاب الحقيقة الإلهية، ولمَّا سئل ذو النون المصرى: كيف عرفت الله؟ . قال:" عرفت الله بالله، وعرفت ما سوى الله برسول الله"[4]، فالعارف مَنْ عرف الله سبحانه، وصدقه فى معاملته، وأخلص له نياته، وشكره على نعمائه، وصبر على بلياته، ودعا إليه على بصيرة، أما العالم فهو منْ أتاه الله علماً، وبياناً، وحجة، وبرهاناً بالأدلة العقلية، والنقلية[5].

وقد أفاض الله على ألسن العارفين من الأسرار والعلوم ما لا تسعه السطور، وتعجز عن إدراكها العقول، ويتبادر هنا السؤال لماذا - إذن - دوَّن بعض العارفين معارفهم مع أنه يعجز عن فهمها عوام الأمة، بل قد يقصر

---

[1]) أبو القاسم عبد الكريم القشيرى ، الرسالة القشيرية ، تحقيق : معروف زريق وعلى عبد الحميد بلطة جى ، دار الخير ، بيروت سنة ١٩٩١م ، ص٣١١.

[2]) الهجويرى ، كشف المحجوب ، دراسة وترجمة وتعليق د. إسعاد عبد الهادى قنديل ، القاهرة ، سنة١٩٧٤م ، ص ٦٢٦ .

[3]) الحكيم الترمذى ، ختم الأولياء ، ص٧٣، مشار إليه فى مقال محفوظ عزام : (المعرفة) ، موسوعة التصوف الإسلامى ، مرجع سابق ص٧١٥ .

[4]) عبد اللطيف العبد ، التصوف فى الإسلام ، دار الثقافة العربية ، القاهرة سنة ١٩٨٦م ، ص ١٣٢، مشار إليه بمرجع : محفوظ عزام ، (المعرفة) ، موسوعة التصوف الإسلامى ، مرجع سابق ، ص ٧١٨ .

[5]) حيدر بن على العلوى (الأملى) ، رسالة تحقيق النبوة ، ملحقة بكتاب ختم الأولياء للحكيم الترمذى ، ص ٥٠٣ - ٥٠٤، مشار إليه بمرجع : محفوظ عزام ، (المعرفة) ، موسوعة التصوف الإسلامى ، ص ٧١٤ .

بعض العلماء عن تصديقها؟ فليس من الحكمة أو الرحمة بالأمة البوح بهذه العلوم والمعارف للكافة، بل يجب عليهم حفظها وكتمها عن غير أهلها.

والرد على التساؤل السابق سهل يسير، فالشمس مع عظيم فائدتها قد تضر من بعينيه رمد، ولكن تربو فائدتها عن ضررها، وكذلك علوم العارفين المدونة عنهم، فهم لم يدونوها لعامة الأمة، بل دونوها لغاية، وبإذن من الله ورسوله لينتفع المؤهلون بهذه العلوم والمعارف، فالعارفون أمناء على هذه العلوم يؤدونها لأهلها؛ كى تفتح لهم أبواب الكمالات الإلهية، وتشرق على قلوبهم أنوار الهدايات الربانية، يقول أحدهم[1]: إن تدوين هذه المعارف من أعظم الفوائد فضلاً عن أنه من أحق الحقوق؛ إذ فائدتها بقاء روح حق اليقين وإشرافها فى مظاهر الهادين بالحق كما فى فائدة تدوين علم الظاهر بقاء روح الاجتهاد الظنى الموجب للعمل وظهوره فى مظاهر المرشدين{ وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ}[2].

أما ما يقوم به بعض المترسمين والأدعياء من نشر مصنفات استلبوها من كتب السلف الصالح، ونسبوها لأنفسهم؛ تستراً على جهلهم، وهوىً فى أنفسهم، وطلباً لعاجل إلمام، وكسب المال، فمثلهم كمثل منْ قرأ القرآن على أعداء الله فحرفوه واتبعوا ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله، وهذا هو العلم الذى حذر منه أهل المعرفة، ووصفوه بأنه سم قاتل .

وغنى عن البيان، أن التصديق بكلام أهل المعرفة والفتوح لايكون إلابفتح وسمو روح، وقيل أن :" التصديق بالفتح لا يكون إلا بفتح "[3]، وكان الشيخ يقول:"صاحب العقيدة ربحه فى أيده"، ويقول: "التصديق بكلامنا ولاية"، ويروى عن الإمام الجنيد (رضى الله عنه) قوله: التصديق بعلمنا هذا ولاية، وإذا فاتتك المنة فى نفسك، فلا يفتك أن تصدق بها فى غيرك، فإن لم يصبها وابل فطل. وقيل: يخشى على المكذب لهم سوء الخاتمة[4].

---

[1]) قول سيدى على محمد وفا رحمه الله ، عبد الوهاب الشعرانى ، الطبقات الكبرى ، مرجع سابق ، ص٤٤٠ .
[2]) البقرة : ٢٢ .
[3]) ابن عطاء الله السكندرى رضى الله عنه ، لطائف المنن فى مناقب الشيخ أبى العباس المرسى وشيخه الشاذلى أبى الحسن . مرجع سابق ، ص٩
[4]) ابن عطاء الله السكندرى رضى الله عنه ، لطائف المنن فى مناقب الشيخ أبى العباس المرسى وشيخه الشاذلى أبى الحسن ، مرجع سابق ، ص٩ .

جعلنا الله وإياك من المعترفين بفضله فى عباده، المصدقين بآثار عنايته فى أهل وداده، إنه ولى ذلك، والقادر عليه.

نكتفى بهذا القدر، ونفرغ الآن إلى عرض مقتطفات من أمالى الشيخ، وذلك من خلال المبحث التالى:

المبحث الثانى

أمالى الشيخ

يقصد بأمالى الشيخ ما أملاه على بعض أحبابه ومريديه، فسطَّروه فى مجلدات، وكراريس، وأوراق، إذ أفرغ الشيخ باكورة علمه وعرفانه فى أماليه النثرية، فدوَّن فيها مرائى عقيدته، ومعالم فكره.

وما أجمل أماليه بما حوته من معارف وعلوم! ويكأنها بساتين جنات، ما لها من نهايات، وأيكة متشابكة الأغصان، تحمل أطيب الثمار، وأزكى الأزهار.

ورغم ما أبانته نشأته من أمية القراءة والكتابة[1]، فإن أمالى الشيخ كشفت عن دقيق علومه، وجليل معارفه، ولئن كان المقام لايسع لإفراغ أمالى الشيخ بجمعها ـ ولات حين حصرها ـ فإن التمثيل بواحدة منها كافيك ـ عزيزى القارئ ـ عن إدراك جُلها، وفى المأثور:" ما لايدرك كله لايترك كله ".

وأود التنويه إلى أن هذه الأمالى إنما كُتِبَت بخط اليد للعديد من الإخوة والأحباب، ولم يحالفنى التوفيق فى قراءة بعض كلماتها؛ إما لعدم اتقانى فى قراءتها، أو لفقدان بعض الحروف منها، فتأتى الكلمة مبتسرة أوغير متسقة مع جملة الكلام.

ولا أقدح فى الكاتب؛ إذ كانت مهمته غاية فى الصعوبة، ولولا عناية الله، وتوفيقه لما استطاع ملاحقة ما يُملى عليه من غزارة الفيض، وتراميه ـ وأنَّى له ذلك ـ فالشيخ يتلقى، والفيض هامى، والفيض صيد، فإن لم يحكم الكاتب شباك قرطاسه عز عليه استقبال الوابل المترامى.

---

[1]) راجع : المبحث الثانى بعنوان :(نشأته) ، الفصل الأول من الباب الأول من هذا المؤلف .

وإزاء ذلك، فقد آثرت الأمانة فى النقل فاستعوضت عن عويص الكلمات الواردة فى المخطوط، ووضعت بدلاً منها ثلاث نقاط بين قوسين هكذا (...) ؛ إشارة إلى فقدانها، أو استحالة قراءتها بمعرفتى، فإن حضرنى فيها فهم قريب وضعت الكلمة المخطوطة فى موضعها، ثم أردفتها بالكلمة التى انتخبتها لكونها أكثر اتساقاً لسياق الكلام بين قوسين مزدوجين هكذا (( )).

وقد شرفت بكتابة بعض أمالى الشيخ، فشعرت بعِظَمِ الأمر، وخطر المهمة، وصعوبة التسجيل الفورى للفيض، وابتهل بالدعاء المفروغ منه{رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا}[1].

ويطيب لى أن استهل أمالى الشيخ بحديثه عن العارف بالله، والمعرفة بالله ، بوصفهما قاعدة انطلاق الفيض الربانى، وأصلاً لحقيقة العرفان الإلهامى ـ فهما كافيك عما سواهما من أمالى ـ ثم أُردِف ذلك بما تيسر من أمالى الشيخ فى أجواء الآيات القرآنية والأحاديث النبوية، فهلمَّ ـ عزيزى القارئ ـ إلى التجول فى بستان شجر العرفان، سُقيا غيث الإمنان، تتناول من قطوفه بأنامل الفضل والإحسان، وتتذوَّق لذيذ طعمها بلا حُسبان.

يقول الشيخ :" *بسم الله الرحمن الرحيم*، الحمد لله الذى جمع أهل المعرفة فى سوح جوده ، وجُبِلَت ذراتهم على معرفة شهوده فى حضرة {ألم}"جم عم"، الأمر تم فى فجر اليوم الأول، والمختارون محضرون، قسمت المواريث، قدمت النواميس على منابر التمكين فى حضرة " صم عم"، فخصص كل عارف على منصة الشهود شارف، أحرم عما سوى الله من النشأة، صام عما سواه، والفطر يوم لقاه فى ضم المحيط الساكن السارى، الذى هو برقه أعجمى حسيس نسائم من الركن اليمانى لكل قاطف دانى، حقانى، لقانى، أمَّنت الحضرة إيمانه ، شهدوا عنها لها بالموهبة التى منها، فدار المشروب، وهام المطلوب، والشراب يومئذ سارى من اليم الجارى من المحيط الساكن، سمعوا القرآن بلا صوت، ولاحرف: {فَفِرُّوا}، فلم يتوانوا بعدها من حضرة {أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ} المنادى، ساقهم حضرة الحادى، القائل: {وَسَارِعُوا إِلَىٰ} فهمَّ كل إمام أم، به الأمر تم، صار ليلاً مُعتَّم، به الأمر مُكتَّم، وهو الساحل الراحل، الذى هو جالس على ساحل

---

[1]) البقرة : ٢٨٦ .

الذات، تلاطم أمواج ذاك البحر العجاج، بالبريق والسريق الرشاش من أثر الأمواج قدَّر الحضرات فى محيط :{وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَاهُمْ}، الرجال هم، والأعراف: أعلاها هم.

الأعراف: هى صومعة الأزل، التى بها المؤذن الغريب الحل المرتحل الساكن السارى فى فجر اليوم الأول (...).

الأعراف: هى ذروة سماء الشهود فى حضرة جود الجود (...).

الأعراف: البصائر الثاقبة الايجابية أهلها التى يصحبها الشهود، أولها مقعد صدق العبد المتمركز فى{مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ} حصائلها مدها تقلبها فى شموس التجلى{قُل لَّوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ}، شموس تجليه ذات العبد المتمركز بكليته فى مرج البحرين، شهوده بصيرته الثاقبة، حصائلها حيث مدها ، قاطفة عاطفة، و{وَجَنَى الْجَنَّتَيْنِ دَانٍ} جنة الخلود مابين مرج البحرين (...)، جنة الشهود حصائل البصائر الثاقبة، جمعهم جنتان. {وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ} {يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ}(...)، اللؤلؤ خبأ العرفان، والمرجان حصائل الشهود، كما وصَلَنا عن أهل الحضرة.

{وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ}، ولنقف هنيهة لأن علماء الكلام والمفسرين يشبهون الأعراف بوادى بين الجنة والنار، فلو تعمقوا فى: {يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَاهُمْ} لوجدوا مغزاهم، ولكن فاقد الشئ لايعطيه.

{وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ} منْ الجاعل لهم؟ هو، منْ المادح لهم؟ هو، جعلهم قرآن {يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَاهُمْ} فى هذه الدار، وفى النشأة الأولى، وفى البرزخ، وفى دار القرار.

أهل الأعراف منْ شهدوا الحق فى {شَهِدَ اللَّهُ} عرفوا بالمعلوم الذى اقتضاه ما هو {وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ } حاط ماط عمن سواهم مرآئيهم مرقاهم دوَّن فيهم {بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ..} وكفى، حازوا شهدوا فى التخصيص على منابر التنصيص، بلا صوت، ولاحرف، ولاكلام، عادت أرواحهم من{أَلَسْتُ} تعرَّفت على الفئتين، والفئتان بمعنى القبضتان، اللتان قال سبحانه: هذه إلى الجنة ولا أبالى، وهذه إلى النار ولا أبالى (...) عرفوا القبضتين بمعنى فريق فى الجنة وفريق فى السعير، متى؟ فى النشأة

الأولى، عرفوا بمقتضى المعرفة المودعة فى صدورهم من حضرة نور نوره، فهم القوم أجمعت الأمة على فضلهم سلفاً، وخلفاً بأنهم القوم.

والقوم من القيوم مجلى اسمه الله الحى القيوم، من يوم أن شهدوا لم يحجبوا، لم تحجبهم الظلمات ولا النور، ولا البرد ولا الحرور، الأرواح مشاهدة قِدَماً الأسرار منالة (...) ونطفة الآدمية المتقلبة فى الأصلاب ليست لها حجاب، فالأرواح المشاهدة ضمها فى محيط المصطفى مرتعها، سابحة رابحة ، حتى إذا جاء التقدير نزل الطفل فى الرحم القرير، الجرم الكبير الصغير، الذى انطوى به العالم الأكبر، الروح فى ذلك القرير الذى هو الرحم .

وُلِدَ العارف، الذى ليس له صبوة، ولا كبوة، لَّماح، نفسه قدسية مختومة من الحضرة الأحمدية فى مقعد صدق، روحه عرشية ذواقة تواقة ثاقبة، فذاته محكومة لنفسه المطمئنة، هيكله نفسه، وروحه وحدة اتحاد، حتى أنه يرى الصحابة فى مطالع طفولته، يكون فى محيطهم، يراهم فى عمره، هذا أبو بكر، وهذا عمر، ليحجب عن العالم الحسى، حتى بالآدمية، حتى إذا تكامل، وبلغ أشده، وهو البالغ أشده الذى لاحجب من النشأة، إذا رأى من رآه فى النشأة الأولى فى القبضة المرضية، وفى القبضة المقضية، عرف هؤلاء، وهؤلاء عرفهم بسيماهم، وسيماهم مودعة فيهم {يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَاهُمْ}. ماسيماهم؟ ما الوسم الذى يعرفون به؟ ... عُرِّفَ الأمر كله له، المرتضَّون، والمقتضَّون، من ارتضاهم، ومن اقتضاهم، فإذا دخل عليه أهل الجنة فى هذه الدار عَرِفَهم، لأنه من قبل شاهدهم، وإذا دخل عليه غيرهم عرفهم لا بالعلامات، الأرواح حيث مستقرها، والعارف روحه حيث شهودها، وروح المرتضى حيث مستقرها، فإذا قدم عليه قادم نظر بهيكله إليه، ونظر بروحه، بعين روحه إلى مستقر روحه أين توجد ....فعرفه".

هذا عن العارف، فماذا عن المعرفة؟

يقول الشيخ، المعرفة: هى سوح محجبة عن أهل البوح، وعباد الله المختارون هم فى مقام العبودية سواء، فإذا اختار الله سبحانه وتعالى أحداً للمعرفة حَمَلَه على مطايا الفضل به فى وديان المنة إلى سوح المعرفة. حقيقة ذاك العبد المختار جُبِلَت ذراته على شهود نفسه المطمئنة، المغمورة

بحسيس المنة ، فالعبد فى سوح العرفان والمعرفة سابحاً متمركزاً فى مقعد صدق تمكَّن.

والمعرفة: سحبها دامسة، برقها يكاد سنا ودقه يخطف بالتجلى الفتاق الهدام لكل ثابت قدم مهيأ فى النشأة، كائن مكون متمكن قبل العدم. تُساق السحب إلى وديان العارفين المحمولين من مقام العبودية على مطايا الفضل، المتمركزين فى سوح المعرفة، المغمورين بمزيد من المنة ... تساق السحب وبرقها الخاطف، وودقها الهامع بالهوامع، واللامع، واللوامع، والبروق، والإشراقات ... طابت لأهل المعرفة الأوقات، هم المتقون فى المحيط الساكن الماكن، عمَّ البرق اليمانى، الذى كلامه سريانى من جانب الطور الأيمن (...) خلف السحب دوى لكل حبرٍ قويٍ، مدرار سيل عارم للأرواح المشاهدة، للبصائر الثاقبة ، أهل المكاشفات لا الكشف (...) حضرات التمكين المتمكنين فى {يس *وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ} .

فالعبد ذاك هو العارف، الذى على منصة الشهود شارف، الشارب بشفاه المنة لرحيق أنا أنت هو، بلا صوت ولاحرف (...) المتناول بيمين القدرة للذى طاب له منها عنها ، الناظر بها لها، النديم المدندن فى درب الله، هو الراشق بسهام شفار عينيه على كل أمر جوهرى عليه (...) ولاَّه مولاه المتواجد فيه له، ولكل من أتاه (...) وهى المائدة السرمدية بها الأطعمة الشهودية، يتناول منها بإذنها، بكفة الشكر، بأنامل المتابعة فى محيط الحياء، يرفع إلى فم الشوق إلى جم الذوق، والمأكول "معرفة" بلسان الحب، لامأكول مادى، لا مشروب حسى، بل هو كنه إدراك بالمدرك، مكاشفات عن حقائق فى محيط الذات لفرسان الهياجات، الناهلين إلى جمَّ الفيوضات (...) المفجرين فى قلوب الراجين ينبوع الإشارات (...). والمفجرون هم الحقانيون اللقانيون المتلقون آدم فتلقى كلمات، الدارك بالمدرك فى المحيط الجوهرى المصطفوى إلى كل حبر رابح، غريق مستغرق فى ذاك المحيط:

شربوا شراب الجود فى حضرة الصفا * نور الأثيلة فى محيط المصطفى

لها أدركوا بها كُمِّلوا عن ذاتها * جبلوا على التحقيق فى وادى الوفا

عُرب النُهى قاموا لها فى دربها * يتقاضوا أمراً غيباً ألا يعرفا

شمس المعارف قد سقت أحبابها * فى فجر يوم السبت فى إشراقها

المعرفة: هى حصائل الشهود لأهل اللواء المعقود، المؤمنين فى محيط مد اليد للعهود فى {إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ}، متى؟ غاب المتى؛ لأن المتى لم يكن، فى غمض الغمض، فى حضرة كن كن، فى محيط {مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ}، عاهدوا شاهدوا، أخذوا لها مد اليد الميثاق للسائق الذى ساق، للحبر الذى ذاق (...) ذاق الذى ذراته دوحات سائرة لله بالكليات لأهل القلوب العرشيات، والأرواح الراقيات، ذى البصائر الثاقبات الباقيات فى محيط الذات، المتصرفة فى أسماء الصفات، أهل {وَالصَّافَّاتِ صَفًّا}:

صفا المشروب فى يوم التدانى *** بقرب القرب من برق المعانى
سقاهم سيداً نوراً طهورا *** كئوساً بالمثالث والمثانى
فشاهدوا للذى أمَّ وتمَّ *** فكان الكون فى غيب الأمانى
فلو قطرت من الكاسات قطرة *** لسار الكون فى الحانات فانى
فأهل الله قد جبلوا عليها *** شراب الروح يهطل على المبانى
شراب الخندريس شهود طعم *** لمن فى بدئها للفضل جانى
وآدم يومها طين وماء *** لروح الأب كان الابن بانى
محمد أنت أصل والجميع *** فروع منك أقطاب الأوانى
محمد أنت ذات والجميع *** وكل المرسلين لكم أسامى
فنور الله أنت كما علمنا *** وأصلك أصله بالفضل رامى

المعرفة: {ألم} عين المعية، رأء الرباط، فاء فبى. المعرفة: {ألم} الله، محمد، على رب كل فتى. المعرفة: المد لايُعَد، ولا يُرد للفرد المتفرد.

المعرفة: ألمع برق، للفرد الفرق. المعرفة: المعين نابع رقراق، فى صدر فتى فاق.

المعرفة: مع الله ربط الفتى. المعرفة: عم الفضل رباط، لا بحبال، وصال روح، وآدم صلصال. المعرفة: معين فرات، همَا بالحضرات.

المعرفة:حصائل شهود لأمر موجود من فضل ذات المعبود مع جمعهم، مَنْ جُمِعوا لها، وحضروا مائدتها، وحظوا بفائدها، تناولوا عنها، الذى كان منها، تناولوا بأيادى اللطف، بأكفة الرضا، بأنامل الفضل، رفعوها بجم الأدب إلى أفواه الشوق، ذاقوها بألسنة الحب، والشارب غارب، مستور فى ثياب

الحياء، منشورعلى عرش الاستواء، يعبق عليه طيب الركن من نسائم نسيم من جوف الجوهرة (...) العابق الذى سبق له كل سابق، نال فى أهد قبل المهد للأمر الفائق، الرائق فى حضرة الصومعة {قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ}، الذى آهد شهد (...) سُورِرَ فى جوف الخفاء، فى كبد الليل، فى حضرة {وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا}، والشمس الشارقة بالأمس، سطعت على الضحى، فوضح، وأضحى واضح كل أمر باتضاح، للسِماح، أهل المعرفة.

والضحى الواضح الموضح المنعكس على كل جوهر، الذى تلا إلى كل جوهر قمة ملا، حضرة {وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَاهَا}، ماهى؟. تلاها بلا صوت ولاحرف فى بطون الخفاء، فاستترت عن الآتى، وبرزت للذى هو سابق، فقدّر السبت بعد ليلته التى كانت، ونهاره الذى جلاها لأهل أهلاها، ملأت عبت صبت خبت فيهم بعد أن جلى الأمر لهم أمرتهم بكتمه فى حضرة {كُونُوا رَبَّانِيِّينَ} لله {بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ}.

{وَالنَّهَارِ إِذَا جَلَّاهَا} ما النهار إذا جلاها؟ هو اليوم الذى تعلموا فيه الكتاب، ودرسوا فيه الأحباب، فكانوا قبل تكوينهم كما شاء، سفن النجاة، السابحين فى محيط رب العالمين، القائمين، وارثين، نائبين عن حبيب رب العالمين، وهم على هذه الحالة فى حضرة النهار، حضرة النور، حضرة البهار، الذى صب بهم الأسرار جاء الليل {قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا} وقائم بلا ميل، المشار إليه بحضرة {اللَّيْلِ} الذى {إِذَا يَغْشَاهَا} غشى أهل الحضرة فكلمهم بفضل النظرة، فكان هو {السَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ} حضرة الإمام، الذى دخل فيه، وكان فيه أهل الحضرة بروحه، حضرة الليل، الكرار، الجرار، مربى الثوار، صهر المختارعلى بن أبى طالب. {وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا} سماء الأرواح فى حضرة الفتاح، المشاهدة الناضرة { إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ}، وهى التى بها حقيقة كل حبر عارف. نجم ثاقب، تواق للفضل مراقب، كقوله صلى الله عليه وسلم: "أصحابى كالنجوم الزهر بأيهم اقتديتم اهتديتم"، سماء الصحابة رسول رب العالمين، هم بها نجوم، أرواحهم فيها، بصائرهم ثاقبة، للذى هو صورهم (...) هياكلهم موجودة فى عالمنا.

{وَالْأَرْضِ وَمَا طَحَاهَا}أرض القلوب، التى بها يصب المشروب ... حصائل الشهود للأرواح الموجودة فى سماء الأرواح ...أرض القلوب، لانقول {وَالْأَرْضِ وَمَا طَحَاهَا} هى الأرض المشار إليها هذه وكفى، بل هى

أرض القلوب (...) والقلوب هى موجودة فى أشباح الأرواح، كقوله: {لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ}. {وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا} فالنفس بعد القلب، بعد الروح، ونفس وما سواها. {وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَاهَا * أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا} ماؤها السائل من سمائها، ومرعاها حصائل شهودها الآتى لها من سماء روحها إلى أرض قلوبها، بعدها الأمر تم، وآدم لم يكن إلا كان روحاً عارفاً فى ذاك الوادى شارفاً حظى بالخلافة والمعية، سبح فى الأودية.

المعرفة: هى كمال الفضل مع سبق الجمعية. المعرفة: هى ثبات البصيرة عند باب المعين، وتقلب الهيكل فى مواطن المعية.

المعرفة: هى الإحاطة الجامعة، والإدراك بالمدرك فى محيط كل الجوهريات. المعرفة: هى النهل من ثقوب الباب، ودوام المشاهدة حيث كان الباب، فالباب قديم، والمشاهدون له قدما متقلبون فى مواطن {وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ}[1].

المعرفة: هى سيل المعية على القلوب العرشية، والنفوس المرضية من الزجاجة المثالية، اللاشرقية، ولاغربية.

المعرفة: هى تمام المصاحبة، وقمة المعاينة، وجنة المشاهدة. المعرفة: هى الحضور الدائم من البدء إلى الغاية، والإحاطة ببطون عبارات الدراية، والفهم بالله فى الأمر الذى ارتضاه (...) وكمالها الفر به إليه، ووسطها الفر إليه، وأقلها المراقبة فى: " اعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك ".

المعرفة: بطنها الحياء، وصدرها الشوق، وقلبها المشاهدة، وفمها السكينة، وعينها المعية، وروحها الموكب الحافل السائر بالكلية. المعرفة: هى ثمرة الرضا الناتجة من شجرة الخوف، التى شربت من ماء البقاء، جذورها فى أرض قلب العارف، وفروعها فى سماء روحه، وثمرتها حيث بداية شهوده.

المعرفة: الذى هو فيها ذاك متصرف فى أسماء الصفات، مدرك لكل شيئ من الجوهريات.

---

[1]) الشعراء : ٢١٩ .

المعرفة: هى الزهد فى المنة والزهد فى النعيم، والتعلق بالمنعم {إِنَّمَا عِندَ اللَّهِ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ}.

المعرفة: المعرفة لأهلها جنة قرب تقريب، تأمين، تمكين، ازدياد مافيه مرتع العباد من خلالها لمن خالل أهلها نال منهم كمال توحيد، مواريث، عبادات، عبودية زهد، والزهاد أجنّة أهل المعرفة، والعُباد قاموا بأنفاس أهل المعرفة.

المعرفة: اسمها الشكر. المعرفة: مزرعة بذورها الإحسان، وأرضها الطمأنينة، غرستها يد الحق، سقتها بماء الفضل، نباتها عَرْفُ يعبق على نسائم المرسلات إلى أودية قلوب الزاهدين، والعابدين، فتملأ كيان كل كائن جوهرى ببعضية من علم البيان، المورث من أهل العرفان. المعرفة: هى الجدّ من يوم ماقبله يوم، هلّت على أهلها هلال، شهدوه فى صومعة الصوٌ سَحراً فى فجر ذاك اليوم، فأحرموا عما سواها، رقبوا ببصائر شهودهم إلى أمر لايدرك بالوهم، ولايعرف بالفهم، ولايحصر بالكم .

المعرفة: محق صفات العبد تواجداً تحت صفات الرب محمولاً فى {وَاجْعَل لِّي مِن لَّدُنكَ سُلْطَانًا نَّصِيرًا}. المعرفة: محق المعقول فى حقيقة الموهوم، وإثبات المبهم مع إدراك المشار. المعرفة: هى تفجر سيول من بحر المكتوم فى مساءٍ، أو ليلٍ معتوم، إحاطة غامضة لامدركة بالفهوم {إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي}. المعرفة: هى نجائب القرب الشارقات بالوداد، الغاربات الحمر الجياد.

المعرفة: هى مطايا العشق ركبوها أهل الدراية، نالوا بها مدامة الوقاية فى أعماق أعماق اللامدرك بالآماق. المعرفة: ظلها ظليل، دانى قطوفها، مرفوعة، قريبة، متباعدة فى حيث لاحيث، من حيث لاحيث، أهلها جُبِلُوا، والحيث لم يكن.

المعرفة: هى دوام الإقبال بأنفاس الارتحال {وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا}. المعرفة: هى نبع طريد غامر من جانب الطور الأيمن العامر، لكل حبر دخل حانات السامر فى فجر يوم السبت، فثبتت ذاته فى ذاتها، صبت على جوهره من مداد زيتها، خاللتها فى بيتها فى محيط {وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ}.

المعرفة: هى دك الطور فى أول العصور، غاب الذاكر فى المذكور، فتروحن الرائح ذهاب إياب، حضوراً لاغياب، غيبة فى تمام الحضور. المعرفة: هى درر التمكين من سماء الوحدة إلى البلد الطيب، آدم هيكلها قلب عرش العلا، روح حاطت بكل الملا، نفس فى مقعد صدق فى أعلى الذُرَا ، ماغابت عن رحبها.

المعرفة: هى دول الأنفاس المعصومة من الالتباس، المتفجرة من قلب العارف إلى بلد طيب، طابت بطيب الحل المرتحل الغريب، الساكن المقيم فى ذرات المقربين.

المعرفة: هى رفادة، سقاية، وقاية مختومة بالختم الأحمدى الذاتى، محو المفهوم، وإيضاح المعلوم، وخبأ المكتوم فى دمسات ليلٍ معتوم، أهلها نازحين بالقليل، بالأقوام مازحين، لو بدا منهم ماهو فيهم هرعت الأكوان، ذابت، حيث أتت ذهبت، لولا ولولا ولولا، ما كان عهداً لمولى.

المعرفة: هى قمة التيه فى عرصات الجمال فى حضرة الخلة، أرضها الذلول، ماؤها راق ترياق من ذاك الجوهر الذى فاق، الذى تسامى كنهه عن الحد والحصر. المعرفة: هى خيول صهباء، فرسانها ركبوها، حملتهم إلى حضرته فى المكاشفات، لا الكشف، فى الإدراكات، اللامدرك، هم النخبة، فى خبأ الخبأ نالوا أعظم النبأ، فى حضرة الباء بمنى قباء، ذات القبلتين أى بمعنى ذات الحضرتين.

المعرفة: هى الليل الحالك، للملك المالك، للحبر السالك، مرعاه حصائل شهوده، مبناه هو تقلب فى مواطن المعيّة، اتحاد وحدة. المعرفة: هى بستان به شجر العرفان {صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَىٰ بِمَاءٍ وَاحِدٍ}.

المعرفة: هى درب لا للشرق، ولا للغرب (...) الإشراق: {لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ}، الإغراب: "إنى لست كهيئتكم، إنى أبيت يطعمنى ربى ويسقين". المعرفة: هى اتصال الموصول بأصله، ماء المعين هامع من سماء الأرواح إلى أرض القلوب فى ضم محيط {وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ}. المعرفة: هى خمر الخندريس من شموس التجلى للتلقى دون النواميس، فرسان الهياجات نالوا جم العبارات، غزاة للمواطن، التى هى فى قلوب أمة سيد الأنام، غازون بالجوهر المكين الذى نالوه من الجوهرة فى الليلة المقدَّرة، بادروا لها إليها ، عقلوا عنها ماهو لها، فهموا سيَّروه للمساررين فى محض

عين فأهل المعرفة باقون حقانيون لقانيون يأخذون من الله أخذ التَّو{ذَٰلِكَ الْفَضْلُ مِنَ اللَّهِ}.

المعرفة: هى ميدان الفروسية لكل ضرغام نال من القبضة الأصلية، قطف قبضة لامحسوسة، لاملموسة من الزجاجة المثالية الجوهرية الذاتية، المشكاة السريانية الأحمدية ، الدائمة التى اخذت دوام الديمومية، ظلها ظليل، أصلها أصيل، فرعها طويل، عاشقها ساحل، ربيبها ماحل، فحل تواق شواق ذواق معراجه تَوَقَّدَ سراجه من قبل الأين، والأين لم يكن، فى حضرة الغمض فى عماء كن كن المعرفة: هى انغماس فى النور الماس، والشارب كاس، جُرُعات عدد الأنفاس، فى ضم سورة الإخلاص، فى صومعة يوم الجمعة.

المعرفة: عرفات المعرفة عرفات إقبال الحجيج لجبل ذاك، هو الطود الأشم العَّم، الذى به الأمر تم {قُمِ اللَّيْلَ} اقم به كل أمر بلا ميل، على الكرار، السيل المدرار {وَ السَّمَاءِ ذَاتِ الْحُبُكِ}.

المعرفة: هى خضب أيادى العارفين فى الجمعية الأحمدية فى أخذ العهد {إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ} مساس اليد فى أمر لايُحَّد. المعرفة: اكتحال آماق الروح بشهود المشهود في يوم الأخذ باليد والعهود فى {شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ}.

المعرفة: هى وضوء أعضاء ذرات الروح بماء المعية فى الليلة الأولية. المعرفة: هى سجود الذرات لهوامع الإشراقات فى يوم الميقات، قبلية، والبعديات آتيات، عُرِفت للعارفين.

المعرفة: هى اصطلام الفانى الباقى المتواجد فى فناء بقاء.

ونقف عند هذا الحد من فرائد الشيخ وفذلكته عن حقيقة العارف، ومفهوم المعرفة بالله، التى استخرج لؤلؤها من خبأ بحورعلم الله، وصاغ فصوصها من نفيس نصوص كتاب الله، ثم نظمها عقداً أزدان

به جيد زمانه بلؤلؤه ومرجانه (رضى الله عنه وأرضاه).

ومازالت الأمالى تترادف على قلبه بميقات فى سوح الآيات، ومكنون الدرايات، وها هى فريدة أخرى من فرائده اليتيمة العصماء فى عقد السؤدد والفخار، يقول الشيخ[١] :

"بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله حمداً يجعل العبد حامداً محموداً داخلاً فى سوح الحمد، وأشكره شكر الذى علم ماهو الحمد، وصل اللهم على سيدنا محمد شيخ الأنبياء، وأستاذ المرسلين.

الحمد لله الذى أفاض على عباده المتطلعين إليه، الآملين فيه، الساجدين لآلآئه، الذين مابرحوا عن رحب الرضا، وما كلّوا من قسم القضا، جعل الله لهم ميقات فى سوح الآيات، فحُمِلوا إلى الله بالله، فبثق فيهم مكنون الدرايات.

عِبَادٌ عُبادٌ فى مقام العبودية على قدم وساق، هجروا الذميم، ودخلوا من سوح التعميم إلى ساح التخصيص، فنودوا فى سرهم من حضرة الذات، خطابٌ لا بالجهات، لا بالكلمات، لا بالعبارات، خطابٌ للذى وقته طاب، فتلذذ ببصيرة شهوده الثاقبة بالنظر فى شموس التجلى، فالعبد محمول على الفضل بداخل الآية التى نصها :{وَاجْعَل لِّي مِن لَّدُنكَ سُلْطَانًا نَّصِيرًا}[٢]. فتشرق شموس التجلى لذاك المتملى الذى دخل ساحة التخصيص من باب التعميم، أى بمعنى دخل من باب التشريع إلى دقائق التحقيق، أى بمعنى جذبه موطن الحديث الذى نصه :" من عمل بما علم ورَّثه الله علم مالم يعلم"، فتَهُب نسيم العتق من الجانب الأيمن بساحة التخصيص، عتق الأحرار، عتق الأبرار الذاهبين إلى حضرة المتعال، بلاجهة إقبال (. ..) فتفضل الكريم على العبد العديم، فأدخله فى رحب الجنتين، جنة الشهود، وجنة العرفان، جنة الشهود هى حصائل البصائر الثاقبة (...)، وجنة العرفان سيل المعرفة الهامع السارى إلى البلد الطيب، إلى العبد الطيب، الذى طاب وطيَّبَه، وطيَّبَ ثراه، وطيَّبَ ذراته، وطيَّبَ هيكله بطيب الوحدانية، ورسَّخَ قدمه فى العبودية (...). ((العبد باقى، والشراب صافى)) البقاء بالباقى، الشراب المدرار من الساقى (...) فنزلت سيول المعرفة إلى جنة المشاهدة، فالعبد كما ذكرنا آنفاً ذو قدم

---

[١]) شرفنى الله تعالى بكتابة جزء من هذا الحديث إملاء عن حضرة الشيخ (رضى الله عنه) .

[٢]) الإسراء :٨٠ .

راسخ فى العبودية، شهوده بصيرته الثاقبة، وهو هيكل، حقيقته فى جنة الشهود.

هطلت سيول المعرفة من ذاك الواد إلى العبد الهاد، الذى يهد الله بوديان قلوبه، ولا نقول قلبه، بل له قلوب، لأن قلبه له قلب، وقلبه يسع قالبه وذراته (...) فالعبد هو (...) السائر الداخل فى الآية التى نصها: {إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ}[1] فذاك العبد المالك، المرتضى، المؤمن الإيمان، الذى هو فى الجنتين، جنة الشهود، وجنة العرفان، ملتقاهم طور قلب العبد العارف، الذى هو على منصة الشهود شارف، الذى تناول بلا كم من اللؤلؤ، والمرجان.

اللؤلؤ هو شهود البيان، والمرجان هو جوهر العرفان، يتناول العبد من الخبأ من أعظم النبأ، العبد المحراب، العبد التّواب، العبد الأواب الذى به جم الصواب، المتواجد فى الحضرتين (...) والجنتان هما الحضرتان (...) جنة الشهود، وجنة العرفان.

العُبَّاد، والعبد فى مقام العبودية سواء، ولكن المعرفة، الله أكبر!، يهب لمن يشاء ما يشاء، يعقل من شاء عنه ما هو شاء، بلا عقل (...) إدراك بالمُدرِك، فهم محفوظون من الاضمحلال، لأن الذرات مهيأة لإقبال، واستقبال (...) فهم إياهم دخلوا فى معية خير البرية المنزه {مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ}[2] وكفى، جلَّ مَنْ اصطفى، صفا تنزيه لحضرة النبى صلى الله عليه وسلم؛ لأن النبى من نور العلى {مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ} نزه الله حبيب ، وجعل المُنَـارين ((المختارين)) (...) محاريبه، نالوا من تقريبه.

الجنتان هما: جنة الشهود، وجنة العرفان (...) لما لم يكونا جنة واحدة؟

جنة الشهود: حقيقة ذات العبد موطنها فى الجنة، التى ارتضاها الرب له، بصيرته لاقت الجنة التى ارتضاه، لكن ثاقبة فى شموس التجلى {قُل لَّوْ

---

[1]) النحل : ١٢٠ .

[2]) الأحزاب : ٤٠ .

كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا}[1]، وكلمات ربى شموس تجليه.

جنة العرفان: هو إدراك بالمدرك فى العالم الجوهرى، كلاهما مصحوب من الحضرة الأحمدية، وإلا تفنى ذات المُشاهِد مالم تدعمها ذات الحضرة الأحمدية، لأن الحضرة الأحمدية (...) ((نالت)) التنزيه فى عرائس التوحيد".

وفى أجواء قوله تعالى:{قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ}[2] يقول الشيخ: "المماثلة المعادلة، بشر أى مباشر لحضرة الله، وحضرتكم إذا كان لكم حضرة، هذا خطاب للعالم الحسى، للعقل، للنقل، للسطر{:{ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ}مباشر لحضرة الله سبحانه وتعالى، ومباشر لطور الأكوان والمكونات، فهى بعينى وعينى عنه، فأنا حبيبه، ومصطفاه، ومجتباه، وأنا صفيه، وأنا ربيبه، وأنا من نوره، وأنا دستوره (...)، الذى سَطَّرَ الله سبحانه وتعالى به الكتاب. {قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ} والمباشرة، مباشرته لله، ودوام الإقبال الآتى من حضرة الكريم المتعال إلى سيد الرجال صلوات الله وسلامه عليه.{قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ}هذه الآية مكنونها بمعنى هى العالم الحسى، ولكن مرادها فى شموس التجلى، فإذا أكرم الله عبداً أَمَّنَ (...) ذاته، وساقه إلى سوح المعية(...)، ويعتق قلبه، ونزل ودق المعية ع الأرواح العرشية، والقلوب الأريحية، والنفوس العرشية من الحضرة البهية.

ذهبت روح العبد بداخل الشمس، شمس التجلى، ورأى، وشاهد للمتجلى بداخل الشمس، التى إياها، يقول الشاهد: ها هو الله، فيرد النبى:{قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ}، ففى خطابه لهم يدعم ذواتهم، ويوجد فيهم استعداداً، إقبالاً، استقبالاً للشموس الآتية للمتجلى، والحِب بداخل النقاب، بثق أنواره بقدر الثقاب (...)، عتق الرقاب.

فكلما رقى الراقى إلى (...) المراقى فى الشموس الآتيات، ظهرت له عجائب أسرار الأنوار، يقول ها هو الحق، فتخاطبه بلسان الصدق، النبى صلى الله عليه وسلم، الذى همر على ذاته الودق:{قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ}، فينزه بهذا عن هذا، من حيث لا هذا ولا هذا. فاستقبال العبد لخطاب الحضرة

---

[1]) الكهف : ١٠٩ .
[2]) الكهف : ١١٠ ، فصلت : ٦ .

تدعم ذاته، وتمكن استعداده، وبين الخطاب والخطاب راحة بلا راحة، لأنه ربيب الساحة، وهو ساحة، وهذا العبد ساحة يُقبَل فى صحبة النبى صلى الله عليه وسلم، محمولاً - كما ذكرنا آنفاً - فى {وَاجْعَل لِّي مِن لَّدُنكَ سُلْطَانًا نَّصِيرًا}[1].

كلما أتت شمس يقول: {وَاجْعَل لِّي مِن لَّدُنكَ سُلْطَانًا نَّصِيرًا}، والمشار بالسلطان هو العلم - كما قال علماؤنا - ولكن السلطان فى شموس التجلى {وَاجْعَل لِّي مِن لَّدُنكَ سُلْطَانًا نَّصِيرًا} يكون العبد محمولاً لله بالله".

وفى سياق متصل، يقول الشيخ: "هناك من الرجال من له عقل له كفتان، وعينان، وهو العقل الكلى، الذى يُسمَّى بالقسطاس المستقيم، وهو الأمانة التى حملها الإنسان، ويسمى هذا العقل فى علم الله بأم الكتاب، ويسمى فى القرآن بالإمام المبين، وفى اللوح المحفوظ بالكتاب المبين، وقد سماه سيدى أبو الحسن الشاذلى[2] بالعقل الأصلى، الذى قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم: " أول ما خلق الله العقل"، فأعطى العبد الذل والانقياد لنور العقل إذ لايقدر على حده وغايته".

وقد أشار سيدى محى الدين بن عربى إلى هذا العقل فى أبياته قائلاً:

توضأ بماء الغيب إن كنت ذا سر * وإلا تيمم بالصعيد وبالصخر**
وقدم إماما كنت أنت إمامه * وصل صلاة الفجر فى أول العصر**
فهذى صلاة العارفين بربهم * فإن كنت منهم فانضح البر بالبحر**

ويشير الشيخ إلى أن الإمام - هنا - هو العقل الكلى المعروف بالقسطاس المستقيم، الذى يوزن به الرجل العارف، والذى به ينضح الحقيقة بالشريعة.

وعلى غرار أبيات سيدى محى الدين ابن عربى - أنشأ الشيخ قائلاً[3]:

ألفت مكاناً حُلوَّاً فيه أماجد* وضوئى بماء الغيب فى القرب ساجد**
صلاتى قبيل القبل تم وضوئها* فإنى قبيل الحيث للحق واجد**
فإنى أنا الندمان والرند ساقتى* أطوف بعرش الحق للذات عابد**

---

[1]) الإسراء : ٨٠ .
[2]) عبد الوهاب الشعرانى ، الطبقات الكبرى ، مرجع سابق ، ص٣٧٦ .
[3]) مولانا العارف بالله تعالى الحاج أحمد أبو الحسن ، ديوانه بعنوان (لآلئ عرشية فى مديح خير البرية) ، ص ١٢١ .

ومازالت فيوضات العرفان تترامى على قلب الشيخ، ويترجم اللسان بالبيان، وننتخب مقتطفات؛ للتمتع بأصيل علمه، وجليل معرفته.

وعن العبد المؤمن يملى الشيخ قائلاً: "المؤمن هو الكائن الجوهرى، الذى لحق ذات ذراته فى النشأة الأولى رشاش من الحضرة المحمدية، فكان هذا الجوهرى مؤمناً (...) عارفاً بالأمر الذى صبه الله من تلقاء رسوله فى اليوم الأول، كان العبد يشاهد الرب فى القبضة الأصلية من الزجاجة اللاشرقية، ولاغربية (...).

وقد شهد الكائن الجوهرى عن شهود سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم نصف الشهادة من الله، لكن لابد للإيمان من مشهود به للبيان، وهو النور الذى جعله الله فى صورة إنسان صلى الله عليه وسلم قال فاهتدينا، وعمل فاقتدينا. بلَّغ عن غائب حاضر، فبصدق المـُبلِغ آمنا، وبصدق المـُبلِغ أسلمنا، بصدق المـُبلِغ ادركنا، فنلنا إيماناً، إحساناً، وعياً، إيماناً لاوهمياً، إيماناً حسياً، إيماناً معنوياً، إيماناً محسوساً ملموساً، لاملموساً بالأيدى، لا ملموساً بالحواس، ولكن حلول بلا حلول، حلول بلا كنه، ملأ كيان كل كائن جوهرى .. الإيمان الجزمى الذى يفوق على إيمان الملائكة، والله يحفظ الإيمان ببركة رسول الإيمان فى صدور المؤمنين.

فالله يحدث المؤمنين الآخذين من أول يوم، لا بأجسادهم وكفى، ولكن بأرواحهم، بمعنى هطل من ماء مزن الحياة بوادى به الأرواح المجتباة، المرتضاه، ينابيع ماء الحياة الذى من الحضرة المحمدية إلى كل المختارين، الصفوة، فنزل ماء الحياة على ذرات أرواحهم، فكانت ارواحهم مجتمعة على الرسول أولاً، وفى هذه الدار تجتمع، ومازالت مجتمعة. صفوة صفاها من كل أمر ذميم ..وجعل فيها كل أمر كريم فاضل، جعله فى هذه الصفوة، وجعلهم رواداً لطريقه، جلاساً لحضرته، أطراف الليل والنهار، من حيث لاليل ولانهار، ربما تجمعوا بالليل، والليل يبقى نهار، والنهار يبقى ليل، واللحظة ربما أن تحوى ألف وخمسمائة سنة مع حضرة النبى عليه الصلاة والسلام ..

إذا اتجه صلى الله عليه وسلم تجلى له باسمه الأول، تحدث عن الأولى، وإذا تجلى عليه باسمه الآخر، تحدث عن الآخرة، فإذا تجلى باسمه الظاهر،

فلاتأخذ إلا ظاهر، وإذا تجلى باسمه الباطن، كتم، عتم، أطلم حتى صار أعتم، أكتم، يجرى فيه البيان، البيان يتسربل فى الأكوان بما تحصيه العقول ..

فالعبد أعظم من الأكوان، ولو كانت الأكوان أعظم، لكانت سعت الرب، فالعبد يَعِدُّ الأكوان، يُحصيها، فالعبد باقى ببقاء الرب، فأصبح (...)، ربانياً، إلحِق صفاتك تحت صفاتى، حتى تكون أنت أنا، تصرَّف فى كل النبا، فأنت ليلةَ قدرى، تتصرف على نبى آت، ووصيّ، الذى جعلته على صورة أبيك آدم، لأن الذى يقول (آدم على صورته)، فالله مخالف للحوادث، ولكن الله يقول على لسان نبيه: " إن الله خلق آدمَ على صورته"[1] ... صورة آدم محق صفات، أوميم آدم، حتى إن آدم ذات لذات الله الصفاتية، النديم النادم إقباله، وصله واصل بلا فاصل".

وفى أجواء قوله تعالى: {وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا}[2]، يستطرد الشيخ حديثه الآنف: "ماهى الأسماء التى تأستذ بها آدم على الملائكة؟ يتأستذ عليهم بالأسماء الصفاتية، خصَّه بها، (.....) فقال:{ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً}[3]، الخلافة مادام جاءت فى آدم تبقى جاءت فى أسمائه، خلافة حقانية، تَلَقِّي التو، تلقى من الحضرة بكيف لاكيف، ولاكنه، إدراك بالمدرك، ويكأن العبد نظامه سرمدى.

تعلَّم آدم الأسماء القائمة فى المحيط الأعجمى، الساكن، أحمد الله، لا تعقلها الملائكة، لاتحصيها إلا عندما تحدث عنها آدم، عقلوا، أدركوا بالمدرك منْ هذا، ما هذا؟ والملائكة يتطوفون بعباد الله الصالحين، كتطوفها بالكعبة، لأن الملائكة ليس لها أنفس، أما رد الملائكة بقولهم: {أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ}[4] فقد كان غِيرَةً على دين الله، ليس جفاء.

وفى أجواء قوله عز وجل:{أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا * ثُمَّ قَبَضْنَاهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا}[5]- يقول الشيخ: الحقيقة المحمدية هى ظل الحضرة، وأن ظهور بدنه

---

[1]) مسند أحمد ، مسند أبى هريرة ، حديث رقم ٧٥٢٥- عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِىِّ -صلى الله عليه وسلم- « إِذَا ضَرَبَ أَحَدُكُمْ فَلْيَجْتَنِبِ الْوَجْهَ فَإِنَّ اللَّهَ خَلَقَ آدَمَ عَلَى صُورَتِهِ ». نقلاً عن : موسوعة الحديث الشريف ، مرجع سابق

[2]) البقرة : ٣١ .

[3]) البقرة : ٣٠ .

[4]) البقرة : ٣٠ .

[5]) الفرقان : ٤٥ ، ٤٦ .

الشريف فى الحياة الدنيا، هى الشمس، التى جعلها الله دليلاً على حقيقته صلى الله عليه وسلم ينشر الله بضيائها نور الهداية، فهو الرحمة المهداة، والنعمة المسجاه، ولو شاء الله سبحانه وتعالى جعله ساكناً فى غمض العماء لا يطلع عليه أحداً غيره.

وفى هذا المعنى يقول الشيخ فى مطلع قصيدته[1]:

محمد ظل للحضرة * محمد موضع النظرة

محمد آية كبرى * محمد والد الزهرا

وفى أجواء قوله تعالى:{ق وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ}[2]، يقول الشيخ: يفسر بعض المفسرين أن الله يقسم بجبل "ق"، والله لايقسم بجبل، ولكن يقاس تأويل الآية على قول النبى صلى الله عليه وسلم فى حديث الثقلين: "إِنِّى تَارِكٌ فِيكُمُ الثَّقَلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَكْبَرُ مِنَ الآخَرِ كِتَابُ اللَّهِ حَبْلٌ مَمْدُودٌ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الأَرْضِ وَعِتْرَتِى أَهْلُ بَيْتِى وَإِنَّهُمَا لَنْ يَفْتَرِقَا حَتَّى يَرِدَا عَلَىَّ الْحَوْضَ"[3]، فهم صنو القرآن، والثقل الثانى مع كتاب الله، كما فى الحديث الآنف.

ويمكن القول أن القرآن يمثل المنهج النظرى للدعوة الإسلامية، بينما يمثل أهل البيت النهج التطبيقى، فهم عدول القرآن، ومجالى الفرقان، مظاهر ذات الحضرة المحمدية، ومطالع صفاته الندية، أهل القُربى، ومنارات القدوة، يقتدى بنورهم المسلمون فلن يضلوا عن طريق المهتدين، فهم تَرِكَة رسول الله صلى الله عليه وسلم تتوارثها أمته إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

فقد جمع الله بين أهل البيت وبين قرآنه، ومجَّدهُما، فكانا قِرانا، فالقاف هنا هى قاف القُربى، وقاف القِران، قال تعالى: {قُل لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ}[4]، فهم جبال الدين، وأعمدة اليقين، أهل القيادة، والسيادة، والرفادة.

---

[1]) مولانا العارف بالله تعالى الحاج أحمد أبو الحسن ، قصيدة من القصائد غير المنشورة .

[2]) ق : ١ ، وجاء فى تفسير البغوى للآية : " ق " وقال عكرمة والضحاك : هو جبل محيط بالأرض من زمردة خضراء، منه خضرة السماء والسماء مقببة عليه، وعليه كتفاها، ويقال هو وراء الحجاب الذي تغيب الشمس من ورائه بمسيرة سنة .

[3]) مسند أحمد ، مسند أبى سعيد الخدرى ، حديث رقم ١١٤٠٢ ، نقلاً عن : موسوعة الحديث الشريف ، مرجع سابق .

[4]) الشورى : ٢٣ .

وفى إشارة إلى المعنى السابق، ينظم الشيخ ناشئاً[1]:

رحمة الله عليكم سادتى * نص ذكر خالد بل أقدما**

لا وبركات عليكم كلها * ربى فى قافٍ بكم قد أقسما**

نكتفى بهذه الجرعة من أماليه فى الأجواء القرآنية، والأحاديث النبوية، ويبقى أمامنا سؤال عما إذا كان ما جاء به الشيخ من تأويل يُعَد من قبيل التفسير بالرأى المحمود ، أم المذموم[2]؟

اعتمد الفقه ضوابط، وقيود للتفسير الإشارى بالرأى المحمود، فلا يعنى ثبوت التفسير الإلهامى، أو الإشارى لأهل العلم والدراية فكاكهم عن كل قيد.

فقد اشترط الفقه للأخذ بالتفسير الإشارى بالرأى المحمود ضوابط معينة، وكل تفسير خارج عن نطاق هذه الضوابط يُعَد من قبيل التفسير بالرأى المذموم، ويمكن تحصيلها فى ثلاثة ضوابط: الضابط الأول ـ أن يصح على مقتضى الظاهر المقرر فى لسان العرب، ويجرى على المقاصد العربية، فقد قال تعالى:{إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ}[3].

فيجب أن يأتى التفسير الإلهامى الفيضى موافقاً لأساليب العرب ومقتضيات اللغة العربية، وقواعدها، وإلا جهل صاحبه، وحاق به إثم من قال فى كتاب الله بغير علم[4]. ويرتبط بهذا الضابط ضابط آخر هو: ألايكون التفسير الإشارى بعيداً، أو سخيفاً؛ كتفسير البعض قوله تعالى: {وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ }[5] بجعل (لَمَعَ) فعلاً ماضياً و(المحسنين) مفعوله.

والضابط الثانى ـ أن يكون للتفسير شاهد شرعى من الكتاب، أو السنة، أو من الأصول المعتمدة تؤازره، وإلا حُكِمَ ببطلانه، فالدعوى المجردة لا

---

[1]) مولانا العارف بالله تعالى الحاج أحمد أبو الحسن ، ديوان : (بساتين الجنات فى المدائح والصلوات على سيد السادات) ، مرجع سابق ، قصيدة بعنوان (الحضرة الحسينية من مقام السبطية) مطلعها : يامقاما بالحسين لقد سما *حزت سبطا فى النبوة قد نما ، ص ٥٨ .

[2]) يعد من قبيل التفسير بالرأى المذموم ما يقول به الشيعة الباطنية فى تفسير النصوص القرآنية ، وإدعائهم أن هذه النصوص ليست على ظواهرها ، بل لها معان باطنة لا يعرفها إلا المعلم ، وقصدهم من ذلك نفى الشريعة بالكلية .

[3]) يوسف :٢ .

[4]) الموافقات للشاطبى ، ٣٩٤/٣ ، طبعة دار المعرفة ، مشار إليه بمقال جودة أبو اليزيد مهدى : (التفسير الصوفى الإشارى) ، موسوعة التصوف الإسلامى ، مرجع سابق ، ص ١٤٨ .

[5]) العنكبوت : ٦٩ ، انظر فى ذلك التفسير : الزرقانى : الشيخ عبد العظيم ، مناهل العرفان ٥٤٩/١ .

تقبل فى التفسير باتفاق العلماء. ويرتبط بهذا الضابط بحكم اللزوم، ألايعارض التفسير الإشارى لحكم شرعى، أو منطق عقلى[1].

أما الضابط الثالث ـ أن يقر التفسير الإشارى أولاً بالتفسير الظاهرى للنص، ثم الأخذ بمعناه الإشارى الإلهامى، وإلا يجحد الأخير بإنكاره ظاهر التفسير، فلا مطمع فى الوصول إلى الباطن قبل إحكام الظاهر[2].

وبإنزال هذه الضوابط على ما سلف نقله من أمالى الشيخ نجدها قد لاقت منزلاً مباركاً، وصادفت صحيح مقصدها، فقد شيَّد الشيخ جميع أماليه على أعمدة هذه الضوابط، وعقلها بقيودها، فلم تتفلت عنها قيد أنملة؛ إذ جاءت جميع أماليه موافقة لأساليب العرب، وقواعد اللغة العربية، ويكأنها صيغت فى عبارات بليغة، قريبة المعنى، سائغة الذوق. كما جاءت أماليه مدعومة بشواهد شرعية، وعقلية، لاتعارض فيما بينها، فتلقتها الفهوم بالقبول، وغمرت الأرواح بسيول الإمناح.

كذا، حرص الشيخ على إقرار التفسير الظاهر للقرآن، واعتمده أصلاً تتفرع منه تأويلاته فى الأجواء القرآنية، ولاريب أن كلام الله يسع الأصول والفروع معاً، وقد ورد عن حبر الأمة عبد الله ابن عباس (رضى الله عنهما) قوله: " كلام الله ذو ظهور وبطون، لا تنقضى عجائبه، ولا تُبلغ غايته"[3].

وفى بسط حقائق الأمر، يقول الشيخ: إن العارف بالله يسبح بمن معه فى بحور علم الله، ويغوص به فى أعماقها، فيتلمس به اللؤلؤ، والمرجان، والزبرجد، وقبل أن يغرق منْ فى المعية مستغرق فى جمال المشاهد، يطفو العارف به إلى الساحل ، ليتنفس الصعداء. ثم يعاود العارف الغوص بمن معه مرة أخرى إلى أعماق أخرى تتجلى فيها جواهر أجمل، وأجل من الأولى {وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَىٰ}[4]، فينبهر بها منْ فى المعية مزدهر، وينظر العارف إليه بعين بصيرته، فيراه وقد تاه فى جمال المشاهدات، فينهض به طافياً حالاً معتصماً بالبر ليلتقط أنفاسه، ويلملم شتاته، ثم يعاود العارف بمن

---

[1]) جودة أبو اليزيد مهدى ، مقاله : (التفسير الصوفى الإشارى) ، موسوعة التصوف الإسلامى ، ص ١٤٩ .

[2]) أبو حامد الغزالى ، إحياء علوم الدين ، ٢٩١/١ ، مشار إليه بمقال جودة أبو اليزيد المهدى : (التفسير الصوفى الإشارى) ، موسوعة التصوف الإسلامى ، مرجع سابق ، ص ١٤٩ .

[3]) أخرجه ابن أبى حاتم من طريق الضحاك ، انظر :جودة أبو اليزيد المهدى : (التفسير الصوفى الإشارى) ، موسوعة التصوف الإسلامى ، مرجع سابق ، ص ١٤٧ .

[4]) الضحى : ٤ .

معه الغوص إلى أعماق بحر المعرفة، ثم ينحو به إلى البر، فينضح البحر بالبر، أى بحر الحقيقة، وبر الشريعة، وهكذا مرات ومرات إلى أعماق أكبر، وكمالات أعظم لاتتناهى، يقول الله عز وجل: {قُل لَّوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا}. صدق الله العظيم.

والبحر: إشارة إلى العلوم اللدنية والمعارف الفيضية، التى يفيض الله بها على قلب العارف، واللؤلؤ: هو شهود البيان، والمرجان: هو جوهر العرفان، يتناول العبد من الخبأ من أعظم النبأ، والسباحة، أوالغوص: إشارة إلى فهوم العارف التى تجلى الله بها على قلبه، من مشاهد روحه، يترجمها لسانه، فيتلقاها السامع، والبر، أو الساحل: إشارة إلى ما يستند إليه العارف من الكتاب، أو السنة، أو غيرهما من الأصول الفقهية المعتمده، للاستدلال بها على غرائب هذه العلوم، وعجائب تلك المعارف، وهى كما يراها الشيخ بمثابة "المتكئات"، التى يلجأ إليها العارف؛ ليستريح بها عقل السامع.

فيقين العارف يجب أن يكون محصناً بالعلم، وعلمه منطلقاً من يقينه بالله، وإيمانه شهود، وغاية معرفته بالله تتمثل فى عجزه عن إدراكها. فالعجز عن درك الإدراك إدراك.

وبهذا نكون قد فرغنا من عرض قطوف من أماليه، ولا يسع المرء إلا قول بخٍ بخٍ ، ويكأنها عرائس تأويل ، فى عرصات التنزيل ، فما أجل هذه الأمالى ، قريبة العهد بالله ، فسبحان الواهب المنان .

وننتقل بعد ذلك للحديث عن حلقة أخرى فى سلسلة معارفه ، ألا وهى قصائده، وصدوره، وصلواته على سيد السادات، وذلك من خلال الفصل التالى .

الفصل الثانى

(القصائد والصدور والصلوات على سيد السادات)

ينقسم هذا الفصل إلى بحثين: أولهما- يستعرض ملامح من قصائد الشيخ، والثانى - يتناول بعض ما صاغه الشيخ من صدور، وصلوات على سيد السادات، وذلك على الوجه الآتى:

المبحث الأول

قصائد الشيخ

أنشأ الشيخ فى صياغة عقيدته، وأفكاره نظماً فى قصائد شعرية؛ حتى تصير أكثر تبسيطاً، وأسرع انتشارا. فإن كانت الأمالى النثرية تروق لأولى النُهى، والمتخصصين، إلا أنها قد تعصى، أوتستعجم على العوام؛ ذلك أن هذه الأمالى تحتاج إلى التمعن، والتدبر، والتفكر، والتحليق فى أجواء معانيها؛ لنيل مراميها، ولمح إشارات ما فيها.

لذا، أخذ الشيخ فى نظم الشعر كوسيلة سهلة لإبلاغ دعوته وعلمه وحكمته، فعَنْ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ " إِنَّ مِنَ الشِّعْرِ لَحِكْمَةً "[1].

وعلى مثال ما أودعه فى أماليه، أفرغت القوافى جفانها، فكانت كالجواب؛ ليصب فيها الشيخ لآلئ معارفه، وأنشأ يستدعيها قائلاً:

ياقوافى للمعارف ساعدينى * إننى المداح والمختار دينى
قد طويت الكون فى جمع الأحبة * إننى فرد بجمع عددينى
ياقوافى كونى ميقاتاً لجمعى * عند نار القدس وصلاً فاصطلينى

إلى آخر القصيد[2].

[1]) سنن ابن ماجة ، الأدب ، حديث رقم ٣٨٨٧ ، نقلاً عن : موسوعة الحديث الشريف ، مرجع سابق .
[2]) العارف بالله تعالى الحاج أحمد أبو الحسن ، ديوانه (بساتين الجنات فى المدائح والصلوات على سيد السادات ، مطبعة دار إحياء الكتب العربية ، فيصل عيسى البابى الحلبى ، قصيدة بعنوان " شذا القدم " ، ص١٨٥ .

طاوعته القوافى، وذلَّت له نواصى اللغة فامتطى براقها، وعرج إلى سمائها، فرأيته يرتجل النظم فيضاً، تعبيراً عن جَلى مشاهداته، يقرض شعره بين جلاسه فيض التو موزونة، ومقفاة، يرددها خلفه كل منْ شَهِدَ فجرها، فى مشهد مهيب لا يتسنى إلا لبلبل حانها.

وأنشأ فى هذا المعنى قائلاً:

تطاوعنا القوافى إذا مدحنا * لكم يا آل أحمد ياغوالى

وتأبى إن مدحنا بها سواكم * سواكم ليس يوصف بالكمال

إلى آخر القصيد[١].

عمت قصائد الشيخ الآفاق، وتقبلتها العقول بالقبول، وخفقت لها القلوب، وطربت بها الأرواح، ففيها لذة للشاربين، لا تملها الآذان، ولا يسأم بترديدها اللسان، يغنم بها من عرف، وتخفى على من لايعرف.

تناثرت قصائده فى المحافل، والمواسم الدينية، وأحيت مدائحها الموالد الصوفية، فتلقاها جماً غفيراً من الناس، وقرعت مسامع الجلاس وأقام بها حجته بلا التباس.

وجدير بالذكر أن هذه القصائد فيض التو على قلب الشيخ، لا من رشح وجود، أو عبقرية شاعر، وكان الفيض يأتى فى ميقاته، متسلسلاً فى نظمه، متحداً فى موضوعه، بل وموقوفاً بعدد أبياته، فإذا كمل العدد انقطع الفيض والمدد، فلمَّا أخذ الشيخ ذات مرة فى نظم قصيدة مطلعها: أيها الختم الذى نلت المرام * ديدنوا من مدكم أهل الغرام .

وحينما بلغت أبياتها أربع وعشرين بيتاً أرسلها إلى الإمام العربى يستأنس رأيه، فردها إليه الإمام وقال: "إنى أراها رأى العين مُنزَّلة على وادى قلبك وعدد أبياتها مائة وستون بيتاً " فترامت على قلب الشيخ مرة أخرى الفيوضات، وانهمرت الأبيات مترادفة، وواصل الإملاء فيها حتى انقطعت الواردات، ولم يجد ما يضيفه، فسأل عن عددها، فإذ هى مائة وستون بيتاً بالتمام، كما أخبر الإمام، فابتهج الشيخ لشرف القصيد، وصدق المقصد[٢].

---

[١]) مولانا العارف بالله الحاج أحمد أبو الحسن ، قصيدة بعنوان (تطاوعنا القوافى إذا مدحنا) ،ديوانه " بساتين الجنات فى المدائح والصلوات على سيد السادات ، مرجع سابق ،ص٥ .

[٢]) ذكر هذه الواقعة الشيخ جابر عبد المنعم على ، ربيب الساحة العلوية وخادمها ، فى تقديمه لديوان العارف بالله تعالى الحاج أحمد أبو الحسن المسمى (اللطائف السنية فى مدح خير البرية) ، ص ١٧ .

ولمَّا خَشِيَّ أن يكون كلامه بلسان الحضرة المحمدية فى إحدى القصائد من قبيل الشطح الممقوت، توقف الشيخ عن المديح حتى سمع الإمام العربى يقول: " هذه قصيدة ليست على غرار مانظمه الشعراء، هذه القصيدة مدحت بها الحضرة المحمدية نفسها فى عليائها باللغة السريانية، ثم تلقَّاها عنها أهل الديوان، فالغوث، ثم قلوب الأبدال، والنجباء، والنقباء من نفس قاب قوسين، ومن ثَمَ تلقاها قلب أحمد أبو الحسن باللسان العربى المبين، من سريان تيار ماء المعين، طه الأمين، وهكذا هب الشذا"[1].

وكان الشيخ قد صدَّر أبيات هذه القصيدة بضمير المتكلم (أنا) فى إشارة إلى الحضرة المحمدية ، وجاء فيها:

يابدء هلا سألت عن البدايات * فأنت شيئ ومحصى بآيات
أنا الذى قدما ديدان حانتها * بخلوة الذات فرداً كان ميقاتى
أنا ساحل الذات قبل القبل كنت له * وقلبى العرش مجلى حُسنه الذاتى
أنا أمر ربى الذى تم الوجود به * أنا أحمد الله لا قبلى بساحاتى
أنا النبى الذى بائى تمدكمُ * والكل منى وقد نالوا بقِيَّاتى

إلى آخر أبيات القصيدة المسماه:(النفحة العلية فى الحقيقة المحمدية)[2].

ويروى أحد الأحباب أنه رأى فى منامه الشيخ أحمد أبو الحسن جالساً فى صحن الكعبة المشرفة يلقى درس علم على زوار بيت الله الحرام، فلما استيقظ ذهب إلى الشيخ، وقص عليه هذه الرؤية، فقال له الشيخ: صدقت الرؤيا، وزاده بأنه فى أول مرة حج فيها إلى بيت الله الحرام، زار روضة النبى صلى الله عليه وسلم فأدى السلام على حضرة النبى صلى الله عليه وسلم ورد النبى السلام عليه ، وأعطاه مفتاح من نور، طوله من الأرض إلى السماء، وقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: " أعطيناك مفتاح مديحنا"؛ لذا، أوقف الشيخ قصائده على ممادح رسول الله وأهل بيته، وصار - بحق - حسَّان عصره.

---

[1]) الشيخ جابر عبد المنعم ، فى مقدمته لديوان الشيخ (اللطائف السنية فى مدح خير البرية) مرجع سابق ، ص١٦،١٧ .

[2]) مولانا العارف بالله تعالى الحاج أحمد أبو الحسن ، ديوانه : (بساتين الجنات فى المدائح والصلوات على سيد السادات) ، مرجع سابق ص ١٥١ .

وفى مناسبة أخرى يقول الشيخ: لقد مدحت ثمانى عشر ألف قصيدة بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم، وما زاغ بصرى عنه قط، فأنا لا أمدح غائبا.

وتأكيداً، يُقسِم الشيخ قائلاً: " تالله ما امتدحت الحبيب الأعظم صلى الله عليه وسلم بين ظهرانيكم إلا وقد رأيت الممدوح رأى العين، ولم يكن بيننا بين، وما أفاض الحق جل وعلا على لسانى من درر أبيات، وأعذب بيان فى مديح سيد السادات صلى الله عليه وسلم إلا وهو من رواء إملاء ندى محياه صلى الله عليه وسلم على أحمد خادم نعاله وفتاه".

وينشد الشيخ قائلاً[1] :

النبى غالى * النبى غالى * النبى غالى * ومقامه عالى

مدحك ياطه * نلناه شفاها * من تو خفاها * أصبح راسمالى

ويستشف من ذلك أن الشيخ لا يمدح النبى صلى الله عليه وسلم إلا فى حالين: فإما أن يكون مديحه أمام الحضرة المحمدية، فهو ـ حسب قوله ـ رواء إملاء ندى محياه، وإما أن يكون بلسان الحضرة المحمدية ذاتها ـ على النحو الذى أشار إليه الإمام محمد أبو الفتوح العربى ـ بشأن قصيدة (النفحة العلية فى الحقيقة المحمدية).

وإجابة عن سؤال من أحد مريديه[2] عن ماهية هذه القصائد، التى يجود الله بها على فضيلته، قال الشيخ مقالة عصماء جاء فيها:

" بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد الخلق وأشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم ـ إن هذه القصائد لاتسمى بالشعر العروض، ولاتخضع لما عليه الشعر من قوافى، ولكن بفضل الله أنها جاءت مقفاة، وتحمل من الموسيقى الشعرية مايجعلها مستساغة فى إنشادها، فإذا كان من الشعر مايسمى بالشعر المطلق، وقد لايحمل بين كلماته وحروفه معانى، فالقائلين بهذا القول ماقالوه

---

[1]) مولانا العارف بالله الشيخ أحمد أبو الحسن ، قصيدة بعنوان: (مشارف المعالى فى مدح الغالى) ، ديوانه (اللطائف السنية فى مولد خير البرية) ،مرجع سابق ، ص ١٣٠.

[2]) قيلت هذه المقالة فى معرض إجابة الشيخ على سؤال / محمد محمد عطيتو أحد مريدى الشيخ عن ماهية القصائد التى ينشدها الشيخ ، وجرى ذلك حال وجود الشيخ فى ديوان الحاج / نوح أحمد نوح وهو من أحباب الشيخ المخلصين ، بمنطقة الألبان بكوم أمبو ، يوم ١٩٩٣/١/٢٦م ، وقد طبعت هذه المقالة لما حوته من بيان صوفى رصين ، وتدوولت نسخ منها بأيدى كثير من أحباب الشيخ ومريديه .

طرباً وإن كان به، ولم يقولوه لجر منفعة، ولم يكن لديهم حصيلة شعرية، ولا من دواويين شعر، ولكن الفيض يهمى على أرض قيض، فيملئ وديانها، وتنبت أغصانها، ويتحرك وجدانها، ويخبرك عن هذا الأمر لسانها.

جعلوا فى تركيب الجملة الكلامية خزنة مليئة بالجوهر ... مقال اللفظ بها حال، معرفتها بطن حال، سر معرفتها سر بطن حال، فالأرواح كالطير تذهب خماصاً كما قال الشارع صلى الله عليه وسلم، وتعود بطاناً، أصلها الإيمان، وأستاذها الإحسان، وأسرارها القرآن ؛ يقول الإمام جعفر الصادق عليه السلام :" إن الله تجلى لعباده فى كلامه وأنتم لاتبصرون"، بمعنى الفيض صيد، بمعنى ماء فضفاض ينحدر سيوله من غمض الأغماض، تسبح فيه الروح فى فرقان السوح، فالعقل به طموح، والروح دائماً إليه تروح والنفس ملتقى الأمرين، ومحل الذوقين {قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا * وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا}[1].

لك أن تسكت، أو تبوح، فالبوح لم يخرجك من الرضا؛ لأنه بالفضل سبق وتقدم إليك القضا، والحقائق عنده لاتتغير ... صن لسانك عن التسيير والتخيير، واضرب خيامك عند: "خذوا عنى مناسككم"[2]، واجعل الرضا قصدك، والصبر مجدك، والحياء رفدك، واجعل فى الباء مسكنك، واشكر من مكنك، واجعل فى الظاهر منه البسط قسطك، واجعل فى الباطن منه الخوف رصدك ...

لقد كان الصوفية فى الأزمنة السابقة بهذا القول لايتكلمون؛ حرصاً وخوفاً على العقول، واحتراماً لشرع الرسول صلى الله عليه وسلم، فكانت حينذاك المادة لم تتطور، وإن كانت الأوقات جوهرها غير معقد، وأما مظهرها فكله عقد، فإذا تكلموا بهذا القول وكأنهم يزيدون الوقت عقداً على عقده؛ فما ضنوا بالمعرفة، ولكن حرصاً على غيرهم، وشفقتهم على أمتهم توقفوا عن الكلام، ولأن الشارع صلى الله عليه وسلم أمر بذلك؛ كونه أن هذا

---

[1]) الشمس : ٩ ، ١٠ .

[2]) مسند أحمد ، مسند جابر بن عبد الله ، حديث رقم ١٤٧٩٣ ،عن جابر يَقُولُ رَأَيْتُ النَّبِىَّ -صلى الله عليه وسلم- يَرْمِى عَلَى رَاحِلَتِهِ يَوْمَ النَّحْرِ يَقُولُ لَنَا « خُذُوا عَنِّى مَنَاسِكَكُمْ فَإِنِّى لاَ أَدْرِى لَعَلِّى أَنْ لاَ أَحُجَّ بَعْدَ حَجَّتِى هَذِهِ ». نقلاً عن : موسوعة الحديث الشريف ، مرجع سابق .

الكلام تنزيه للعقائد، وجلاء للمخيلة، وضنوا به أن يذهب بما تخيلوه؛ لأن هذا القول- كما ذكرنا آنفاً - عقائدى.

أما ما يخص الناس فى دينهم، فهو موجود فى القرآن والسنة وإجماع الأمة، فهى المصادر الثلاث التى يجب الأخذ عنها - حتى للفقيه منهم - فإن لم يندرج تحت هذه المصادر الثلاث فهو مبتدع ...، غير منْ أجازوهم أهل الإجماع، أجيزوا إلى درجة الاطلاق وأجازوا فلا اجتهاد مع النص.

أما علم الفيض الذى مسكوه السابقون، ومن كانوا فى العصور المقيدة، التى هى بعد السلف والخلف، فكان الفقر فى الفهم، والفقر فى المادة ، والفقر هو مايغلب على ظاهر العصر، فلما بلغت المادة تطور مفاجئ كاد أن يدخل فى حلقة اللامعقول، وكادت أن تنبهر به العقول، لأن العقول كانت مؤصدة فى حواصل الفقر، ففوجئت بهذا التطور الرهيب بالنسبة لها.

أما عند أهل العلم " علم كل عليم " لم ينبهروا، لأنهم يرون الوجود فى حضرة الأسماء، ويرون الوجود فى حضرات الصفات، ويرون الوجود فى حضرات الإنفعالات، والفعال وما إليه ظهور كل شيئ والمآل، وكانوا بالمعرفة مشمولون، وبالإحاطة متمكنون، منهم يأخذون من فيح كن، ويعلمون حصائل فيكون، يعرجون بأنفاسهم، ويشهدون جوارى أنفاسهم، إن عسعس ليلهم وابل، وإن تنفس صبحهم طل ...

فأدركوا أهل الوقت والأوان أن المادة تطورت وحصائلها تبددت، فوجب عليهم للجوهرية يظهرون، وأيضاً به يقولون، علمهم إن المخبر والخبرة عن خبير، والخبرة تذوق، والمذاق معرفة، والمعرفة سبيل، والسبيل قسطاس، والقسطاس ميزان، والمخبر بيان، والخبير جل وعلا، والصفة مشتركة، والخبرة حكمة، والخبرة ولاية، والخبرة حيطة وإحاطة، والخبرة معايشة، شجرة المخافة تثمر حكمة، فما جلى منه بارق أو بريق، ومن قرب من فرقانه القرآن، لأن ظاهر القرآن قرآن، وباطن القرآن فرقان، فانظر إلى قاف القرآن، وانظر إلى قاف الفرقان فى {تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا}[١] فأخذوا من رحيق تأويل الآيات، فجعلوه فى أبيات القصائد ليغنم الصائد، والقول على الكل مطروح، وجعلوه أبيات

---

[١]) الفرقان : ١ .

زجلية، أو ما فوق ذلك، أو ما دون ذلك؛ حتى يغنم منْ عرف، ولا يأخذ منْ لايعرف.

وأنت سألتنى يابنى عن هذه القصائد، فلو كانت هى بالشعر ماشغلت وقتى بها، وإن كانت بالمدح فهى متواضعة، ما بلغت فى الممدوح حد، ولكن بها كيما الروح، والسير والفتوح، فأعتذر لك ولكل من قرأها" (انتهت المقالة).

وعلى صعيد متصل، قال الإمام العربى[1] مقالة رائعة فى أشعار الشيخ جاء فيها : " أى بنى اعلم أن هذا الضيغم (أى الشيخ) هو بلبال روضى، ودلال أرضى، وما شدا به أسما من أن يُضَاهى بشعر الشعراء، وهو عند عِليَة القوم العرانين[2] أهل المعين يطلق عليه أجواء فرقانية من فيح بساتين قرآنية، أو إن شئت فقل: أفق بعد أفق، أفق مبين، أو إن شئت فقل: طبق فوق طبق {لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ}[3]، أو إن شئت فقل: فَيْح ذاتى أو عبير أريج عاطر من حظائر{فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا}[4]، أو إن شئت فقل: ورود فيها غرود، وأزهار بساتين، واعى إن كنت ألمـُعى، تُنَادَى فى عليين يا ابن المعين".

وتجدر الإشارة إلى أن جُلَّ قصائد الشيخ تم تدوينها بخط اليد، وهى محفوظة لدى أحباب الشيخ، وأبنائه، وعلى الباحث الجد أن يسعى فى طلبها، حتى يهيئ الله منْ يشرف بطبعها، ونشرها لتكون فى متناول الكافة.

بيد أن بعض هذه القصائد تم طباعتها بالفعل سواء فى حياة الشيخ، أو بعد انتقاله، ونشرت فى دواوين شعرية، أولها بعنوان (اللطائف السنية فى مدح خير البرية)، والثانى بعنوان (بساتين الجنات فى المدائح والصلوات على سيد السادات)، وتم طبعهما فى حياة الشيخ[5].

وبالطبع، لا ابتغى من وراء هذا العرض نشر هذه القصائد كاملة ـ وأنَّى لىَّ ذلك ـ فهى أربى عن الثمانية عشر ألف قصيدة ـ كما قال الشيخ ـ لكن

[1]) أخذت هذه المقالة نقلاً عن : الشيخ جابر عبد المنعم ربيب الساحة العلوية فى مقدمته لديوان الشيخ (اللطائف السنية فى مدح خير البرية) ، ص ٤ ، ٥ .
[2]) مفردها (العرنين) ، وعرانين القوم ساداتهم وأشرافهم ، انظر : المعجم الوجيز ، مرجع سابق ،ص٤١٦ .
[3]) الإنشقاق : ١٩ .
[4]) التحريم : ١٢ .
[5]) اتخذ الباحث من هذين الديوانين مرجعاً فيما عرضه من قصائد ، وأبيات فى هذا المبحث .

غايتى هنا عرض مقتطفات من هذه القصائد كأمثلة للمحاور التى تدور فى فلكها.

وفى الجملة، يمكن تقسيم هذه المحاور إلى خمسة محاور رئيسية هى :

المحور الأول- فى الإشارة إلى عقيدة الشيخ وأفكاره، وآرائه الفريدة فى المسائل العقديه .

والمحور الثانى- فى مديح رسول الله، وآل بيته، وأوليائه، وأشياخه، فضلاً عن الصلوات على سيد السادات.

والمحور الثالث- فى التوسل بالنبى وآل البيت، والأشياخ من الأولياء.

والمحور الرابع- فى تشطير وتخميس أمَّات القصائد والمدائح لبعض الأشياخ المتقدمين، فلا يعرف الفضل لأهل الفضل إلا ذوو الفضل.

والمحور الخامس- فى موضوعات متنوعة ومتفرقة فى التصوف، والمعرفة بالله، وغيرها، مما لم تحتويه المحاور الأربعة المتقدمة.

ولامشاحة فى أن تقسيم قصائد الشيخ إلى خمسة محاور هو مجرد تقسيم نظرى، أما فى

الواقع فقد يستغرق القصيد الواحد التعبير عن أكثر من محور، بينما قد تنصرف قصيدة بعينها للتعبير عن محور معين، أو حتى بعض منه.

كما تجدر الإشارة إلى أنى وقفت - هنا - على حد ضرب بعض الأمثلة، التى تشير إلى معانى المحورين الأول، والثانى، إضافة إلى مقتطفات تمثل بعض الموضوعات التى تندرج فى المحورالخامس المتنوع. أما المحوران الثالث، والرابع فقد تم طباعة ونشر أغلب القصائد التى تعبر عنهما فى ديوانين شعريين على التوالى، الأول بعنوان (الدُّر الأسنى فى التوسل بأسماء الله الحسنى)، والثانى بعنوان (الأكسير فى التخميس والتشطير فى مدح طه البشير)، وهما متاحان فى الأسواق، ويمكن الرجوع إليهما.

ووجب التنويه إلى أن الأمثلة المقدمة فى هذا المبحث تم نقلها حرفياً، وبهيئتها من المتون المطبوعة، أو المخطوطة بخط اليد؛ لذا، اعتذر للقارئ الكريم عما قد يعلق بها من أخطاء مطبعية، أو خطية، قد يترتب عليها بعض الأخطاء النحوية، أو الخلل فى الأوزان والعروض الشعرية، فلم يكن لأناملى استطالة هذه المتون بالتعديل مخافة التغيير، وخشية الانحراف بها عن

معانيها المقصودة، لاسيما أن هذه الأخطاء واضحة بحيث لاتخفى عن فطنة القارئ.

وتجدر الإشارة فى هذا الموضع كذلك إلى أن قصائد الشيخ تمثل مزجاً رائقاً بين نوعين، أوغرضين شهيرين من الشعر الصوفى: أولهما- شعر الحب الإلهى فى الصيغة الغنائية، الذى لازم مسيرة التصوف، وقد اشتهر سيدى عمر بن الفارض، الملقب بسلطان العاشقين بهذا النوع من الشعر، والثانى- شعر المدائح النبوية، الذى برع فيه القوم، وكادوا ينفردون بإنشائه، لحبهم للمصطفى صلى الله عليه وسلم.

وبعد هذا التمهيد عن قصائد الشيخ، هَلُمَّ معى - أيها القارئ الكريم- بالتجوال فى بساتينها، نستنشق عبيرها، ونلتمس من أرائج أزاهيرها.

فأما شعر الحب الإلهى، شبه الشيخ فى إحدى قصائده هذا الحُب بالحبة التى غرسها المحبوب فى قلب المحب، جاء فيها:

شجرة الحب حبه * غرسها خير حِبَّ *غرسها خير هادى * سقاها بالوداد * نمت بالفؤاد * بها شاهدت ربَّ

إلى آخر القصيد[1].

ويتغزل الشيخ فى حب الحضرة فى قصيدة أخرى[2]، جاء فيها:

وميض البرق من ثغرك فتنَّا * وشفر لحاظ مَنْ نهوى قتلنَّا

حتى وصل إلى قوله:

وعين الفرض حُبُك يا حبيبى * ضعيفاً من يقول الحب سنة

و يشير الشيخ إلى أن شمس الحب لا تأفل، وأن قتيل الحب شهيدٌ، فأنشأ قائلاً:

شموس الفلك تغرب فى الدياجى * وشمس الحب ليس لها غروب

حتى وصل إلى قوله:

وأُقتَل فى محبته شهيداً * وأبقى على المناهج والدروب

بُنىَّ اكتبوا عنى وقولوا * لقد كان الشهيد لهم رقوب

---

[1]) مولانا العارف بالله الحاج أحمد أبو الحسن ، قصيدة بعنوان (شجرة الحب حبة) ، ديوانه (بساتين الجنات فى المدائح والصلوات على سيد السادات) مرجع سابق ، ص ٣١٨ .

[2]) مولانا العارف بالله الحاج أحمد أبو الحسن ، قصيدة بعنوان (وميض من الجاه العريض) ، ديوانه (اللطائف السنية فى مولد خير البرية) ، مرجع سابق، ص١٨٧ .

إلى آخر القصيد[1].

وأما شعر المدائح، فقد عكف الشيخ على نظم فرائد عقيدته، بعد أن غاص فى أعماق الحقيقة المحمدية، وترنم فى شمائله الخلقية والخُلقية، وفى قصيدة بعنوان (عقد الجمان من مد الآل) [2]، وهى قصيدة طويلة مكونة من ست وسبعين بيتاً، صاغ الشيخ فيها جُلَّ فرائد عقيدته فى الحقيقة المحمدية، وخصائص النبى، وصفاته السنية، كما حرص الشيخ فى العقد على تقديم الأدلة العقلية، والنقلية على شرعية ما ورد فيها، كما باركها بالدعاء والتوسل بالنبى صلى الله عليه وسلم وآل بيته، وتوَّجَها بمناقب شيخه الإمام محمد العربى(رضى الله عنه)، وذيَّلها بالصلاة والسلام على النبى وآله وصحبه، وقد جاء فيها:

قديماً صلى ربى على نبينا *** أبى الزهراء وضاء الجبينا
تجلى الله فيك وأنت فينا *** وسير مده فيمن يلينا
فأنت الكل والإيجاد منك *** كظل من ظلالك يا أمينا
قديما فى كنوز الغيب كنت *** لتأتى خاتماً للمرسلين
رسول الله حى أنت فينا *** بذاتك رغم أنف المغرضينا
تصلى الخمس فى الروضة العلية *** حديثاً وارداً صدقاً يقينا
كذا الأعمال تُعرَض كى تراها *** وتحمد عند عمل المتقينا
وتستغفر لمقترف المعاصى *** فيغفر ربنا للمذنبينا
وتسمع من يسلم أو يصلى *** عليك وقد يراك الصادقينا
إذا الشهداء أحياء بذكر *** فكيف رسول رب العالمينا
فقد نالوا الشهادة لنصر أحمد *** بفضل منه صاروا مقربينا
وإنك ميت قد لاح منها *** كأنك واحداً هم ميتونا
وموتك كى تخفف عنا شرعا *** لأن بقاءكم شرعاً ودينا
وبدنك لو بقى مرئى حِسًّا *** لَتسكُن كل أمتك المدينة
فنرجو يا رسول الله فتحا *** ووصلاً يا إمام الواصلينا
وكل مجدد من نسل طه *** أمان الوقت خير الوارثينا

---

[1]) مولانا العارف بالله الحاج أحمد أبو الحسن ، قصيدة بعنوان (ياقوت الكنز) ، ديوانه (اللطائف السنية فى مولد خير البرية) مرجع سابق ، ص ١٨٨ .

[2]) ديوان الشيخ : (اللطائف السنية فى مولد خير البرية) مرجع سابق ، ص١٤١ – ١٤٥ .

وراثة حيدر عزماً وحالا *** أبو البركات والفتح المبينا
إمام الوقت والفرد المجدد *** هو العربى شيخ الصالحينا
وصلى على نبيك ماتوالت *** فيوضات على أهل اليقينا
وسلم ما انهمر وابل وطل *** وما أنَّت قلوب الزاهدينا
وآل ثم أصحاب كرام *** لدين الله كانوا ناصرينا
وما نشد العُبيد لمدح طه *** جمال محمد ربى ارينا

وتمثل قصيدة (عقد الجمان من مد الآل) مثالاً واضحاً للمحور الأول فى نظم فرائد عقيدة الشيخ وافكاره.

ونتناول فيما يلى مقتطفات من المحور الثانى فى نظم المديح والصلوات على سيد السادات؛ تبركاً وتيمناً، فقد أنشأ الشيخ فى الحقيقة المحمدية قصيدة بعنوان (زمردة يتيمة فى الحضرة القديمة)، جاء فيها:

أنت المشاهد للمشهود ياطه * أنت الذى قبضة المعبود إياها

حتى وصل إلى قول جامع فى حقيقته صلى الله عليه وسلم فقال:

ياساحل الذات والأكوان ما خُلِقَت * وقلبك العرش هو للذات مجلاها

إلى آخر القصيد[1].

وفى ميدان الشمائل المحمدية، ومديح حضرته، والتغزل فى جمال أوصافه الخُلُقية، والخلْقية، فقد أفاض الشيخ وأسهب ـ ومن أحب شيئاً أكثر من ذكره ـ فكيف بالحبيب الأعظم صلى الله عليه وسلم، وفى ذلك يقول الشيخ: " لو أطلقت لقلمى العنان، وأتاح لى فرصة الزمان، وتجولت فى هذا الميدان لأمتلأت المتون ، ولم يحصر ما به من أوصافه الكاملة السنيِّة[2] . ويستشهد الشيخ بقول أحدهم :

وعلى تفنن واصفيه بوصفه * يفنى الزمان وفيه ما لا يوصف

ويمدح الشيخ فى قصيده بعنوان (مشاهد الشهود فى الحبيب المحبوب)، جاء فيها:

ياجميلاً من جمال الذات أنت * ياجمال الذات فى الغَيَبَات كنتَّ
أيها النور الذى ما خلفه مرمى * قبل مسراك فى قرب القرب بتَّ
طأها يا طه لكى يثبت وطاها * أنت يانورى بفضلى قد عُرِفتَّ

---

[1]) ديوان الشيخ : (اللطائف السنية فى مولد خير البرية) مرجع سابق ، ص ٦٧ .
[2]) ديوان الشيخ : (اللطائف السنية فى مولد خير البرية) مرجع سابق ، ص٥٧ .

حتى وصل إلى قوله:

يامجالى حُسنيا فى كل شيئ * ياوجودى من بديع الحسن قُمتَّ
إنما الإيجاد نسخة وأنت كل * كانعكاس الشمس فى ماء عُلِمتَّ
يمنع الشُرَّاح ما دركوه عنك * كى يُخاطَبَ كل عقل كما أَمَرتَّ

إلى آخر القصيد[1].

ويتغزل الشيخ فى جمال النبى فى قصيدته (البروق المواجعية فيما جاء نصاً عن أم معبد الخزاعية)، وقد جاء فيها:

أسيل الخد وردى الوجانا *** غضوض الطرف بالنظرة سبانا
أشافره إلى الغزلان ترمى***لحاظاً عندما رفعت رمانا
تدار الشمس فى جبهته نورا *** ومنه نوالها فغدت عيانا
ولون أزهرى بل كوكبى *** وكل الحُسن حضرة مصطفانا
وقلبٌ حضرة الخلاق فيه *** رآه ليلة الإسرا عيانا
وصدر المصطفى عرش استواء***دروب الوحى قبضته أبانا
وكفَّاه إلى الإيجاد مدت***بدت من فوقه خبر أتانا
ونبع الماء من كفيه يجرى***كتائب جيشه قالت روانا
فهذا الوصف قطرة من بحار***مقل جهده نرجو امتنانا

إلى آخر القصيد[2].

وأنشأ الشيخ فى بيان فضل آل البيت ومجدهم فى قصيدته (بيان فى فضل الآل الأعيان)، وقد جاء فيها:

بفضل الآل شرعت المصادر ***وكم قالت بمجدهم المخابر
وما قال الرسول وما تلاه***بيان ليس ينطق عن هواه
بأمر الله جمعوا فى كساه***لآى الطهر بعد الجمع ذاكر
ولاتنس مقال أول خليفة***أبى بكر ذى القدر المنيف
وما قد قال فى العترة الشريفة***محمد فارقبوا الآل الفواخر
أبو حفص إلى حسن دواما***يكن إليه حبا واحتراما
وأول من لهم سن القياما***وهم ريحانة الهادى العواطر
لآل البيت كرمت الصحابة ***وهم فى الجنة سادات الشباب

---
[1]) ديوان الشيخ : (اللطائف السنية فى مولد خير البرية) مرجع سابق ، ص ٦٩- ٧١ .
[2]) ديوان الشيخ : (اللطائف السنية فى مولد خير البرية) مرجع سابق ، ص١١٢ – ١١٤ .

بنسبتهم إلى عالى الجناب***حديث الفضل عنه رواه جابر
وبعد الصحب قام التابعون***إلى آى المودة مبايعينا
بما أمروا بادروا طائعينا***ومدحوا فى حواميم وفاطر
إلى آخر القصيد[1].

وأنشأ الشيخ فى التعريف بفضل الصلوات على سيد السادات قصيدة بعنوان : (أعداد نصية فى الصلوات المقبولة المرضية)، جاء فيها:

صلاة الله نور للمصلى * وتسليم عليه به التجلى
ومَنْ صلى على المختار مرة * يُصلى الله عشرة على المـُصلى
ومعنى صلاتنا صلنا بطه * مع الأملاك فى نور التجلى
فاسمى إذا سمعت فصَلىِ هيا * بخيل منْ ذُكِرتُ ولم يصلى
وكل الوقت تجعله صلاتى * تكون من المآثم فى تَخلى
وعند الموت أحضره حبيبى * أوَمِن قلبه يهنأ بوصلى
أقول إلى ملائكة تُحاسِب * دعوه فإنه كان يصلى
صلاتك فرض عين ياحبيبى * بتنزيل بها جبريل قالى
فصلى إن أردت ترى حبيبك * وداوم ذكره ودع التَّولى
سعيداً من يراه ولو مناماً * وأسعد مَنْ يُسلِم أو يصلى
إلى آخر القصيد[2].

ومن أشعاره التى تمثل المحور الأخير المتنوع ـ أنشأ الشيخ قصيدته ذائعة الصيت، واصفاً مشهد ليلة ميلاد النبى صلى الله عليه وسلم بعنوان (القيام والاعتناء لقدوم أعظم الأنبياء)، جاء فيها:

صلى الله على محمد *** صلى الله عليه وسلم
شهر ربيع الأول فاز *** بالخيرات جميعاً حاز
رقص الكون له إعزازا *** لُسْنُ الحال غدت تترنم
فبمولده الكون ازدان *** وله أُخمِدت النيرانا
جاء فصدعَ للإيوان *** والأصنام غدت تتهشم
آمنة قد يكسوها النور *** حيث رأت فى الروم قصورا
بل كنعان رأت بظهورا *** قالت إنى ولدت الأكرم

---

[1]) ديوان الشيخ : (اللطائف السنية فى مولد خير البرية) مرجع سابق ، ص١٠٥ـ ١٠٧ .
[2]) ديوان الشيخ : (اللطائف السنية فى مولد خير البرية) مرجع سابق ، ص ١٢٨ ، ١٢٩ .

سمع الجد إليه أتاه * هام بفرح حين رآه**
هذا محمد قد سماه * سر الذات لجد مُلهم**

إلى آخر القصيد[1].

ولم يفت الشيخ مديح المدينة المنورة فى قصيدته العصماء بعنوان: (القصيدة المدنية فى مقام الحقيقة المحمدية)، جاء فيها:

إن المدينة فوق الفوق مبناها * وفى قلوب أهيل الحب معناها**
هى طيبة من قبيل القبل باقية ***بيثرب السر بين الخلق كناها
هى عرش ذات الذى لولاه ما خلقت ***والعرش يغبطها بالفضل هناها
فاقت على كل شيئ فى قداستها ***جنات عدن تمنت بعض حسناها
جبريل يهفو لها منها إليها أتى*بقاب قوس دنا يدنو بمدناها**
ذرات أهل الصفا من تربها مزجت*واليمن والخير من إنعام يمناها**
أكرم بها من رياض بالنبى شرفت ***أرض بها شرعة للخلق سناها
الله أمَّنَ من فيها بحضرته*حتى الذى مات فيها حاز أمناها**
من بين لابتيها خصب وعافية*واختار ربى لخير الخلق سكناها**

إلى آخر القصيد[2].

وقد أنشد الشيخ هذه القصيدة بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلمَّا وصل الشيخ إلى قوله:

وروضة فيها خير الخلق متكئاً * شكلاً بأرض وباء البدء بطناها**

سُرَّ النبى صلى الله عليه وسلم، وتهلَّلَ وجهه الشريف، وأعرَبَ عن أن هذا البيت خير ما مُدِحَ به وصفاً لهيئته صلى الله عليه وسلم وهو قائم فى روضته الشريفة[3].

ونكتفى بهذا القدر من هذه الأمثلة الشعرية، بوصفها إحدى حلقات سلسلة علمه ومعارفه، وننتقل بعد ذلك إلى حلقة ثالثة فى سلسلته الذهبية،

---

[1]) ديوان الشيخ : (اللطائف السنية فى مولد خير البرية) مرجع سابق ، ٣١ -٣٣ .

[2]) ديوان الشيخ : (اللطائف السنية فى مولد خير البرية) مرجع سابق ، ص٩٩ ، ١٠٠ .

[3]) قال الإعرابى فى وصف هيئته فى روضة الشريفة : ياخير من دفنت بالقاع أعظمه * فطاب من طيبهن القاع والأكم نفسى الفداء لقبر أنت ساكنه * فيه العفاف وفيه الجود والكرم ، وقال غيره كثير فى وصف هيئته فى روضته صلى الله عليه وسلم .

ألا وهى الصلوات على سيد السادات، وصدوره فى الافتتاحات، وذلك على النحو التالى:

المبحث الثانى

الصدور والصلوات على سيد السادات

أولاً – الصدور

يقصد بالصدور هنا ما يُصَدَّر الحديث به، وفى اللغة[١]: (صَدَّرَ) فلاناً: أجلسه فى صدر المجلس، و الكتاب: افتتحه بمقدمة.

وعلى غرار سعيه إلى انتشار دعوته وأفكاره من خلال نظمها فى قصائد شعرية ـ كما جاء فى المبحث السابق ـ قام الشيخ بترجمة نقاط عقيدته، وملامح أفكاره فى صورة صدور وجيزة، صاغهما فى كلمات رقيقة مؤثرة، وجُمَلٍ قصيرة ومعبرة، وفى المأثور:" خير الكلام ما قلَّ ودلَّ ".

وبرع الشيخ فى إنشاء هذه الصدوره، واعتمدها توطئة فى أحاديثه، وأماليه، وقصائده بعد أن أفرغها فى صورة جَمَاليَّة بديعة، فساغتها الأفهام، وألِفَتها الآذان، ولازم ترديدها اللسان.

ترنَّمَ الشيخ وأحبابه بالحقائق والمعتقدات التى اعتنقوها، وملأت هذه الصدور صدورهم وتاقت إليها أرواحهم، ولانت لها ألسنتهم، فطيَّبوا بها افتتاح تمداحهم، وجعلوها ريحانة الترويح قبل استئناف أغاريدهم، ومسك الختام عند فض مجالسهم.

وبالطبع، يصعب الإلمام بكافة صدور الشيخ، ولكن يمكن انتخاب أمثلة توفى بالمقصود.

فهَلُمَّ عزيزى القارئ إلى مطالعة تلك الجمل القصار، والموطئات العظام، وصدور الكلام.

واستهل بتوطئة متكررة فى أغلب خُطَبـه، وفريدة مأثورة من مآثره، وصدراً جامعاً من صدوره، يقول الشيخ: " بسم الله الرحمن الرحيم، والحمد لله رب العالمين، الذى حَمَدَ ذاته بذاته، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لاشريك

---

[١]) المعجم الوجيز ، مرجع سابق ، ص٣٦١ .

له، تلقيناً كما أمر، لانفى، ولا إثبات، تعالى جل وعلا عن المشاركة، والمشاكلة، والند والضد، والشبيه، والمثيل، والنظير، إلـهـاً واحداً، وربـاً شاهداً ونحن له عابدون.

وأشهد أن الحبيب الأعظم صلى الله عليه وسلم، والرسول الأكرم صلى الله عليه وسلم، النور الذى ما خلفه مرمى، أى لاخلفه خلف، ولاخلفه منتهى، أول العابدين ـ كما جاء فى الذكر الحكيم { قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَـٰنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ }[1] ـ عبَدَ الله من حيث لاخلا، ولاملا،

سماء السموات، وأرض إشراق وجه الذات، النور الممدود فى البشر المشهود، اللامفصول ولا موصول، كعبة الحمد، وعرش المحامد محمد، أحمد من حَمدَ وحُمِدَ عند ربه، محمد الظاهر، ومحمود الباطن، مَنْ اسمه محمد، وكنيته أبو القاسم، وصفته عبد الله.

لا إله إلا الله وحده لاشريك له، محمد عبده ورسوله لاشريك له فيما آتاه الله إياه، ولو كان باقتران الاسم بالاسم { لاإله إلا الله محمد رسول الله }، الجمال المطلق، الذى قيدته مادياتنا صلى الله عليه وسلم، وعلى آله، خير آل لخير نبى، عرف طه الزكى، جبال الدين، وأعمدة اليقين، أهل القيادة، والسيادة، والرفادة، والريادة، موطن الرحمات، موطن البركات، نصف التحيات، عدول القرآن، أهل القباب، والسلاسل، والزهريات، الآيات الغوالى، أهل الكِسا، أهل العَبا، ريح الصبا، خير عترة من أعظم زهرة، وخير زهرة من أعظم شجرة، ما بالكم بشجرة أنا أصلها، وعلىٌ لقاحها، وفاطمة فرعها والحسن والحسين ثمارها[2]، وعلى الورثة المحمديين، وعلى سندى، الذى عنه إيجازى بالبرق الحجازى، وعلينا وعليكم معهم بإحسان إلى يوم الدين".

ويقول الشيخ فى صدر آخر: " ومعدنه صلى الله عليه وسلم أنه خاتم النبيين، القائل: "كنت نبياً وآدم بين الماء والطين". فى إشارة إلى قوله تعالى: { مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَـٰكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ

---

[1]) الزخرف : ٨١ .

[2]) ورد عن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أنه قال :"خُلِقَ الناس من أشجار شتى ، وخُلِقت أنا وعلى بن أبى طالب من شجرة واحدة ، أنا أصلها ، وفاطمة فرعها ، وعلىٌ لقاحها ، والحسن والحسين ثمارها ، وشيعتنا أوراقها ، فمن تعلق بغصنٍ من أغصانها ساقه إلى الجنة ، ومن تركها هوى إلى النار ". صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم .، نقلاً عن : توفيق أبو علم ، السيدة نفيسة رضى الله عنها ، مرجع سابق ، ص٩ .

}[١]، كما ورد فى الحديث الشريف عَنْ عِرْبَاضِ بْنِ سَارِيَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- " إِنِّى عَبْدُ اللَّهِ لَخَاتَمُ النَّبِيِّينَ وَإِنَّ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلاَمُ لَمُنْجَدِلٌ فِى طِينَتِهِ وَسَأُنَبِّئُكُمْ بِأَوَّلِ ذَلِكَ دَعْوَةُ أَبِى إِبْرَاهِيمَ وَبِشَارَةُ عِيسَى بِى وَرُؤْيَا أُمِّى الَّتِى رَأَتْ وَكَذَلِكَ أُمَّهَاتُ النَّبِيِّينَ تَرَيْنَ"[٢].

وفى ذات السياق ، يردد الشيخ فى أحد صدوره أبيات مأثورة :

يا مصطفى من قبل نشأة آدم * والكون لم تفتح له الأغلاق

أيروم مخلوقٌ ثناءك بعدما * أثنى على أخلاقك الخلاق

ويقول الشيخ فى أحد صدوره : "ومذهبنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حى، قد قال: اسمع كل من صلى على". فى إشارة إلى الحديث الشريف عَنْ أَوْسِ بْنِ أَوْسٍ عَنِ النَّبِىِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: « إِنَّ مِنْ أَفْضَلِ أَيَّامِكُمْ يَوْمَ الْجُمُعَةِ فِيهِ خُلِقَ آدَمُ عَلَيْهِ السَّلاَمُ وَفِيهِ قُبِضَ وَفِيهِ النَّفْخَةُ وَفِيهِ الصَّعْقَةُ فَأَكْثِرُوا عَلَىَّ مِنَ الصَّلاَةِ فَإِنَّ صَلاَتَكُمْ مَعْرُوضَةٌ عَلَىَّ »[٣].

ويؤكد الشيخ على تلك الحياة السامية للنبى صلى الله عليه وسلم فى صدورأخرى بصيغ قريبة، ومنها قوله: " ورسولنا حى بسند وارد، يسمع لمن صلى عليه وسلم، ولا يُحجَب المختار عن مداحه، من مده مدحاً به نترنم ".

ويبين الشيخ فضل محبته الله صلى الله عليه وسلم، فيقول فى أحد صدوره: "كل قلب أنت ساكنه غير محتاج إلى السُرَج، وجهك المأمول حجتنا يوم تأتى الناس بالحجج، وعليل أنت زائره جاءه الرحمن بالفرج".

ويصلى عليه قائلاً: " صل الله عليك وسلم يازين البرايا، يا مَنْ لولاك، لولاك لولاك لم تظهر للعالم عين من الخفايا "[٤].

---

[١]) الأحزاب : ٤٠ ، وقد أورد ابن كثير فى تفسير هذه الآية حديث العرباض بن سارية سالف الذكر .

[٢]) مسند أحمد ، حديث العرباض بن سارية ، حديث رقم ١٧٦١٤ ، نقلاً عن: موسوعة الحديث الشريف ، مرجع سابق .

[٣]) سنن الترمذى ، الجمعة ، حديث رقم ١٣٨٥ ، نقلاً عن : موسوعة الحديث الشريف ، مرجع سابق .

[٤]) فى تفصيل ذلك الصدر انظر : فضيلة الدكتور/ على جمعة مفتى الديار المصرية ، مقالة بعنوان (حقيقة رؤية سيدنا محمد فى اليقظة) ، مجلة التصوف الإسلامى ، صادرة عن المجلس الصوفى الأعلى ، العدد ٣٥٢ ، السنة ٣٠ ، ربيع ثان ١٤٢٩هـ ، أبريل ٢٠٠٨م ، ص٦ ، حيث أثبت صحة القول بأنه لولا سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ماخلق الله الخلق ، فقد قال الله سبحانه وتعالى : { وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون } فتحقيق العبادة هى حكمة الخلق ، والعبادة لاتتحقق إلا بالعابدين ، فالعبادة عرض قائم بالعابد نفسه ، وأفضل العابدين هو سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم فهو عنوان العبادة ، وعنوان التوحيد ، كما أن الآية تتكلم عن الجن والإنس ولا تتكلم عن الخلق أجمعين ، أما باقى مافى السموات والأرض فهو مخلوق لخدمة الإنسان ، قال تعالى :{ وسخر لكم مافى السموات وما فى الأرض جميعاً منه إن فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون } وسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم هو عنوان الإنسانية ، بل هو الإنسان الكامل ولقد خاطبه ربه بذلك قائلاً له

ويناجيه بالحبيب والزاد وثمرة الفؤاد قائلاً فى صدر له:"حبيبنا، وزادنا، وزوادنا، وثمرة فؤادنا، ياباهى جمالك سبانى، سبانى الباهى جماله".

ويطلب المدد مستشفعاً بآل البيت فيقول فى أحد الصدور: "مدد ياسيدنا الحسن، مدد ياسيدنا الحسين، مدد ياسيدة، ياكوكب بين الكوكبين، مدد ياعربينا، ياسليل الحسنين، مدد ياشيخنا ياطيب العنصرين ".

ويدعو ويصلى على الحبيب الأعظم فى صدر له قائلاً: "عَطِرْ اللهم روضه الشريف، بعرف شذى من صلاة وتسليم " ويردفها بقوله: " اللهم صل وسلم وبارك عليه".

وصَدَّرَ الشيخ كتيبه المسمى ب (الصلوات الكنزية من نور خير البرية) بقوله: "لبيك اللهم وسعديك؛ امتثالاً لأمرك، وتصديقاً لقولك، واستجابة لما دعوتنا إليه من خير؛ إذ صليت على نبيك، وصلت ملائكتك، فأمرتنا أن نصلى على حبيبك سيدنا ومولانا محمد صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيرا، صلاة تجمعنا به عليه، وتقربنا بها إليه، وأن تُرِيَنا وجهه الكريم فى الدنيا، والآخرة آمين".

ومن أشهر صدور الشيخ فى هذا السياق أيضاً الدعاء بصيغة السلام: " اللهم ياقدوس ياسلام، بلغ سيدنا ونبينا محمد منا السلام، واسمعنا من حضرته السلام " ثم يردف مهللاً :" الصلاة والسلام عليك ياسيدى يارسول الله، الصلاة والسلام عليك ياسيدى ياحبيب الله الصلاة والسلام عليك ياسيدى ياصفى الله، الصلاة والسلام عليك ياسيدى يانجى الله، الصلاة والسلام عليك يا سيدى يا أول خلق الله، وخاتم رسل الله".

ويوصى الشيخ أحبابه وجُلاسه بدوام الصلاة على النبى، ويؤكد لهم ضمان قبولها، فيقول فى أحد صدوره: " ادِمْ الصلاة على النبى فإنها مقبولة حتماً بغير تردد، أعمالنا بين القبول، وردها، إلا الصلاة على النبى محمد ".

ويلحظ المتمعن فى صدور الشيخ أنها مستلهمة من وحى عقيدته فى حقيقة شخص رسول الله صلى الله عليه وسلم، وخصائصه، ومناقب آل

سبحانه : { يا أيها الإنسان إنك كادح إلى ربك كدحاً فملاقيه } ، فالرسول صلى الله عليه وسلم هو عنوان الإنسانية التى من أجلها خلق الله ما فى السموات وما فى الأرض ، فهو عنوان قضية التوحيد والعبادة ، ومحقق حكمة الخلق .

البيت، وأولياء الله الصالحين، وفضل الصلوات على سيد السادات، وعلى النحو السالف بيانه فى موضعه[1].

ويجدر التنويه إلى وجود تشابه بين بعض صدور الشيخ وبين مأثورات الأشياخ المتقدمين، ولا غرو فى ذلك أبدا؛ فجميعهم عزون يستقون من معين واحد، ونورهم ممدود من مشكاة واحدة، وسُرُجَهم مُوَّقَدة من شجرة مباركة، ذاتية، زيتونة، لاشرقية ولاغربية.

---

[1]) راجع : المبحث الثانى بعنوان " فرائد عقيدته وأفكاره "، بالفصل الأول من الباب الثالث من هذا المؤلف .

ثانياً - الصلوات على سيد السادات

تمكَنَ حب أحمد فى قلبه، ومديحه فى فيهه، وكشفت أماليه، وقصائده شدة ولعه بالحبيب الأعظم، والرسول الأكرم صلى الله عليه وسلم، فقد عرف الشيخ عظيم قدر رسول الله صلى الله عليه وسلم وجلال منزلته عند ربه.

فقد أثنى الله على النبى المجتبى، وملائكته يثنون، وأمر المؤمنين بالثناء عليه ؛ ليجتمع للنبى صلى الله عليه وسلم الثناء كله، يقول عز وجل:{ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا }[١].

وورد عن البخارى قوله : أنه لما نزلت هذه الآية، قيل يا رسول الله أما السلام عليك فقد عرفناه فكيف الصلاة؟ قال قولوا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد" [٢].

وفى أجواء تلك الآية - يقول الشيخ: إن الله اتجه إلى حبيبه ، من حيث لا خلا، ولا ملا، ولاوجهة ولاجهة، واتجهت الملائكة طوعاً لربهم ، ثم دعا الله المؤمنين من عباده أن يتجهوا إلى حبيبه صلى الله عليه وسلم حتى يلتقى الحادث بالقديم ، على مائدة الوئام. ويلبى المؤمنون السعداء أمر الله فيصلون، فقد خصهم الله بالأمر، حتى أن كل مَنْ أراد أن يدخل فى حظيرة المؤمنين من عباده فليصلوا على حبيبه صلى الله عليه وسلم.

كما تحمل صلاة المؤمن الإقرار بالعجز عن الوفاء بحقه صلى الله عليه وسلم؛ إذ يفوض أمره إلى الله ليتولى الصلاة على نبيه بقولهم (اللهم صل)، فلا يعرف قدره غير ربه.

وتتمثل حكمة الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم فى تشريف الملائكة، والمؤمنين بالصلاة عليه من جهة، ومن جهة أخرى فهى وسيلة تعبير عن الابتهال إلى الله فى طلب مكافأته صلى الله عليه وسلم لبعض حقوقه عليهم، فقد حق على كل من وصل له نعمة من النبى أن يكافئه

---

[١]) الأحزاب : ٥٦ .

[٢]) ورد هذا القول فى معرض تفسير ابن كثير للآية .

بالصلاة عليه، لذا، جاءت الآية الكريمة بصيغة المضارع لتدل على دوام واستمرار الصلاة عليه من ربه، ومن الملائكة.

كما خص الله الصلاة والتسليم على نبيه بقبولها ولو من مُرائى؛ إكراماً لحبيبه، وماعداها من العبادات والطاعات فمآلها إما القبول بفضله، أو الرد بعدله ـ إذا لم تكن خالصة لوجه الله ـ ولايرد الله دعاء بين صلاتين على نبيه صلى الله عليه وسلم؛ زيادة فى شرفه، وبياناً لقدره عند ربه، وتعظيماً لشأنه صلى الله عليه وسلم .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أَوْلَى النَّاسِ بِى يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَكْثَرُهُمْ عَلَىَّ صَلاَةً »[1]، وقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم : " مَنْ صَلَّى عَلَىَّ صَلاَةً وَاحِدَةً صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ عَشْرَ صَلَوَاتٍ وَحُطَّتْ عَنْهُ عَشْرُ خَطِيئَاتٍ وَرُفِعَتْ لَهُ عَشْرُ دَرَجَاتٍ "[2].

وعلى هذا، تُعَد الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم أفضل الطاعات قاطبة ، وعَنِ الطُّفَيْلِ بْنِ أُبَىِّ بْنِ كَعْبٍ عَنْ أَبِيهِ قَالَ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم إِذَا ذَهَبَ ثُلُثَا اللَّيْلِ قَامَ فَقَالَ « يَا أَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا اللَّهَ اذْكُرُوا اللَّهَ جَاءَتِ الرَّاجِفَةُ تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ جَاءَ الْمَوْتُ بِمَا فِيهِ جَاءَ الْمَوْتُ بِمَا فِيهِ ». قَالَ أُبَىٌّ قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّى أُكْثِرُ الصَّلاَةَ عَلَيْكَ فَكَمْ أَجْعَلُ لَكَ مِنْ صَلاَتِى فَقَالَ « مَا شِئْتَ ». قَالَ قُلْتُ الرُّبُعَ. قَالَ « مَا شِئْتَ فَإِنْ زِدْتَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ » قُلْتُ النِّصْفَ قَالَ «مَا شِئْتَ فَإِنْ زِدْتَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ» قَالَ قُلْتُ فَالثُّلُثَيْنِ قَالَ « مَا شِئْتَ فَإِنْ زِدْتَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ». قُلْتُ أَجْعَلُ لَكَ صَلاَتِى كُلَّهَا. قَالَ « إِذًا تُكْفَى هَمَّكَ وَيُغْفَرُ لَكَ ذَنْبُكَ »[3].

لذا، حرص الشيخ على افتتاح مجالسه، وختمه بالصلاة والسلام على النبى؛ تقرباً لحضرته صلى الله عليه وسلم، وعكف على إنشاء الكثير من صيغ الصلوات.

وعلى غرار أماليه وقصائده، حرص الشيخ أن يضمن صلواته فرائد عقيدته، فحوت هذه الصلوات علوماً غزيرة، ومعارف جليلة.

---

[1]) سنن الترمذى ، الصلاة ، حديث رقم ٤٨٦ ، نقلاً عن : موسوعة الحديث الشريف ، مرجع سابق .

[2]) سنن النسائى ، السهو ،حديث رقم ١٣٠٥ ، نقلاً عن : موسوعة الحديث الشريف ، مرجع سابق .

[3]) سنن الترمذى ، صفة القيامة ، حديث رقم ٢٦٤٥ ، نقلاً عن : موسوعة الحديث الشريف ، مرجع سابق .

والمتتبع لصيغ الصلوات التى أنشاها الشيخ يته فيها، ولايكاد يحصيها ، فقد كانت الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم دين الشيخ، وديدنه، يترنم بترديدها فى كل أوقاته ، ويطرب لسماعها فهى ميقاته، وسوف نقتطف بعض من صيغ صلواته، التى تفرد الشيخ بإنشائها ويسر الله لىَّ جمعها، وذلك على سبيل المثال لا الحصر.

تُعَد مجموعة الصلوات المسماة (الصلوات الكنزية من نور خير البرية)[1] من أشهر الصلوات التى صاغها الشيخ، ويطيب لى التقديم بصيغتين فقط، الأولى وقافيتها الهمزة، والأخيرة وقافيتها حرف الياء، وعلى النحو التالى:

(حرف الهمزة)

"اللهم صل على سيدنا محمد الفاتح لغيب العماء، ومصدر التجليات ومقسم العطاء، إمام دولة المرسلين والأنبياء، والعارفين والأولياء، منْ رأى الله فى ليلة الإسراء، ونالت به أمته للإصطفاء، منْ سما الجود لحضرته بانتماء، فلولاه ما كان الارتقاء، صلى اللهم عليه وسلم ما دامت الأرض والسماء، وعلى آله الشرفاء، وأصحابه النجباء، وسلم تسليماً كثيرا".

(حرف الياء)

"اللهم صل على سيدنا محمد صاحب الجمال الكلى، شيخ كل رسول وأستاذ كل نبى، وسِر كل عارف وولى، ومُعطى كل عالم وتقى، وسلم تسليماً كثيرا".

كما أنشأ الشيخ مجموعة أخرى من صيغ الصلوات بعنوان: (ذخائر الصلوات من كنز سيد السادات)[2]، جاء فيها: "اللهم صل وسلم على يتيمة العقد الأنفس، الذى أظهرته من بحر جمالك الأقدس، فكان للشهود شهودا، الذى كملت عنه الرسالات، وفجرت به بحار النبوات، وعينت به منابر الولايات، الذى أبطنته بمكنون غيبك، وأظهرته فى كل مرائى حسنك، محمد العدل وأحمد الفصل وعلى آله وصحبه وسلم".

" اللهم صل على سيدنا محمد غيبوبة غيبك المصون، منْ حجبت به ذاتك، فهو سرك الجامع، الذى بدا فى الظهور والبطون، وعلى خليفة هذا

---

[1]) كتيب الصلوات الكنزية لمولانا العارف بالله تعالى الحاج أحمد أبو الحسن مطبوع ومتاح فى الأسواق ، وبين يدى كثير من أحباب الشيخ .

[2]) مولانا العارف بالله الشيخ أحمد أبو الحسن ، ذخائر الصلوات من كنز سيد السادات ، مطبوعة ، ومخطوطة بخط اليد ، ولم تنشر .

الزمان، الذى هو فى عالم الإنسان، اللهم اجمعنا به، وعرفنا إياه عن طريق الاتباع لا للرفعة، والارتفاع، وعلى آله وصحبه وسلم".

" اللهم صل على سيدنا محمد الذى فتحت به عماء الغيب، وارتضيته لذاتك حبيبا، ولقربك قريبا ولخلقك طبيبا، الذى فصلت به القدر، وهديت به البشر، وقلبت نوره في الساجدين، وثبت به اليقين وعلى آله فى كل لمحة ونفس عدد ماوسعه علم الله يا الله".

ومن جميل الصيغ التى أنشأها الشيخ مجموع الصلوات المسماة ب (الصلوات الرائية)[1]، وقد صُبَّت فى جمل وجيزة، وعبارات رقيقة، وقافيتها حرف " الراء"، وعددها ثنتا وخمسون صيغة، وقد جاء فيها:

" اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله مجلى اسمك البار ".

"اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله ابن معد، وابن نذار ".

" اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله ما أشرق نوره، وجعل الكون فى انبهار ".

" اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله ما قال، أو عمل، أو أشار ".

" اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله منْ أُوتىَّ البيان فى الجُمل القِصار".

" اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وعلى أسَدِه الكرار ".

" اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله مفتاح باب اليسار ".

" اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله والطُف بنا فى الأقدار ".

" اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله واحفظنا به فى هذه الدار، وتلك الدار".

---

[1]) مولانا العارف الله الشيخ أحمد أبو الحسن ، الصلوات الرائية مخطوطة بخط اليد ، وطبعت نسخ منها مضافة إلى كتيب الصلوات الكنزية سالفة الذكر .

" اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله واجعل يارب دعوته فى انتشار".

كما صاغ الشيخ صلاة طويلة، ضمنها مسميات وافتتاحات سور القرآنِ الكريم الأربع عشرة سورة، وعَنْ زُرَارَةَ عَنْ سَعْدِ بْنِ هِشَامٍ قَالَ سَأَلْتُ عَائِشَةَ فَقُلْتُ أَخْبِرِينِى عَنْ خُلُقِ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فَقَالَتْ كَانَ خُلُقُهُ الْقُرْآنُ"[1]. فالقرآن بما شمله وضمه من فضائل ومحاسن وخلق كريم، رشاش خُلُقه العظيم ، بوصفه صلى الله عليه وسلم الحقيقة الواقعة، ونزل القرآن ببيان هذه الحقيقة وإعلانها.

وقد أودع الشيخ فى هذه الصيغة من الصلوات كثيراً من فرائد عقيدته، وحلق فى أجواء الآيات القرآنية، يقول الشيخ[2]: "اللهم صل على البسملة التى برزت من كنز الإرادة بمضمون المشيئة فهلَّت، والكتاب فى الغمض ساكناً فى جواره مسطور به الإيجاد وما حوى قانوناً ونصاً، والبسملة فعالة بالإيجاد، فهى الغريبة القديمة اللاوليدة، وهى بدء{فاتحة}الإيجاد السبعية، الرابطة بين الحادث والقديم. {ألم}التى تفرعت منها الكلمات التامة بمسطورها وكمها، الذى هو {آل عمران} إحدى كلماته انبثقت منه الرسالات بمكنون علمها، وعرف به حق {النساء} ومالهن، وهو {المائدة} التى تمنت وتهنت كل أمة طلعتها وهى فى عليائها، وأعطت حقوق الأشياء وأوصت بالرفق فى {الأنعام} والمخلوقات، فهى " ألمص" صدرك الذى به جم أمرك، ومنه على {الأعراف} التى وضَّحت حق حقوق {الأنفال} لها، وللحق {براءة} بجم المتاب، وهى {ألر} رباط فى ظلمات زوايا نونها، وهى {ألر} الكتاب الذى أحكمت آياته ثم فصلت من لدنك حكيم خبير، وهى {ألر} عربياً تلك آيات رباط غيابات كيد تمكين، وهو {ألمر} تلك آيات يدبر الأمر يفصل الآيات، وهو {ألر} كتاب أنزلناه إليك كلمات صحاف برداً وسلاماً جم الخطاب، وهو {ألر} تلك آيات الكتاب كلمات وقرآن مبين قضاء فصل أتى، وهو الأمر الذى {أتى أمر الله} تمَّ، وهو {الإسراء} السرية السابحة بجم الأسرار والمسارَرة، وهو محيط الحمد الذى أنزل على عبده الكتاب {كهف}

---

[1]) مسند أحمد ، حديث السيدة عائشة رضى الله عنها ، حديث رقم ٢٦٠٤٤ ، نقلاً عن : موسوعة الحديث الشريف ، مرجع سابق .

[2]) هذه الصيغة مخطوطة بخط اليد ، وطبعت نسخ منها فى أيدى بعض أحباب الشيخ ، ولم تنشر بعد .

مكنون الأمر، وهو حضرة {كهيعص} والذكر رحمة ربك عبده اليم الذى سرى ومرَّ فكوَّن الكلمة العاسة، التى نالت الجملة الخاصة من حضرة {طه} الماء المنزل عليك القرآن بالكلية، التى اقترب منها {الأنبياء} والمرسلون، فكان منها الأذان، وأذن ب {الحج }، الداعى إلى المؤمنين خطاباً قد أفلح {المؤمنون}، فقذف فيهم {النور} بالأحكام ، سورة أنزلناها، وهو {الفرقان} الفارق بتبارك التنزيل قول الفاصل، "طسم تلك آيات الكتاب المبين"، والذى ردع {الشعراء}، وهى حضرة {طس تلك آيات القرآن وكتاب مبين}، التى سارت كلمة من جمها، من بائها دوحة فعالة فى العوالم بمنطق معاجم الموجودات، وهى "طسم" جم المؤانسة والمسامرة بأعلى {القصص}، الذى هو فيك ومنك ولك من حضرة " ألم " غارك وبكرك، ثانى اثنين مَنْ عليه سدل {العنكبوت} المعرف بالحد والفرق، " ألم " غُلِبَتِ {الروم} بشائر ارهاصات انفعالات البسملة، {ألم * تلك آيات الكتاب الحكيم * هدى ورحمة للمحسنين }حكمة أوتيت منك، وعرفت بها حق السجود {ألم} وصدع وردع أمرك، وهدم {الأحزاب} وصار فى غمض النبأ، وفصل وعزل آل {سبأ}، وكله فى قانون الكتاب أمر مسطور فى مكانه والبسملة فعالة وهى التى {فطرت} عليها السموات والأرض، المتوسطة القلب{يسن}والقرآن الحكيم، جمع لامنفك، وهما {الصافات} صفا، حضرة {ص} و القرآن ذى الذكر، و{الزمر} حضرة "حم " جمعُ الأمر العميم، الذى احتوت به البسملة حضرة {غافر}، " حم " {فُصِّلَتْ} تنزيل من الرحمن الرحيم ، حضرة " حم عسق" جمع {شورى} الصراط المستقيم، وهو " حم والكتاب المبين" الآمر الصدق لا {زخرف} القول، وهو حضرة " حم" والكتاب المبين، الذى سطع بشعاعه على السماء بعد أن كانت {دُخَانا} فثبتت، وهو حضرة " حم " القانون الحقيقى الذى ثبت به كل أمر حقيقى و {جثا} واجتث كل لاحقيقى، وهو حضرة " حم " تنزيل الكتاب من الله العزيز، قصص{الأحقاف}، وهو الكتاب الذى أصله {محمد} وهو الحق من ربهم المشار{إنا فتحنا لك فتحاً مبينا}، الذى طوُلِبوا بأداء حقوقه وحقه يأأيها الذين آمنوا لاتقدموا بين يدى الله ورسوله بنص {الحجرات}، حضرة{ق} والقرآن المجيد، "ق" صدق، وهو {الذاريات} حضرة{الطور} وكتاب مسطور فى رَقٍ منشور، والبيت المعمور، والسقف المرفوع، والبحر

المسجور، ها هو من آياته، و{النجم} المعصوم صم العصمة، الذى شق { القمر }،وهو ذات {الرحمن}، الذى من أقواله صدق {الواقعة} والتحدث بها ودلائلها، السابح فى سبحات الله { سبَّحَ لله }، المدلل من حضرته ل {قد سمع الله}، السابح الحجاب الذى أمن {الحشر} بقوله الفاصل الفصل، الذى وضح أمر{الممتحنة} قلوبهم بأنوارهم، السابح {الصف } الذى يسبح فى أمر إيجاده ما فى السموات وما فى الأرض، {الجمعة} الجامعة الحاصية التى جمعت أهلها، وأظهرت {المنافقين}، وأهل {التغابن}، وبين فى قانونه بدائع مواريث، وبَيَّنَ التحليل {الطلاق}، و{التحريم}، وبارك من شجرته من تبارك، والذى تبارك منه صار بيده {الملك}، حضرة " ن " اللاوليدة وأخيه {القلم}، الذى جمعهما {الحآقة} فى ذرى {المعارج}، والأعين التى حفظت {نوح}، وبثقت رسالاتها للإنس، و{الجن}، حضرة {المزمل} الذى أقام فى صدره ليلة أمره كله، {المُدّثِر} المُدَثَّر، المخاطب خطاب قريب لقريب ، الحل المرتحل الذى {أقسم} بتراب قدميه، الذى صنوانه فى{هل أتى} بنوه، الذين عبقت منهم{المرسلات}، فهم {عَمَّ}، { والنازعات} غرقا لمن رام فى غيرهم، أو {عبس} أو تولى، { تكوير} الشمس إذا كورت قضاء فصلاً ، و{إذا السماء انفطرت} جمعا جزاء، فيومئذ ويل لل {المطففين }، لأنه يوم {الانشقاق}، يوم تسئل عن السماء ذات {البروج}، وعن حقها التى أخبر عنها كل {طارق} أو سبح اسم ربك { الأعلى }، فهم يومئذ فى أمان من{الغاشية}، لأنهم كانوا فى ضم {الفجر} والليالى العشر، فكانوا فى ضم { البلد } التى أقسم بها، وكانوا فى حفظ و{الشمس} وضحاها، وفى كنف { الليل } إذا يغشى، فتأمَّنوا فى الليل، واستقروا فى {الضحى} والليل ،ف {شرح } الله صدورهم، لأنهم آمنوا بالآ{ تين } الزيتونيين الذاتيين ، الذين جمعهم فيه، نزلت من سمائها إلى بطن بائها {أقرأ باسم} ، {إنا أنزلناه } ب {البيِّنَة}الواضحة، ف{تزلزلت} الأرض إجلالاً، وصهلت {العاديات} بوصول {القارعة} تذكرة خوفاً من الاعجاب و {التكاثر}، إياكم و{العصر}إن الإنسان لفى خسر، بمعنى {الهُـمَزَة } اللمزة، فأرهص بدلائل شعاع الباء هلك {الفيل}، وألفت { قريش }، ومنع {الماعون}، ووعد المتقين {بالكوثر}، ووعد {الكافرون }، ف { إذا جاء نصر الله }، ف {تَبَّتْ} أيديهم مالم يقولوا { قل هو الله}، قالوا، واستعاذوا برب{ الفلق }، الذى برأ

{الناس}، وهى جمع المائة وأربعة عشر، التى فردت منها المائة ألف وأربع وعشرون، ومنها الأربعة بحار، التى تفردت منها كل البحار، والايجاد من بكرها، ساكنة فى غمض الإرادة، فكان من مطلعها الإيجاد فى الحِوالة، التى ماحَلَّت فى منْ ارتضت إلا تبارك بيده الملك، وحلولها كمٌّ لا كُل، مس خطب يد عهد، جمَّ قول منها عنه، وهى ساكنة فى الغمض، جوار فى غور الأغوار، لوامع بروق خواطف من أنفاس نفسها، الفعال ظلها، الممدود اللاوليد، والتقلب تقلب أشعة. صل الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيرا ".

وفى ذات الصدد ، يقول الشيخ فى صيغة أخرى:

"اللهم صل على قرآن الحقائق المبجل، وفرقان الدقائق المسجل، المودع فيه أمره بلا صوت، ولاحرف من أزل الآزال، فى أعلى القلل، من حيث لا آدم، ولا السبت ثبت، الناظر من تلقائه، ومن تلقائه السبت ثبت، فهو الفارق، الغارق فيه، ومنه تمم المتمم، وخصص وعمم، فأرخى ستوره، فهو حقاً مبهم، فهو أحمد الواحد، الرسول المرْسَى، ساحل الذات الصامد، المتحرك الثابت المحرك ،عروس المملكة، مملكة الإيجاد، المفتقر إليه ما سواه، ملتقى الذات، ومن ارتضت، وصل اللهم عليه من بدئه إلى حيث علمك، وعلى آله وصحبه مثل ذلك ".

وصلاة أخرى يقول فيها:

" اللهم صل وسلم على الكتاب أصلاً، الذى به حكماً وفصلاً، وعنه ومنه وبعداً ووصلاً، فهو لأهل المشاهدة بيان، ولأهل العلم قرآن، وفى أعين الخلق إنسان، الساكن فى الكنز غمض، لازمان، ولامكان، وعلى آله وصحبه وسلم ".

كما أنشأ الشيخ رضى الله عنه العديد من الصيغ الفريدة المتفردة، وقد وفقنى الله لجمع بعضها ، فهيا أُخى نشم طيب شذاها، يقول الشيخ[1] : "اللهم صل على سيدنا محمد الدانى المتدلى، الذى من كمال حُسنك متمَّلى، وقد حاز من حضرتك كمال جمال التجلى، وعلى آله وصحبه وسلم".

"اللهم صل على السيدة فاطمة ، التى فى حجاب الغيب قاطنة" .

[1]) قيلت هذه الصيغة من الصلاة بتاريخ ١٨من جمادى الأولى سنة١٤١٢هـ، الموافق ١٩٩١/١١/٢٥م ، وهى مخطوطة وغير منشورة .

"اللهم صل على سيدنا محمد صلاة تطاوعنى فيها ذرات الوجود، وتصلى بألسنتها على سيد الوجود، وعلى آله وصحبه وسلم".

"اللهم صل على سيدنا محمد سيد العرب صلاة تُقضى بها كل الإرب ، وعلى آله وصحبه وسلم ".

"اللهم صل وسلم على الجملة الكاملة، التى من تلقائها محتويات الأمر شاملة، وهى الفعالة العاملة ، التى من إيجادها، وهى ساكنة فى آحادها، ظلها ممدود، أقام الله منه كل الوجود، وعلى آله وصحبه وسلم".

" اللهم صل وسلم على البرهان القاطع، والنور الساطع، الذى يعلم عن ربه كل شيئ، وتتعلم منه الأشياء ما شاء، فلا يحيط به إلا ما قدره له، وعلى آله وصحبه وسلم ".

"اللهم صل وسلم على المدلل فى وحدة لاسواه، المبيت الذى ما احتجب عن مولاه، الذى قلبه عرش مجلاه، وعلى آله وصحبه وسلم".

"اللهم صل على سيدنا محمد النبى الأمى، العربى المكى، القرشى الهاشمى، وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيرا"[1].

ونختم بالصلوات على سيد السادات الحديث عن علوم الشيخ ومعارفه، ونفرغ الآن إلى حلقة أخرى من حلقات سيرته، نستشرف من خلالها دوره الاجتماعى، وموقفه المناوئ لبعض الفرق، وذلك من خلال الباب التالى.

---

[1]) نقل لىَّ هذه الصيغة الأخ / أحمد حسن الشريف ، من أحباب الشيخ وكان يقود سيارة الشيخ ، حيث أخبرنى بمناسبة صياغتها قائلاً : أن الشيخ فى أحد الأيام بعد أن عاد من سفر بالسيارة دخل الساحة ، ولم يوجد بها سواهما وأحد الإخوة الآخرين ، فبينما كان الشيخ جالساً على أريكة بالساحة نهض واقفاً ومد عصاه ذات الشعبتين حتى بلغ نهاها أمامه ، ثم رسم بها خطاً على أرض الساحة حتى وصل به أدنى قدميه الشريفتين ، ثم عاد بهذا الخط من نهايته إلى بدايته ، ثم قال : هل أدلكم على صيغة صلاة على النبى لها باب مفتوح دوماً على الحجرة النبوية ، وأنشأ صيغة الصلوات آنفة الذكر .

الباب الخامس

دوره الاجتماعي، وموقفه المناوئ لبعض الفرق

يُعَد التصوف ظاهرة إنسانية عامة، وفطرة بشرية موجودة فى كل العصور، وجميع المجتمعات، وتتأثر بطريقة أوبأخرى بهذه المجتمعات، وتتفاعل معها. كما يمثل التصوف طريقاً من طرق الإصلاح الاجتماعى، فالتصوف مبنى على محاسن الأخلاق، ويدعو إلى التسامح فى المعاملة بين الناس، والعفو، والصفو، والحب فى الله تعالى، حتى قيل: " التصوف خلق فمن زاد عليك فى الخلق فقد زاد عليك فى الصفاء"[١].

ولعب أشياخ التصوف دوراً بارزاً فى التفاعل مع مجريات مجتمعاتهم، وتعايشوا بالتسامح مع جميع طبقات شعوبهم، ولوحظ أن المشاكل والجرائم تقل فى المجتمعات التى يكثر بها شيوخ التصوف. هذا من جهة، ومن جهة أخرى أطلق التصوف صيحته المدوية فى مقاومة الفساد الاجتماعى، فالعبد المؤمن سيفاً فى يد القدرة، تقذف به على الباطل فيدمغه، ويدعو أحدهم[٢]: " واقذف بى على الباطل بأنواعه، فى جميع بقاعه، فأدمغه بالحق، على الوجه الأحق ".

وقد شعر المستعمر بعظم خطر الصوفية فى الكفاح ضده، مما حدا بأحدهم للقول: "إن خصمنا هو الشيخ أو الدرويش صاحب النفوذ فى أفريقيا أكثر مما هو فى فارس"[٣].

فإذا طالعنا موكب المجاهدين نجد الأمير عبد القادر الجزائرى، الذى رفع راية الجهاد ضد الفرنسيين، وسيدى أبا الحسن الشاذلى، الذى جاء مصر وشارك فى معركة المنصورة ضد الفرنسيين، والشهيد عمر المختار،

---

[١]) تعريف الكتانى ، نقلاً عن : موسوعة التصوف الإسلامى ، مرجع سابق ، ص٢٠ .

[٢]) قول سيدى أبى المواهب الشاذلى ، نقلاً عن : حسن الشافعى ، مقال بعنوان (دور التصوف فى الجهاد) ، موسوعة التصوف الإسلامى ، ص ٣٩٠ .

[٣]) الندوى أبو الحسن : ربانية لارهبانية ، دار الشروق بمصر ط٢ بدون تاريخ ص١١٨ .

الذى قاوم الاستعمار الإيطالى، ولم تسنه أعباء القتال عن دوره الأصيل فى الارتقاء بالإنسان المسلم ثقافياً، وحضارياً مع تلبية أشواقه الروحية[1].

وحديثاً، قام الإمام عبد الحليم محمود شيخ الأزهر مع كوكبة من علماء الأزهرالشريف ذوى النزعة الصوفية بالحشد المعنوى والروحى لمعركة العاشر من رمضان المجيدة[2].

ويستعرض هذا الباب دور الشيخ الاجتماعى، ومواقفه من بعض الفرق الضالة، فى فصلين.

الفصل الأول

دور الشيخ الاجتماعى

انطلق الدور الاجتماعى للأشياخ من منطلق عقائدى، فقد عايش رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه وسائر الناس، وتبعه فى ذلك السلف الصالح، فكانوا يشيعون الجنائز، ويشهدون الولائم، ويشهدون الأسواق، ويتاجرون فيها[3]، ويروى عن عبد الرحمن بن أبى عوف الجرشى قال: قال الله تعالى: يا داود، مالى أراك خالياً؟ قال: هجرت الناس فيك يارب العالمين. قال: أفلا أدلك على ما تستبى به وجوه الناس، وتبلغ فيه رضاى؟ قال: نعم، يارب. قال: خالق الناس بأخلاقهم، واحتجن الإيمان فيما بينى وبينك فهذا التعيش[4].

وقيل: إذا أثنى على الرجل جيرانه فى الحضر، وأصحابه فى السفر، ومعاملوه فى الأسواق فلا تشكو فى صلاحه، وشهد شاهد عند أمير المؤمنين عمر بن الخطاب (رضى الله عنه) فقال له: ائتنى بمن يعرفك ، فأتاه برجل فأثنى عليه خيرا ، فقال له عمر: أنت جاره الأدنى الذى يعرف مدخله ومخرجه؟، قال لا، فقال: كنت رفيقه فى السفر الذى يستدل به على مكارم

---

[1]) عبد الله عبد الرازق إبراهيم ، أضواء على الطرق الصوفية فى القارة الأفريقية ، مكتبة مدبولى بالقاهرة ، ١٩٩٠ ، ص٧٦ ومابعدها ، نقلاًعن : حسن الشافعى ، مرجع سابق ص ٣٩٣ .

[2]) راجع فى تفصيل دور الصوفيين السياسى على مر التاريخ : حسن الشافعى ، مقال بعنوان (دور التصوف فى الجهاد) ، موسوعة التصوف الإسلامى ، مرجع سابق، ص ٣٨٨ ـ٣٩٧ .

[3]) مقال هيئة التحرير بعنوان (التعايش) ، الموسوعة الإسلامية العامة ، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ، القاهرة ، ٢٠٠١م ، ص ٣٩٣ ، ٣٩٤ .

[4]) مقال هيئة التحرير بعنوان (التعايش) ، الموسوعة الإسلامية العامة ، مرجع سابق ، ص ٣٩٣ .

الأخلاق، فقال لا، قال: فعاملته بالدينار والدرهم الذى يستبين به ورع الرجل، قال لا، قال: أظنك رأيته قائما فى المسجد يهمهم بالقرآن يخفض رأسه طورا ويرفعه أخرى، قال نعم فقال: اذهب فلست تعرفه، وقال للرجل: اذهب فائتنى بمن يعرفك. وأنشد أحدهم[1]:

لايغرنك من المرء* قميص رَقَعَه*** أو إزار فوق كعب الساق منه رَفَعَه

أو جبين لاح فيه * أثر قد قَلَعَه ***ولدى الدرهم فانظر غِيّه أو وَرَعَه

وقد نهجَ الشيخ نهجْ السلف الصالح فى التعايش مع الخلق، وتجلى دوره الاجتماعى فى مخالطته الخلق حال سعيه فى كسب الرزق، وفى قضاء حوائج الخلق والإصلاح بينهم، وإقامة الموالد والاحتفالات الدينية ومهرجانات سباق الخيل؛ لذا، يقسم هذا الفصل إلى بحثين: أولهما ـ التعايش لكسب الرزق، والثانى ـ قضاء الحوائج والإصلاح بين الناس، وإقامة الموالد، ومهرجانات سباق الخيل، وذلك على الوجه التالى:

المبحث الأول

التعايش لكسب الرزق

عايش الشيخ أهل زمانه، وزاحمهم فى أسباب الرزق، وعمل عمل الأبطال، فى الكسب من الحلال، والنفقة على العيال[2].

وجدير بالذكر أن الشيخ ممن أجيز لهم فى ترك التكسب بكفالة أهل الله؛ ليتفرغ للدعوة إلى الله، فإذا أوقف الحق عبده فى مقام الداعى إلى الله يزيل عن باطنه الاهتمام بأقسام الرزق، ولا يرى الدخول فى التسبب والتكسب، ويصير مسلوب الاختيار متطلعاً إلى فعل الله تعالى، فتساق إليه الأرزاق،

[1]) أبو حامد الغزالى ، إحياء علوم الدين ، الجزء الثانى ، ص٨٤ .

[2]) قول إبراهيم ابن أدهم رضى الله عنه ، نقلاً عن :أبى نصر عبد الله بن على السراج الطوسى ،{اللُّمَّعُ }فى تاريخ التصوف الإسلامى ، مرجع سابق ، ص٢٠٥.

ويفتح عليه باب الإنعام، ويتجلى الله عليه بطريق الأفعال، فيحدث صفو الرضا والتسليم[1].

بيد أن الشيخ ـ رغم ذلك ـ حرص على المجاهدة في السعى لكسب الرزق، ومخالطة الخلق؛ درءاً لشبهات المنكرين لفضل الله، أو قولهم: أنـــّى له هذا ؟

آثر الشيخ سلوك الطريق الصعب؛ ستراً لفضل الله عليه، وآمن بأن التصوف عمل، وسلوك قبل أن يكون أوراداً، وخلوة، ومن أراد أن يسلك طريق التصوف فسوف يتجشم الكثير والكثير، ويركب الصعب العسير، فالتصوف: " عنوة لاصلح فيها "[2].

وإتيان العبد الخيار بين الخروج عن كسب الرزق وبين أخذه بعد تحققه بصحة التصرف ـ أتمَّ وأكمل من ترك الكسب بالكلية، فيتعامل العبد مع الخلق من منظور معرفته بمراد الحق، وهو معنى قولهم: "لمَّا صح تَعَرُّفِه صح تصرفه"[3]، فيكون سمعه بالله، وبصره بالله وبطشه بالله، ومشيه بالله، وجاء فى الحديث الشريف، عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: " إِنَّ اللَّهَ قَالَ مَنْ عَادَى لِى وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ ، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَىَّ عَبْدِى بِشَىْءٍ أَحَبَّ إِلَىَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِى يَتَقَرَّبُ إِلَىَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِى يَسْمَعُ بِهِ ، وَبَصَرَهُ الَّذِى يُبْصِرُ بِهِ ، وَيَدَهُ الَّتِى يَبْطُشُ بِهَا ، وَرِجْلَهُ الَّتِى يَمْشِى بِهَا ، وَإِنْ سَأَلَنِى لأُعْطِيَنَّهُ ، وَلَئِنِ اسْتَعَاذَنِى لأُعِيذَنَّهُ ، وَمَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَىْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ تَرَدُّدِى عَنْ نَفْسِ الْمُؤْمِنِ ، يَكْرَهُ الْمَوْتَ وَأَنَا أَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ"[4].

وحث النبى صلى الله عليه وسلم على طلب الرزق، فقال:" من الذنوب ذنوب لايكفرها إلا الهم فى طلب المعيشة"، كما قال: " من طلب الدنيا حلالا وتعففا عن المسئلة وسعياً على عياله وتعطفا على جاره لقى الله ووجهه

---

[1]) السهروردى ، عوارف المعارف ، هامش الجزء الثانى من كتاب إحياء علوم الدين للإمام الغزالى ، مرجع سابق ، ص ١٧٤ ، ١٧٥ .

[2]) نقلاً عن : عبد الفتاح أحمد الفاوى، مقال بعنوان (الخشية) ، موسوعة التصوف الإسلامى ، مرجع سابق ، ص ٣٢٤ .

[3]) السهروردى ، عوارف العارف ، بهامش الجزء الثانى من كتاب إحياء علوم الدين للإمام الغزالى ، مرجع سابق ، هامش ص ١٨١ .

[4]) صحيح البخارى ، الرقاق ، حديث رقم ٦٥٠٢ ،

كالقمر ليلة البدر"، وقال صلى الله عليه وسلم: "إن الله يحب العبد يتخذ المهنة ليستغنى بها عن الناس ويبغض العبد يتعلم العلم يتخذه مهنة "[١].

ولا مشاحة فى أن إيثار الشيخ مخالطة الخلق مع القيام بحقوق الخالق أشق من العزلة، وقيل[٢]: "أن القيام بحقوق الله مع المخالطة والمعاملة مجاهدة لايقوم بها إلا الصديقون".

وجهد الشيخ فى معيشته، وكسب رزقه، فباشر الرعى، والزراعة، وألحق بداره حظيرة لتربية الماشية، وبرع فى تجارة الجمال والماشية، واحترفها، كما أدار الشيخ مطحن للغلال، وأخيراً عكف الشيخ على استصلاح الأراضى الزراعية بقرية خريت فى الظهير الصحراوى شرق مدينة كوم أمبو محافظة أسوان.

وقد جمع الشيخ فى معيشته بين الكسب وبين التوكل، فأخذ بأسباب الرزق، وكدَّ فى طلب معاشه، مع دوام التوكل على الرزاق، وفى ذلك يقول أحدهم[٣]: "من طعن على الاكتساب فقد طعن على السنة، ومن طعن على التوكل فقد طعن على الإيمان".

ولما سئل آخر[٤]: أيها الشيخ، نحن مستعبدون بالكسب أم بالتوكل؟ فرد عليه: التوكل حال الرسول صلى الله عليه وسلم، والكسب سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وإنما استنَّ لهم الكسب لعلمه بضعفهم، حتى إذا سقطوا عن درجة التوكل التى هى حاله، لايسقطوا عن درجة طلب المعاش التى هى سنته ، ولولا ذلك لهلكوا " .

وعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم "أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا اللَّهَ وَأَجْمِلُوا فِى الطَّلَبِ فَإِنَّ نَفْسًا لَنْ تَمُوتَ حَتَّى تَسْتَوْفِىَ رِزْقَهَا وَإِنْ أَبْطَأَ عَنْهَا فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَجْمِلُوا فِى الطَّلَبِ خُذُوا مَا حَلَّ وَدَعُوا مَا حَرُمَ "[٥]، فقد أمر بالإجمال فى الطلب، ولم يأمر بتركه[٦].

---

[١]) هذه الأحاديث نقلاً عن مرجع : أبى حامد الغزالى ، إحياء علوم الدين ، الجزء الثانى ، ص٦٣ .
[٢]) أبو حامد الغزالى ، إحياء علوم الدين ، الجزء الثانى ، مرجع سابق ، ص ٧٧ .
[٣]) قول سهل بن عبد الله رحمه الله ، الطوسى ، اللمع ، مرجع سابق ، ص ٢٠٤ .
[٤]) قول ابن سالم ، الطوسى ، اللمع ، مرجع سابق ، ص ٢٠٤ .
[٥]) سنن ابن ماجه ، التجارات ، حديث رقم ٢٢٢٧ ، نقلاً عن : موسوعة الحديث الشريف ، مرجع سابق .
[٦]) أبو حامد الغزالى ، إحياء علوم الدين ، الجزء الثانى ، مرجع سابق ، ص٦٤ .

وكان قصد الشيخ فى كسبه فضلاً عن سد حاجة عياله ـ مساعدة فقراء المسلمين، والإنفاق على الدعوة إلى الله ، لايبالى فى ذلك الفقر أو الفاقه، ويقول: "ما كان فى الله تلفه فعلى الله خلفه".

دخل الشيخ الأسواق ابتغاء فضل الله، يستهلها بذكر الله واستغفاره، وعن مُحَمَّد بْنِ وَاسِعٍ قَالَ قَدِمْتُ مَكَّةَ فَلَقِيَنِى أَخِى سَالِمُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ فَحَدَّثَنِى عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلمقَالَ : " مَنْ دَخَلَ السُّوقَ فَقَالَ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ يُحْيِى وَيُمِيتُ وَهُوَ حَىٌّ لاَ يَمُوتُ بِيَدِهِ الْخَيْرُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ كَتَبَ اللَّهُ لَهُ أَلْفَ أَلْفِ حَسَنَةٍ وَمَحَا عَنْهُ أَلْفَ أَلْفِ سَيِّئَةٍ وَرَفَعَ لَهُ أَلْفَ أَلْفِ دَرَجَةٍ "[١].

وكان ابن عمر وسالم بن عبد الله ومحمد بن واسع وغيرهم يدخلون السوق قاصدين لنيل فضيلة هذا الذكر، وقال الحسن: "ذاكر الله فى السوق يجئ يوم القيامة له ضوء كضوء القمر، وبرهان كبرهان الشمس، ومن استغفر الله فى السوق غفر الله له بعدد أهلها ".

احترف الشيخ التجارة فى الأسواق، وكان من أمهر التجار، المشهود لهم بالغلبة والفطنة، وجاء فى الخبر" إن الله تعالى يحب المؤمن المحترف "[٢].

وقد أصاب الشيخ من تجارته فى الأسواق خيراً وفيراً، يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: " عليكم بالتجارة فإن فيها تسعة أعشار الرزق"[٣]، يقول الشيخ: " اضطررت لمعاملة التجار فى الأسواق لكسب الرزق، وزاحمتهم فيه فلم يقدرنى منهم أحدا".

وكان الشيخ مثالاً للتاجر الصدوق، وعَنْ أَبِى سَعِيدٍ عَنِ النَّبِىِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ:"التَّاجِرُ الصَّدُوقُ الأَمِينُ مَعَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ "[٤]، وكما كان ناصحاً أميناً للمسلمين، إذا باع يبصر الغافل بالعيوب الخفية فى السلعة، ثم يخيِّره فى القبول أو العدول، وفى ذلك يقول رسول الله صلى

---

[١]) سنن الترمذى ، الدعوات ، حديث رقم ٣٧٥٦ ، نقلاً عن: موسوعة الحديث الشريف ، مرجع سابق .
[٢]) نقلاً عن : أبى حامد الغزالى ، إحياء علوم الدين ، الجزء الثانى ، مرجع سابق، ص٨٦ .
[٣]) نقلاً عن : أبى حامد الغزالى ، إحياء علوم الدين ، الجزء الثانى ، مرجع سابق، ص٦٤ .
[٤]) سنن الترمذى ، البيوع ، حديث رقم ١٢٥٢ ، نقلاً عن : موسوعة الحديث الشريف ، مرجع سابق .

الله عليه وسلم:" لايحل لأحد يبيع بيعاً إلا أن يبين آفته ولا يحل لمن يعلم ذلك إلا تبيينه "[1].

وروى أن النبى صلى الله عليه وسلم لما بايع جريراً على الإسلام ذهب لينصرف فجذب ثوبه واشترط عليه النصح لكل مسلم، فكان جرير إذا قام إلى السلعة يبيعها بصَّر بعيوبها، ثم خيره، وقال: إن شئت فخذ، وإن شئت فاترك، فقيل له إنك إذا فعلت مثل هذا لم ينفذ لك بيع، فقال: إنا بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم على النصح لكل مسلم.

وكان وائلة بن الأسقع واقفاً فباع رجل ناقة له بثلثمائة درهم، فغفل وائلة وقد ذهب الرجل بالناقة، فسعى وراءه وجعل يصيح به ياهذا اشتريتها للحم أو للظهر؟ فقال بل للظهر، فقال: إن بخفها نقباً قد رأيته، وإنها لاتتابع السير، فعاد فردها فنقصها البائع مائة درهم، وقال لوائلة رحمك الله أفسدت على بيعتى، فقال إنا بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم على النصح لكل مسلم[2].

ويحكى أحد شركاء الشيخ فى التجارة، أنهما اشتريا بقرة بسعر زهيد لاعتقاد صاحبها أنها تحمل فى بطنها حملاً ميتاً، وعند عرضها فى السوق قدَّمَ أحد التجار ثمناً كبيراً لشرائها من الشيخ، إلا أنه قبل أن يبارك هذا البيع قام بتعريف المشترى بعيبها الخفى، فأقلع الأخير عن إتمام البيع، وهنا غضب الشريك من الشيخ لإضاعته ربحاً وفيراً، فقرر الشيخ فض الشركة، ورد إليه نصيبه، ودفع بالبقرة إلى حظيرته الخاصة، وترقب الشريك موعد ولادتها، ولما جاء وقت ولادتها فوجئ الشريك بأن حملها لم يكن ميتاً، بل جاءت بعجل وافر، فندم على فض شراكته مع الشيخ .

كما كان الشيخ سمحاً فى بيعه وفى شرائه، وعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ (رضى الله عنهما) أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ: " رَحِمَ اللَّهُ رَجُلاً سَمْحًا إِذَا بَاعَ ، وَإِذَا اشْتَرَى ، وَإِذَا اقْتَضَى "[3].

---

[1]) نقلاً عن : أبى حامد الغزالى ، إحياء علوم الدين ، الجزء الثانى ، مرجع سابق، ص٧٧ .
[2]) نقلاً عن : أبى حامد الغزالى ، إحياء علوم الدين ، الجزء الثانى ، مرجع سابق، ص٧٧ .
[3]) صحيح البخارى ، البيوع ، حديث رقم ٢٠٧٦ ، نقلاً عن موسوعة الحديث الشريف ، مرجع سابق .

وكان الشيخ ذا مروءة فى بيعه وفى شرائه، وإذا باع شئ إلى تاجر ثم ندم المشترى ـ بعد حين ـ أقاله الشيخ؛ رحمةً بأمة المصطفى صلى الله عليه وسلم، ويقول الشيخ : " منْ يَقِل الندمان إلا نحن " .

وكان الشيخ يستقصى فى تجارته، لا خِبٌ، والخب لايغبِنَه، وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم:" إِنَّ الْمُؤْمِنَ غِرٌّ كَرِيمٌ وَإِنَّ الْفَاجِرَ خَبٌّ لَئِيمٌ "[1].

ووصف البعض سيدنا عمر بن الخطاب (رضى الله عنه) بأنه: أكرم من أن يخِدع، وأعقل من أن يُخدَع، وكان الحسن والحسين (رضى الله عنهما)، وغيرهما من خيار السلف يستقصون فى الشراء ثم يهبون مع ذلك الجزيل من المال، فقيل لأحدهم: تستقصى فى شرائك على اليسير ثم تهب الكثير، ولاتبالى، فقال إن الواهب يعطى فضله وإن المغبون يغبن عقله، وقال بعضهم: "إنما أغبن عقلى وبصرى فلا أمكن الغابن منه، وإذا وهبت أعطى لله ولا أستكثر منه شيئا"[2].

وتمثل معايشة الشيخ الخلق لكسب رزقه، ومخالطة الناس فى الأسواق أحد مظاهر المشاركة الاجتماعية للشيخ، بوصفها إحدى ثمار العلم بصحيح الدين، فالعمل حال العلم وثمرته، وفى ذلك يقول الشيخ: " نعيش بديننا فى كل أحوالنا وحالاتنا ".

ولا يفوتنى فى الختام التنويه إلى أن كدَّ الشيخ فى كسب رزقه، ومخالطته الخلق فى زراعته، وتجارته فى الأسواق، وغيرهما، إنما هى فى حقيقتها أسبلة لستر فضل الله عليه، وغطاءً للبركة التى خص الله بها أولياءه وأحبابه، فافهم.

المبحث الثانى

قضاء الحوائج ، والإصلاح بين الناس، وإقامة الموالد والمهرجانات

أولاً ـ قضاء الحوائج ، والإصلاح بين الناس:

---

[1]) مسند أحمد ، مسند أبى هريرة ، حديث رقم ٩٣٥٦ ، نقلاً عن : موسوعة الحديث الشريف ، مرجع سابق .

[2]) أبو حامد الغزالى ، إحياء علوم الدين ، الجزء الثانى ، مرجع سابق، ص٨٢

يمثل قضاء الحوائج، والإصلاح بين الناس المظهر الثانى الذى يتجلى فيه دور الشيخ الاجتماعى، فقد واظب الشيخ فى بداياته على التردد إلى الحكام؛ سعياً فى قضاء حوائج المسلمين، وأقام بمنزل مجاور لمركز الشرطة، يستقبل فيه ذوى الحاجات، الذين يهرعون إليه طلباً لتدخله فى حل منازعاتهم لدى الحكام، فيسرع الشيخ لنجدتهم، وقضاء حوائجهم، وتفريج كروبهم.

أقام الشيخ علاقة حميمة مع الحكام، واغتنم كثرة تردداه إليهم؛ فى إبلاغهم بحاجات الخلق، وتوصيل صوت الحق، كما وجد من تردداه فرصة لأمر هؤلاء الحكام بالمعروف ونهيهم عن المنكر، مع الترفع والزهد عما فى أيديهم، وإظهار العزة حال مجالستهم، يقول تعالى : {وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ}[1].

وقد يقول قصير الادراك لو كان الشيخ ولياً ما تردد إلى الحكام، وهذا جور وبهتان، فإن كان القصد من الترداد على النحو المتقدم فلا حرج عليه، لأنه من عباد الله المحسنين، وقال تعالى:{مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ}[2].

يقول أحدهم[3]: جهل ولاة الأمور بقدر الشيخ أبى الحسن الشاذلى (رضى الله عنه) كثرة تردداه إليهم فى الشفاعات، ويجب أن تعلم أن هذا الأمر لايقوى عليه إلا عبد متخلق بخلق الله، قد بذل نفسه وأذلها فى مرضاة الله، وعلم وسيع رحمة الل ، فعامل بالرحمة عباد الله، ممتثلاً لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: " الرَّاحِمُونَ يَرْحَمُهُمُ الرَّحْمَنُ ارْحَمُوا أَهْلَ الأَرْضِ يَرْحَمْكُمْ مَنْ فِى السَّمَاءِ "[4].

وقد واصل الشيخ علاقته بالحكام فترة طويلة فى بداياته حتى اشتهر عندهم، فخصصوا له مجلساً في مكاتبهم، يطلبونه لفك المعضلات، وحل عويص المشكلات، فيقضى بين المتخاصمين بالحق، ويعاونه الحكام فى إنفاذ قضائه، وتقضى ببركته الحاجات، ويصلح ما بينهم من خصومات.

---

[1]) المنافقون : ٨ .
[2]) التوبة : ٩١ .
[3]) قول الإمام تقى الدين محمد بن على القشيرى رحمه الله ، نقلاً عن : ابن عطاء الله السكندرى ، لطائف المنن فى مناقب الشيخ أبى العباس المرسى وشيخه الشاذلى أبى الحسن ، مرجع سابق ، ص ٢٢٧.
[4]) سنن أبى داود ، الأدب ، حديث رقم ٤٩٤٣ ، نقلاً عن موسوعة الحديث الشريف ، مرجع سابق .

ورأيته يبذل الغالى والنفيس؛ سعياً لقضاء حوائج الخلق، وتفريج كُرُباتهم؛ وابتغاءً لمرضاة لله، ورجاءً لوعد رسوله الكريم صلى الله عليه وسلم، فى قوله: " الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ، لاَ يَظْلِمُهُ وَلاَ يُسْلِمُهُ، وَمَنْ كَانَ فِي حَاجَةِ أَخِيهِ كَانَ اللَّهُ فِي حَاجَتِهِ، وَمَنْ فَرَّجَ عَنْ مُسْلِمٍ كُرْبَةً فَرَّجَ اللَّهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرُبَاتِ يَوْمِ الْقِيامَةِ ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ"[١].

كما حاز الشيخ قدم السبق فى الإصلاح بين الناس؛ إذ انطلق إليه من واقع عقائدى، فقد شرع الله الصلح بالكتاب، والسنة، والإجماع[٢]، يقول تعالى: { وَالصُّلْحُ خَيْرٌ}[٣]، كما استثنى الله الإصلاح بين الناس من عواقب النجوى، فقال الله تعالى:{ لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ }[٤].

وأجاز الرسول صلى الله عليه وسلم الصلح بين المسلمين، فعن أبى هريرة (رضى الله عنه) عن النبى صلى الله عليه وسلم قال:"الصُّلْحُ جَائِزٌ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ"[٥]. وأجمع الفقهاء على مشروعية الصلح - فى الجملة - وأفردوا فى كتبهم أبواباً تحث على الإصلاح بين المسلمين، إلا إذا أحل حراماً أو حرم حلالاً، أو استلزم مفسدة يجب درؤها، وهنا - فقط - يصبح الصلح حراماً، ويعد مكروهاً إذا ترجح جانب المفسدة، وفى رواية أحمد للحديث السابق "الصلح جائز بين المسلمين" زاد صلى الله عليه وسلم بقوله:" إلاَّ صُلْحًا أَحَلَّ حَرَامًا أَوْ حَرَّمَ حَلاَلاً ".

يقول الشيخ: "كلفنى الإمام العربى بقضاء حوائج الناس والإصلاح بينهم، وإن كلفنى هذا عمرى، وأنا أصلح بين الناس بالحكمة والموعظة الحسنة، مستمداً العون على ذلك من إيمانى بالله عز وجل، وحبى لرسوله الكريم صلى الله عليه وسلم، الذى يحب أمته" وهمَّ الشيخ فى تنفيذ ما كلَّفه شيخه به، مستعيناً بالله ورسوله، ومهيمناً بصدق سلطان حاله، ومحبة

---

[١]) صحيح البخارى ، المظالم ، حديث رقم ٢٤٤٢ ، نقلاً عن : موسوعة الحديث الشريف ، مرجع سابق .
[٢]) فى مشروعية الصلح راجع : على مرعى ، مقالة بعنوان (الصلح) ، الموسوعة الإسلامية العامة ، مرجع سابق ، ص ٨٧٩ ، ٨٨٠.
[٣]) النساء : ١٢٨ .
[٤]) النساء : ١١٤ .
[٥]) سنن أبى داود ، الأقضية ، حديث رقم ٣٥٩٦ ، نقلاً عن: موسوعة الحديث الشريف ، مرجع سابق .

الناس فيه، وله نصيب وافر فى قوله تعالى:{وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي }[١].
ولم يألو الشيخ فى سبيل الإصلاح بين الناس جهداً، أو أموال، فبذل الغالى والنفيس، حتى جار على حقوق عياله؛ لقضاء حقوق الأمة المحمدية بجمعها، ورضاء رسولها الكريم.

ويحضرنى ـ هنا ـ واقعة حدثت وكان الشيخ فى إحدى جولاته للإصلاح بين أهالى قرية السمطا من أعمال مركز دشنا، وبين قبائل العرب والهوارة بقرى مركز نجع حمادى بمحافظة قنا، فى أقصى صعيد مصر، وقد طال بالشيخ المقام، واستغرقته الأحداث، والمصالحات بين الناس، من بيت إلى بيت، ومن قرية إلى أخرى، وتجاوزت إقامته فى هذه الجولة ـ وحدها ـ مدة ستة أشهر متوالية، فالخصومات متوارثة بين أهالى هذه القرى سنوات وسنوات، وتشعبت بين القبائل، بل والعاقلات. وتصادف أن رُزِقَ الشيخ بمولود ـ خلال تلك الفترة ـ وبُشِرَ فلم يعبأ به، واستمر فى الإصلاح بين المسلمين، وفى خضم انشغاله بمجالس الصلح فى تلك القرى، مرض وليده مرضاً شديداً، حتى لقى ربه رضيعاً، كل هذا ولم يقطع الشيخ جولته فى الإصلاح بين المسلمين، ولم ير ابنه الذى وُلِدَ ومات بعيداً عن ناظره، فوقع أجره على الله.

وكم أصلح الشيخ بين القبائل المتشاحنة، وألف بينهم فأصبحوا ـ ببركته ـ أحباباً، من بعد عداوة، ومعارك دامية دامت بينهم زمنا طويلا، وكم أحيا قلوباً قاسية كالحجارة أو أشد قسوة، فلمَّا سطعت عليها شمس الشيخ، فتقت العناية رتقها، فاهتزت هذه القلوب وربت.

وكم أطلق أرواحاً بعد أسرها، وأدخلها على الله ورسوله، وكم فكك أغلال الضغائن بينهم، ومزَّق عقود الكراهية من جيدهم، وصيرهم فى فرح وسرور من بعد مآس طال أمدها عقوداً من الزمان.

وكم من مساجد خربت وقتاً طويلا، ومنعت أن يذكر فيها اسمه، فلا تقام فيها جمعة ولا جماعة، فصارت بعد مصالحاته عامرة، تقام فيها الصلوات الخمس، والجمعة والجماعة، وكم من قرى لم تفتح مدارسها، أو تنصب فيها الأسواق مدة طويلة تجنباً لتجدد المنازعات فيها، وخشية أن

---

[١]) طه : ٣٩ .

تكون مسرحاً للقتال، وساحة لطلب الثأر. فلمَّا حلَّ الشيخ فى هذه القرى أنهى غابر الخصومات - بفضل الله - فأعيدت أسواقها، وفتحت المدارس أمام الأجيال الناشئة، وبزغت شمس العلم فأزالت غيوم الظلام، ونزعت الأبناء المتعلمة من قلوب آبائهم تلك المتوارثات من الخصومات، والأحقاد.

وقد تحقق مقصود الشيخ، فصارت هذه القرى آمنة مؤمنة ببركة الرسول صلى الله عليه وسلم. ويسود هذه القرى- حالياً - جواً من الأمن والأمان، والألفة بين قاطنيها، ويشهد أهلوها، بل ويتباهون بهذا الأمن الذى تنعم به بلادهم، وذلك كله ببركة الشيخ، وصدق دعوته.

ثانياً – إقامة الموالد والاحتفالات الدينية، ومهرجانات الخيل

برز دور الشيخ الاجتماعى جلياً من خلال إقامته الموالد، والاحتفالات، ومهرجانات الفروسية، وكان للشيخ فى هذا المضمار جولات وهيجات.

ويثور - بداية - تساؤل عن مشروعية هذه الموالد، وفائدتها؟

يجسد الاحتفال بمولد النبى صلى الله عليه وسلم، وموالد أهل البيت، وأولياء الله الصالحين أحد الشعائر والطقوس التى يمارسها الصوفية، ولم يرد نص صريح بوجوب هذه الشعيرة، أو بتحريمها، وبالتالى تندرج فى حكم الإباحة؛ إذ الأصل فى الأشياء الإباحة إلا ما حُرِمَ منها بنص شرعى معتمد.

وإزاء ما تقدم، فإن شعيرة المولد تدور وجوباً وتحريماً مع المصلحة، فحيثما كانت المصلحة فثمَّ شرع الله. واتفق العلماء[1] على مشروعية الاحتفال بالمولد النبوى الشريف إذا لم يكن مجالاً لنشر البدع والمخالفات الشرعية، ولم يقصد منه الشهرة ولا الافتخار بالمبالغة فى الإسراف والتزين، وكان بقصد التأسى والاقتداء، وذكر المناقب، فيصير المولد أمراً محموداً من باب قوله تعالى: {فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ}[2]. فالأصل فى إقامة الموالد هو الاعتبار بسيرة صاحب المولد والانتفاع بذكراه، فضلاً عن انتهاز فرصة التجمع فى المولد للتعارف والتعاون على البر والتقوى، والانصراف إلى الله تعالى بالذكر والتعبد لله، والاستماع إلى القرآن الكريم، والانتفاع بوعظ رجال الأزهر، فضلاً عن إخراج الصدقات، والخير الذى يعود على المشاركين فى هذا الموالد، أو تلك الاحتفالات[3].

أما ما يصاحب بعض هذه الموالد من مخالفات شرعية، وبدع ضالة فإنها من قبيل السلبيات التى تلازم أفعال البشر، فلا تلثم فى مشروعية الموالد فى ذاتها، أو تحريم إقامتها قطعياً؛ إذ لوصح ذلك وجب تحريم

---

[1]) أحمد كريمة – أستاذ الشريعة والقانون بجامعة الأزهر ، نقلاً عن : مقال بعنوان (الصوفية بين مطرقة الصراعات وسندان الرسالة) ، صحيفة الأهرام المصرية – عدد الجمعة ٢٠١١/٩/٣٠م ،. تحقيق : مروة البشير.

[2]) الأنعام : ٩٠ .

[3]) مصطفى فهمى ، رسالة دكتوراه بعنوان " الفكر الصوفى فى مصر فى القرن الرابع عشر الهجرى ، العشرين الميلادى" ،عام ٢٠٠٩ ، نقلاً عن : مقال بعنوان (١١ قرناً من البناء الروحى للصوفيين) ، إعداد / أحمد عامر عبد الله ، صحيفة الأهرام المصرية عدد الجمعة ٢٠١١/٩/٢٣م.

الاحتفال بعيدى الفطر والأضحى، وقد أجمعت الأمة على مشروعيتهما[١]، مع ما يأتيه البعض فيهما من مظاهر البذخ والسرف، أو مبالغة فى الترويح، حتى يصل الأمر- أحياناً - إلى اقتراف المعاصى، وارتكاب بعض المنكرات الشرعية فى هذين العيدين[٢].

ويتعين أن تكون هذه الموالد مناسبات تدعيم وتجديد للقيم الروحية، لا أن يكتنفها تلك الصور المنكرة، التى تسئ للإسلام عامة، والتصوف بصفة خاصة[٣]، كما يجب العمل على تنقية هذه الموالد والاحتفالات مما يلحق بها من مآخذ، أو سلبيات، لا القول بتحريمها، أو بعدم مشروعيتها.

وتهتم الطرق الصوفية بالاحتفال بالمناسبات الدينية، وأهمها ذكرى مولد النبى صلى الله عليه وسلم، الذى تشارك الدولة والهيئات الرسمية فى الاحتفال به، وكذا ذكرى موالد أهل اليت، والمناسبات الدينية، كالاحتفال بليلة القدر، وليلة الإسراء والمعراج، ورأس السنة الهجرية، كما تحتفل كذلك كل طريقة صوفية بذكرى مولد مؤسسها على طريقتها الخاصة.

وقد حازت الموالد والمناسبات الدينية مكانة كبيرة فى حياة الشيخ، وخصها برعايته الدائمة، وعنايته الفائقة، فالموالد والمناسبات تُعَد بيئة خصبة، وفرصة اغتنمها الشيخ لنشر دعوته، وترويج أفكاره؛ إذ تجتمع جموع غفيرة من الأحباب والإخوان والمريدين، وغيرهم ممن يشهدون الاحتفال بهذه الموالد والمناسبات، فتبلغ الموعظة فى هذه الحشود أقصى مداها؛ إذ يستمعون القول فيتبعون أحسنه.

هذا من جهة، ومن جهة أخرى فقد حمل الشيخ على كاهله مسئولية تطهير، وتنقية شعيرة المولد مما شابها من مخالفات شرعية ونماذج سيئة، بعد أن اتخذها بعض المتصوفة المتأخرين سبيلاً لكسب المال، فقاموا بفرض

---

[١]) ورد فى سنن الترمذى ، الصوم ، حديث رقم ٧٧٦ - عَنْ أَبِى عُبَيْدٍ مَوْلَى عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ قَالَ شَهِدْتُ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ فِى يَوْمِ النَّحْرِ بَدَأَ بِالصَّلاَةِ قَبْلَ الْخُطْبَةِ ثُمَّ قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- يَنْهَى عَنْ صَوْمِ هَذَيْنِ الْيَوْمَيْنِ أَمَّا يَوْمُ الْفِطْرِ فَفِطْرُكُمْ مِنْ صَوْمِكُمْ وَعِيدٌ لِلْمُسْلِمِينَ وَأَمَّا يَوْمُ الأَضْحَى فَكُلُوا مِنْ لُحُومِ نُسُكِكُمْ . وهو ما يدل على مشروعية الاحتفال بهذين العيدين ، والنهى عن صومهما ، وأكل الأضاحى .

[٢]) أحمد كريمة – أستاذ الشريعة والقانون بجامعة الأزهر ، نقلاً عن : مقال بعنوان (الصوفية بين مطرقة الصراعات وسندان الرسالة) ، مرجع سابق .

[٣]) يوسف عبد الغنى على ، حقيقة التصوف الإسلامى ، الطبعة الأولى ، ١٤١٠هـ ، ١٩٩٠م ، مطبعة الأمانة ، القاهرة ، ص ٦٦

أتاوة على المريدين، واستحلوا أموالهم؛ بزعم منحهم البركة، والدعاء لهم، كما أصبحت الموالد تعج بالفساد واختلاط الرجال مع النساء.

كما شاع فى هذه الموالد إيتاء الموبقات، وإهمال أداء الفرائض الواجبة ، وانشغال أدعياء التصوف بذكر الكرامات، والخوض فى الخرافات، وهو عبث قد تبرأ منه الأشياخ المتحققون، فيقول أحدهم[١] : " إذا رأيتم الرجل لايصلى ولايصوم ولايتمسك بالكتاب والسنة ويطير فى الهواء فهو شيطان ".

وقد جد الشيخ فى إحياء هذه الشعيرة الصوفية، والعمل على تنقيتها مما علق بها من شعوزة، وبدع ضالة، ومخالفات شرعية، وكشف زور الأدعياء والمتاجرين بها، وإلباسها ثوبها النقى، وغايتها المحمودة؛ لإعادة الثقة فى هذه الشعيرة العتيقة.

ويلحظ المتتبع لبدايات الشيخ كثرة احتفائه بموالد آل البيت، لا سيما التى تقام فى رحاب ساحة السادة الأدارسة ببلدته دراو، أو فى الساحة الرضوانية بقرية البغدادى بالأقصر.

وبعد الاضطلاع بتجديد الدعوة إلى الله، وهجرته إلى مدينة كوم أمبو، حرص الشيخ على إحياء المولد النبوى الشريف، وأعتبره عيد الأعياد، وأفضل الأعياد؛ فلولاه ما سُنَّت الأعياد، وينشد الشيخ فى ذلك قائلاً[٢]:

رسول الله يابدراً أتمَّ * ويانوراً على الإيجاد عمَّ
وميلادك إلى الأعياد عيد * وفجرك قد محا ظُلُمَاً وغما

ويحتفل الشيخ بالمولد النبوى الشريف على مدى اثنى عشر يوماً، من هلول شهر ربيع الأول إلى ليلة الثانى عشر، وهى الليلة التى يرجحها جمهور العلماء لميلاده صلى الله عليه وسلم. وفى عصر يوم الحادى عشر من شهر ربيع الأول - يتصدر الشيخ موكباً مهيباً يضم محبيه وجموع أهل البلدة، ويجر خلفه جملاً يعلوه المحمل الملفوف بالفراش الزاهية الجميلة، والشارات والأعلام، ويطوف الموكب المدينة مصحوباً بالمدائح النبوية من مكبرات الصوت؛ فرحاً وبهجة بميلاد رسول الله صلى الله عليه وسلم.

---

[١]) قول الإمام أبى القاسم الجنيد ، شيخ الطائفة ، نقلاً عن : مقال بعنوان (الصوفية بين مطرقة الصراعات وسندان الرسالة) ،مرجع سابق .

[٢]) مولانا العارف بالله الحاج أحمد أبو الحسن ، ديوانه :"لآلئ عرشية فى مديح خير البرية" ، ص٤٤ .

وعن أهمية المولد النبوى الشريف يقول الشيخ: إن لحظة فرح واحدة برسول الله صلى الله عليه وسلم كفيلة بأن يتوب الله على عبده، ويخطفه إلى رحبه، ويرقى به إلى أسما المقامات، ويجزيه الله خير الجزاء.

ويستشهد الشيخ على ذلك بالرؤية المنامية، التى رآها بعض أهل أبى لهب، وهو واقف بشر حيبة فى النار، لكنه يُسقَى من النقيرة التى بين إصبعه الإبهام والتى تليها؛ لفرحه بمولد رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقيامه بعتق مولاته (ثويبة) لمَّا بشرته بميلاد ابن أخيه، فأشار إليها بإصبعه قائلاً لها: أنت حرة، وذلك جزاء لما بشرته به، وقد أرضعت (ثويبة) النبى صلى الله عليه وسلم بعد أن أعتقها أبو لهب.

وفى الحديث الشريف الذى رَوَاهُ الْبُخَارِىُّ فِى الصَّحِيحِ عَنْ أَبِى الْيَمَانِ وَأَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ مِنْ وَجْهٍ آخَرَ عَنِ الزُّهْرِىِّ ـ قَالَ عُرْوَةُ : وَثُوَيْبَةُ مَوْلاَةُ أَبِى لَهَبٍ كَانَ أَبُو لَهَبٍ أَعْتَقَهَا فَأَرْضَعَتِ النَّبِىَّ ـصلى الله عليه وسلمـ فَلَمَّا مَاتَ أَبُو لَهَبٍ أُرِيَهُ بَعْضُ أَهْلِيهِ فِى النَّوْمِ بِشَرِّ حِيبَةٍ فَقَالَ لَهُ: مَاذَا لَقِيتَ فَقَالَ أَبُو لَهَبٍ: لَمْ أَلْقَ بَعْدَكُمْ رَخَاءً غَيْرَ أَنِّى سُقِيتُ فِى هَذِهِ مِنِّى بِعَتَاقَتِى ثُوَيْبَةَ وَأَشَارَ إِلَى النَّقِيرَةِ الَّتِى بَيْنَ الإِبْهَامِ وَالَّتِى تَلِيهَا مِنَ الأَصَابِعِ[1]، فإذا كان ذلك لغير المسلم فما بالك بجزاء من فرح بمولده من أمته.

وقد كان الاحتفال بالمولد النبوى الشريف ملتقى الأحباب، وميلادهم الحقيقى، والتربة التي يبذر فيها الشيخ بذرة المحبة ، فكم وكم خطف منهم بروحه ولحظه ـ فى رحاب الاحتفال بالمولد ـ فساقهم إلى سوحه، وصاروا من يومها إخوة، وأحبابا، يقول الشيخ: "المَولِد مُوَلِد".

وتمثلت مظاهر الاحتفالات بالموالد التى يحييها الشيخ فى برنامج مرسوم، يبدأ بقراءة القرآن، ثم كلمات الوعظ والإرشاد من علماء الأزهر الشريف، ثم الابتهالات والمدائح النبوية، ثم حديث الشيخ، الذى يشير فيه إلى نقاط عقيدته، وملامح دعوته، ويرقى بعقول وأرواح المحتفلين إلى ساحة ربهم.

وغالباً ما يختتم الاحتفال بالاستماع إلى المدائح والتواشيح من المنشدين المدعوين، فالسماع ينشى المريدين، ويؤجج مشاعر الحب

---

[1]) وقد ورد الحديث فى الصحيحين ، وفى سنن البيهقى ، كتاب النكاح ، حديث رقم ١٤٢٩٧ ، نقلاً عن : موسوعة الحديث الشريف ، مرجع سابق .

الإلهى، ويزيد همتهم فى السير إلى الله تعالى، وقيل: " إذا اعتبرنا الذكر روح التصوف فالإنشاد روح الذكر"، ثم تقام حلقة الذكر، والحضرة، والختام.

وتمثل حلقة الذكر أهم شعائر الطرق الصوفية، فلم يحظ نمط من أنماط العبادة بعد أداء الفروض بالعناية الفائقة مثل ماحظى به الذكر من قِبَلِهم، فالذكر لديهم ركن أساسى قوى فى طريق الحق سبحانه وتعالى، بل هو الأساس فى هذا الطريق، ولايصل أحد إلى الله إلا بدوام الذكر.

أما الحضرة الجماعية التى يختتم بها الاحتفال عادة، فهى من أكثر الشعائر تأثيراً فى الربط بين أفراد الطريقة، وتوثيق علاقة المحبة بينهم، فضلاً عن دورها الفعال فى التأثير على كل فرد على حده؛ إذ ترتبط الحضرة بذكر أسماء الله الحسنى، وبكل ما يتصل به من تسبيح وتعظيم، فهى جلاء للقلوب وتصفية للنفوس[١].

وعلى ذات النهج، أحيا الشيخ ليالى أخرى امتداداً لليالى المولد النبوى الشريف، مثل إحيائه ليلة المولد النبوى بقرية الشطب بكوم أمبو، التى احتلت مكانة خاصة فى قلبه، وداوم على تشريفها طيلة حياته، كما أقام الشيخ احتفالاً بالمولد النبوى بساحة الإمام على بالكلح، وأسس ليلة لذلك بمدينة أسوان، وحرص على استمراريتها، وكذا احتفاله بالمولد النبوى ببلدته دراو بأسوان، وبقرية أقليت، ومدينة نجع حمادى بقنا ، وغيرها من البلاد المختلفة.

وها هو مولد الإمام أبى عبد الله الحسين (رضى الله عنه)، الذى كان الشيخ حريصاً على الاحتفال به بجوار المقام الحسينى بحى الجمالية بالقاهرة، فيشد إليه الرحال من صعيد مصر، ومعه الرجال، والذبائح والميرة، والقدور ومواقد الطعام.

واعتاد الشيخ أن تبدأ مراسم الاحتفال بمولد الإمام أبى عبد الله الحسين (رضى الله عنه) من صباح يوم الجمعة السابق على يوم الثلاثاء الأخير من شهر ربيع الثانى، وبعد قضاء الجمعة بالمسجد الحسينى بالقاهرة، يتوجه الشيخ والأحباب فى موكب يرعد بمديح آل البيت: (جيناكم جيناكم *

---

[١]) فى تفصيل هذه الشعائر الصوفية راجع : مصطفى فهمى ، رسالة دكتوراه بعنوان " الفكر الصوفى فى مصر فى القرن الرابع عشر الهجرى ، العشرين الميلادى" ، مرجع سابق.

طلبنا رضاكم * لولا فضل الله علينا * ما كنا جيناكم)، فإذ وصل الموكب إلى سرادق الاحتفال المقام فى الباحة الملحقة بفندق الصفا والمروة بجوار المسجد - تُمَد موائد الطعام لضيوف المولد؛ إذعاناً ببدء مراسم الاحتفال. ويستمر الاحتفال بمولد الإمام الحسين (رضى الله عنه) لمدة خمسة أيام من يوم الجمعة حتى يوم الثلاثاء حيث الليلة الكبيرة، جمعنى الله وإياكم تحت لوائها.

ويعترى الشيخ - عادة - حال من البسط والجمال فى ليالى المولد الحسينى، وها هو يرتدى أزهى وأفخم ملابسه؛ ابتهاجاً، وفرحاً بصاحب المولد، ويقول فى ذلك:" لاخير فى ملابس لا تمزق فى عرس صاحبها "، وفى ذات المعنى يقول أحدهم[١]: "شرف العبد أن يستخدمه مولاه ، فإن ثوباً لا يلبسه صاحبه يلبس نفسه فتقطعه الأوساخ، ويمزقه الغسل، فلذلك يعرض مولاه عن تطهيره، فاستخدم نفسك لربك، فذلك شرفك، واحذر أن تخدم نفسك ففى ذلك تلفك".

وكان الشيخ يقول: خدمتنا هذه هى خدمة الإمام الحسين (رضى الله عنه) نفسه، وقد شهد أحد الأحباب بأن الإمام على زين العابدين بن الحسين يقف بنفسه على باب الخدمة يدعو الزوار للدخول إلى خدمة الشيخ ، قائلاً لهم: " هذه خدمتنا". وإزاء ذلك، كان الشيخ حريصاً على معاملة زوار المولد الحسينى أفضل، وأرقى معاملة، ويحث إخوانه على معاملة الزوار معاملة الملوك.

وبعد انتقال شيخه الإمام محمد أبو الفتوح العربى (رضى الله عنه)، أسس الشيخ مولداً عظيماً فى ذكرى الإمام العربى بساحته بالكلح، وكان هذا المولد هو تاج الموالد التى أحياها الشيخ على الإطلاق، ويستمر الاحتفال بمولد الإمام العربى على مدى أسبوع كامل يبدأ من يوم الجمعة حتى يوم الخميس الأخير من شهر صفر من كل عام.

كما هيأ الشيخ بالناحية الشرقية من قرية الكلح مضماراً للخيل (صابية الخيل) لإقامة مهرجان كبير لسباق الخيل، يفد إليه المتنافسون فى العاديات من مختلف المحافظات المجاورة، حتى ذاع صيته وبات من أشهر

---

[١]) قول سيدى على بن محمد وفا - رضى الله عنه – نقلاً عن : عبد الوهاب الشعرانى ، الطبقات الكبرى ، مرجع سابق ، ص ٤٢٧ .

المهرجانات التى تقام فى صعيد مصر بمناسبة مولد الإمام العربى (رضى الله عنه).

وارتبط مولد الإمام العربى بإقامة ساحات لممارسة فن التحطيب المنتشر بين أهل الصعيد، وتتحلق الجماهير حول ساحة التحطيب، يشجعون، ويهللون بقوة المتنافسين وحرفيتهم.

وتغتنم فرق الرباب والمزمار الشعبى فرصة هذه الفعاليات لعرض فنونها، فيحضرون إلى الكلح بآلآتهم الشعبية، ويتنقلون بين ساحات المولد والفروسية والتحطيب، ثم يجولون فى جميع أنحاء قرية الكلح مرددين الواوات الصعيدية، ورواية قصص البطولات الشعبية كقصة أبى زيد الهلالى، وغيرها.

وتبعث هذه الفرق الموسيقية الفرح والسرور فى نفوس أهل البلدة، حتى صار مولد الإمام العربى عيداً لهم، يستقبلونه بجديد الملابس، وأفخمها، ويزينون له دورهم، وديارهم؛ احتفالاً وابتهاجا بمولد شيخهم وقاطن بلدتهم.

وقد ابتغى الشيخ من وراء إقامة مهرجان الفروسية ـ فضلاً عن إحياء مولد شيخه، وزيادة المشاركة فى فعالياته ـ إحياء سنة متروكة، فقد روى عن عبد الله بن عمر (رضى الله عنهما)، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سابق بين الخيل التى أُضمرت (عُلفت وسُمِنت) من الحفيا وأمدها ثنية الوداع، وسابق بين الخيل التى لم تضمر من الثنية إلى مسجد بنى زريق، ورجح السمهودى أن مكان السبق هو موضع وقوف النبى صلى الله عليه وسلم عند الخروج من صلاة العيد، وقد بنىَّ فى هذا الموضع المسجد المسمى الآن بمسجد السبق بالمدينة المنورة [1].

وعَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ـصلى الله عليه وسلمـ:"الْخَيْرُ مَعْقُودٌ فِى نَوَاصِى الْخَيْلِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَمَثَلُ الْمُنْفِقِ عَلَى الْخَيْلِ كَالْمُتَكَفِّفِ بِالصَّدَقَةِ " [2].

[1]) السمهودى ، وفاء الوفا ، ٧٩٥/٣ ، نقلاً عن : خالد محمد خالد ، ذكرى من المدينة المنورة ، دار الدليقان للنشر والتوزيع ، ط٢ ، ١٤٣١هـ ، ٢٠٠٩م ، ص ٨٣ .

[2]) سنن البيهقى ، كتاب قسم الفيئ والغنى ، حديث رقم ١٣٢٧٣ ، نقلاً عن : موسوعة الحديث الشريف ، مرجع سابق .

ولامشاحة فى أن إحياء هذه السنة العظيمة تدعو إلى إحياء فضيلة أخرى، ألا وهى فضيلة الكرم، فمهرجان الفروسية يجمع الجماهير الغفيرة من المحافظات المجاورة، التى تجيئ لتشجيع خيولها فى المنافسة، وتكون هذه الجموع وازعاً ودافعاً لأهل القرية المضيفة على الكرم، فيفتحون دورهم، ويذبحون الذبائح، ويطعمون الطعام لضيوفهم.

وتتحفز بقية البلدان لإقامة هذه المهرجانات تباعاً ـ وعلى مدار العام فى صعيد مصر ـ الأمر الذى يعظم من فضيلة الكرم فى هذه البلاد ، بعد أن كادت تندثر.

بالإضافة إلى الاحتفال بالموالد السابقة ـ وبذات البرنامج المرسوم فى المولد النبوى الشريف ـ أحيا الشيخ موالد أخرى، كمولد سيدى عبد الرحيم القنائى فى منتصف شهر شعبان من كل عام بساحة النبى يوشع بمدينة قنا ، ومولد سيدى أبو عمرة بمدينة جرجا، ومولد سيدى أبى القاسم الطهطاوى بمدينة طهطا محافظة سوهاج، ومولد سيدى الفرغل بأبو تيج بمحافظة أسيوط، كما أحيا الشيخ مولد سيدى عطية بالقرية المسماة باسمه من أعمال مركز شربين التابع لمحافظة الدقهلية.

وحرص الشيخ فى جميع هذا الموالد على تنقية الشبهات، والمخالفات التى شابتها، فمنع الاختلاط الشائع بين الرجال النساء، وحررها مما لحق بها من بدع لاتتفق والشرع الحنيف.

واحتفى الشيخ ـ أيضاً ـ بالعديد من الليالى الدينية، ومن أهمها: ليلة غزوة بدر الكبرى، وهى ليلة السابع عشر من شهر رمضان المكرم، والتى أولاها الشيخ عناية خاصة، وداوم على الاحتفال بها طيلة حياته، فكان يقيم لها سرادقاً فخماً أمام ساحته بكوم أمبو. وليلة القدر فى السابع والعشرين من شهر رمضان المعظم، التى يحتفى الشيخ بها سنوياً بساحة الإمام على بالكلح، وكانت لياليها دائماً مشهودة ومنفوحة، يحضرها جمع غفير من الأحباب والإخوان، والزوار من جميع بقاع مصر.

وتبدأ مراسم الاحتفال بهاتين الليلتين بتقديم طعام إفطار رمضان فى السرادق، ثم أداء الصلوات والتراويح جماعة، ثم تفتتح الليلة بتلاوة القرآن الكريم من أكابر القراء، ثم كلمات الوعظ والإرشاد من علماء الأزهر الشريف، فقد كان الشيخ حريصاً على دعوتهم وتدعيم جميع احتفالاته بهم،

يبجلهم ويكرمهم، ثم تصدح الإخوان بالمديح فى المليح صلى الله عليه وسلم، ثم حديث الشيخ، وتهنئته الحاضرين، حتى يأتى دور المدائح والإنشاد الدينى ، وحضرة الذكر ، ويختم الاحتفال بتقديم طعام السحور للحضور.

كما أحيا الشيخ العديد من المناسبات الدينية الأخرى، كليلة الإسراء والمعراج، وهى ليلة السابع والعشرين من شهر رجب، وقد واظب الشيخ على إقامتها بساحته بكوم أمبو، ووالاها برعايته، وقال عنها أنها ليلة ميلاده، ثم نقل الاحتفال بهذه الليلة بعد ذلك إلى ساحة الإمام على بالكلح. كما اعتاد الشيخ الاحتفال بأيام وليالى عيدى الفطر والأضحى المباركين بساحة الإمام على بكلح العربى.

ولم يكتف الشيخ بإحياء أمَّات هذه الليالى، بل حث أحبابه المقيمين بالقاهرة على إحياء مولد السيدة زينب، ومولد السيدة نفيسة، ومولد سيدى على زين العابدين (رضى الله عنهم أجمعين)، كما أحتفى بليلة غزوة بدر الكبرى بساحة مدينة نصر بالقاهرة، وأوصى بها من بعده، ويشهدها الآن جمع غفير من الأحباب.

وقد اتخذ الشيخ من الاحتفال بالموالد والمناسبات الدينية محلاً للقاء الأحباب والإخوان، واجتماعهم على الوداد الإلهى، فتقوى روابط المحبة بينهم، ويتلمس بعضهم أحوال بعض، ويتراحموا ويتعاطفوا، ويتداعى بعضهم بعضا، ويكفل بعضهم بعضا، فمثلهم كمثل الجسد الواحد، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم:" تَرَى الْمُؤْمِنِينَ فِى تَرَاحُمِهِمْ وَتَوَادِّهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ كَمَثَلِ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى عُضْوًا تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ جَسَدِهِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى"[1].

وعن حقيقة الفائدة من الاحتفال بالمولد، يبسط الشيخ قائلاً:"تتجلى فائدة المولد فى مشهد ليلة المولد بحضور جميع أهل الله (رضوان الله عنهم) إلى مكان المولد، وقيامهم برفع صاحب المولد على منصة التنصيص، ثم يتشرف المجلس بحضور شيخ الأنبياء وأستاذ المرسلين سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، ومباركته، وهنا تكتب لكل من شهد المولد جمعية بحضرة المصطفى صلى الله عليه وسلم، فإذا ما وضع الميزان فى عرصات القيامة ثقلت موازينه بهذه الجمعية، فينجو ويربح، ويدخله الله بفضله ومنه فى

[1]) صحيح البخارى ، الأدب ، حديث رقم ٦٠١١ ، نقلاً عن : موسوعة الحديث الشريف ، مرجع سابق .

جنته ". اللهم قيض لنا جمعية مع حضرته صلى الله عليه وسلم فى الدنيا قبل الآخرة بفضلك ومنك يا معروف بالإحسان.

وكان الشيخ رضى الله عنه يقول: أن المولد مورد للخير، ومُوَلِّد، أى: مُوَلِّد للمحبة، والمعرفة، والشوق، والذوق، والتوق، والهمة، والصدق، فالأرواح كالعقول تلقح بعضها بعضا.

نكتفى بهذا القدر، وننتقل للحديث عن مواقفه من بعض الفرق، من خلال الفصل التالى.

الفصل الثانى

موقف المناوى لبعض الفرق

خاض الشيخ رضى الله عنه معارك كثيرة فى سبيل الدعوة إلى الله، والذود عن أصول الإسلام الحنيف، والدفاع عن أولياء الله الصالحين، فحارب أدعياء التصوف، ونازل الجماعات المتطرفة المنتسبة إلى الفكر الوهَّابى. كما أبان عن موقفه المناوئ للشيعة المتطرفة، وتصديه لدعاوى التقريب بين مذهبهم وبين مذهب أهل السنة.

لذا، ينقسم هذا الفصل إلى ثلاثة أبحاث: أولها ـ موقف الشيخ من أدعياء التصوف، والثانى ـ موقفه من الجماعات الوهَّابية، والثالث ـ موقفه من الشيعة المتطرفة ، وعلى الوجه التالى:

المبحث الأول

موقفه من أدعياء التصوف

تمتد جذور التصوف إلى القرن الثالث الهجرى، ويمكن ـ بمنظور عام ـ نسبة الشيخ إلى طريق التصوف، فشخصية الشيخ، وعقيدته، ومنهجيته فى الدعوة، والتربية تتسق وأصول هذا الطريق؛ إذ أخذ الشيخ ـ فى بداياته ـ العهود من أشياخ الطرق الصوفية، وكل منْ يلتمس فيه خيراً وبركة ، فكلهم من رسول الله ملتمس ، كما انتمى إلى العديد من هذه الطرق، لاسيما

الطريقة الشاذلية ، وشيخها السيد أبو الحسن الشاذلى، ويجمل الشيخ فى ذلك قائلاً: "طريقتنا هى حب الله ورسوله"[1].

وقد انتشرت الطرق الصوفية انتشاراً واسعاً فى مصر حتى وصل عددها الرسمى إلى ست وسبعين (٧٦) طريقة ـ ما بين رئيسية وفرعية ـ تضم حوالى خمسة عشر (١٥) مليون شخص ، منتشرين فى مختلف المحافظات، والمراكز، والقرى على مستوى الجمهورية[2]، وشرعت الحكومة ـ حيال ذلك ـ إلى تقنين أوضاع هذه الطرق، فصدر القانون رقم (١١٨) لسنة ١٩٧٦م ، الذى كفل الإطار الشرعى للبناء السُلَّمى الروحى للطرق الصوفية، وذلك إبان شياخة الشيخ محمد محمود علوان للطرق الصوفية من سنة (١٩٥٨ـ ١٩٧٩م). وتأسس ـ بناء على هذا القانون ـ المجلس الأعلى للطرق الصوفية، الذى يتكون من عشرة أعضاء منتخبين من شيوخ الطرق، وخمسة أعضاء معينين بحكم وظائفهم، ويمثلون وزارات: الأوقاف، والتنمية الإدارية، والثقافة، والداخلية، فضلاً عن الأزهر الشريف، ويتخذ هذا المجلس قراراته بالأغلبية، وتجرى الانتخابات كل ثلاثة سنوات، وينتخب شيخ الأشياخ من بين أعضاء المجلس المنتخبين من زملائهم شيوخ الطرق الأخرى، ليصدر بشأنه قرار من رئيس الجمهورية.

ويختص المجلس بتعيين أشياخ الطرق، أو فصلهم من مناصبهم، أو إيقافهم لمدة معينة، بالإضافة إلى حل المشكلات التى تواجه الطرق الصوفية، وشيوخها، ويقوم بتنفيذ القرارات الصادرة من المجلس الأعلى للطرق الصوفية، كما يوجد فى كل محافظة، ومركز وكيل عن المشيخة العامة للطرق الصوفية، للإشراف على الشعائر الصوفية، التى يقوم بها رجال الطرق فى احتفالاتهم، ويمثل هؤلاء الوكلاء حلقة الوصل بين الطرق الصوفية والجهات الإدارية.

بينما يتولى كل شيخ الإشراف على شئون الطريقة التى يرأسها، ويرعى آدابها وسلوكها، ولكل شيخ نواب يمثلونه فى المحافظات والمراكز التى له فيها أتباع، ويتولى النائب الإشراف على الخلفاء والمريدين،

---

[1]) راجع: المبحث الأول (أخذ العهود الصوفية) ، الفصل الأول من الباب الثانى من هذا المؤلف .

[2]) أحمد عامر عبد الله ، دراسة بعنوان (١٥ مليون صوفى القوة الناعمة فى مصر ، ١١ قرناً من البناء الروحى للصوفيين) ، صحيفة الأهرام المصرية – عدد الجمعة ٢٠١١/٩/٢٣م .

بالإضافة إلى نشر الطريقة، واكتساب أعضاء جدد، فالنائب هو حلقة الاتصال بين الشيخ وأفراد الطائفة. كما يوجد ـ فى التسلسل التنظيمى للطرق الصوفية بعد النواب ـ ما يسمى بالخلفاء ، وتقع على عاتقهم مسئولية نشر الطريقة فى الأحياء المختلفة ، ويقومون بفتح مجالس الذكر، ويديرونـها، كما يتولون الدعوة لاتباع الطريق الصوفى، وآدابه، وأخلاقه، ويسعون إلى تحقيق قيم الجماعة. ثم يوجد ما يطلق عليه النقباء، الذين يختارهم الشيخ من بين مريديه، وتتمثل وظيفتهم فى القيام بالخدمات العامة التى تحتاجها الطريقة، فالنقيب عضو من أعضاء الجماعة يكلف بالقيام بتأدية خدمة لباقى الأعضاء، ويُعَد اختياره تكريماً له، ودلالة على تمتعه بمكانة اجتماعية أعلى من المريدين فى السلم الرئاسى. وأخيراً، يوجد المريدون وهم أكبر أعضاء الجماعة الصوفية عدداً، ويقعون فى أدنى التسلسل التنظيمى، وتقاس قوة الطريقة، ونفوذها بأعداد مريديها، فكلما زادت العضوية اعتبرت الطريقة أكثر نفوذاً، وأكثر تأثيراً فى جذب الأعضاء الجدد إليها [١].

وكان الشيخ يجل أشياخ التصوف ويبجلهم ، ويقدمهم فى مجلسه ؛ صوناً لمكانتهم أمام مريديهم، واحتراماً لزيهم الصوفى، وكرامة لانتسابهم إلى شيوخ التصوف الأوائل، بيد أن الشيخ لم يقر نهج أدعياء التصوف المتأخرين، بعد أن حنف سلوكهم عن محراب التصوف الحقيقى، وروحه ومعانيه، وبعدت الشقة بين شيوخ التصوف المتقدمين وهؤلاء الأدعياء، الذين استبدلوا الزهد، والتقشف، والرضا، والقناعة، ومحبة الإنسان لأخيه الإنسان ـ استبدلوها بالتهافت على ملذات الدنيا، والنزاع على المناصب والأمور المادية، والضغينة فيما بينهم، إلى حد الصراع العلنى [٢].

كما شاعت الخرافات، والبدع، وانتسب إلى الطريق أهل البطالة، والتمشيخ، فما رعوها حق رعايتها، حتى اندثرت حقيقة التصوف ، ولم يبق منها إلا ظاهر الاسم ، وفى ذلك يقول أحدهم [٣]: " هو اليوم اسم لاحقيقة وقد

---

[١]) فى تفصيل تطور التشريعات الصوفية والهيكل التنظيمى للطرق الصوفية ، انظر : مصطفى فهمى ، رسالة دكتوراه بعنوان " الفكر الصوفى فى مصر فى القرن الرابع عشر الهجرى ، العشرين الميلادى" ، كلية دار العلوم ، جامعة القاهرة ، عام ٢٠٠٩م .

[٢]) الدكتور أحمد عمر هاشم ، نقلاً عن: مقال بعنوان (الصوفية .. بين مطرقة الصراعات وسندان الرسالة) ، تحقيق : مروة البشير ، صحيفة الأهرام المصرية ، عدد الجمعة ٣٠ / ٩ /٢٠١١م .

[٣]) قول سيدى أبى الحسن بن أحمد بن سهل البوسنجى رحمه الله ، نقلاً عن : عبد الوهاب الشعرانى ، الطبقات الكبرى ، مرجع سابق ، ص ٢٠٦

كان حقيقة ولا اسم" ، يعنى التصوف ، وسئل آخر[1] عن الفرق بين الصوفى والمتصوف فأجاب :" الصوفى منْ اختاره الله لنفسه فصافاها من غير تكلف ، والمتصوف هو المتكلف بنفسه المظهر لزهده مع كون رغبته فى الدنيا وتربية بشريته". وعن الوضع المتردى لأدعياء التصوف فى وقته ، يقول أحدهم[2]:" نقضوا أركان التصوف ، وهدموا سبيلها ، وغيروا معانيها بأسام أحدثوها ، سموا الطمع زيادة ، وسوء الأدب إخلاصاً ، والخروج عن الحق شطحاً ، والتلذذ بالمذموم طيبة ، واتباع الهوى ابتلاء ، والرجوع إلى الدنيا وصولاً ، وسوء الخلق صولة، والبخل حلاوة ، والسؤال عملاً ، وبذاءة اللسان سلامة ، وما كان هكذا طريق القوم إنما درجوا على الحياء ، والأدب ، والزهد فى الحظوظ ـ رضى الله عنهم ـ أجمعين".

ورأيت أدعياء التصوف المتأخرين يتخذون التصوف سبيلاً لكسب المال ، حتى أن بعضهم فرض على المريدين ، والبسطاء مبالغ مادية طلباً لبركاتهم ، وفسر البعض الآخر آيات القرآن وفقاً لأهوائهم ، وسمحوا باختلاط الرجال مع النساء فى مجالسهم ، وموالدهم ، فشاعت بينهم الموبقات، وأُهمِلَت الفرائض والصلوات ، وشُغِلوا بذكر الكرامات، وهو ما ينكره الشرع الحنيف ، ولايسوغه الذوق السليم ، ولم يكتفوا بذلك، بل سعوا إلى توريث أبنائهم خلافة المشيخة من بعدهم، بغض النظر عن أهلية الأبناء للخلافة ، أو توافر صفاتها فيهم ، أو مدى قدرتهم على تربية المريدين[3].

وبالطبع، فإن هذه الصور المشوهة لأدعياء التصوف ـ أتاحت الفرصة للمنكرين الطعن على التصوف برمته ، ولا ينبغى أخذ الكل بذنب البعض، فالتصوف الحق قائم فى الأصل على المبادئ الإسلامية المشيدة بالكتاب والسنة ، يقول سيد الطائفة: " علمنا هذا مشيد بالكتاب والسنة "[4]، فها هو الشيخ "ثابت البنانى" ، الذى أخذ كبار علماء الأمة سند الحديث منه، وها

---

١) قول سيدى أبى الحسين بندار بن الحسين الشيرازى رحمه الله ، نقلاً عن : عبد الوهاب الشعرانى ، الطبقات الكبرى ، مرجع سابق ، ص٢٠٧

٢) قول سيدى أبى العباس أحمد بن محمد الدينورى رحمه الله ، نقلاً عن : عبد الوهاب الشعرانى ، الطبقات الكبرى ، مرجع سابق ، ص٢٠٩

٣) علوى أمين ، نقلاً عن : مقال بعنوان (الصوفية بين مطرقة الصراعات وسندان الرسالة) ، صحيفة الأهرام المصرية ، مرجع سابق .

٤) قول سيد الطائفة الإمام أبى القاسم الجنيد رحمه الله ، نقلاً عن : محمد فؤاد شاكر ، مقال بعنوان (الصوفية بين مطرقة الصراعات وسندان الرسالة) ، مرجع سابق .

هو الشيخ "ابن دقيق العيد" ، الذى يعد من أكابر الصوفية، وكان مفتياً على المذاهب الأربعة.

وإزاء ماتقدم ـ وحميَّة على التصوف الحق ـ انتصب الشيخ محارباً هؤلاء المترسمين المتكلفين، ونوه إلى ضلال ممارساتهم ، التى أودت إلى الخوض فى أهل الله ، والتعدى على الأشياخ الصادقين ؛ فقد أتى الشيخ لكى يعالج أهل زمانه، يرقى أفكارهم، وينقيها من المعتقدات الدخيلة الزائفة ، ويدفع هممهم ، ويبصرهم بالطريق القويم فى أسلوب راقى من النقد الذاتى.

وقد أشار الشيخ إلى أدعياء التصوف المترسمين له دون تحقيق، والمشتبهين به بالتنميق، وحصرهم فى صورتين هما: الصوفى المتصوف، والسوفى المتسوف. فأما الصوفى المتصوف فهو الذى يقرأ كتب السلف الصالح من مشايخ الصوفية، ويتهيأ له مشاهد مقاماتهم ويتقمصها، من خلال هذه القراءات، فيحلو له المقام الذى اشتهاه، ويتحدث بأحاديث أهله، دون أن يكون قد رقى إليه ، وبالتالى يصيبه تبعاته وحملاته من بلاءات الاحتراق، ويُحرَم تجليات المقام من مواهب المذاق، ولذة الشوق والاشتياق، التى تعين أصحابها على تحمل التبعات والإبتلاءات، فيلقى من العنت، ويقع فى الحرج، ما يودى به إلى الهرج والمرج، فهو غِرٌ جهول، أعاذنا الله وإياكم.

ويقول عنه الإمام العربى (رضى الله عنه): " هو منْ لا يملك سوى قشور من العلم ، ويعتقد أنه بهذه القشور يصبح على بينة من أمره ، والله تعالى يقول:{وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ}[١]، وذلك عن علم وحقيقة لا عن قشور علم، فهو مجرد متطوف بالعلم لا عالم، ويصفه ب "الشيخ عبادى المنفوخ ع الفاضى، زى البو ـ حسب لفظه رضى الله عنه ".

وأما السوفى، أو المتسوف، فهو منْ يتحلى بما ليس فيه ، ومآله الفضيحة والخسران . و" التحلى " : هو التلبس ، والتشبه بالصادقين ، بالأقوال ، وإظهار الأعمال[٢]، قال بعضهم: من تحلى بغير ما هو فيه فَضَحَتْه شواهد الامتحان، ويطلق الهجويرى عليه اسم المستصوف"، وهو من تشبه

---

[١]) النحل : ٤٤ .

[٢]) نقلاً عن : أبى نصر السرج الطوسى ، اللمَّع ، مرجع سابق ، ص ٣٦٣ ، ٣٦٤ .

بالصوفية من أجل المنزلة والجاه والمال ، ولارصيد له من العمل المخلص، وقيل: " المستصوف عند الصوفية كالذباب وعند غيرهم كالذئاب[1].

فالسوفى المتسوف يظهر كأنه صوفى بالدعوى، والدعوى حال ذميم، قال أحدهم[2]: " أغلظ حجاب بين العبد وبين الله الدعوى" ، وقال آخر: ولما ادَّعيت الحب قالت كذبتنى*فما لى أرى الأعضاء منك كواسيا**

وذم الشيخ هؤلاء المدعين لاتخاذهم العلم مهنة، فهم لايملكون سوى القشور التى تعينهم على إدعاء العلم طلباً للدنيا، وجمعاً للمال، ووقوفهم عند حد الأقوال دون الأفعال، مما أقعدهم عن اجتياز مقامات صفايا الصوفية. ويصفهم الإمام محمد أبو الفتوح العربى (رضى الله عنه) بقوله: "هم المساومون فى دينهم، المتعطلون، والمسوفون فى أعمالهم"، وينصح قائلاً: "فاضرب بهم عرض الحائط"[3].

ولم يفت الشيخ تحذير أحبابه من اتباع هؤلاء المتسوفين الجاهلين، ووصفهم بأنهم " وهَّابية الطريق "، وينصح أحدهم[4] قائلاً: " اجتنب صحبة ثلاثة من أصناف الناس: الجبابرة الغافلين، والقراء الداهنين، والمتصوفة الجاهلين".

كما نصح الشيخ بمرافقة صفايا الصوفية، فهم الأتقياء الأنقياء، أهل المعرفة والعرفان، وقيل[5] فى هذا: "لابد لمن يريد معرفة التصوف أن يدرسه بعناية، أو أن يلازم شيخاً عارفاً يأخذ بيده إلى المسالك التى تخلصه من الوقوع فى حب الدنيا، لأن الدارس لابد له من شيخ محقق مرشد قد فرغ من تأديب نفسه، وتخلص من هواه".

لذا، بسط الشيخ صفات الصوفية الحق، وحصَّلَ شروطهم فى مداومة الشهود، والإذن الصريح فى القيام بالدعوة إلى الله، بعد إحصائهم لعلوم

---

[1]) كشف المحجوب ، ٢٣١/١ ، نقلاً عن : يوسف عبد الغنى على ، حقيقة التصوف الإسلامى ، الطبعة الأولى ، ١٩٩٠م ، مطبعة الأمانة ، القاهرة ، ص٣٢ .

[2]) قول سهل بن عبد الله التسترى ، نقلاً عن : أبى نصر السراج الطوسى ، اللَّمَع ، مرجع سابق ، ص ٣٥٣ .

[3]) نقلت هذه الأقوال عن شرائط فيديو مسجلة للإمام محمد أبو الفتوح العربى محفوظة نسخ منها لدى كثير من أحبابه ، وتشرفت باقتنائى العديد منها .

[4]) قول سيدى سهل بن عبد الله ، نقلاً عن : أبى حامد الغزالى ،إحياء علوم الدين ، الجزء الثانى ، مرجع سابق ، ص ١٧٠ .

[5]) سالم مرة ، نقلاً عن : مقال بعنوان(الصوفيون : منهجنا الإصلاحى معتدل ، ودورنا السياسى يظهر وقت الأزمات) تحقيق :أحمد عامر عبد الله -ومروة البشير ، صحيفة الأهرام المصرية – عدد الجمعة ٢٠١١/١٠/٧م .

الشريعة والحقيقة، التى تبلغ مائة ألف وأربع وعشرين ألف علم، على عدد الرسالات السابقة، فضلاً عن الأمانة فى حفظ أسرار علومهم المحصية ، وإيداعها فى أهلها، وطرحها فى ميقاتها ، وقد أشار الشيخ إلى ذلك كله فى قصيدته: (الفقه الشامخ فى الدين الحنفى السامح)[1]، التى جاء فيها:

وزامل صفايا بمد كفايا*وعرب النقايا لثبت الأقداما**
تجنب سوفياً بمظهر صوفياً*يبيع الخلود بعاجل إلماما**
واحذر صوفياً نكوراً لفضل*إذا ماتبدى بغيره إنعاما**
وصوفى متصوف بعلم متطوف*فما اجتاز شبراً لذاك المقاما**
إذا كنت طالب لنيل المطالب*فبايع لعارف لسير إماما**
شروط العرفان شهود دواما*وإذن صريح بسند ابن راما**
علوم الشريعة وعلم الحقيقة*ببعض يلوح وكل اكتتاما**
به مئة ألف علوم حصية*رسالات قبل بضم المقاما**
وعشرين ألف وأربع آلاف*وهذى بحار بقلب الإماما**

هذا من جانب، ومن جانب آخر سجل الشيخ موقفاً متميزاً بشأن مشاركة الصوفية فى الحياة السياسية، ويمكن تقصى هذا الموقف من خلال عرض رأى الفريقين المؤيد، والمعارض لهذه المشاركة، وعلى الوجه الآتى:

الفريق الأول - يرى هذا الفريق أن الطرق الصوفية بشكل عام يجب أن تتفاعل مع الحياة السياسية فى مجتمعاتها، ولا يقتصر اهتماماتها بالتربية الروحية ، فالرسول صلى الله عليه وسلم - وهو الأسوة الحسنة - كان رجل دين ودولة معاً ؛ إذ كان صلى الله عليه وسلم داعياً ، ومعلماً، كما كان - فى الوقت ذاته - قائداً ، ومحارباً فى سبيل الله[2].

---

[1]) قصيدة الفقه الشامخ فى الدين الحنفى السامح ، من القصائد العصماء التى أنشأها الشيخ ، ومطلعها : ببرق الشمئال هب سر سلمى * قبيل الإيجاد تبدت بشاما ، وهى مطبوعة ولم تنشر ، ويوجد نسخ كثيرة منها لدى احباب الشيخ ، وقد وفقنى الله فى اقتناء أحد هذه النسخ واتخذتها مرجعاً لهذه الأبيات .

[2]) من هذا الفريق : طارق ياسين – وكيل مؤسسى حزب صوت الحرية وشيخ عموم السادة الرفاعية ، الدكتور مستشار محمود أبو الفيض شيخ الطريقة الفيضية الشاذلية وعضو المجلس الأعلى للطرق الصوفية ، ويتفق مع الطرح السابق الشيخ أحمد متولى – إمام مسجد الرحمن بميامى فى محافظة الأسكندرية ، نقلاً عن : مقال بجريدة الأهرام السبوعية بعنوان (١٥ مليون صوفى القوة الناعمة فى مصر) ، { الصوفيون منهجنا الإصلاحى معتدل..ودورنا السياسى يظهر وقت الأزمات }، مرجع سابق .

وإزاء ذلك، وجب أنخراط الصوفية فى الحياة السياسية للمجتمع، ويخطئ منْ يظن أن الصوفية ليست لهم علاقة بالسياسة، فللصوفى الحق فى الإدلاء بصوته، وإعلان رأيه فى الانتخابات الرئاسية والمجالس النيابية والمحلية ، كما له الحق فى الترشح لهذه المناصب، ولا يُعَد هذا خلطاً بين الدين والسياسة ، لأن الكل مواطنون مصريون .

ويعضد التاريخ ما ذهب إليه هذا الفريق، حيث قام شيوخ التصوف بواجبهم فى تأكيد الهوية الإسلامية لبلادهم ، ففى دولة تركيا - مثلاً – دفع أشياخ التصوف الخلفاء والسلاطين العثمانيين دفعاً إلى نشر الإسلام فى أوروبا سابقاً ، فها هو الجيش الفاتح للقسطنطينية - وغالب جنوده من أشياخ الصوفية وأبنائهم - تحت قيادة السلطان محمد الفاتح الصوفى المشهور يقوم بفتح القسطنطينية، وتأكيد هويتها الإسلامية.

وفى مصر لم يكن الصوفية - بحال من الأحوال- منعزلين عن المجتمع المصرى ، ومن أبرز المشاركين فى الحياة السياسية بيت "أبو هاشم" بمحافظة الشرقية ، وهم شيوخ الطريقة الهاشمية الشاذلية ، وفى صعيد مصر نجد بيت " الأحمر" من أشراف قنا، وبيت "السادة الأدارسة"، وبيت " آل الطيب" المنتسبين إلى الشيخ محمد أحمد الطيب الحسانى بالأقصر.

وقد شاركت الطرق الصوفية فى ثورة الخامس والعشرين من يناير عام أحد عشر وألفين من الميلاد، ودعم شباب الصوفية الثوار ضد الأخطار التى حاقت بمصر نتيجة فساد الحكم، كما أسس الصوفية - مؤخراً – أحزاباً سياسية ، منها " حزب التحرير" الذى نظمه الشيخ علاء الدين ماضى أبو العزايم ، وحزب "صوت الحرية" ، الذى نظمه الشيخ طارق ياسين.

أما الفريق الثانى - فقد عارض المشاركة الصوفية فى العمل السياسى، ورأى قصر دور الطرق الصوفية على المنهج التربوى، والتوعوى فى إرساء القيم الأخلاقية، وتعليم أبناء المجتمع مكارم الأخلاق، وسماحة الإسلام. فقد انتشر الإسلام فى معظم أصقاع المعمورة من أسبانيا غرباً، وحتى الصين شرقاً بفضل القدوة الحسنة التى قدمها الصوفيون الأوائل[١].

---

[١]) أحمد محمد الحافظ التجانى – شيخ الطريقة التجانية ، نقلاً عن : مقال بعنوان (١٥ مليون صوفى القوة الناعمة فى مصر) ، مرجع سابق .

واحتج هذا الفريق بقولهم: أن دخول الطرق الصوفية فى غمار السياسة، التى تخفى فى طياتها الخداع والمكر، يفقدها مصداقيتها، ويتضاءل بالتالى دورها فى نشر الدعوة والتربية الأخلاقية فى المجتمع، فالقول بأن ينخرط الصوفى فى السياسة والأحزاب والتناحر غير جائز[١]. أما القول بأن الرسول صلى الله عليه وسلم كان معلماً ومحارباً، فمردود بأن السياسة الآن ليست كعهد رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ إذ كان الجهاد فى عهده ضد الأعداء، وفى سبيل نشر الدعوة إلى الله سبحانه وتعالى.

بيد أن هذا الفريق قد أقر بقيام الصوفية بدور فعال تجاه مجتمعهم حال تعرضه للأخطار أو حدوث الأزمات ، أو عند النيل من الهوية الإسلامية للمجتمع ، فهنا فقط يشرع الجهاد للصوفية ، لكنهم اشترطوا أن يمارس الصوفى السياسة بصفته الشخصية ، لا بوصفه صوفياً ، فعندما قام سيدى أبو الحسن الشاذلى لمحاربة الصليبيين فى المنصورة - وأسر فيها لويس التاسع - لم يخرج يقول أنا أبو الحسن الشاذلى الصوفى صاحب الطريقة الشاذلية ، وإنما خرج كمواطن لديه دين وتقوى، فالسياسة الوطنية الإسلامية الجادة جزء من عقيدة ومبادئ الصوفى الحقيقى[٢].

والمتتبع لمواقف الشيخ وآرائه يلحظ دون عناء أنه يميل إلى الفريق الثانى، الذى يرى وجوب ابتعاد الصوفية عن المشاركة السياسية، أو تكوين الأحزاب السياسية ، وأن يعزف الصوفية بأنفسهم عن الصراع على السلطة ما استطاعوا، والاكتفاء بدور حيوى وفعال عند تعرض مجتمعاتهم للأخطار، وفى صد أى عدوان على هويتها الإسلامية، وكذا تقديم العون اللازم حال نزول أى كوارث ، أو أزمات قد تحيق بالبلاد ، أو العباد .

ويرى الشيخ أن الصوفى يجب أن يترفع عن هذه الصراعات السياسية لنيل المناصب الدنيوية، والتكسب منها، وأن يهتم بدوره فى نشر الدعوة والتربية الأخلاقية فى المجتمع، فالانخراط فى الصراع السياسى على السلطة يفقد مصداقية الصوفى، ويزيد من معارضيه، ويحط من مكانته وهيبته فى

---

[١]) الحسينى أبو الحسن الجوهرى – شيخ الطريقة الجوهرية الأحمدية .، ومن هذا الفريق أيضاً: عصام زكى إبراهيم – رائد العشيرة المحمدية وشيخ الطريقة المحمدية الشاذلية – نقلاً عن : مقال بعنوان (١٥ مليون صوفى القوة الناعمة فى مصر) ، مرجع سابق .

[٢]) عصام زكى إبراهيم ، رائد العشيرة المحمدية وشيخ الطريقة المحمدية الشاذلية ، نقلاً عن : مقال بعنوان (١٥ مليون صوفى القوة الناعمة فى مصر) ، مرجع سابق.

أعين الناس؛ إذ يفترض أن يكون الصوفى مرجعاً، وملاذاً لكل الناس على مختلف اتجاهاتهم السياسية، وألا ينحاز إلى اتجاه بعينه.

فلامشاحة فى أن الخلافات السياسية تربة خصبة للفتن والمكائد، تبذر فيها الضغينة، وتطرح الشحناء، ويسعر أصحاب النفوس المريضة، والمنتفعين السياسيين نار العداوة، والبغضاء بين الفرقاء، ويتحزبون إلى أحزاب، وكل حزب بما لديهم فرحون، ومن الأفضل أن ينأى الصوفى عن هذه البيئة بالكلية، ويزهد فى مكتسباتها، ويسعى ـ فقط ـ إلى تجميع الأمة لا إلى تفريقها.

كما يرى الشيخ أن انتماء الصوفى إلى تيار سياسى قد يظهره على أنه ساعى للسلطة، بينما يجب عليه أن يتحلى بالزهد فى السلطة أو المنصب، ولا يستقوى إلا بالله وحده ؛ تصديقاً لقوله تعالى:{إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا}[1].

وحيال ذلك، كان الشيخ ـ عادة ـ ما يترك بلدته مسافراً إلى أخرى فى فترة إجراء الانتخابات البرلمانية، وينأى بنفسه عن المشاحنات السياسية، ويقول: " أن الناجح فى هذه الانتخابات فى حقيقته ساقط ، والساقط فيها ناجح".

ولئن تصادف تسجيل موقف سياسى نادر للشيخ ، أفصح فيه عن مساندته مرشحاً ينتسب إلى أهل البيت الجعافرة ، فلا يمكن حمله على حدوث تغيير فى موقف الشيخ المعارض لتسييس التصوف ، بل هو موقف عقائدى، وتجسيد حى لمناصرة أهل البيت ؛ حباً وكرامة لجدهم صلى الله عليه وسلم ، قال تعالى: { قُل لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ }[2]، وعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ أَنَّ عَلِيًّا ذَكَرَ بِنْتَ أَبِى جَهْلٍ فَبَلَغَ ذَلِكَ النَّبِىَّ صلى الله عليه وسلم فَقَالَ " إِنَّمَا فَاطِمَةُ بَضْعَةٌ مِنِّى يُؤْذِينِى مَا آذَاهَا وَيُنْصِبُنِى مَا أَنْصَبَهَا "[3]، ولا شك أن السيدة فاطمة الزهراء تتأذى بحزن أبنائها، وتفرح لفرحهم.

وغنى عن البيان أن رؤية الشيخ المعارضة لإقحام الصوفية فى معترك السياسة لا تعنى ـ بحال من الأحوال ـ انسحابه بالكلية من الحياة السياسية

[1]) الحج : ٣٨ .
[2]) الشورى : ٢٣ .
[3]) سنن الترمذى ، المناقب ، حديث رقم ٤٢٤٣ ، نقلاً عن : موسوعة الحديث الشريف ، مرجع سابق .

لبلاده ، بل على العكس من ذلك ، فقد حرص الشيخ على استقرار البلاد ، وتدعيم أمنها ، من منطلق عقيدته فى حب الوطن، فمصر كنانة الله فى أرضه ، ذكرها الله فى كتابه ، ومنْ دخلها كان آمنا، ووطأ أرضها الأنبياء ، وأوصى النبى صلى الله عليه وسلم بأهلها خيرا، واختارها أهل البيت وطناً آمناً لهم وقت محنتهم ، وهى عش الصالحين ولم تزل.

المبحث الثانى

موقفه من الحركة الوهَّابية، والجماعات الدينية المتطرفة

يقصد ب "الحركة الوهَّابية" تلك الحركة التى ابتدعها محمد بن عبد الوهاب بن سليمان بن على، المولود فى العيينة بمنطقة نجد بالجزيرة العربية (١١١٥ هـ / ١٧٠٣م) ، والتى استقى مبادئها من آراء سلفه تقى الدين أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية الحرانى فى بلاد الشام (١٢٦٣ ــ ١٣٢٨ م) ، بزعم العودة إلى أصول الإسلام الصحيحة، وضرورة الجهاد فى سبيل ذلك ، وأن أداء المسلم للشهادتين لا تكفياه مالم يلتزم بالشرائع والفروض والواجبات.

وقد أثارت آراء ابن تيمية فى ذلك الوقت سخطاً عاماً بين العلماء والحكام فى مصر ، والشام ، والعراق ـ إبان حكم المماليك ـ فانتهى أمره إلى السجن حتى وفاته.

وبناء على آراء ابن تيمية، أباح محمد بن عبد الوهاب قتال تاركى الصلاة، ومانعى الزكاة ، وحرَّمَ زيارة القبور بما فيها قبور الأنبياء ، والصالحين ، وصرح بهدمها ، وكذا تحريم الدعاء أو الصلاة عندها ، وتكفير الاستعاذة ، أو التبرك ، أو الذبح ، أو النذر بدعوى أنها لغيرالله. وقد شاب تطبيق مبادئ الحركة الوهَّابية غُلوّاً، وتشدداً ممقوتا، فشذَّ عن سماحة ووسطية الإسلام الحنيف، وما دان به السواد الأعظم من أهل السنة والجماعة، فما أن راجت هذه الأفكار فى المدينة المنورة إلا وبادر الشيخ محمد بن سليمان الكردى ـ أستاذ محمد بن عبد الوهاب ـ ونعاه بالشذوذ عن السواد الأعظم.

وبالطبع، فقد لاقت الحركة الوهَّابية معارضة شديدة فى مناطق تجمعات أهل السنة والجماعة، كمنطقة العيينة، ومنطقة حريملاء، التى تواجد فيها محمد بن عبد الوهاب عند وفاة والده، فاضطر أميرها عثمان بن معمر إلى إخراجه منها ، فالتجأ إلى الأمير محمد بن مسعود فى منطقة الدّرعيّة ، بينما توجه اتباعه نحو المناطق التى يقطنها غالبية من الخوارج والشيعة، كمنطقة الإحساء، والمناطق الشرقية من الجزيرة العربية ، ومنطقة عمان التى انتشر فيها فرقة الإباضية ، واتخذوها مأوى لهم.

وعقد محمد بن عبد الوهاب صفقة بينه وبين الأمراء السعوديين تتضمن إقراره لهم بسلطة الحكم على أن يعتمد هؤلاء الأمراء فى الدعوة فكر الحركة الوهَّابية، ومن هنا نشأ تلازم بين الحركة الوهَّابية والأمراء السعوديين ، وتبلور حينئذ الإطار السياسى للحركة الوهَّابية . وبعد هذه الصفقة، انطلقت الحركة الوهَّابية من السعودية إلى خارج الجزيرة العربية، حتى هددت عرش الدولة العثمانية، فتحتم القضاء عليها ، وجاءت حملة محمد على باشا والى مصر العثمانى وحطمت الدّرعيّة، وأخرجت آل سعود من أغلب الحجاز (١٨١١-١٨١٨م) ، ثم أعيدت دولة آل سعود مرة ثانية، ثم مرة ثالثة على يد الملك عبد العزيز فى ثلاثينات القرن العشرين[١].

وقد مَثَّلَ الفكر الوهَّابى القطب الذى جذب إليه برادة الأفكار المتطرفة، والفرق المتشددة الأخرى، والتى اتخذت فى الوقت الحاضر أسماء شتى، كجماعة الإخوان المسلمين، والجماعات السلفية، والجماعات الإسلامية، والجهادية، والتكفيرية، وغيرها مما يطلق عليه جماعات الإسلام السياسى.

ويلحظ المتتبع لهذه الجماعات أنها ولئن اختلفت فيما بينها فى أساليب ووسائل نشر دعاويهم، إلا أن مرجعيتها واحدة ، وهى آراء ابن تيمية الشاذة ، والأفكار، والمبادئ التى اعتنقتها الحركة الوهَّابية، والتى أودت بها إلى مفارقة إجماع الأمة، وجماعة المسلمين، فضلّوا طريقهم، وأوردتهم المهالك، فعَنِ ابْنِ عُمَرَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ: "إِنَّ اللَّهَ لاَ يَجْمَعُ أُمَّتِى - أَوْ قَالَ أُمَّةَ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وسلم عَلَى ضَلاَلَةٍ وَيَدُ اللَّهِ مَعَ

---

[١]) فى تفصيلات ذلك راجع : عاصم أحمد الدسوقى ، مقال بعنوان (الوهَّابية) ، الموسوعة الإسلامية العامة ، مرجع سابق ، ص ١٤٦٢ -١٤٦٤ .

الْجَمَاعَةِ وَمَنْ شَذَّ شَذَّ إِلَى النَّارِ ". قَالَ أَبُو عِيسَى وَتَفْسِيرُ الْجَمَاعَةِ عِنْدَ أَهْلِ الْعِلْمِ هُمْ أَهْلُ الْفِقْهِ وَالْعِلْمِ وَالْحَدِيثِ[1].

ورأيتهم يعنتون أنفسهم فى ضروب العبادات ، ويوغلون فى دين الله دون رفق، حتى حادوا عن وسطية الإسلام وسماحته ، فضلوا، وأضلوا، كالمنبت الذى لايقطع أرضاً ولايبقى ظهراً، فمثلهم مثل المقبلين على الدنيا، العاكفين على لذاتها، المتهالكين على زائل عرضها ، وتحقق فيهم ـ بحق ـ قول النبى صلى الله عليه وسلم:" إِنَّ هَذَا الدِّينَ مَتِينٌ ، فَأَوْغِلْ فِيهِ بِرِفْقٍ، وَلاَ تُبَغِّضْ إِلَى نَفْسِكَ عِبَادَةَ رَبِّكَ ، فَإِنَّ الْمُنْبَتَّ لاَ سَفَرًا قَطَعَ ، وَلاَ ظَهْرًا أَبْقَى ، فَاعْمَلْ عَمَلَ امْرِئٍ يَظُنُّ أَنْ لَنْ يَمُوتَ أَبَدًا ، وَاحْذَرْ حَذَرًا تَخْشَى أَنْ تَمُوتَ غَدًا "[2].

واتخذت هذه الجماعات مما يطلق عليه (الإرهاب الدينى)؛ وسيلة لنشر دعاويهم ، فحملوا السلاح ، وشرعوا فى مقاتلة الحُكام المسلمين ـ بزعم عدم إقامتهم للدين ـ وأباحوا دماءهم، وروَّعوا الآمنين ، وكثر الهرج والمرج فى الأمة ، وعاثوا فى الأرض فسادا ، وأصبحت البلاد مستنقعاً للدماء الذكية ؛ تهافتاً على السلطة ، وطلباً لعرضها الزائل ، لولا تداركها الله برحمته.

وفاتهم أن ذلك يخرجهم من زمرة المسلمين ، فقد ورد عَنْ نَافِعٍ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ (رضى الله عنه) عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: " مَنْ حَمَلَ عَلَيْنَا السِّلاَحَ فَلَيْسَ مِنَّا "[3]. وعن أَبى هُرَيْرَة يَقُولُ ، قَالَ أَبُو الْقَاسِمِ صلى الله عليه وسلم: " مَنْ أَشَارَ إِلَى أَخِيهِ بِحَدِيدَةٍ فَإِنَّ الْمَلاَئِكَةَ تَلْعَنُهُ حَتَّى وَإِنْ كَانَ أَخَاهُ لأَبِيهِ وَأُمِّهِ "[4].

كما زاغت هذه الجماعات الضالة عن مقصود الإسلام فى المحافظة على النفس، بوصفها أهم المصالح الكلية الخمس ـ الدين ، والنفس ، والنسل ، والعرض ، والمال ـ والتى حرص النبى صلى الله عليه وسلم على صونها ، وسد الذرائع المؤدية إلى تعريضها للخطر، ونهى صلى الله عليه وسلم عن مجرد تهديدها ، فعَنْ جَابِرٍ أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم نَهَى أَنْ يُتَعَاطَى

---

[1]) سنن الترمذى ، الفتن ، حديث رقم ٢٣٢٠ ، نقلاً عن : موسوعة الحديث الشريف ، مرجع سابق .
[2]) سنن البيهقى ، الصلاة ، حديث رقم ٤٩٣٢ ، نقلاً عن: موسوعة الحديث الشريف ، مرجع سابق .
[3]) صحيح البخارى ، الديات ، حديث رقم ٦٨٧٤ ، نقلاً عن : موسوعة الحديث الشريف ، مرجع سابق .
[4]) صحيح مسلم ، البر والصلة والأدب ، حديث رقم ٦٨٣٢ ، نقلاً عن:موسوعة الحديث الشريف ،مرجع سابق.

السَّيْفُ مَسْلُولاً [١]، وعن عَبْدِ اللَّهِ أَنَّ النَّبِىَّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: " سِبَابُ الْمُسْلِمِ فُسُوقٌ ، وَقِتَالُهُ كُفْرٌ " [٢].

وقد حث النبى صلى الله عليه وسلم على طاعة أولى الأمر حتى لاتكون فتنة، ويحدث الهرج ، ويتقاتل المسلمون ، فعَنْ أَنَسٍ عَنِ النَّبِىِّ صلى الله عليه وسلم قَال: " اسْمَعُوا وَأَطِيعُوا ، وَإِنِ اسْتُعْمِلَ حَبَشِىٌّ كَأَنَّ رَأْسَهُ زَبِيبَةٌ " [٣]. ومن رحمته بأمته صلى الله عليه وسلم حَرَّمَ ترويع المسلم، ولو على سبيل المزاح ، فعَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِى لَيْلَى قَالَ حَدَّثَنَا أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم أَنَّهُمْ كَانُوا يَسِيرُونَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فِى مَسِيرٍ فَنَامَ رَجُلٌ مِنْهُمْ فَانْطَلَقَ بَعْضُهُمْ إِلَى نَبْلٍ مَعَهُ فَأَخَذَهَا فَلَمَّا اسْتَيْقَظَ الرَّجُلُ فَزِعَ فَضَحِكَ الْقَوْمُ فَقَالَ « مَا يُضْحِكُكُمْ » . فَقَالُوا لاَ إِلاَّ أَنَّا أَخَذْنَا نَبْلَ هَذَا فَفَزِعَ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم:" لاَ يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يُرَوِّعَ مُسْلِماً " [٤].

وقد حارب الشيخ تلك الجماعات الوهَّابية، والتنظيمات الإرهابية، وشاهرها العداء منذ الوهلة الأولى، فلم يدع مجلساً إلا وجهر بتطرفها، وخروجها عن إجماع الأمة، وجابه جماعاتهم الإرهابية ، التى ظهرت فى مقتبل القرن العشرين، بعد أن ارتشحت بعباءة الإسلام، ونعاهم بقوله تعالى: {أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَـٰهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِن بَعْدِ اللَّهِ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ} [٥].

كما فضح الشيخ حقيقة هذه الفرق، وأفكارهم الوهَّابية، وبيَّن مدى انخلاع معتنقيها عن جوهر الدين الحنيف، وانحرافهم عن المنهج القويم، وتكفيرهم أهل الذمة، واستحلالهم دماء المسلمين وأموالهم، حتى أنهم نبذوا آباءهم وأمهاتهم إلا أن يكونوا أمثالهم.

وعيَّنهم الشيخ بأنهم المقصودون فى الحديث الشريف ، عن الإمام عَلِىّ قال : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ : " سَيَخْرُجُ فِى آخِرِ

---

[١]) سنن أبى داوود ، الجهاد ،حديث رقم ٢٥٩٠ ، نقلاً عن : موسوعة الحديث الشريف .
[٢]) صحيح البخارى ، الإيمان ، حديث رقم ٤٨ ، نقلاً عن : موسوعة الحديث الشريف ، مرجع سابق .
[٣]) صحيح البخارى ، الأذان ، حديث رقم ٦٩٣ ، نقلاً عن : موسوعة الحديث الشريف ، مرجع سابق .
[٤]) مسند أحمد ، أحاديث رجال من أصحاب النبى ، حديث رقم ٢٣٧٦٦، نقلاً عن : موسوعة الحديث الشريف ، مرجع سابق .
[٥]) الجاثية : ٢٣ .

الزَّمَانِ قَوْمٌ أَحْدَاثُ الأَسْنَانِ سُفَهَاءُ الأَحْلاَمِ يَقُولُونَ مِنْ خَيْرِ قَوْلِ الْبَرِيَّةِ يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ لاَ يُجَاوِزُ حَنَاجِرَهُمْ يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ فَإِذَا لَقِيتُمُوهُمْ فَاقْتُلُوهُمْ فَإِنَّ فِى قَتْلِهِمْ أَجْرًا لِمَنْ قَتَلَهُمْ عِنْدَ اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ "[1]؛ كما ذهب الشيخ إلى إبطال الصلاة خلفهم، وعدَّ النظر فى وجوههم معصية ، وفى قتلهم أجراً، وتقرباً إلى الله تعالى.

كما استشهد الشيخ بقول أحد شيوخ الأزهر الشريف، حينما سئل ما رأيك فى "الوهَّابية"؟ . فقال: غير شاك فى كفرهم ، فقيل له ، وما الدليل. قال: يكرهون تعظيم النبى ومن يحقر النبى يكفر[2]؛ فقد درجت هذه الجماعات على التطاول على قدر النبى صلى الله عليه وسلم، وحقوقه على الأمة، فلايرون أفضليته صلى الله عليه وسلم إلا بكثرة عمله، ويكرهون تعظيمه، وتوقيره، فلا يسودوه، ويحرمون الاستشفاع به صلى الله عليه وسلم. ولهذا، نصح الشيخ بعدم الوقوف أمام هؤلاء المتنطعين، أو الدخول فى مناظرات، أو مجادلات فكرية معهم؛ لعدم رجاء الفائدة منهم.

ويسرد الشيخ واقعة دارت فى أحد سرادقات الاحتفال بمولد سيدى عبد الرحيم القنائى بين العارف بالله الحاج أحمد رضوان وبين حسن البنا مؤسس جماعة الإخوان المسلمين. فقد تصادف وجود الأخير بمدينة قنا للقاء بعض أعضاء جماعته، فراح يستطلع أحد سرادقات المولد بغرض نقدها ، فشاهد حضرة ذكر تردد لفظ الجلالة " هُوْ هُوْ"، فاصطف بين صفوف الذاكرين ، وأخذ يعوى قائلاً: " هَوْ ، هَوْ "؛ سخرية واستهزاءً من ذكرهم، فدنا منه الحاج أحمد رضوان وناجاه محذراً: "يا حسن البنا لاتُعَرِّض أبناء المسلمين للمشانق ، وإلا سيقصم الله ظهرك، وأُبَشِرِكَ أن دعوتك لن يظهرها الله أبداً فهى غير مأذونة من الله ورسوله ".

ويلمح الشيخ من سرد هذه الواقعة إلى أن فكر جماعة الإخوان المسلمين يودى بأعضائها المحاربين لله ورسوله إلى الشنق قصاصاً، فضلاً

---

[1]) صحيح مسلم ، الزكاة ، حديث رقم ٢٥١١ ، نقلاً عن : موسوعة الحديث الشريف ، مرجع سابق .

[2]) قول الشيخ الدجوى عن الشيخ المغربى من مشايخ الأزهر الشريف ، تأسيساً على قوله تعالى فى سورة الفتح : { لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا } ، حيث جاء فى تفسير القرطبى للآية : وَتُعَزِّرُوهُ أي تعظموه وتفخموه ، قاله الحسن والكلبي ، والتعزيز : التعظيم والتوقير. وقال قتادة : تنصروه وتمنعوا منه ، وقال بعض أهل اللغة : تطيعوه وَتُوَقِّرُوهُ أي تسودوه ، قال السدي والهاء فيهما للنبي صلى الله عليه وسلم ، وقيل : أي تدعوه بالرسالة والنبوة لا بالاسم والكنية ، وهو أمر واجب على جميع المسلمين ، بأن يسودوه فيدعوه بلفظ السيادة (سيدنا محمد) ، أوبالرسالة والنبوة .

عن قصم ظهر رئيسها، وأن دعوة الجماعة موتورة، ومآلها الخسران، والفشل، وهو ما شهد بصدقه تاريخ هذه الجماعة الإرهابية.

وقد لاقت مصر الويلات من جماعة الإخوان المسلمين، والجماعات الأخرى المنبثقة عنها، وكادت الفتنة تحرق الأخضر واليابس، فأباحوا دماء وأموال أهل الذمة، وأفتوا باستحلالها، وعاثوا فى الأرض فساد ، وعزموا على قتل كل من يقف فى مواجهتهم، فرأيتهم يقتلون ضباط وجنود الشرطة والجيش بلا جريرة، بل اتخذوا رؤساء مصر غرضاً لهم؛ إذ تعرَّض الزعيم جمال عبد الناصر لمحاولة اغتيال من تدبير الجماعة حال إلقائه خطاب فى المنشية بالأسكندرية، كما فشلت محاولة جماعة منهم فى اغتيال الرئيس محمد حسنى مبارك أثناء مشاركته فى مؤتمر القمة الأفريقية المنعقد بأثيوبيا، وتمكنت الفئة الباغية من اغتيال الزعيم الراحل محمد أنور السادات، بعد أن قاد حرب العاشر من رمضان، السادس من اكتوبر عام ١٩٧٣م، وعَبَرَ بمصر من الهزيمة إلى النصر، ورسَّخَ بحكمته دعائم السلام، وأعاد لمصر مكانتها الدولية.

وسُجِلَ للشيخ موقف مؤيد وداعم للرئيس السادات، وكان مع شيخه الإمام محمد أبو الفتوح العربى (رضى الله عنه) من أشد المؤيدين والداعمين لخطوات الرئيس المؤمن أنور السادات ، وأشادا بعدالته ، حتى نعتوه بأن ميزان العدالة فى قلبه يعادل ما فى قلب الخليفة الخامس عمر بن عبد العزيز (رضى الله عنه)، كلاً على قدر وقته، كما ترامت أخبار أن الإمام العربى قال:" أن درويشاً من أهل الله خطف السادات بيده وفاجأ به إسرائيل، وتولى حفظه حتى عاد إلى مصر سالماً غانماً "، ويترجح أن يكون لإمام العربى قد عرَّضَ فى مقالته لنفسه، أو للشيخ بقوله: "درويشاً " ، فافهم.

كما تم تأبين الرئيس السادات فى ساحة الإمام على بالكلح، ووجهت الدعوات عامة لحضور مراسم هذا التأبين ؛ اقراراً بفضله، وتقديراً لدوره الرائد فى قيادة مصر.

ولا مشاحة فى أن دعم الشيخ لرئيس مصر، وتأييده إنما هو كناية عن ولائه العقائدى لوطنه، لا لشخص الرئيس، فمصر المؤمنة، بقوله تعالى -

على لسان نبيه يوسف عليه السلام - :{ادْخُلُوا مِصْرَ إِن شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ}[1]، وأوصى النبى صلى الله عليه وسلم بأهلها خيرا، فعَنْ أَبِى ذَرٍّ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم :" إِنَّكُمْ سَتَفْتَحُونَ مِصْرَ وَهِىَ أَرْضٌ يُسَمَّى فِيهَا الْقِيرَاطُ فَإِذَا فَتَحْتُمُوهَا فَأَحْسِنُوا إِلَى أَهْلِهَا فَإِنَّ لَهُمْ ذِمَّةً وَرَحِمًا ". أَوْ قَالَ " ذِمَّةً وَصِهْرًا فَإِذَا رَأَيْتَ رَجُلَيْنِ يَخْتَصِمَانِ فِيهَا فِى مَوْضِعِ لَبِنَةٍ فَاخْرُجْ مِنْهَا"[2]، هذا فضلاً عن اختيار أهل البيت الإقامة فى مصر - بعد محنتهم فى كربلاء - ولم تزل مصر عش الصالحين.

وما فتئ الشيخ يحث أحبابه من أبناء العصبة الهاشمية على الولاء لمصر، وفدائها بأرواحهم، فحب الوطن -عنده- من الإيمان. ويبقى لنا بعد عرض موقف الشيخ من جماعات الإسلام السياسى - طرح موقفه المناوئ للشيعة المتطرفة، وهو ما نتناوله من خلال المبحث التالى:

المبحث الثالث

موقفه من الشيعة

الشيعة لغة[3]: الفرقة والجماعة، والأتباع والأنصار، وفرقة كبيرة من المسلمين اجتمعوا على حب الإمام على وآله، وأحقيتهم بالإمامة. واصطلاحاً: اشتهرت كلمة الشيعة للدلالة على الفرقة، أو الفرق الذين يتولون ويشايعون الإمام على بن أبى طالب (كرم الله وجهه)، وآل بيته، حتى صار مصطلح الشيعة اسماً خاصاً بهم.

وبدأت الشيعة بميل بعض بنى هاشم، ونفر من الصحابة فيهم المقداد بن الأسود، وسلمان الفارسى، وأبو ذر الغفارى إلى الإمام على، وتمنى تقديمه فى ترتيب الولاية بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم تجاوز - مَنْ جاء بعدهم - ذلك الميل إلى الإمام على (كرم الله وجهه) إلى تفضيله وتقديمه فى الترتيب بين الخلفاء الراشدين، وتطور الأمر بعد ذلك إلى الاعتقاد أن إمامة الإمام على بن أبى طالب، والأئمة من بنيه إنما وردت

---

[1]) يوسف : ٩٩ .
[2]) صحيح مسلم ، فضائل الصحابة ، حديث رقم ٦٦٥٨ ، نقلاً عن : موسوعة الحديث الشريف ، مرجع سابق .
[3]) المعجم الوجيز ، مرجع سابق ، ص ٣٥٧ .

بالنص الإلهى، والتعيين، والوصية التى بلَّغَها رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ للأمة كما بلغ أصول الدين، من باب قوله تعالى:{ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ}[1].

ثم قاس الشيعة الإمامة على النبوة، فجعلوها كالنبوة اصطفاء إلهياً، لا اختيارا بشرياً، وجعلوا للإمام العصمة التى للأنبياء، بل رفعوا مكانة الإمامة على مكانة النبوة، لأن النبوة ـ عندهم ـ " لُطف خاص"، أى انتهى دورها، بينما الإمامة "لُطف إلهى عام"، لأنها مستمرة بأداء رسالة النبوة، بعد انتهاء طور النبوات[2].

ويُعَد موقف الشيخ المناوئ لفرقة الشيعة المتطرفة من أبرز مواقفه السياسية وأحَدَّها، فقد أطلت على الأمة الإسلامية فى أواخر القرن العشرين أعناق تدعو إلى التقريب بين مذهب أهل السنة وبين مذهب الشيعة ، ووجد الشيخ فى ذلك التقريب الخطر الداهم على الأمة الإسلامية، لاسيما فى مصر ، البلد الذى تشرف بالأزهر الشريف، منارة الإسلام ، التى أشعت نور الإسلام السمح إلى جميع بقاع المعمورة، ويقول: "لا أخاف على مصر من الفرق الوهَّابية المتنطعة، ولا من جماعات الإسلام السياسى ، كالإخوان المسلمين ، ولكنى أخشى ما أخشاه على مصر من الشيعة المتطرفة ".

ويرى الشيخ أن الشيعة أكثر خطراً على مصر من بقية الفرق التى عاصرتها، ذلك أن شعب الكنانة مجبول على حب آل البيت، وتسعى الشيعة إلى استثمار، وتوظيف هذا الحب فى نشر دعوتهم الضالة، وجدهدوا فى جذب عوام المسلمين من محبى آل البيت، بعد أن أبدوا لهم محبتهم لأهل البيت، ثم جهدوا فى ثنى صدورهم ليستخفوا من خبيث عقيدتهم الضالة، ودسوا السم فى الدسم، وأوغلوا صدور المحبين بنار الحميَّة دفاعاً عن أهل البيت.

هذا من جانب، ومن جانب آخر فإن عقيدة الشيخ ومحبته فى أهل البيت، قد يحدو بالقاصر إلى مظنة انتساب دعوة الشيخ إلى التشيع، فحبذ

---

[1]) المائدة : ٦٧ .

[2]) فى تفصيل التعريف بالشيعة انظر: محمد عمارة ، مقال بعنوان (الشيعة) ، الموسوعة الإسلامية العامة ، مرجع سابق ، ص ٨٣٧ ـ ٨٤١ .

رسم خط التماس الفاصل بين دعوته الصادقه فى حب النبى وآله من جهة، وبين المذهب الشيعى المتطرف من جهة أخرى.

وتمثل محبة الشيخ للإمام على (كرم الله وجهه) إحدى فرائد عقيدته فى أهل البيت[1]، وقد تسامت هذه المحبة أن يبلغها الشيعة ، وهو ما يدعو إلى إلقاء الضوء على سمو هذه المحبة قبل تناول موقفه المناوئ للشيعة المتطرفة.

ويطيب للباحث ـ هنا ـ عرض مقالة الإمام محمد أبى الفتوح العربى (رضى الله عنه) المتفردة عن حقيقة استشهاد الإمام الحسين بن على (رضى الله عنه) ، التى تجسد كمال الفهم عن الله، وصدق المحبة لأهل البيت ، يقول الإمام العربى:

"بسم الله الرحمن الرحيم مؤانسة الحضرة العلية لمولانا وسيدنا وسيد الأمم وحبيبنا الأعظم وأمير المؤمنين فى الظاهر والباطن من مبتدأ الزمان إلى الغاية الإمام الحسين ..... مناجاة الحضرة العلية للإمام الحسين فى كربلاء يكلمه ربه بالأنس والمؤانسة والتسلية والتهانى والهناء فى قمة النصر والقرب والعطاء والرضى والرضاء والرضوان ، تريد أن أنصرك عليهم ياحبيب يابن الحبيب ياقمة أحبابى ونبع عطائى ومصدر ضيائى أو ترضى بلطفى وتجيئ عندى وأنت أنا يابن خير خلقنا ، سجد مولانا الإمام الحسين على قبضة الله فى غيب غيب راضياً مرضياً فى قمة النصر الربانى فى أعلى شهود ربانى لأعلى بطل ربانى ، يكفينى عظمة ذاتك أتشاورنى فى روح صنعت بأيديكم حصل الاستشهاد من عظمة الشهود والتجليات فى أعلى قمة الاشتياق".

والمتمعن فى مقالة الإمام العربى ـ رضى الله عنه ـ يجد أنها حملت تصويراً لمشهد ربانى فى عبارات وضيئة ، ولغة رصينة تلمس شغاف قلوب الأحباب والمريدين، إذ وردت هذه المقالة فى معرض توضيح عقيدة الشيخ فى محبة الإمام على كرم الله وجهه ، وسمو هذه المحبة. كما تشير هذه المقالة إلى منهج الشيخ السمح فى تربية الأحباب، وتنزيه قلوبهم من البغض والأحقاد، وسمو محبتهم عن كل نقيصة فى أهل البيت، ودحض مزاعم

---

[1]) راجع : المبحث الثانى ، وعنوانه (فرائد عقيدة الشيخ وأفكاره) ، الفصل الأول ، من الباب الثالث من هذ المؤلف ، .

الشيعة المتطرفة فى حب الإمام الحسين، وطقوسهم بالبكاء وتعذيب أنفسهم حتى يدموا أبدانهم إحياء لاستشهاده ـ عليه السلام .

كما عبَّر الشيخ فى قصائده عن سمو محبته للإمام على (كرم الله وجهه)، وبيَّنَ مكانته ، ومنزلته، ويمكن التمثيل ـ هنا ـ بأبيات من ثنتين من فرائد قصائده، أولها ـ بعنوان:(المنازلات العلية فى الحضرة الحيدرية)[1]، جاء فيها:

هل أتى على الإنسان حين هل أتى * فهو صنوان به ذاك الفتى
ياسميعاً يابصيراً أنت هو * ياعلى القبل ما قبلك أتى
أنت كرار ونعتك فى البروج * أنت عين فجرت قبل المتى
يوم ما هاجر أخوك المصطفى * ما خشيت الكفر نمت ببردة
باهى ربى فى ملائكة العُلى* أوقف الحراس عند وسادة
أنت قَدَرٌ قال عنه فامسكوا * أنت يم سارى بين صحابة

والثانية ـ بعنوان: (الوصى هو رفيق النبى)[2] وجاء فيها:

سيد الأوصياء بحر الفتوة * فى كمالات مطلع للنبوة
أول المؤمنين والكل كفر * وأخوه بمشهد فى الأخوة
أنت ياباب للمدينة حقا * حيث ما زاغ دانياً من دنوه
هِلَّ منى ودِلَّ عنى بأنى * أنت أنى وحاملاً للبنوة
أنت عرشى ومطلعى وربيبى * أنت بابى ولا سواك فتوه
ياسماء البروج والآل فيه * ياكساء به الأماجد جوه
خمسة الغيب عنده لا سواهم * والتحيات فى علينا علوه

وكافيك عزيزى القارئ هذه الأبيات فى بيان سمو عقيدة الشيخ فى محبة، ومعرفة قدر الإمام على (كرم الله وجهه) ، وأهل البيت، والتى لا يساومه عليها الشيعة ، أو غيرهم.

أما موقفه من الشيعة، فقد تجلى فى خطبه واحاديثه، التى أوضح فيها خبايا وفساد المذهب الشيعى، ودلل على خطر دعوتهم على الأمة الإسلامية،

---

[1]) مولانا العارف بالله الحاج أحمد أبو الحسن ، ديوانه (بساتين الجنات فى المدائح والصلوات على سد السادات) ، مرجع سابق ، ص ٢٠ ، ٢١.

[2]) مولانا العارف بالله الحاج أحمد أبو الحسن ، ديوانه (بساتين الجنات فى المدائح والصلوات على سد السادات) ، مرجع سابق ،ص ٢٢ ، ٢٣ .

وكشف عن خبث وسائلهم فى التسربل إلى قلوب محبى أهل البيت، واحتد عليهم حتى أنه جاهر بوصفهم: "نجس يوجب التطهر منه".

ولم يكتف الشيخ بأحاديثه العلنية، بل حرص الشيخ على تحرير موقفه من الشيعة فى كتيب سماه: (الحجج القوية المعرفة للرد على خبايا الشيعة المتطرفة)[1]، أملاه الشيخ ؛ بسطاً لموقفه المناوئ للشيعة ، ومعارضته التقريب بين المذاهب ، فكان حقيقاً بتسليط الضوء عليه فى هذا الموضع.

وقد حرص الشيخ فى هذ الكتيب على عرض الأدلة الشرعية من الكتاب والسنة، التى تفند حجج الشيعة المتطرفة ، قارعاً الحجة بالحجة، فاضحاً ما يبطنه هذا المذهب من خبايا فاسد، ومبيناً فضل الخلفاء الراشدين، وقدرهم .

ولا جرم أن التعريف بفضل الخلفاء الراشدين يدحض مزاعم الشيعة المتطرفة فى إنكار فضلهم، ويقوض خوضهم ، وتجرئهم على قدر الصحابة (رضوان الله عليهم) ، كما يجحد دعواهم باستلابهم امتياز الإمام على (كرم الله وجهه) فى خلافة النبى صلى الله عليه وسلم .

وقد قَسَّمَ الشيخ كتيبه سالف الذكر إلى خمسة أبواب تناول الباب الأول فضل الصحابة أجمعين، وبيان قدرهم، ثم خصص الأربع أبواب التالية لفضل كل من الخلفاء الراشدين الأربعة بحسب ترتيب ولايتهم ، وذلك على النحو التالى :

الباب الأول ـ وعنوانه : (فضل الصحابة أجمعين وبيان قدرهم) استهله الشيخ بالحمد والثناء على رب العزة ، الذى مدح فى كتابه السادة الصحابة ، ثم عقب الشيخ بقوله :" فاعلم وفقنى الله وإياك أن هذه الآية:{ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ}[2] لا تتجلى إلا فيهم (أى: الصحابة)، فهم الكمال اللائق بكمال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ولولا عظمة الصحبة لما سمى الآتون من بعدهم تابعين .. لأن التابعين هم منْ اجتمعوا بأصحاب رسول الله، وهم فى الصف الثانى من الخيرية، كما قال

[1]) مولانا العارف بالله تعالى الحاج أحمد أبو الحسن ، الحجج القوية المعرفة لخبايا الشيعة المتطرفة ، كتيب بدون ناشر ، مطابع الدار الهندسية ، وتصدر الكتيب بتمهيد بقلم خادم آل البيت / جابر عبد المنعم على .

[2]) الأحزاب : ٢٣ .

(صلى الله عليه وسلم) فى الحديث " خَيْرُكُمْ قَرْنِى ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ "[١].

ويستطرد الشيخ : " فحرمة الصحابة من حُرمة رسول الله ، وحرمة رسول الله (صلى الله عليه وسلم) من حرمة الله، فهم الأوعية الواعية التى تلقت لنا هذا الدين، ودافعت عنه ، وحفظته، ووعته، وقُتِلت دونه، وقاتلت دونه ، فقتل الأخ أخاه ، وقاتل الرجل ذوى رحمه".

ويرى الشيخ أن من خصائص الصحابة أنهم عدول، فجميعهم رأى النبى (صلى الله عليه وسلم)، وعدالتهم هذه تقابل عصمة الأنبياء، بمعنى أن الصحابى إن ظلم نفسه بمعصية رجع فوراً سواء بالتوبة، أو بإقامة الحد، فيعود عدل كما كان، فجميعهم عدول، وليس بينهم ظالم. وتدحض الشيعة عدالة الصحابة بقولهم أن الخلفاء الراشدين ظلموا سيدنا الإمام على أولويته فى الخلافة، وإمامة المسلمين، وزعموا أنها وصية النبى(صلى الله عليه وسلم) للأمة ، وأن الصحابة خالفوا وصيته (صلى الله عليه وسلم) فخاضوا فيهم وسبوهم ؛ لذا ، نبه الشيخ إلى عدم جواز الخوض فى السادة الصحابة، أو التدخل فيما شجر بينهم، لسد ذرائع الإساءة لأيهم. فقد أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نلعن الخائض فى أصحابه، فعَنِ ابْنِ عُمَرَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: "إِذَا رَأَيْتُمُ الَّذِينَ يَسُبُّونَ أَصْحَابِى فَقُولُوا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى شَرِّكُمْ "[٢]، وقوله صلى الله عليه وسلم:"اللَّهَ اللَّهَ فِى أَصْحَابِى اللَّهَ اللَّهَ فِى أَصْحَابِى لاَ تَتَّخِذُوهُمْ غَرَضًا بَعْدِى فَمَنْ أَحَبَّهُمْ فَبِحُبِّى أَحَبَّهُمْ وَمَنْ أَبْغَضَهُمْ فَبِبُغْضِى أَبْغَضَهُمْ وَمَنْ آذَاهُمْ فَقَدْ آذَانِى وَمَنْ آذَانِى فَقَدْ آذَى اللَّهَ وَمَنْ آذَى اللَّهَ فَيُوشِكُ أَنْ يَأْخُذَهُ "[٣].

أما الباب الثانى ـ وعنوانه: (فى بيان فضل سيدنا أبى بكر الصديق رضى الله عنه) فقد ذكر فيه ماورد عن فضل سيدنا أبى بكر الصديق (رضى الله عنه) فى الكتاب والسنة ، إذ قال الله تعالى: {إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا }[٤]، يقول الشيخ: "وصاحبه فى الهجرة هو سيدنا أبو بكر

[١]) صحيح البخارى ، الشهادات ، حديث رقم ٢٦٥١ ، نقلاً عن : موسوعة الحديث الشريف ، مرجع سابق .
[٢]) سنن الترمذى ، المناقب ، حديث رقم ٤٢٤٠ ، نقلاً عن : موسوعة الحديث الشريف ، مرجع سابق .
[٣])سنن الترمذى ، المناقب ، حديث رقم ٤٢٣٦ ، نقلاً عن : موسوعة الحديث الشريف ، مرجع سابق .
[٤]) التوبة : ٤٠ .

الصديق (رضى الله عنه) ، الذى أجمعت الأمة على تقديمه على سائر الأصحاب".

ثم نوه الشيخ إلى الأحاديث الواردة فى مناقب سيدنا أبى بكر الصديق (رضى الله عنه)، وماورد فى فضله ، فأورد ما أخرجه البزاز عن أسيد بن صفوان ن قال: لما توفى أبو بكر سُجىَّ بثوب، فارتجت المدينة بالبكاء، ودهش الناس كيوم قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم، وجاء على (كرم الله وجهه) مسرعاً مسترجعاً، وهو يقول: اليوم انقطعت خلافة النبوة حتى وقف على باب البيت الذى فيه أبو بكر، فقال رحمك الله يا أبابكر كنت أول القوم إسلاماً، وأخلصهم إيماناً، وأشدهم يقيناً، وأخوفهم لله، وأعظمهم عناءً، وأحفظهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأحدهم على الإسلام، وآمنهم على الصحابة، وأحسنهم صحبة، وأفضلهم مناقب، وأكثرهم سوابق، وأرفعهم درجة، وأقربهم من رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأشبههم له هدياً، وخلقاً، وسناً، وأوثقهم عنده، وأشرفهم منزلة، وأكرمهم عليه، فجزاك الله عن الإسلام وعن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) والمسلمين خيرا ...".

ويعقب الشيخ على ما سبق بقوله: " انظروا إلى رثاء الإمام على (كرم الله وجهه) لأبى بكر، وشهادته له، وإقراره بفضله، وعمله، فكيف يزعم أقوام إنهم يحبون الإمام علياً (كرم الله وجهه) ويكرهون أبا بكر الصديق؟!

ألم يتبصروا رثاء على فى أبى بكر، ومدى حزنه عليه، وكمال وصفه له، لمَّ لا يواسون الإمام على (كرم الله وجهه) ويواسون رسول الله فى أبى بكر ؟! أين هم والدين ؟! أين هم والإمام على - كرم الله وجهه ؟! أين هم والإجماع ؟! أين هم وفضل أصحاب رسول الله ؟!"، ويستنكر الشيخ أمر الشيعة قائلاً: "لو كان هؤلاء الدخلاء على دين الله موالين لحضرة الإمام على لحزنوا معه فى هذا اليوم بقلوبهم ، لفقدهم أبا بكر الصديق ، ولكن شواهد الحقائق تكذب الأدعياء ، حفظنا الله وإياكم من التطرف فى الدين ... ومن عماء البصر والبصائر".

وينوه الشيخ إلى الفرق بين الخلافة والإمامة ، فيقول : " الخلافة التى يقول عنها الإمام على(كرم الله وجهه) فى قوله اليوم انقطعت خلافة النبوة ، تشير لنا أن خلافة النبوة لرسول الله صلى الله عليه وسلم فى أبى بكر ،

وهى غير الإمامة" . ويختتم الشيخ الباب بقوله : " فأعلم أن الذى يجرؤ على حرمة خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فهو كافر بالإجماع ، يجب قتله وحرقه ".

أما الباب الثالث ـ وعنوانه : (فى فضل سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه) ، فقد تعرض فيه الشيخ لفضل أمير المؤمنين سيدنا عمر بن الخطاب (رضى الله عنه) ـ مستهلاً بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم:" " لَوْ كَانَ بَعْدِى نَبِىٌّ لَكَانَ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ"[١].

ويوصى الشيخ قائلاً: " فاعلم يا أخى وفقنى الله وإياك ... تضلَّع من بساتين سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، و تمسك بحب أصحابه وآل بيته ، ودافع عن عقيدتك ، وعن أصحاب نبيك ضد هؤلاء المضلين الدخلاء المتطرفين ، ولو أدى هذا الأمر لاستشهادك ، والحجة نيرة ، والسبيل واضح ، وكم لهم من كتب وتفاسير مغرضة يريدون منها هدم هذا الدين من أركانه ، ومن أعلاه".

وكشف الشيخ عن حقيقة الشيعة، وما تثنيه صدورهم فيقول : " إنهم ماكرهوا سيدنا أبابكر ، وسيدنا عمر لمحبتهم فى سيدنا الإمام على ، ولكنهم كارهون لهم أجمعين ، يكرهون أبا بكر وعمر وعثمان وعليا ، فلا تقف عند سطورهم الزائفة ، وحججهم الواهية ، التى ليس لها من سلطان قديم ، ولا هدى ولا صراط مستقيم ، بل هى تضاليل استهوتهم شياطينهم فقسموا دينهم شيعاً ، وفارقوا الإجماع ، وحُرِمُوا الاتباع والانتفاع ، ولجوا فى الابتداع ، يريدون تشكيك عباد الله . قاتلهم الله" .

أما الباب الرابع ـ وعنوانه: (فى فضل سيدنا عثمان بن عفان رضى الله عنه)، فقد أورد فيه الشيخ الأحاديث ، والمواقف الموضحة لفضل سيدنا عثمان ، وعظيم قدره ، ومنها أنه صلى الله عليه وسلم قَالَ : " لِكُلِّ نَبِىٍّ رَفِيقٌ فِى الْجَنَّةِ وَرَفِيقِى فِيهَا عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ "[٢].

وعَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ خَبَّابٍ قَالَ شَهِدْتُ النَّبِىَّ -صلى الله عليه وسلم- وَهُوَ يَحُثُّ عَلَى جَيْشِ الْعُسْرَةِ فَقَامَ عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ عَلَىَّ مِائَةُ بَعِيرٍ بِأَحْلاَسِهَا وَأَقْتَابِهَا فِى سَبِيلِ اللَّهِ. ثُمَّ حَضَّ عَلَى الْجَيْشِ فَقَامَ عُثْمَانُ

[١]) سنن الترمذى ، المناقب ، حديث رقم ٤٠٥٠ ، نقلاً عن : موسوعة الحديث الشريف ، مرجع سابق .
[٢]) سنن ابن ماجه ، المقدمة ، حديث رقم ١١٤ ، نقلاً عن : موسوعة الحديث الشريف ، مرجع سابق .

بْنُ عَفَّانَ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ عَلَىَّ مِائَتَا بَعِيرٍ بِأَحْلاَسِهَا وَأَقْتَابِهَا فِى سَبِيلِ اللَّهِ. ثُمَّ حَضَّ عَلَى الْجَيْشِ فَقَامَ عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ لِلَّهِ عَلَىَّ ثَلاَثُمِائَةِ بَعِيرٍ بِأَحْلاَسِهَا وَأَقْتَابِهَا فِى سَبِيلِ اللَّهِ. فَأَنَا رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- يَنْزِلُ عَنِ الْمِنْبَرِ وَهُوَ يَقُولُ " مَا عَلَى عُثْمَانَ مَا عَمِلَ بَعْدَ هَذِهِ مَا عَلَى عُثْمَانَ مَا عَمِلَ بَعْدَ هَذِهِ "[١].

يقول الشيخ: " فانظر إلى فضل أمير المؤمنين عثمان بن عفان، الذى اشترى البئر رومه لسقاية المسلمين، وجهز جيش العسرة، وتزوج بنتى رسول الله صلى الله عليه وسلم، وجمع القرآن، ووسع فى مسجد النبى".

ويردف الشيخ مستنكراً: أمثل هذا بعد أن وضَّحَ الله سبحانه وتعالى على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم فضله، وأن ما عليه ماعمل بعد تجهيزه جيش العسرة من حُر ماله، فماذا تقول الفئة الضالة المضلة ، التى استهوتها أهوائها .. فأعلم يا أخى وفقنى الله وإياك أن الصحابة عدول، لا يحق لأحد أن يتحدث عنهم بحديث لا يليق بمقامهم فالحجة نيرة بينة".

أما الباب الخامس ـ وعنوانه: (فى فضل أمير المؤمنين الإمام على بن أبى طالب كرم الله وجهه ، ورضى الله عنه) ، فقد أورد فيه الشيخ الأحاديث النبوية ، وأقوال الصحابة فى فضل الإمام على (كرم الله وجهه) ـ مستهلاً بقوله صلى الله عليه وسلم:" مَنْ كُنْتُ مَوْلاَهُ فَعَلِىٌّ مَوْلاَهُ "[٢]. ويستدرك الشيخ : "ولنقف عند هذا الحديث ، وذاك الحديث ، الذى قال فيه : " خير أصحابى أبو بكر " وقوله صلى الله عليه وسلم فى حديث آخر عَنِ ابْنِ عُمَرَ قَالَ آخَى رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم بَيْنَ أَصْحَابِهِ فَجَاءَ عَلِىٌّ تَدْمَعُ عَيْنَاهُ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ آخَيْتَ بَيْنَ أَصْحَابِكَ وَلَمْ تُؤَاخِ بَيْنِى وَبَيْنَ أَحَدٍ. فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم " أَنْتَ أَخِى فِى الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ "[٣]، فله الأخوة والصحبة".

ولمَّا استخلفه على المدينة يوم غزوة تبوك ـ أرجف المنافقون بأنه إنما خلّفه استثقالاً فأخذ سلاحه وأتى النبى صلى الله عليه وسلم ، وأخبره الخبر فقال : " كذبوا ولكن خلفتك لما تركت ورائى فارجع فى أهلى وأهلك

[١]) سنن الترمذى ، المناقب ، حديث رقم ٤٠٦٥ ، نقلاً عن : موسوعة الحديث الشريف ، مرجع سابق .
[٢]) سنن الترمذى ، المناقب ، حديث رقم ٤٠٧٨ ، نقلاً عن : موسوعة الحديث الشريف ، مرجع سابق .
[٣]) سنن الترمذى ، المناقب ، حديث رقم ٤٠٨٦ ، نقلاً عن : موسوعة الحديث الشريف ، مرجع سابق .

، أفلا ترضى ياعلى أن تكون منى بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لانبى بعدى . قال رضيت ثم رضيت ثم رضيت " . وعَنْ عَلِىِّ بْنِ زَيْدٍ قَالَ سَمِعْتُ سَعِيدَ بْنَ الْمُسَيَّبِ قَالَ قُلْتُ لِسَعْدِ بْنِ مَالِكٍ إِنَّكَ إِنْسَانٌ فِيكَ حِدَّةٌ وَأَنَا أُرِيدُ أَنْ أَسْأَلَكَ. فَقَالَ مَا هُوَ قَالَ قُلْتُ حَدِيثُ عَلِىٍّ. قَالَ فَقَالَ إِنَّ النَّبِىَّ -صلى الله عليه وسلم- قَالَ لِعَلِىٍّ « أَمَا تَرْضَى أَنْ تَكُونَ مِنِّى بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَى ». قَالَ رَضِيتُ رَضِيتُ. ثُمَّ قَالَ بَلَى بَلَى[١].

وجمع ابن عباس رضى الله عنه عشرة مناقب للإمام على في الحديث الطويل ، فعنْ عَمْرُو بْنُ مَيْمُونٍ قَالَ إِنِّى لَجَالِسٌ إِلَى ابْنِ عَبَّاسٍ إِذْ أَتَاهُ تِسْعَةُ رَهْطٍ فَقَالُوا يَا أَبَا عَبَّاسٍ إِمَّا أَنْ تَقُومَ مَعَنَا وَإِمَّا أَنْ يُخْلُونَا هَؤُلاَءِ. قَالَ فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ بَلْ أَقُومُ مَعَكُمْ. قَالَ وَهُوَ يَوْمَئِذٍ صَحِيحٌ قَبْلَ أَنْ يَعْمَى قَالَ فَابْتَدَءُوا فَتَحَدَّثُوا فَلاَ نَدْرِى مَا قَالُوا - قَالَ - فَجَاءَ يَنْفُضُ ثَوْبَهُ وَيَقُولُ أُفْ وَتُفْ وَقَعُوا فِى رَجُلٍ لَهُ عَشْرٌ وَقَعُوا فِى رَجُلٍ قَالَ لَهُ النَّبِىُّ -صلى الله عليه وسلم- « لأَبْعَثَنَّ رَجُلاً لاَ يُخْزِيهِ اللَّهُ أَبَداً يُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ». قَالَ فَاسْتَشْرَفَ لَهَا مَنِ اسْتَشْرَفَ قَالَ « أَيْنَ عَلِىٌّ ». قَالُوا هُوَ فِى الرَّحَى يَطْحَنُ. قَالَ « وَمَا كَانَ أَحَدُكُمْ لِيَطْحَنَ ». قَالَ فَجَاءَ وَهُوَ أَرْمَدُ لاَ يَكَادُ يُبْصِرُ - قَالَ - فَنَفَثَ فِى عَيْنَيْهِ ثُمَّ هَزَّ الرَّايَةَ ثَلاَثاً فَأَعْطَاهَا إِيَّاهُ فَجَاءَ بِصَفِيَّةَ بِنْتِ حُيَىٍّ - قَالَ - ثُمَّ بَعَثَ فُلاَناً لِسُورَةِ التَّوْبَةِ فَبَعَثَ عَلِيًّا خَلْفَهُ فَأَخَذَهَا مِنْهُ قَالَ « لاَ يَذْهَبُ بِهَا إِلاَّ رَجُلٌ مِنِّى وَأَنَا مِنْهُ ». قَالَ وَقَالَ لِبَنِى عَمِّهِ « أَيُّكُمْ يُوَالِينِى فِى الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ ». قَالَ وَعَلِىٌّ مَعَهُ جَالِسٌ فَأَبَوْا فَقَالَ عَلِىٌّ أَنَا أُوَالِيكَ فِى الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ. قَالَ « أَنْتَ وَلِيِّى فِى الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ ». قَالَ فَتَرَكَهُ ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى رَجُلٍ مِنْهُمْ فَقَالَ « أَيُّكُمْ يُوَالِينِى فِى الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ ». فَأَبَوْا قَالَ فَقَالَ عَلِىٌّ أَنَا أُوَالِيكَ فِى الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ. فَقَالَ « أَنْتَ وَلِيِّى فِى الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ ». قَالَ وَكَانَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ مِنَ النَّاسِ بَعْدَ خَدِيجَةَ - قَالَ - وَأَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- ثَوْبَهُ فَوَضَعَهُ عَلَى عَلِىٍّ وَفَاطِمَةَ وَحَسَنٍ وَحُسَيْنٍ فَقَالَ « (إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً) ». قَالَ وَشَرَى عَلِىٌّ نَفْسَهُ لَبِسَ ثَوْبَ النَّبِىِّ -صلى الله عليه وسلم- ثُمَّ نَامَ مَكَانَهُ - قَالَ - وَكَانَ الْمُشْرِكُونَ يَرْمُونَ رَسُولَ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- فَجَاءَ أَبُو بَكْرٍ وَعَلِىٌّ نَائِمٌ - قَالَ -

---

[١]) مسند أحمد ، مسند سعد بن أبى وقاص ، حديث رقم ١٥٢٧ ، نقلاً عن : موسوعة الحديث الشريف ، مرجع سابق .

وَأَبُو بَكْرٍ يَحْسَبُ أَنَّهُ نَبِىُّ اللَّهِ قَالَ فَقَالَ يَا نَبِىَّ اللَّهِ. قَالَ فَقَالَ لَهُ عَلِىٌّ إِنَّ نَبِىَّ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- قَدِ انْطَلَقَ نَحْوَ بِئْرِ مَيْمُونٍ فَأَدْرِكْهُ. قَالَ فَانْطَلَقَ أَبُو بَكْرٍ فَدَخَلَ مَعَهُ الْغَارَ - قَالَ - وَجَعَلَ عَلِىٌّ يُرمَى بِالْحِجَارَةِ كَمَا كَانَ يُرْمَى نَبِىُّ اللَّهِ وَهُوَ يَتَضَوَّرُ قَدْ لَفَّ رَأْسَهُ فِى الثَّوْبِ لاَ يُخْرِجُهُ حَتَّى أَصْبَحَ ثُمَّ كَشَفَ عَنْ رَأْسِهِ فَقَالُوا إِنَّكَ لَلَئِيمٌ كَان صَاحِبُكَ نَرْمِيهِ فَلاَ يَتَضَوَّرُ وَأَنْتَ تتَضَوَّرُ وَقَدِ اسْتَنْكَرْنَا ذَلِكَ. قَالَ وَخَرَجَ بِالنَّاسِ فِى غَزْوَةِ تَبُوكَ قَالَ فَقَالَ لَهُ عَلِىٌّ أَخْرُجُ مَعَكَ. قَالَ فَقَالَ لَهُ نَبِىُّ اللَّهِ « لاَ ». فَبَكَى عَلِىٌّ فَقَالَ لَهُ « أَمَا تَرْضَى أَنْ تَكُونَ مِنِّى بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَى إِلاَّ أَنَّكَ لَسْتَ بِنَبِىٍّ إِنَّهُ لاَ يَنْبَغِى أَنْ أَذْهَبَ إِلاَّ وَأَنْتَ خَلِيفَتِى ». قَالَ وَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ « أَنْتَ وَلِيِّى فِى كُلِّ مُؤْمِنٍ بَعْدِى ». وَقَالَ « سُدُّوا أَبْوَابَ الْمَسْجِدِ غَيْرَ بَابِ عَلِىٍّ ». فَقَالَ فَيَدْخُلُ الْمَسْجِدَ جُنُباً وَهُوَ طَرِيقُهُ لَيْسَ لَهُ طَرِيقٌ غَيْرُهُ قَالَ وَقَالَ: « مَنْ كُنْتُ مَوْلاَهُ فَإِنَّ مَوْلاَهُ عَلِىٌّ ». قَالَ وَأَخْبَرَنَا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِى الْقُرْآنِ أَنَّهُ قَدْ رَضِىَ عَنْهُمْ عَنْ أَصْحَابِ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِى قُلُوبِهِمْ هَلْ حَدَّثَنَا أَنَّهُ سَخِطَ عَلَيْهِمْ بَعْدُ. قَالَ وَقَالَ نَبِىُّ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- لِعُمَرَ حِينَ قَالَ ائْذَنْ لِى فَلأَضْرِبْ عُنُقَهُ. قَالَ « أَوَكُنْتَ فَاعِلاً وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ اللَّهَ قَدِ اطَّلَعَ إِلَى أَهْلِ بَدْرٍ فَقَالَ اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ "[1].

ويبين الشيخ أنه لما سئل الإمام على (كرم الله وجهه) فى زمن خلافته .هل أوصى لك النبى صلى الله عليه وسلم بالخلافة ، قال: "لا ولو أوصى لى بها لقاتلت عليها حتى لو لم يبق معى إلا سيفى ودرعى".

ويعلق الشيخ (رضى الله عنه) على ذلك بقوله: ولو أوصى له بها لامتنع عن بيعة أبى بكر، وعمر، وعثمان (رضى الله عنهم). أما قول الرافضة قاتلهم الله إن ذلك كان من التقية كذباً وزوراً؛ إذ كان (رضى الله عنه) ذا قوه وشجاعة، وقد توفرت عشيرته من بنى هاشم، فكانوا أهل قوة ومنعة، فالرافضة قاتلهم الله ينسبون له عدم الشجاعة، فذلك زوراً وبهتانا، وينشأ الشيخ فى ذلك المعنى قائلاً:

كذبوا ورب البيت إن علينا *** أسد همام لا يهاب قتالا
لم ينج منه منازل فى حومته *** ساقى العِدا كاس الردى ببسالا

[1]) مسند أحمد ، مسند عبد الله بن العباس ، حديث رقم ٣١١٧ ، نقلاً عن : موسوعة الحديث الشريف ، مرجع سابق .

ويجمع الشيخ بقوله: ومما ورد فى الأربعة الراشدين ـ رضوان الله عليهم ـ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ : " أَرْحَمُ أُمَّتِى بِأُمَّتِى أَبُو بَكْرٍ وَأَشَدُّهُمْ فِي دِينِ اللَّهِ عُمَرُ وَأَصْدَقُهُمْ حَيَاءً عُثْمَانُ وَأَقْضَاهُمْ عَلِيُّ بْنُ أَبِى طَالِبٍ وَأَقْرَؤُهُمْ لِكِتَابِ اللَّهِ أُبَيُّ بْنُ كَعْبٍ وَأَعْلَمُهُمْ بِالْحَلاَلِ وَالْحَرَامِ مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ وَأَفْرَضُهُمْ زَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ أَلاَ وَإِنَّ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَمِينًا وَأَمِينُ هَذِهِ الأُمَّةِ أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ "[1]. ثم يذكر الشيخ ما ورد عَنْ سَفِينَةَ قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: " الْخِلاَفَةُ ثَلاَثُونَ عَاماً ثُمَّ يَكُونُ بَعْدَ ذَلِكَ الْمُلْكُ. قَالَ سَفِينَةُ أَمْسِكْ خِلاَفَةُ أَبِى بَكْرٍ سَنَتَيْنِ وَخِلاَفَةُ عُمَرَ رَضِىَ اللَّهُ عَنْهُ عَشْرَ سِنِينَ وَخِلاَفَةُ عُثْمَانَ اثْنَىْ عَشْرَ سَنَةً وَخِلاَفَةُ عَلِىٍّ سِتُّ سِنِينَ[2]، فقد صرح عليه الصلاة والسلام بأن الخلفاء الراشدين هم أفضل الصحابة .

وعن ترتيب الأفضلية بينهم، يقول الشيخ: " ترتيبهم فى الفضل على حسب ترتيبهم فى تولى الخلافة، فلعنة الله على منْ فرق بينهم؛ ولاءً لبعضهم، ومعاداةً للبعض الآخر، فإن من عادى أحدهم فلا ينفعه ولاء الآخر، وكان عدوا لله ورسوله".

ويتطرق الشيخ فى نهاية كتيبه إلى المذهب الزيدى الذى اتخذته الشيعة ذريعة لبدعهم، فيقول: " أما ما ابتدعته الفئة الضالة المضلة مؤخراً من سب الصحابة، ونسبوه إلى الزيدية زوراً وبهتاناً، فيشهد الإجماع بما جاء به سيدنا زيد يوم البيعة فى الكوفة، حينما قال له الرافضة تخل عن الشيخين، وهما أبو بكر وعمر (رضى الله عنهما)، فقال إنى لا أتخلى عنهما فهم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأصحاب الفضل، فقالوا: إذن نرفضك ولانرضى أن نبايعك، فقال: اذهبوا فأنتم الرافضة.

---

[1]) سنن ابن ماجه ، المقدمة ، حديث رقم ١٥٩ ، نقلاً عن : موسوعة الحديث الشريف ، مرجع سابق .

[2]) مسند أحمد ، حديث أبى عبد الرحمن سفينة ، حديث رقم ٢٢٥٥٩ ، نقلاً عن : موسوعة الحديث الشريف ، مرجع سابق ، كما ورد مثله : عَنْ أَبِى عُبَيْدَةَ بْنِ الْجَرَّاحِ وَمُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ رَضِىَ اللَّهُ عَنْهُمَا عَنِ النَّبِىِّ -صلى الله عليه وسلم- قَالَ :« إِنَّ اللَّهَ بَدَأَ هَذَا الأَمْرَ نُبُوَّةً وَرَحْمَةً وَكَائِنًا خِلاَفَةً وَرَحْمَةً وَكَائِنًا مُلْكًا عَضُوضًا وَكَائِنًا عُتُوَّةً وَجَبْرِيَّةً وَفَسَادًا فِى الأُمَّةِ يَسْتَحِلُّونَ الْفُرُوجَ وَالْخُمُورَ وَالْحَرِيرَ وَيُنْصَرُونَ عَلَى ذَلِكَ وَيُرْزَقُونَ أَبَدًا حَتَّى يَلْقَوُا اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ ».البيهقى ، قتال أهل البغى ، حديث رقم ١٧٠٧٣، المرجع السابق .

.

أما الفئة التى قالت له إنا نتولاهما (أى الشيخين) ونقرهما مع ، ونحبهما لحبك، ونقاتل معك، قال الإمام زيد لهم: أنتم الزيدية، حتى يُفرِّق بينهم وبين الرافضة".

ويستدرك الشيخ: " لكن الزيدية خلفوا من بعدهم خلف استنطلوا بالاسم، وخالفوا الإجماع والاتباع ، يسبون أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فهؤلاء فئة من الدخلاء الغلاة المتطرفين، المعروفين بالزيدية الآن فى صنعاء، وفى العراق، وبعضها فى إيران، وفى كثير من البلاد الإسلامية، فهم فسقة فجرة، يسبون الصحابة، وهم متطرفون لم ير منهم الإسلام خيراً، ولا المسلمين، فهم فئة ضالة مضلة، أما سيدنا زيد بن سيدنا الإمام زين العابدين بن سيدنا الإمام الحسين بن سيدنا الإمام على (رضى الله عنهم)، فهو برئ منهم ، ومما أتو به".

ولا جرم أن ما أورده الشيخ فى هذا الكتيب من أدلة نقلية فى فضل السادة الصحابة، وما أفاض الله به عليه من دلائل عقلية لهو خير تجسيد لموقفه المناوئ للمذهب الشيعى، والتصدى لدعاة التقريب بين مذهبهم وبين مذهب أهل السنة والجماعة، ويزيل فى الوقت ذاته ثمة شبهة عن تشيع أبناء العصبة الهاشمية، أو مشايخها.

ولم يفت الشيخ الإشادة بدور أهل الله، بوصفهم العالمين العارفين بدين الله ، الأمناء على تبليغ ما أخفاه التاريخ ـ فى كشف تلوين الشيعة ، ومحاولتهم إخفاء حقيقة مذهبهم بما يسمى التَّقية[1]، يقول الشيخ: " فإن الأقلام لها على السطور هفوات، لاسيما أقلام أهل البدع، والفرق الزائغة عن الإجماع، المحرفين للقول عن مواضعه، فلا يظهرهم فى هذا التلاعب فى الدين إلا أهل البصائر، كأستاذنا الإمام محمد أبو الفتوح العربى ـ رضى الله عنه ونفعنا الله به ـ الذى عَلِمَ أن الشيعة التى تعبد الله على جرف هار تغير ملامح أسلوبها بعد فضح اعتقادهم، فأتو فى آخر الزمان، ليغيروا هذه الملامح التى حوربت من أهل السنة كلهم".

كما كشف الشيخ عن هؤلاء المتربصين بمصر سوءاً، كالقمى المعروف عند أهل إيران بالإمام القمى، الذى قال: " أقمت فى مصر أربعين

[1]) التَّقية : إظهار الإنسان غير ما يبطن اتقاء لضرر محقق الوقوع وهى عند الشيعة عقيدة ودين ، راجع محمد عمارة ، مقال بعنوان (الشيعة) ، الموسوعة الإسلامية العامة ، مرجع سابق ، ص٨٤٠ .

عاماً لتقريب وجهات النظر بين أهل السنة والشيعة المتطرفة"، فقد اجتمع بعلماء ضعيفين الإرادة، فوافقوه على بعض آرائه".

ويسرد الشيخ واقعة تبلور موقفه، وموقف شيخه الإمام العربى فى صد المد الشيعى فى مصر، وكان قد حضر إلى القاهرة مجموعة من الشيعة لنشر مذهبهم، بغرض إنشاء جمعية باسم " أهل البيت الجعفرى" تكون مقراً ونواة للشيعة فى مصر، بعد أن عملت على تجنيد أبناء الجعافرة فى صعيد مصر، فكلفه الإمام العربى بالسفر إلى القاهرة لكشف مخططهم.

ولما وصل الشيخ إلى القاهرة أقام فى مسكن بأحد أحيائها الراقية، وإذ بهذه المجموعة تجتمع سراً بمنزل مقابل لإقامة الشيخ، فلما شاهدوه هابوه، لعلمهم بموقفه المجابه للتشيع، وظنوا أنه حضر لمداهمتهم فى عقر دارهم، أو إبلاغ السلطات عنهم، وخشية من افتضاح أمرهم، فروا مذعورين دافنين ليختفوا من جديد، وقد تأجل إثر تلك الواقعة مخطط المد الشيعى فى مصر.

وبهذا نكون قد فرغنا من الحديث عن موقف الشيخ المناوئ لبعض الفرق، ونفرغ الآن إلى بيان منزلة الشيخ ومناقبه، ثم التعرض إلى أحبابه ونهجه فى تربيتهم، والتعرف على أهم كتبه، وأخيراً وفاته، وذلك من خلال الباب التالى.

الباب السادس

منزلته، وأحبابه، وكتبه، ووفاته

بعد ان فرغنا من استعراض دور الشيخ الاجتماعى، وموقفه المناوئ لبعض الفرق، التى زاغت عن السير القويم، يبقى لنا تناول لمحات إلى منزلته، ومريديه، وكتبه، ثم وفاته، وسوف يتم تقسيم هذا الباب إلى ثلاثة فصول: أولها- يتناول منزلة الشيخ، ورتبته، والثانى- يعالج منهجه فى التربية، وذكر المريدين، والثالث- يعرج إلى كتبه، ووفاته، وذلك على النحو الآتى .

الفصل الأول

منزلة الشيخ ، ورتبته

يقصد بالمنزلة هنا المكانة والمرتبة، ومكانة الشيخ ورتبته معجم لا تحصى مفرداته، فهو دوحة وارفة الظل من دَوْحِ المصطفى صلى الله عليه وسلم، وخضم ساكن، ليس له ساحل .

وواهم من يعتقد أن الحديث عن منزلة الشيخ يودى إلى معرفة مقامه، أو رتبته فى درج الولاية ـ كالقطبية ، أو الغوثية ، أو غيرهما ـ فالشيخ من عباد الله المجتبئين قِدَماً ، أخفى الله نزله على درجات الولاية المعلومة ، فلا يعَلم له فى الأحوال أطوار ، ولا فى المقامات منصبا .

ولمَّا سئل أحدهم[1]: ياسيدى أنت القطب، فقال: نزه شيخك عن القطبية، فقال له: وأنت الغوث ، فقال: نزه شيخك عن الغوثية ، مما يشير إلى تجاوزه المقامات، والأطوار، لأن القطبية، والغوثية مقام معلوم، ومن كان مع الله، وبالله لا يعلم له مقام، وإن كان له فى كل مقام مقام.

وبداية، لم يشأ الشيخ الإفصاح عن منزلته البتة، وآثر إخفاءها ، وكأنه عاهد ربه على ألايدل على نفسه ، ولا يعرف بمنزلته ورتبته ، وهذا من شيم

[1]) قول الشيخ أحمد بن أبى الحسين الرفاعى رضى الله تعالى عنه ، نقلاً عن : الإمام عبد الوهاب الشعرانى ، الطبقات الكبرى ، مرجع سابق ، ص ٢٤٥ .

الكرام ، وهى سمة الكُمَّل من الرجال ، عملاً بقوله تعالى: { فَلَا تُزَكُّوا أَنفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَىٰ }[1].

يقول الشيخ:" السير إلى الله خفاء فى خفاء فى خفاء وسر الله أخفى".

وقد عايشت الشيخ زهاء العشرين عاماً فلم ينطق أمامى ببنت شفاه عن منزلته ، ورتبته - إلا اضطراراً - وكان جُلَّ حديثه هضماً لنفسه ، ورأيته أكثر تواضعاً ، يتأخر حتى يُقَدِمَه الله ، وينزوى حتى يظهره الله، ويتذلل حتى يعزه الله ، متمثلاً القول: " وأجعل مقامك مهما قدموك ورا"، وفى الأثر " منْ تواضع لله رفعه ".

وعلى الرغم من ذلك، فإنه يمكن تتبع منزلة الشيخ من خلال رواياته النادرة، أو ما رواه الأحباب والمريدون، كما يمكن تلمس منزلة الشيخ من خلال ما نُقِلَ عن شيخه الإمام العربى، وهو ما نعرضه تباعاً من خلال مبحثين: الأول- التعريف بمنزلته، والثانى- منزلته عند شيخه، وعلى الوجه التالى:

المبحث الأول

التعريف بمنزلته

يحضرنى فى مستهل الحديث عن منزلته موقف اضطر فيه الشيخ إلى الافصاح عما آتاه الله من فضله ، والإشارة إلى شيئ من منزلته ، فسمعته مجاهراً بقوله :" أنا السواد الأعظم ، أنا المتحكم فى الخواطر الرحمانية فى قلوب العباد المرضية"[2].

والسواد من العين حدقتها، ومن البلد قُراه، ومن الناس معظمهم[3]، وقد ورد لفظ السواد الأعظم فى الحديث الشريف عن أَنَسِ بْنَ مَالِكٍ ، قال سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: " إِنَّ أُمَّتِى لَنْ تَجْتَمِعَ عَلَى ضَلاَلَةٍ فَإِذَا رَأَيْتُمُ اخْتِلاَفًا فَعَلَيْكُمْ بِالسَّوَادِ الأَعْظَمِ"[4].

---

[1]) النجم : ٣٢

[2]) سمعت هذا القول مشافهة من الشيخ ، حال اضطراره إلى التعريف بمنزلته ورتبته ، فى أحد المنازلات التى خاضها فى أواخر عهده بالدنيا .

[3]) المعجم الوجيز ، مرجع سابق ، ص ٣٢٧ .

[4]) سنن ابن ماجه ، الفتن ، حديث رقم ٤٠٨٥ ، نقلاً عن : موسوعة الحديث الشريف ، مرجع سابق .

ويقول أحدهم[١]: "عليكم باتباع السواد الأعظم ، قالوا له : منْ السواد الأعظم ؟ قال هو الرجل العالم أو الرجلان المتمسكان بسنة رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وطريقته ، وليس المراد به مطلق المسلمين ، فمن كان مع هذين الرجلين أو الرجل وتبعه فهو الجماعة ، ومن خالفه فقد خالف أهل الجماعة" ، وبالطبع من خالف جماعة المسلمين غرم وضل، ومن تبعهم غنم واهتدى .

ويقول آخر[٢]: أن الحقيقة الداعية إلى الله تعالى فى كل دور هو صاحب وقته، وكل الدعاة في زمنه إنما هم رقائقه وألسنه {قُلْ هَـٰذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ}[٣] ، وعلامته اندراج بياناتهم وكشوفاتهم فى كشفه وبيانه ، واختصاصه عنهم بما لاسبيل لهم إليه إلا بإمداده وفيضه.

ويمكن القول بأن "السواد الأعظم" هو الرجل الأمة ، يقول تعالى:{إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ}[٤] ، أى كان عنده من الخير ما كان عند أمة ، فأضحى إماماً ، مداوماً على طاعة ربه ، ومائلاً إلى الدين الحق[٥].

وقد قال صلى الله عليه وسلم: " علماء أمتى كأنبياء بنى إسرائيل"[٦].

كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَطْلُبُ فِيهِ عِلْمًا سَلَكَ اللَّهُ بِهِ طَرِيقًا مِنْ طُرُقِ الْجَنَّةِ وَإِنَّ الْمَلاَئِكَةَ لَتَضَعُ أَجْنِحَتَهَا رِضًا لِطَالِبِ الْعِلْمِ وَإِنَّ الْعَالِمَ لَيَسْتَغْفِرُ لَهُ مَنْ فِى السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِى الأَرْضِ وَالْحِيتَانُ فِى جَوْفِ الْمَاءِ وَإِنَّ فَضْلَ الْعَالِمِ عَلَى الْعَابِدِ كَفَضْلِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ عَلَى سَائِرِ الْكَوَاكِبِ وَإِنَّ الْعُلَمَاءَ وَرَثَةُ الأَنْبِيَاءِ وَإِنَّ الأَنْبِيَاءَ لَمْ يُوَرِّثُوا دِينَارًا وَلاَ دِرْهَمًا وَرَّثُوا الْعِلْمَ فَمَنْ أَخَذَهُ أَخَذَ بِحَظٍّ وَافِرٍ"[٧]. والرجل المسمى ب"

---

[١]) محمد بن أسلم الطوسى رحمه الله ، نقلاً عن : عبد الوهاب الشعرانى ، الطبقات الكبرى ، مرجع سابق ، ص ١٠٩.

[٢]) سيدى على ولد سيدى محمد وفا رضى الله عنه ـ نقلاً عن : الإمام عبد الوهاب الشعرانى ، الطبقات الكبرى ، مرجع سابق ، ص٣٩٩.

[٣]) يوسف : ١٠٨ .

[٤]) النحل : ١٢٠ .

[٥]) محمد سيد طنطاوى ، القرآن الكريم والتفسير الميسر ، طبعة خاصة بوزارة التربية والتعليم ، ٢٠٠٥م ، ص ٢٣٢ .

[٦]) ابن عطاء الله السكندرى ، لطائف المنن فى مناقب الشيخ أبى العباس المرسى وشيخه الشاذلى أبى الحسن ، ص ١٨ .

[٧]) سنن أبى داود ، العلم ، حديث رقم ٣٦٤٣ ، نقلاً عن : موسوعة الحديث الشريف ، مرجع سابق .

السواد الأعظم " من علماء الأمة المحمدية وهو إمام وقته ، وقد ورث أبا الأنبياء إبراهيم (عليه السلام)، فكان أمةً بمفرده .

والرجل المسمى ب"السواد الأعظم" ، هو صاحب وقته ، المأذون من ربه ، الذى منحه الله مرتبة التصريف ، لاتتحرك ذرة إلا بإذنه ، ولا تسكن إلا بعلمه ، حكَّمَه الله فى الخواطر الرحمانية فى قلوب العباد المرضية.

وقد نُقِلَ عن الشيخ قوله: " أنا ممن أُعطِـىَّ لى مرتبة التصريف ولم استخدمها "[1].

وفى بيان ذلك ، يقول أحدهم[2] :" من جعل الله تعالى فى قلبه لوحاً منقوشاً بأسرار الموجودات، وبإمداده بأنوار حق اليقين يدرك حقائق تلك السطور على اختلاف أطوارها ، ويدرك أسرار الأفعال ، فلا تتحرك حركة ظاهرة أوباطنة فى الملك والملكوت إلا ويكشف الله تعالى له عن بصيرة إيمانه ، وعين عيانه فيشهدها علماً ، وكشفاً ، وهذا هو الذى يصعد بسره فى أكوان الملكوت كالشمس ، فلا يطاق النظر إليه ، وصفته أن يكمل الأعمال بالعلم ، والأحوال بالسر، وعلامته أن يكشف له تعالى الأسباب ، ويرتفع عنه الحجاب ، ويطلعه الله تعالى على بواطن الأمور كشفاً وفراسة ، فبالكشف يدركها جملة ، وبالفراسة يدركها تفصيلاً على أصل الوضع ، وحقيقة الرسم ، فيخاطب الأرواح من حيث وضعها ، ويخاطب الأجسام من حيث تركيبها ، ويشير إلى العلم برموز الإشارة، ويفهم كشف العبارة ".

و"السواد الأعظم" هو أعلم أهل زمانه ، وأصفاهم ، وهو حجة الله عليهم يقول أحدهم[3]: " كان أحمد بن حنبل (رضى الله عنه) حجة الله على أهل زمانه ، والفضيل حجة الله على أهل زمانه ، وهكذا الأمر فى كل زمان". ويقول آخر[4]: " امتحن أحمد بعدما أدخل الكير فخرج ذهباً أحمر".

---

[1]) المهندس/ محمد عبده ، من أحباب الشيخ ، مقيم بمدينة أسوان ، سمعه من الشيخ فى وجود الأخ / أحمد الشريف فى الساحة بكوم أمبو .

[2]) قول الشيخ رسلان الدمشقى رضى الله عنه ، نقلاً عن : عبد الوهاب الشعرانى ، الطبقات الكبرى ، مرجع سابق ، ص ٢٦٠ .

[3]) قول الهيثم رضى الله عنه ، نقلاً عن : عبد الوهاب الشعرانى ، الطبقات الكبرى ، مرجع سابق ، ص٩٦ .

[4]) قول بشر بن الحارث رضى الله عنه ، نقلاً عن : عبد الوهاب الشعرانى ، الطبقات الكبرى ، مرجع سابق ، ص ٩٦ .

ومن مأثورات التصوف قولهم : إن الله ينظر لعباد فى قلوب عباد، ويخطف عباداً من قلوب عباد ، وتعتكف عباد فى قلوب عباد ، فعلق اللهم قلوبنا بقلوب تعرفك حق المعرفة يامعروف بالإحسان .

هذا ما سمعته أذناى من الشيخ، أما ما رُوِىَّ عن الشيخ حكاية عن بعض أحبابه، ومعاصريه فهو كثير، وأسوق قسطاً مما وفقنى الله بجمعه:

يروى أحد الأحباب[١]، أنه سمع الشيخ ذات مرة يقول : "أجلسنى الإمام على (كرم الله وجهه) فى يوم جمعة الغمض على كرسى إلى جوار صومعة الأزل" ، وقد يقصد ب "يوم جمعة الغمض" - هنا - اليوم الذى يسبق يوم سبت الأزل ، الذى خاطب الله فيه حقائق خلقه بقوله : {وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا}[٢] ، فما أشرف منزلته ، وما أعلاها !

ويقص آخر[٣]: أنه أتى ذات مرة إلى الشيخ يسأله ما هو عطاء الله فيك ؟ وما قدر هذا العطاء ؟

فأجابه الشيخ قائلاً: " إن عطاء الله فى ، هو قبة فى السماء السابعة يستنشق من شذا عبيرها الملائكة ، وهو سر الله الذى أطلعه على جميع المخلوقات ، ولم يطلع المخلوقات عليه . فسأله المحب : ولماذا لم يطلع المخلوقات عليه ؟ فأجاب : لأنه لو أطلع المخلوقات عليه كانت خلصت" أى : انتهت.

وفى بيان الأمر يقول أحدهم[٤]: "لو كشف عن حقيقة الولى لَعُبِدَ ، لأن أوصافه من أوصافه ، ونعوته من نعوته . ولقد أخبرنى بعض المريدين قال صليت خلف شيخى صلاة فشهدت ما أبهر عقلى ، وذلك أنى شهدت بدن الشيخ والأنوار قد ملأته ، وانبثت الأنوار من وجوده حتى أنى لم استطع النظر إليه ، فلو كشف الحق عن مشرقات أنوار قلوب أوليائه لأنطوى نور

---

[١]) الأستاذ عيسى مرتضى السمان ، من أحباب الشيخ ، محاسب قانونى بالغردقة .

[٢]) الأعراف : ١٧٢ .

[٣]) رواية عن السيد / محمد ابن الشيخ الأكبر ، وقد دار هذا الحديث بين الشيخ وهذا المحب بمنزل الشيخ بكوم أمبو السبعين ، عام ١٩٧٦م ، رداً على ماقيل بأن مولانا العارف بالله تعالى الحاج محمد أحمد رضوان رضى الله عنه – ابن قطب زمانه الحاج أحمد رضوان الأقصرى البغدادى - منْ يراه فإنما يراه على حسب عطاء الله فيه (أى فى الرائى) ، فمن ليس فيه عطاء يرى الحاج محمد أحمد رضوان كرجل عادى .

[٤]) قول أبى العباس المرسى ، نقلاً عن : ابن عطاء الله السكندرى ، لطائف المنن فى مناقب الشيخ أبى العباس المرسى وشيخه الشاذلى أبى الحسن، مرجع سابق ، ص٤٥.

الشمس والقمر فى مشرقات أنوار قلوبهم ، وأين نور الشمس والقمر من أنوارهم ، الشمس يطرأ عليها الكسوف والغروب، وأنوار قلوب أوليائه لاكسوف لها ولاغروب".

ويروى عن الشيخ قوله: "أنا سويداء قلب الحضرة، أنا رجل ممن لايتكلم ، ولا يأكل ، ولاينام حتى يستأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم" كما سُمِعَ يقول : " أنا ممن لايتحرك حركة إلا بإذن ". والسويداء من القلب حبته، فالشيخ بمنزلة حبة قلب الحضرة المحمدية ، فضلاً عن كونه من أهل الجمعية العظمى بسيدنا رسول الله صلى الله عليه ، وهو مأذون من حضرته فى تجديد الدعوة إلى الله ، ولم يزل قائماً عليها ، فإن أراد القيام ببعض شئونه ، من كلام ، أو أكل، أو نوم ـ استأذن من حضرة النبى صلى الله عليه وسلم ، فإن شاء أذن له ، وإن شاء لم يأذن .

والاستئذان من الحضرة المحمدية أمر قرآنى ، يقول تعالى :{ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَىٰ أَمْرٍ جَامِعٍ لَّمْ يَذْهَبُوا حَتَّىٰ يَسْتَأْذِنُوهُ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ أُولَـٰئِكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِذَا اسْتَأْذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأْذَن لِّمَن شِئْتَ مِنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمُ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ }[١].

وجاء فى تفسير هذه الآية ـ قال أهل العلم : وكذلك كل أمر اجتمع عليه المسلمون مع الإمام لا يخالفونه ولا يرجعون عنه إلا بإذن ، وإذا استأذن فللإمام إن شاء أذن له وإن شاء لم يأذن ، وهذا إذا لم يكن له سبب يمنعه من المقام[٢] .

وظاهر الآية يقتضي أن يستأذن أمير الإمرة الذي هو فى مقعد النبوة فإنه ربما كان له رأي في حبس ذلك الرجل لأمر من أمور الدين ، فأما إمام الصلاة فقط فليس ذلك له ؛ لأنه وكيل على جزء من أجزاء الدين ، لمن هو فى مقعد النبوة[٣].

ولم تنسخ هذه الآية، وجاءت صياغتها فى عموم المؤمنين دون تخصيص لصحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والقاعدة الأصولية تقول

---

[١]) النور : ٦٢ .
[٢]) تفسير البغوى ، نقلاً عن : آيات ، مشروع المصحف الإلكترونى ، بجامعة الملك سعود ، مرجع سابق .
[٣]) تفسير القرطبى ، نقلاً عن : آيات ، مشروع المصحف الإلكترونى ، بجامعة الملك سعود ، مرجع سابق .

إن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب ، وإن كان السبب يدخل فى هذا العموم دخولاً أولياً .

فضلاً عن أن اسم الموصول " الذين " الذى يدل ـ أيضاً ـ على العمومية لا الخصوصية ، وقد تكرر فى الآية مرتين : الأولى- تشير لجميع المؤمنين ممن كانوا معه ، فقوله {الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ} يدل على استمرارية المعية طالما تحققت الشرطية ، والثانية- في قوله تعالى:{ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ} تشير لعموم المستأذنين من حضرته صلى الله عليه وسلم ، فوجب على أهل المعية ، ممن جمعهم النبى صلى الله عليه وسلم على أمر جامع (أي : من ضرورته أو من مصلحته ، أن يكونوا فيه جميعا) ، كالجهاد ، والمشاورة ، ونحو ذلك من الأمور التي يشترك فيها المؤمنون ، فإن المصلحة تقتضي اجتماعهم عليه ، وعدم تفرقهم ، فالمؤمن بالله ورسوله ـ حقا ـ لا يذهب لأمر من الأمور ، ولا يرجع لأهله ، ولا يذهب لبعض الحوائج ، التي يشذ بها عنهم ، إلا بإذن من الرسول ، أو نائبه من بعده[١] . وينشأ الشيخ قائلاً[٢]:

وآية فى كتاب الله تروى***لحكم قد تعيه المفلحينا
كالاستئذان منك وهذا شرع***بإذنك إن مشوا أو ماكثينا

ولا جرم أن معية سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم من أعظم المنازل ، وأكرم المقامات ، التى حظى بها الشيخ ، وفى الأثر : "المعية تغنى عن الصحبة".

ويروى عن الشيخ قوله : " أنا صوفى كوفى نبع نابعة آخذ بفضل الله عن سندى عن الخليفة الرابع " ، فلما صفا قلب الشيخ شهوداً كفاه ربه عُهودا ، وصيَّرَه نبعاً صافياً متدفقاً ، لاينضب ، ولم يفته التنويه إلى فضل السند الذى أخذ عنه ، وهو شيخه الإمام محمد أبى الفتوح العربى (رضى الله عنه) ، الآخذ بدوره عن بحر الفتوة ، وولى المؤمنين ، وكهف العارفين ، وسيد الأوصياء ، ابن عم الرسول ، وزوج البتول ، رابع الخلفاء الراشدين

---

١) تفسير السعدنى ، نقلاً عن : آيات ، مشروع المصحف الإلكترونى ، بجامعة الملك سعود ، مرجع سابق .

٢) مولانا العارف بالله الحاج أحمد أبو الحسن ، قصيدة بعنوان (عقد الجمان من مد الآل) ، ديوان اللطائف السنية فى مولد خير البرية ، مرجع سابق ، ص ١٤١ -١٤٥ .

سيدنا الإمام على بن أبى طالب (كرم الله وجهه ورضى الله عنه) ، فلا يعرف الفضل لأهل الفضل إلا ذوو الفضل .

ولامشاحة فى أن الصوفى النبع النابعة من الندرة بمكان ، وصعب المنال ، فلا يُعرف إلا بتوفيق الله ، فيقول الشيخ : " أنا جوهرة مكنونة لا اتكرر إلا كل ألف عام مرة"[1] .

وفى معارج مقامات الصوفية ، يقول الشيخ :" أنا حالياً فى مقام سيدى أبى الحسن الشاذلى إلا اننى أفوق عليه بمقام البدوية"[2] . ويقول : " أن سيدى محى الدين بن عربى فى منزلة ابنى ، وأنا فى منزلة الجد لسيدى أبو الحسن الشاذلى " .

ولاغرو فى ذلك ـ ولا حرج على فضل الله ـ إذ يقص أحد الأحباب[3]: " بينما كان الشيخ مُستلقياً على سرير فى إحدى حجرات الساحة ، فأخذت فى تكبيس قدميه تخفيفاً لآلآمهما ، حتى اعتقدت أنه قد غفا ونام ، ولمّا طال بى المقام ، واستبطأت له قيام ، استثقلت تلك الحال ، فخرجت متوجهاً إلى حجرتى المجاورة ، بعد أن أغلقت عليه الباب ، فأخذتنى سنة من النوم ، فرأيت الشيخ على الهيئة التى تركته عليها ، مستلقياً على السرير ، وإذ بالسيد أحمد البدوى (رضى الله عنه) يقوم مكانى بتكبيس أقدام الشيخ بدلاً منى ، فلمَّا قمت تأوَّلتها برفعة منزلة الشيخ ، وعظم مقامه عند أهل الله ، وبخعت نفسى ، وهرعت إلى حجرة الشيخ مرة أخرى ، واستدركت تكبيس قدميه ".

وعلى غرار ذلك ، يقص أحد الأحباب[4] : أنه كان قد وقف اعتقاده بأن الشيخ أحمد رضوان (رضى الله عنه) لا نظير له فى الولاية ، وأن منزلته دونها منازل الأولياء ، ويستحيل بلوغها لمن يلونه ، فبينما هو نائم ذات ليلة رأى نفسه جالساً فى مجلس مهيب كإيوان الملوك يتصدره الشيخ أحمد

---

[1]) الحاج عبد الرءوف أبو زيد ، من أحباب الشيخ الأوائل من قرية عزبة العرب من أعمال كوم أمبو ، نقلها لى الأستاذ / صوفى يسن من أحباب الشيخ .

[2]) نقلاً عن : الأخ صوفى يسن رفاعى من أحباب الشيخ ، وكيل وزارة بوزارة القوى العاملة سابقاً ، ومقيم حالياً بالغردقة ، البحر الأحمر .

[3]) الشيخ / جابر عبد المنعم خادم وربيب ساحة الإمام على بالكلح ، حدث ذلك عند انتقال شيخه الإمام العربى وقد أطبق الحزن على الشيخ لوفاته حتى كاد أن يودى بحياته .

[4]) الحاج عبد الرءوف أبو زيد ، من أحباب الشيخ الأوائل ، وكان محباً صادقاً للحاج أحمد رضوان رضى الله عنه ، نقلها لى الأخ الحاج سيد البواب من أعز أحباب الشيخ، صاحب شادر خضار ، مقيم بكوم أمبو .

أبو الحسن جالساً على أريكة من قطيفة ، ويقف أمامه رجل بيده قارورة يصب منها القهوة فى قدح فوق صينية يحملها بيده الأخرى ، وبعد أن قدّمَ الرجل القهوة استدار للخلف منصرفاً من أمام الشيخ ، فنظر إلى وجه الرجل فإذا هو العارف بالله الحاج أحمد رضوان ، فاستيقظ من نومه وتأوَّل رؤيته بأن منزلة الشيخ فى الولاية فاقت منزلة الشيوخ ، وأقر بعدها بأن لله رجالا ، وأن الخير فى الأمة المحمدية لا ينضب ، وفى الحديث الشريف عَنْ أَنَسٍ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم : " مَثَلُ أُمَّتِى مَثَلُ الْمَطَرِ لاَ يُدْرَى أَوَّلُهُ خَيْرٌ أَمْ آخِرُهُ "[1].

أما منزلة الشيخ كما يراها محبوه ومريدوه فقد تشعبت فيها السبل ، وتناثرت فيها الأحاديث ، فرأيتنى عاجزاً عن تتبعها تسجيلاً ، فضلاً عن إيثارى الاقتصار لا التطويل فى عرض أقوال الأحباب والمريدين ، خشية أن يلثمها التغالى ، أو يشوبها العجز ، فالمريد لايحيط بقدر المراد إلا تخاطراً ، والعارف لايُعرَّف ، والأمر ليس بهين .

ووجدتنى إزاء ذلك أقف عند أقوال اثنين من المريدين، أحدهما عالم من علماء الأزهر الشريف ، التقى بالشيخ ذات مرة فتملَّك قلبه ، وملأ وجدانه ، فشد إليه رحاله من دلتا مصر إلى صعيدها ؛ ليأخذ عنه ، ويعايشه ، والصوفية معايشة ، وصار هذا العالِم مريداً منصفاً ، حقيقاً بأن أنهل من حديثه ، لاسيما قول الشيخ عنه : "عالمنا الذى يتحدث عنا"[2]، ونسوق فيما يلى جزء مما سطره هذا العالم الجليل فى حق الشيخ:

" تفضل الله على أهل الزمان وتفضل علينا سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بشمس هذا الزمان وكل زمان ، الرجل الأمى الذى علم العلماء ، الآخذ إرثه من جده كاملاً لامنقوصاً ، الذى ملكه الله الزمان والمكان ، صاحب وقته وأوانه ، الذى شهد له القاصى والدانى ، الذى لم يسبقه سابق ولم يلحقه لاحق من أهل الله ، فهو مشرب خاص بين المشارب ، ولون خاص فى المذاق والفهم عن الله وعن سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم، فهو يتيمة عقدهم ، الوله الهائم الدائم جمعيته بسيدنا رسول الله صلى الله عليه

[1]) سنن الترمذى ، الأمثال ، حديث رقم ٣١٠٩ ، نقلاً عن : موسوعة الحديث الشريف ، مرجع سابق .

[2]) سمعت هذه المقولة من الشيخ حال تواجدى فى صحبته بفندق الصفا والمروة بميدان سيدنا الحسين بالقاهرة ، وكان أول لقاء ضم الشيخ مع الشيخ محمد عبد الغنى ، وكان وقتها طالباً يدرس بجامعة الأزهر الشريف .

وسلم ، فأشرق عليه جده فصار مظهراً لجماله، وجلاله ، وكماله . سارره سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بأسرار لم يسارر بها غيره من أهل الله ، فأغناه عن الخلق فصار رجلاً ذاتياً محمدياً لايهمه إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ورضاه ، وآل بيته الكرام فما كمل فى نظره سواهم ، يبيع الغالى والرخيص ، والأهل والأحباب بل والذات فداء لنعلهم ، فما وجدنا ، ولا قرأنا رجلاً غاب فى سيدنا رسول الله ، وآل بيته مثله "[1].

أما الثانى[2] - فهو شريف من أهل البيت، أرسل إلى الشيخ رسالة طويلة ، طوت فى ثناياها لمحات إلى منزلته ، ويطيب لى أن اختم هذا المبحث بجزء من هذه الرسالة :

" بسم الله الرحمن الرحيم

لا إله إلا الله محمد رسول الله فى كل لمحة ونفس عدد ما وسعه علم الله آمين .

من العبد الفانى الراجى رحمة مولاه ورضا رسوله الكريم ورضاكم طارق بن إدريس الإدريسى إلى سيده، وشيخه ، وقدوته ، ووسيلته قطب الزمان ، ومربى المرشدين ، وموصلهم لحضرة الرحمن ، وحضرة الحبيب محمد صلى الله عليه وسلم ، والغوث الربانى ، الإمام الفاضل سيدنا أحمد أبو الحسن ، خادم الإمام الحسين (رضى الله عنه) .

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته. وبعد ...

أفاض علينا الرحمن والرسول صلى الله عليه وسلم بسبب مكاشفتكم، ورعايتكم لأبناء الإمام قطب دائرة التحقيق سيدى أحمد بن إدريس (رضى الله عنه) ولأبناء المسلمين الكثير والكثير ، فهدانا الله للطريق المستقيم ، وحصلنا على رضاء الوالدين ، وأخوة الإسلام بعد ملابسات كثيرة اعترضت طريقى ، ولكن بالهدى على إرشاداتكم ، والسير على منوالها عملاً ، وإيماناً تذوقنا حلاوة الإيمان ثباتاً فى القلب، وحصلنا على الفيوضات من مشرب

---

[1]) الشيخ محمد عبد الغنى محرم ، من أحباب الشيخ المخلصين - من علماء الأزهر الشريف ، ومدير عام الدعوة بمحافظة المنوفية ، مقيم بجزيرة الحجر من أعمال مركز الشهداء - محافظة المنوفية ، وله بها الكثير من المحبين والمريدين على نهج الشيخ رضى الله عنه .

[2]) السيد طارق بن إدريس الإدريسى ، من أهل البيت الأشراف ، وكان من مريدى الشيخ ، وسافر إلى السعودية لكسب الرزق ، وقص فى هذه الرسالة رؤيا منامية رأى فيها الشيخ فى مجلس علم ومديح للرسول - صلى الله عليه وسلم – والشيخ قائد المجلس ، و شباب الإيمان حوله ، والنور المحمدى يسمو على وجه الشيخ ، وتفصيلات أخرى خصه الشيخ بها فى هذه الرؤيا قائلاً له : " ياطارق أنت علامة" ، ولا يعبر الرؤيا إلا أهلها .

إيمانكم ، ووفقنا للعمل فى السعودية، والمثول جسداً وروحاً أمام رحاب الرسول الكريم ، كما تحصلنا بمصر على فيوضات كنت أنت قائدها ، وسالكها ، فأنت العبد السائر إلى الرحمن ، ومعك أبنائك الروحانيين ...ابنكم الروحى/ طارق بن إدريس الإدريسى".

ويطيب لى فى ختام الحديث عن منزلته أن أسوق أبياتاً، ألمح فيها الشيخ إلى زوايا من منزلته فى مدارج القوم ، جاء فيها[1] :

فهيَّا أحبائى إلى برق وِثْقِها *** لقد سيرونى بالمقامات قائد
فإن زعيم القوم قال بمجمع *** فأنت فتى للمحاريب شائد
نداء بعليين بالأمر قوّمُوا *** فتانا بمشكاة به النور واقد
فأضحى عبيد القوم بالقوم فرقد *** يدين لهم بالفضل للود حامد

ويمكن استخلاص منزلة الشيخ بحسب هذه الأبيات أنه قائد القوم ، وشائد بنيان الأئمة ، ونجمهم القطبى الذى يهتدون به، ويدورون فى فلكه، نفعنا الله به . آمين.

نكتفى بهذا القدر ، وننتقل إلى بيان منزلة الشيخ فى عيون شيخه الإمام محمد أبى الفتوح العربى (رضى الله عنه) ، وذلك من خلال المبحث الآتى .

المبحث الثانى

منزلته عند شيخه الإمام العربى

أما ما نقل عن شيخه الإمام محمد أبو الفتوح العربى (رضى الله عنه) فهو كثير، وعَصِىٌّ عن الإحصاء؛ لغزارته وترادفه، ويبقى لنا اقتباس اليسير منه بالقدر الذى يوفى بغرض التعريف بمنزلة الشيخ فى نظر شيخه الإمام العربى.

يقول الإمام العربى (رضى الله عنه): " الشيخ أحمد أبو الحسن رجل مأذون من الحضرتين، وصاحب وقته، أنفاسه حسنية حسينية، وهو الآن

[1]) مولاناالعارف بالله الحاج أحمد أبو الحسن ، ديوانه (لآلئ عرشية فى مديح خير البرية) قصيدة بعنوان " ألفت مكناً حلواً فيه اماجد " ص ١٢١ ، ١٢٢ .

فى الفتح الأكبر ، وله فتوحات " ، ثم أردف قائلاً :" صاحبوه فى هذه الفتوحات، وامشوا معه، فمنْ شهد معه بعض فتوحاته له أجر صحابى"[١].

فأول منازل الشيخ كونه مأذوناً فى الدعوة إلى الله من حضرة الله، وحضرة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولا ريب أن الإذن من الحضرتين شرف لا يضاهيه شرف ، ومنزلة لايدانيها منزلة ، فالمأذون مأمون غير مغبون ، أفعاله مؤيدة ، وأقواله مقبولة، وإشاراته جلية .

يقول أحدهم[٢]:" قد يكون الولى مشحوناً بالعلوم والمعارف والحقائق لديه مشهورة حتى إذا أعطى العبارة كان كالإذن من الله تعالى فى الكلام ويجب أن تفهم أن من أذن له فى التعبير جلت فى مسامع الخلق إشاراته".

وفى موضع آخر يقول: " كلام المأذون له يخرج وعليه كسوة وتلاوة، وكلام الذى لم يؤذن له يخرج مكسوف الأنوار حتى أن الرجلين ليتكلمان بالحقيقة الواحدة فيقبل من أحدهما ويرد على الآخر"[٣].

ويقول الشيخ أن الإذن بالدعوة إلى الله قد يصدر من الله ، أو من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أو من عارف بالله مأذون له من الله ورسوله.

ويذكر أنه عندما كلَّفَه شيخه الإمام العربى بالخروج إلى الدعوة إلى الله ، فرَّ هارباً منها ، وامتنع الشيخ عن زيارة ساحة شيخه الإمام العربى أربعة أشهر، ولم يكن ذلك منازعة فى صدق شيخه، ولكنه استشعاراً بعظم المهمة، وثقل المسئولية، وطلباً للإذن الصريح بالدعوة قبل الخروج إليها.

وبناء على مكتوب أرسله الإمام العربى (رضى الله عنه) عاود الشيخ زيارة الساحة ، ولما مثل أمام شيخه ، أقسم له الإمام العربى بالله، وبالإخوة فى الله ، قائلاً : " والله الذى لا إله غيره ، وحياة الإخوة ، لولا أنى سمعت نداء الحق فى عليين : أحمد أبو الحسن يخرج للدعوة ما أخرجتك ".

ولا غرو فى ذلك، يقص الشيخ: كان العارف بالله الحاج أحمد رضوان - شيخه الأول - يجتمع برسول الله يقظة ، ويصلى عليه سبعة آلاف مرة

---

[١]) نقلاً عن : الشيخ فاروق علام من أحباب الشيخ المخلصين ، وجدير بالذكر أن الإمام العربى قبل أن يذكر مقالته تلك طلب من الشيخ فاروق علام ، ومن معه تجهيز قلم وكراسة لتدوين مقالته فى الشيخ ؛ تنبيهاً لهما بأهميتها .

[٢]) قول سيدى أحمد أبى العباس المرسى رضى الله عنه ، نقلاً عن : عبد الوهاب الشعرانى ، الطبقات الكبرى ، مرجع سابق ، ص٣٧٨، ٣٧٩ .

[٣]) قول سيدى أبى العباس المرسى ، نقلاً عن : ابن عطاء الله السكندرى، لطائف المنن فى مناقب الشيخ أبى العباس المرسى وشيخه الشاذلى أبى الحسن، مرجع سابق ، ص٥٥

يومياً ، ورغم ذلك لم يتعرض للدعوة إلى الله من تلقاء نفسه ؛ لإحاطته بمسئوليتها الكأداء ، إلا بإذن صريح من الحضرة المحمدية ، وحال فرار الحاج احمد رضوان من التصدى للدعوة ، أتاه رجلاً عملاقاً شاهراً سيفاً بيده ، وأمره أن يسير أمامه قائلاً له : أمامى يا أحمد ، فأخذ الحاج أحمد رضوان يمشى أمامه خائفاً يترقب حتى وصل إلى ساحل البحر ، فاغتنمها فرصة للفرار ، فقفز فى البحر وغطس ، ولما نظر خلفه اكتشف أن الرجل مازال خلفه شاهراً السيف ، فسبح حتى وصل إلى بر الحجاز ، ولم يجد أمامه مفراً إلا اللجوء إلى روضة جده رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فدخلها ، فإذا بالرجل يدخل خلفه ويضع سيفه، ويشرع مخاطباً الحضرة المحمدية: ها هو أحمد رضوان يارسول الله ، وهنا أعطاه النبى صلى الله عليه وسلم الإذن الصريح ، وحمَّلَه مسئولية القيام بالدعوة إلى الله[1].

وعن إذنه فى الكلام، يحكى الشيخ : "كنت أتردد على مولانا الإمام الحسين احتفالاً بمولده ، فبعث لىَّ الإمام العربى خطاباً جاء فيه : " أخوة الروح الحادى المنادى المتخذون عند الله أيادى ، اعلموا وفقكم الله جل فى علاه لايتم هذا الأمر إلا على قلب رجل أحمدى خلوتى كامل شامل قلبه على قلب سيده ... قد أذنتك بالكلام فتكلم إن أفاض الله على قلبك" .

يقول الشيخ: " لمَّا وصلنى الخطاب أخذت أبحث عن من يقرأه لى، ولكن قبل ما أجد من يقرأه أدركت ما فيه ، حتى إذا وصل القارئ إلى عبارة " قد أذنتك فى الكلام فتكلم " فإذا بسحابة تنهمر فى وادى قلبى من سماء تلك العبارة ، وأصابنى دوار ، وغشيتنى غيابة ، فلمَّا أفقت أمسكت على الفور بالمذياع وأخذت اتحدث ، وقد انطلق لسانى يعبر عن مكنون حالى عالم من عليم"[2]، وفى إشارة إلى حاله قبل الإذن بالكلام وبعده أنشأ قائلاً[3]:

كنت أبلم لا يُرَى منى حديثا * صرت ناطقاً حينما قال تكلم

[1]) مولانا العارف بالله تعالى الحاج أحمد أبو الحسن ، فى كثير من احاديثه العلنية فى مدح شيخه العارف بالله تعالى الحاج أحمد رضوان .

[2]) نقلاً عن : الشيخ جابر عبد المنعم على ، فى تقديمه لديوان الشيخ (اللطائف السنية فى مدح خير البرية ، مرجع سابق ، ص١٦ .

[3]) مولانا العارف بالله الحاج أحمد أبو الحسن ، قصيدة بعنوان " شذا " ، ديوانه (بساتين الجنات فى المائح والصلوات على سيد السادات ، مرجع سابق ، ص ١٨٤ .

كما حوت مقالة شيخه الإمام العربى ـ سالفة الذكر ـ على أن الشيخ هو صاحب وقته ، فلكل وقت صاحب ، وقد خُص الشيخ وتفرد بهذه المرتبة العالية الرفيعة ، فلم ينازعه فيها أحد.

وزيادة فى الرفعة والشرف ، وصف الإمام العربى ـ فى ذات المقالة ـ أن أنفاس الشيخ حسنية حسينية، إشارة إلى أنه جمع بالإضافة إلى مقامه الرفيع فى الولاية ، مقام آخر أسمى وأرفع ، وهو انتسابه إلى بيت النبوة الذكية ، فاتصلت أنفاسه بالريحانتين الإمام الحسن، والإمام الحسين (رضى الله عنهما)، وحاز المنزلتين ، فطاب عنصره، وذكت أنفاسه، وشرفت بالحسنين نسبته، فما أعلاها منزلة! ونعم المرتبة الشرف المحمدى.

كذا، كشف الإمام العربى فى مقالته السالفة عن مرتبة عزيزة للشيخ، وهى مرتبة الفتح الأكبر، ويقصد بمصطلح الفتح عند الصوفية، الحال الذى يفتح به على العبد من ربه تعالى، بعد ما كان مغلقاً عنه من النعم الظاهرة والباطنة، كالأرزاق والعبادات والعلوم والمعارف والمكاشفات، وغير ذلك، وهو على ثلاثة أقسام : أولها ـ فتوح العبارة: وهو الفتح الذى يكون فى الظاهر؛ بحيث يصير صاحبه ممن يحسن منه العبارة عما يجده ، والثانى ـ فتوح الحلاوة: وهو ما يفتح على العبد فى باطنة من أنواع العلوم والمعارف ، وتقرب الحق له ، وإن لم يظهر عليه شيئ من ذلك ، والثالث ـ فتوح المكاشفة : وهو ما يفتح على العبد من المكاشفات ، والمشاهدات ، التى لادخل لكسبه فيها[1].

كما تحدث الصوفية عن مراتب الفتوحات ومفاهيمها، وأهمها: فتح التولد: وهو أول مراتب الفتح الإنسانى ، ويقصد به الظهور من ضيق بطن الأم وظلمة الرحم إلى سعة فضاء نور الدنيا ، والفتح التالى هو فتح الفهم والتمييز: ويعنى به فتح باب الخروج من ضيق أحكام الستر والجهل، إلى سعة أحكام الكشف، لما يشترك فيه جميع أبناء النوع من علوم بديهية ، ثم فتح الإسلام: وهو الذى به يتميز الإنسان عن الأنعام ، ثم فتح المضيق: ويشير إلى تنقل الإنسان فى أطواره ، فى أول ظهوره فى هذا العالم ، إلى حين عوده إلى ربه ، المشار إليه بقوله تعالى:{ يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ

---

[1]) القاشانى ، اصطلاحات الصوفية ص١٥٢، ١٥٣، تحقيق عبدالعال شاهين، ط١، ١٤١٣ه _ ١٩٩٢م، دار المنار للطبع والنشر بالقاهرة ، مشار إليه : عبد اللطيف أحمد العبد ، مقاله (الفتح) ، موسوعة التصوف الإسلامى ، ص٦٢٣ .

}[1]. ثم فتح العقل: وهو فتح باب العلم ، والاستدلال على وجود الصانع من وجود مصنوعه، ونحو ذلك ، ثم فتح النفس: وهو ما يعطى العلم التام عقلاً ونقلاً، وفتح الروح: وهو ما يعطى المعرفة وجوداً لانقلاً، ولا استدلالاً بل شهوداً وعياناً ، يغنى عن نظر العقل وتعمله ، وفتح القلب: وهو أعم الفتوحات نفعاً ، وأشملها حكماً .

كما ذكروا الفتح القريب: وهو ما انفتح على العبد من مقام القلب، وظهور صفاته وكمالاته عند قطع منازل النفس، وهو المشار إليه بقول الله تعالى :{ نَصْرٌ مِّنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ }[2] ، والفتح المطلق[3]: وهو من أعلى الفتوحات وأكملها، وهو ما انفتح على العبد من تجلى الذات الأحدية، والاستغراق فى عين الجمع بفناء الرسوم الخلقية كلها. وهو المشار إليه بقوله تعالى :{ إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ }[4] ، واخيراً، الفتح المبين: ويقصد به ما انفتح على العبد من مقام الولاية، وتجليات أنوار الأسماء الإلهية المعينة لصفات القلب وكمالاته، وهو أكمل الفتوحات وأعلاها؛ وبه إتمام النعمة على العبد بالولاية لله الحق، المشار إليه فى قوله تعالى: {إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا * لِّيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا }[5].

وقد شهد الإمام العربى ـ فى مقالته آنفة الذكر ـ بمنزلة الفتح الأكبر للشيخ، بوصفه أكمل الفتوحات وأعلاها منزلة ، فضلاً عن فتوح العبارة، وفتوح الحلاوة، التى كشفت عنها علومه الشرعية، ومعارفه اللدنية سالفة البيان فى موضعها[6].

وفى موطن آخر، يشير شيخه الإمام العربى (رضى الله عنه) إلى علو منزلة الشيخ، ورفعة مقامه، وندرته، فيقول: "بحثت له فى الست قارات بعين بصيرتى فلم أجد له مثيلا "، فالشيخ كان فى منزلته درة فريدة،

---

[1]) الفجر : ٢٧ .
[2]) الصف : ١٣ .
[3]) القاشانى، لطائف الاعلام ، ط/ الهيئة المصرية العامة للكتاب ٢٠٠/٢، مشار إليه : عبد اللطيف أحمد العبد ، مقاله (الفتح) ، موسوعة التصوف الإسلامى ، ص٦٢٢ .
[4]) النصر : ١ .
[5]) الفتح : ١ ، ٢ .
[6])راجع الباب الرابع من هذا المؤلف ، بعنوان (علومه ومعارفه) .

وجوهرة نفيسه ، ويتيمة عصماء، لايدانيه فى المنزلة أحد ، ولا يوجد له مثيلا ، فما أعلاها منزلة ، وأجلها مكانة ، وأرفعها رتبة.

ويحضرنى فى هذا المقام ، أن الإمام محمد أبو الفتوح العربى قال لى :" أتانى أحمد أبو الحسن عارفاً بالله كاملا ، ولم أزده شيئا ، وأنه يجاريكم مجاراة "[1] ، فلمّا استعجم علىَّ قوله :" ويجاريكم مجاراة" - مَنَّ الله علىَّ فاستشرفت معناه، ولمسته واقعاً حال معايشتى الشيخ، فألفيته يُعَرِّضَ بالقول ، فيخاطب الناس بظاهر كلامه ، بينما يناجى ربه بحقيقة مراده ، وعلمت أن الشيخ ممن يجمعون بين مخالطة الناس ظاهراً، والإقبال على الله باطنا، وهذه منزلة عزيزة ونادرة من منازل أهل المعرفة والعرفان ، فالشيخ قريب من الناس بظاهره ، غريب عنهم بباطنه ، يخالطهم ببدنه ، غريباً عنهم بربه ، وقد ورد أن العارفين يتكلمون مع الخلق وهم مع الحق ، يقول أحدهم[2]: "لى ثلاثون سنة أتكلم مع الله تعالى ، والناس يظنون أنى أتكلم معهم" ، ويقول الإمام أبو حامد الغزالى : " قد تثمر الخلوة إلى درجة الجمع بين مخالطة الناس ظاهرا والاقبال على الله سراً ، لكن لا ينبغى أن يغتر كل ضعيف بنفسه فيطمع فى ذاك الأمر ، فلن يسع الجمع بين مخالطة الناس ظاهرا ، والاقبال على الله باطنا إلا قوة النبوة ، أو من خصه الله تعالى بدرجة العارفين به"[3] .

واختم حديث شيخه صاحب الوقت والأوان، سليل الحسنين، ومجمع البحرين الإمام محمد أبو الفتوح العربى (رضى الله عنه) بعرض مكتوبين (خطابين) صاغهما الإمام صياغة جوهرية يتيمة ، وعبارات راقية رقيقة ، غزلاً ومدحاً فى الشيخ ، إشارة إلى مرتبته ، وتعريفاً بمكانته ، ومنزلته .

(الخطاب الأول)

"بسم الله الرحمن الرحيم، والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد صلى الله عليه وسلم شيخ الأنبياء وأستاذ المرسلين وعلى آله وصحبه وسلم

---

[1]) سمعته من الإمام العربى رضى الله عنه مشافهة ، حينما التقيت حضرته أول مرة بمنزله بقرية الكلح مركز أدفو من اعمال محافظة أسوان .

[2]) قول سيد الطائفة ، أبى القاسم الجنيد رضى الله عنه ، نقلاً عن : أبى حامد الغزالى ، إحياء علوم الدين ، الجزء الثانى ، مرجع سابق ص ٢٢٧ ، وقيل أنه قول سهل بن عبد الله التسترى ، نقلاً عن : عبد الوهاب الشعرانى ، الأنوار القدسية فى معرفة قواعد الصوفية ، مرجع سابق ، ص ١٨١ ..

[3]) الإمام أبو حامد الغزالى ، إحياء علوم الدين ، الجزء الثانى ، مرجع سابق ، ص ٢٢٧ .

. وبعد ...حبيبنا المحبوب أخونا فى الله تعالى إلى الله وبالله ومحمد رسول الله، سيادة أستاذ الحكماء والحكام أحمد أبو الحسن ، ذات ذوات العرفان وخلاصة الدر واللؤلؤ واللآلئ والمرجان ، نحيط سيادتكم وأنتم المحيطون ومحاطون بعناية الله ورسوله ، غضنفر الحب والاشتياق وسلسبيل الدياجير للأذواق ، شراب القاصى والدانى فى مفاوز الحب والوجد والهيام . لازم تجيب معاك خلاصة فكر مضى ولا يجب التطلع إلى الورا ولكن التطلع إلى شمائل الحضرة المحمدية.

محمد أبو الفتوح العربى".

(الخطاب الثانى)

"بسم الله الرحمن الرحيم، والصلاة والسلام على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم شيخ الأنبياء وأستاذ المرسلين وعلى آله وصحبه وسلم .

وبعد...إلى أخى وقرة عينى ، وقلبى ، وروحى ، وسوحى ، وبوحى ، وهديل حمائمى ، وشجون نوحى ، الحبيب فى الله ، العارف ، الشارف، الغارف ، الوارف ، الأليف الآلف ، ألف الآحادى الشهودى ، الفاء الفوهانى البروجى ، والباء الراقى منصة نجودى ، الإمام أبو الحسن والمحاسن السيد الحاج أحمد أبو الحسن ، شامتى ، ورفعة هامتى ، خلى وخليلى ، وحبى وحبيبى * بسم الله تحضنك * بسم الله ناظرة إليك .

* بسم الله تقول لك ، وتقول يابحور نظمى ياغيوث وابل نهول .

* بسم الله تتجلى تنفرد بك شوقاً ، تقبلك ، تتخلى بك أجلّ شوقاً ، تقبلك :{ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ }[1].

* بسم الله تبتسم فيك ، تضحك معك ، متهللة المحيا .

* بسم الله الوقورة بسمات . تضحك معك فى الخلوات . تنظر فيك تعانق منك . تسامر روحك فى الغيبات.

٣٠ ربيع الأول عام ١٤٠٤ هـ ".

فما أروع، وما أرفع، وما أوضح تعريفاً بمنزلة الشيخ ، ورتبته ! فما حمله هذان الخطابان من معانى عزيزة، وإشارات دقيقة أجلّ من أن يُعَبِرَ عنها لسان، أو تخطر حتى فى جنان ، فمثلاً ، ورد فى خطاب الإمام العربى

---

[1]) المائدة : ٢٧ .

قوله : "بسم الله تتجلى تنفرد بك شوقاً ، تقبلك ، تتخلى بك أجل شوقاً ، تقبلك" ، فى إشارة إلى "التجلى" و"التخلى".

ويقصد ب "التجلى" ـ عند الصوفية ـ إشراف أنوار إقبال الحق على قلوب المقبلين عليه، وقال النورى (رحمه الله) : "تجلى لخلقه بخلقه، واستتر عن خلقه بخلقه" ، وقال أيضاً : " بتجليه حسنت المحاسن وجملت، وباستتاره قبحت وسمجت".

وقال الواسطى (رحمه الله) : فى قوله تعالى :{ ذَٰلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ }[1]، أى: تغابن أهل الحق على مقادير الفناء والرؤية والتجلى، وأنشد بعضهم:

قد تجلى لقلبه منه نورٌ * فاستضاءت به من الظلمات**

أما "التخلى " ـ عندهم ـ فهو الإعراض عن العوارض المشغلة ، بالظاهر والباطن ، وهو اختيار الخلوة ، وإيثار العزلة ، وملازمة الوحدة، قال الجنيد (رحمه الله) : "القلوب المحفوظة لايُعَرِّضَها وليُّها ؛ لمجانبة محادثة غيره ، ضناً منه لها ، ونظراً منه لها ، وإبقاءً عليها ؛ ليَخْلُصَ لهم ما أصفاهم به ، وما جمعهم له ، وما عاد به عليهم ، وهذه بعض صفات من أراده الله للخلوة به ، وجمعه للأنس ، وحال بينه وبين ما يكرهه له"[2].

فهلم أيها القارئ الكريم إلى بسط جناحى روحك، وتحلق فى سماوات أجواء هذين الخطابين، وما جاء فيهما من بديع الألفاظ، والمعانى قريبة العهد بالله ؛ لتنشق شذا عبيرهما ، وتتذوق لذيذ معانيهما، وتشاهد جميل مرائيهما ، فشواهدهما كثيرة، تُعجِز المتأول، وتلهو المعاند.

وأحسب أن خير شهادة للمرء هى شهادة شيخه؛ إذ تمثل فى حق التلميذ تاج على رؤوس الأشهاد، ومنزلة رفيعة، لا يدانيها منزلة، ناهيك عن مصدرها، وهو الإمام محمد أبو الفتوح العربى (رضى الله عنه) شيخ الرعيل، وأستاذ كل جيل .

نكتفى بهذا القدر من الإشارة إلى منزلة الشيخ فى عيون شيخه الإمام العربى، ويظل مكنون منزلته خفياً، فلا يعرف حقيقة العارف إلا معروفه ، الذى وهبه المعرفة ، وكللَّه بالمنزلة الرفيعة السامية .

---

[1]) التغابن : ٩ .

[2]) انظر فى شرح هذه الألفاظ فى كلام الصوفية : أبو نصر السراج الطوسى ، اللمَّع ، مرجع سابق ، ٣٦٤ .

الفصل الثانى

منهجه فى الدعوة، وتربية مريديه، وحقوق صحبتهم، ومنزلتهم

يستشرف هذا الفصل منهج الشيخ فى دعوته، وفى تربية إخوته فى الله تعالى ، ثم الإشارة إلى حقوقهم ، ومنزلتهم ، وذلك من خلال بحثين: أولهما ـ منهجه فى الدعوة ، وتربية إخوته ، والثانى ـ حقوق صحبة الإخوة ، ومنزلتهم ، وعلى الوجه التالى:

المبحث الأول

منهجه فى الدعوة، وتربية مريديه

كانت الدعوة إلى الله[1] هى قضية الشيخ ، وحياته ، يذهق من أجلها النفس ، والنفيس ، لا يبالى الموت ، ولا يخشى القُلَّ . قام الشيخ بالدعوة إلى الله فتياً ، ناشراً أفكاره بالحكمة ، والموعظة الحسنة ، وساق الخلق على مطايا الرحمة ، والرأفة ، ونجائب الشمائل المحمدية إلى ساحة الخالق ، ونصح القائمين بالدعوة إلى الله بالإكثار من ذكر شمائله صلى الله عليه وسلم ، يقول الشيخ : " إن العبد يساق إلى الله بذكر الشمائل المحمدية أفضل من تذكر النار والعذاب ، وضيق الصراط ، فأكثروا من ذكر شمائل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فالناس قد عزفوا عن الوعظ بالنار والعذاب".

ونهج الشيخ فى الدعوة إلى الله سبيل منْ أرسله الله رحمة للعالمين، وجعله بالمؤمنين رءوف رحيم ، واتخذ من نصحه صلى الله عليه وسلم نبراساً فى ذلك الأمر ، فعَنْ أَبِى مُوسَى قَالَ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم إِذَا بَعَثَ أَحَدًا مِنْ أَصْحَابِهِ فِى بَعْضِ أَمْرِهِ قَالَ « بَشِّرُوا وَلاَ تُنَفِّرُوا وَيَسِّرُوا وَلاَ تُعَسِّرُوا »[2].

---

[1]) يقصد بالدعوة إلى الله ـ هنا ـ التجديد فى تذكير العباد بحقيقة وسماحة الدين الإسلامى الحنيف ، وإشعارهم بقرب الله سبحانه وتعالى منهم ، وتحبيب المسلمين فيه ، والتعريف بحقيقة وخصوصية حضرة النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ ومعرفة قدر آل بيته الشرفاء ـ رضى الله عنهم ـ وعدالة أصحابة العظماء ـ رضوان الله عليهم ـ والسعى فى قضاء حوائج المسلمين والإصلاح بينهم ، وهو ما يمثل عقيدة الشيخ ، وقضيته ، التى قضى من أجلها نحبه .

[2]) صحيح مسلم ، الجهاد والسير ، حديث رقم ٤٦٢٢ ، نقلاً عن : موسوعة الحديث الشريف ، مرجع سابق .

وأول ما دعا الشيخ إخوته إليه إحترامهم العقل وإعماله فى جميع شئونهم، وعدم التسليم حتى بكلامه إلا بعد عرضه على عقولهم ، وقبوله، ويأمرهم بعدم الوقوف مع الكرامات ، أو انشغالهم بالرؤيات . وهذه نقطة مهمة فى السير إلى الله ، فما عطل الناس والمريدين فى السير إلى الله إلا اعتمادهم على الكرامات ، وانشغالهم بها ، وصاروا طلاباً للكرامات ، وفتحت بالتالى باباً للشعوذة ، وحب المشيخة التى تحجب عن القصد والعياذ بالله . وكم من قوم دعاة الشياخة والولاية والرياسة استهوتهم الأوهام وشغلوا مريديهم بالكرامات دون إعمال لعقولهم ، فانقادوا لأصحابها، وصاروا عباداً لهم ، لا عباداً لله المتفضل عليهم بالكرامات، فانساق هؤلاء المريدون إلى هذه الأوهام .

كما رباهم على هدى رسول الله ، وما درج عليه هو من أخذٍ بأسباب الرزق ، وحثِّهم على العمل ، نأْيَاً عن التواكل ، فإذا صحب تاجراً ، أو ذا حرفة أو مهنة أو وظيفة ، أو طالب علم لايقول له اترك ذلك وتعال فى صحبتى ، ولكن كان يقرهم على أسبابهم ، ويأمرهم بتقوى الله فيها ، وما قسم لهم من خير صحبته سيأتيهم لامحالة .

وعَنِيَّ الشيخ عناية خاصة بمحاربة العصبية فى قلوب إخوته، وجهد على تخليص نفوسهم من عصبية الأهل ، والتكاثر بالأنساب ، فهى من غوائل الباطل وآفات النفس ، بل يرى الشيخ أن العصبية من أخطر الآفات التى تصيب المريد ، ودعا إخوانه إلى الانتساب لرحم الإيمان ، وكان يقول لهم :"نحن قبيلة العصبة الهاشمية" .

وبعد أن عيَّنَ الشيخ إخوته ، أحبهم ، واتخذهم أهلاً ، حفظهم حفظ الأشبال مع الأسد ، محصهم ، فصاغهم تبراً ، كَمَّلَهم فزينهم بالتواضع خُلقاً ، رباهم بالاقتداء والنظر ، لابالموعظة والعبر ، وشملهم بالمرافقة لا بالمراقبة ، ووالاهم جُلَّ نظره ، فمثل العارف مثل السلحفاء تربى أبنائها بالنظر[1] ، وهو أمر محسوس ، فلكل نظرة معنى ، ولكل نظرة تأويل ، ولكل نظرة حديث روحى تفهمه العقول ، وتتأثر به القلوب والعواطف ، وينسب للإمام على (كرم الله وجهه) قوله:

---

[1]) اتفق العلم الحديث والقديم على أن نظرات الناس تختلف باختلاف الانفعالات ، وباختلاف شحنتها من القوى والطاقات الباطنية فى الإنسان .

عيناك قد دلتا عيناى منك على * أشياء لولاهما ما كنت تخفيها
والعين تعرف من عينى محدثها * إن كان من حزبها أو من أعاديها[1]

ويقول أحدهم[2]: "جلت الحقيقة أن تكون البشرية محلاً لتلقيها ، ولكن إذا أراد أن يوصلها إليك انبسط شعاع سلطان شعاعها فمهد فى قلبك محلاً لتلقيها فيها وجدتها لابك" :

أعارته طرفاً رآها به * فكان البصير بها طرفها**

ربى الشيخ إخوته على ما جُبِلَ عليه من الصدق مع الله ، وأضفى عليهم من محاسن أخلاقه ، وآذنهم بأن أفضل ماعُبِدَ به الخالق ، هو السعى فى قضاء حوائج الخلق ، وجبر خاطرهم ، وغذَّاهم بالعطف والحنان .

ساقهم إلى الله بسلطان حاله ، وسَيَّرَهم على مطايا رحاله ، فألحقهم بركاب الشمائل المحمدية، وكلأهم فى حجر الحضرة المصطفوية، فتمكَّنَ حب أحمد صلى الله عليه وسلم فيهم ، ولا يكمل إيمان المرء إلا بمحبته صلى الله عليه وسلم، وفى صحيح البخارى : حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ سُلَيْمَانَ قَالَ حَدَّثَنِى ابْنُ وَهْبٍ قَالَ أَخْبَرَنِى حَيْوَةُ قَالَ حَدَّثَنِى أَبُو عَقِيلٍ زُهْرَةُ بْنُ مَعْبَدٍ أَنَّهُ سَمِعَ جَدَّهُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ هِشَامٍ قَالَ كُنَّا مَعَ النَّبِىِّ صلى الله عليه وسلم ، وَهْوَ آخِذٌ بِيَدِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ فَقَالَ لَهُ عُمَرُ يَا رَسُولَ اللَّهِ لأَنْتَ أَحَبُّ إِلَىَّ مِنْ كُلِّ شَىْءٍ إِلاَّ مِنْ نَفْسِى . فَقَالَ النَّبِىُّ صلى الله عليه وسلم : " لاَ وَالَّذِى نَفْسِى بِيَدِهِ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْكَ مِنْ نَفْسِكَ " . فَقَالَ لَهُ عُمَرُ فَإِنَّهُ الآنَ وَاللَّهِ لأَنْتَ أَحَبُّ إِلَىَّ مِنْ نَفْسِى . فَقَالَ النَّبِىُّ صلى الله عليه وسلم : " الآنَ يَا عُمَرُ "[3] ، فيجب أن يكون الله ورسوله أحب إليك من نفسك ، ومالك ، وأهلك ، والناس أجمعين حتى يكمل إيمانك .

كما كان الشيخ يؤدب إخوته ومريديه ، وجميع حاضريه على حب آل البيت ، وصحابة سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وناشد إخوته التغالى ، والتفانى فى محبتهم ، وحذرهم مِن بغضهم ، فقد أخرج الديلمى عن الإمام على (كرم الله وجهه) قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

---

[1]) سعيد أبو الاسعاد ، مقال بعنوان (يا أبا عبد الله نظرة لله) ، مجلة التصوف الإسلامى ، العدد (٣٥٢) ، السنة (٣٠) ، ربيع ثان١٤٢٩هـ - أبريل ٢٠٠٨ ، ص١٥.

[2]) قول الشيخ داود الكبير بن ماخلا رضى الله عنه ، تقلاً عن : عبد الوهاب الشعرانى ، الطبقات الكبرى ، مرجع سابق ، ص ٣٢١ .

[3]) صحيح البخارى ، الإيمان والنذور ، حديث رقم ٦٦٣٢ ، نقلاً عن : موسوعة الحديث الشريف ، مرجع سابق .

" أثبتكم على الصراط أشدكم حباً لأهل بيتى وأصحابى"[1] ، كما أخرج الطبرانى عن ابن عباس (رضى الله عنهما) قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :" لاتزول قدما عبد حتى يسأل عن أربع : عن عمره فيما أفناه ، وعن جسده فيما أبلاه ، وعن ماله فيما أنفقه ومن أين اكتسبه ، وعن محبته أهل البيت "[2].

وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم :" ادبوا أولادكم على ثلاث خصال حب نبيكم ، وحب أهل بيته ، وعلى قراءة القرآن ، فإن حملة القرآن فى ظل من أنبيائه وأصفيائه "[3]، وأخرج الديلمى عن الإمام على (كرم الله وجهه) قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " أربعة أنا لهم شفيع يوم القيامة ، المكرم لذريتى ، والقاضى لهم الحوائج ، والساعى لهم فى أمورهم عندما اضطروا إليه ، والمحب لهم بقلبه ولسانه "[4].

وبسنده عن أبى سعيد الخدرى ، وصححه على شرط مسلم ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :" والذى نفسى بيده لايبغضنا أهل البيت أحد إلا أدخله الله النار" ، وفى رواية : "إلا كبَّه الله فى النار " ، وعنه أيضا أن الرسول عليه الصلاة والسلام قال :" اشتد غضب الله على من آذانى فى عترتى "[5].

وعن أبى سعيد (رضى الله عنه) قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :" من أبغض أهل البيت فهو منافق "[6]. وعن الإمام على (كرم الله وجهه) قال : قال رسول الله صلى الله عيه وسلم : " اللهم ارزق من أبغضنى وأهل بيتى كثرة المال والعيال ". قال ابن حجر كفاهم أن يكثر مالهم فيطول حسابهم ، وأن تكثر عيالهم فتكثر شياطينهم[7] .

وأخرج الطبرانى عن الحسن بن على (رضى الله عنهما) أنه قال لمعاوية بن خديج : " يامعاوية بن خديج : إياك وبغضنا ، فإن رسول الله

---

[1]) نقلاً عن : توفيق أبو علم ، السيدة نفيسة رضى الله عنها ، مرجع سابق ، ص٥٤ .
[2]) نقلاً عن : توفيق أبو علم ، السيدة نفيسة رضى الله عنها ، مرجع سابق ، ص٥٤ .
[3]) نقلاً عن : توفيق أبو علم ، السيدة نفيسة رضى الله عنها ، مرجع سابق ، ص٥٤ .
[4]) نقلاً عن : توفيق أبو علم ، السيدة نفيسة رضى الله عنها ، مرجع سابق ، ص٥٤ .
[5]) نقلاً عن : توفيق أبو علم ، السيدة نفيسة رضى الله عنها ، مرجع سابق ، ص٥٥ .
[6]) نقلاً عن : توفيق أبو علم ، السيدة نفيسة رضى الله عنها ، مرجع سابق ، ص٥٦ .
[7]) نقلاً عن : توفيق أبو علم ، السيدة نفيسة رضى الله عنها ، مرجع سابق ، ص٥٦.

صلى الله عليه وسلم قال :" لايبغضنا أحد ، ولايحسدنا أحد إلا زيل يوم القيامة عن الحوض بسياط من نار"[1] .

كما ربى الشيخ إخوته على محبة أهل الله والإخلاص لهم ، فهم خاصة الله وأحباؤه ، وإخلاص المحبة لأهل الله ، لهو مستمد من محبة الله ورسوله ، ودليل عليها ، فلم يمنع الشيخ إخوته من صحبة غيره من الأشياخ ، مترسماً قول سيدى أبى الحسن الشاذلى: " اصحبونى ولا أمنعكم أن تصحبوا غيرى ، فإن وجدتم منهلاً أعذب من هذا المنهل فاوردوا "[2] .

وكان الشيخ ينصح إخوته أن يتناءوا عن المجادلات الفكرية ، والمشاحنات المذهبية ، كما كان حريصاً على حفظ قلوب محبيه سليمة، دون تغير، فلم يتحدث أمامهم بسوء على أحد ، ويقول : " لايجتمع بغض وحب فى جوف واحد ، وإذا دخل الحقد إلى قلب المرء من باب خرج الإيمان من الباب الآخر".

كذا ، غَذَّى الشيخ إخوته بمحبة بعضهم بعضا ، وأن يوفوا تلك المحبة حقها ، وأن يتراحموا فيما بينهم ، ويتعاونوا على البر والتقوى ، وكان الحسن (رضى الله عنه) يقول : "إخواننا أحب إلينا من أهلنا وأولادنا ؛ لأن أهلنا يذكروننا بالدنيا ، وإخواننا يذكروننا بالآخرة" ، ويقول عطاء (رحمه الله) : "تفقدوا إخوانكم بعد ثلاث ، فإن كانوا مرضى فعودوهم ، أو مشاغيل فأعينوهم ، أو كانوا نسوا فذكروهم ، وروى أن ابن عمر (رضى الله عنهما) كان يلتفت يمينا وشمالا بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فسأله عن ذلك، فقال أحببت رجلا فأنا أطلبه ولا أراه فقال صلى الله عليه وسلم:"إذا أحببت أحداً فسله عن اسمه، واسم أبيه، وعن منزله، فإن كان مريضاً عدته، وإن كان مشغولاً أعنته"[3].

وحرص الشيخ على مساعدة إخوته ، وحضَّهم على مساعدة بعضهم بعضا بغير امتنان ، وكان يحثهم قائلاً : كونوا كالأوانى المستطرقة يصب الملئُ منكم على الفقير ، واخلطوا الجيوب حتى لايُعَرف المنفق بينكم ، فإن

---

[1]) انظر فى الأحاديث الواردة فى حب أهل البيت : توفيق أبو علم ، السيدة نفيسة رضى الله عنها ، ـصادر عن وزارة الأوقاف ، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ، لجنة التعريف بالإسلام ،١٩٩٩م .

[2]) ابن عطاء الله السكندرى رضى الله عنه ، لطائف المنن فى مناقب الشيخ أبى العباس المرسى وشيخه الشاذلى أبى الحسن ، مرجع سابق ، ص ١٤٥ .

[3]) نقلاً عن : أبى حامد الغزالى ، إحياء علوم الدين ، الجزء الثانى ، مرجع سابق ، ص ١٧٣ .

لم تخلط الجيوب لم تخلط القلوب " ، ويقول - فى هذا المعنى - الإمام على بن الحسين (رضى الله عنهما) لرجل : "هل يدخل أحدكم يده فى كم أخيه ، أوكيسه ، فيأخذ منه مايريد بغير إذنه ، قال لا ، قال : فلستم بإخوان"[١]. وقال أحدهم[٢]:" إنى لألقم اللقمة أخاً من إخوانى فأجد طعمها فى حلقى".

ولما كان الإنفاق على الإخوة أفضل من الصدقات على الفقراء، قال الإمام على (رضى الله عنه وكرم الله وجهه) لعشرون درهما أعطيها أخى فى الله أحب إلىَّ من أن أتصدق بمائة درهم على المساكين، وقال أيضا : " لأن أصنع صاعاً من طعام وأجمع عليهإخوانى فى الله أحبَ إلىَّ من أن أعتق رقبة"[٣].

ولم يشأ الشيخ أخذ إخوته بالتعب والمشقة ، أوبالزهد والتقشف ، فكان يقول لهم : " اتقوا الله ، وكونوا كيفما شئتم" ، فلم يشق عليهم بتكاليف ، وعن الإمام العربى قوله : عليكم أولاً بتقوى الله ، وصلاة الخمس ، وصوم شهركم ، وإيتاء زكاتكم ، وحجكم ، وحبوا نبيكم ، وأهل بيته ، وإطعام الفقراء ، وعليكم بحسن الخلق ، ومكارم الأخلاق ، واجتناب النواهى ، وإكرام الضيف، والإصلاح بين العائلات المتناحرة، وإصلاح ذات البين عند نشوب الشقاق بين الزوجين ، وفعل ما استطعتم من الخيرات ، من باب "اتقوا الله ما استطعتم "[٤]، وفى ذلك - أيضاً - يقول سيدى أبو الحسن الشاذلى : " ليس الرجل من دلك على تعبك إنما الرجل من دلك على راحتك "[٥].

ويحضرنى هنا أن سافرت - ذات مرة - إلى كليتى ، وهناك اختليت بنفسى، وعزمت على الزهد فى ملذات الدنيا، رغم فورة الشباب، ووفرة المال ، فشققت على نفسى وأتعبتها، وخالفتها ما استطعت، وصرت لا أطعم إلا لقيمات يقمن صلبى ، حتى نَحُلَ جسمى ، وأضنانى الجهد ، وكتمت هذا الأمر عن كل من حولى ؛ إخلاصاً لله ، فلما عُدت إلى بلدتى فى أجازة تقابلت مع الشيخ فلم أبح له بشيئ ، إلا أنه أشار إلىَّ إشارة مفادها بأن مثل هذا

---

[١]) قول الإمام على زين العابدين بن الحسين رضى الله عنهما ، نقلاً عن : أبى حامد الغزالى ، إحياء علوم الدين ، الجزء الثانى ، مرجع سابق، ص١٧١.

[٢]) قول أبى سليمان الدارانى ، نقلاً عن : أبى حامد الغزالى ، إحياء علوم الدين ، الجزء الثانى ، مرجع سابق، ص ١٧٢.

[٣]) نقلاً عن : أبى حامد الغزالى ، إحياء علوم الدين ، الجزء الثانى ، مرجع سابق، ص ١٧٢.

[٤]) أقوال الإمام العربى فى تحقيقات نيابة أمن الدولة ، سالفة الإشارة .

[٥]) الإمام الشعرانى ، الطبقات الكبرى ، مرجع سابق ، ص٣٦٥

التعب فى التزهد ليس طريقنا ، ودعا لى ربه أن يرفع عنى هذه الحال ، فعلمت أن طريق الشيخ الراحة لا التعب ، وأنها كرامة للشيخ ، فعدت إلى سابق عهدى.

كما ربى الشيخ إخوته على ترك التكلف والتكليف بينهم، وقيل : من سقطت كلفته دامت ألفته ومن خفت مؤنته دامت مودته ، وقال بعض الصحابة إن الله لعن المتكلفين ، وقال صلى الله عليه وسلم : " أنا والأتقياء من أمتى برآء من التكلف"[1].

وكان الشيخ يربى إخوته على تبجيل العلماء ، والتلطف مع الفقراء، والزهد فى الحكام، وأهل الدنيا ، وأن يكرموهم إذا أتوا إليهم ، ويحث إخوته قائلاً : " انزلوا الناس منازلهم" .

وكان الشيخ ينهج فى تربية إخوته نهجاً مثالياً ، إذ لكل منهم سبيل خاص فى التربية يوافقه ، فيحمل كل واحد منهم على السبيل الذى يصلح له ، ويخلص كل منهم على حده من معوقات السير فى طريق الله ، ويحثهم على مكاشفته بعيوبهم الروحية والنفسية التى تسبب كدرهم ، أو تثقل كاهلهم ، فمن حمله الصدق على إظهار مابه حصل له الشفاء .

وكان الشيخ يسأل إخوته عن حالهم ، ويقول لهم بلغونى بكل ما أهمكم ، واطلبوا حاجتكم ، التى شغلتكم عن ربكم ، لعلكم تجدوا منها مخرجا حال إبلاغى بها ، إذ يقيض الله ملائكة تسمعها ، فتقضى الحاجات على أيدى الأحباب ، وفى الحديث عن أَبِى مُوسَى (رضى الله عنه) قَالَ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم إِذَا جَاءَهُ السَّائِلُ ، أَوْ طُلِبَتْ إِلَيْهِ حَاجَةٌ قَالَ « اشْفَعُوا تُؤْجَرُوا ، وَيَقْضِى اللَّهُ عَلَى لِسَانِ نَبِيِّهِ صلى الله عليه وسلم مَا شَاءَ »[2] .

يقول الشيخ: إن العارف بالله يعلم عيوب أحبابه ، لكن حياءه يمنعه عن مواجهتهم بها ، أوكشف أسباب التعافى منها قبل إفصاح المريد عنها، فإذا ما كشف المريد عنها للعارف بالله حق على الأخير تخليص المريد، وتبرئته من علته ، أويطمئنه إن الذى ظنه بداء ليس فى حقيقته بداء ، ولكنه من استحقاقات الطريق إلى الله.

---

[1])نقلاً عن : أبى حامد الغزالى ، إحياء علوم الدين ، الجزء الثانى ، مرجع سابق ، ص١٨٧ .

[2]) صحيح البخارى ، الزكاة ، حديث رقم ١٤٣٢ ، نقلاً عن : موسوعة الحديث الشريف ، مرجع سابق .

ويضرب لذلك مثلا، فالحيرة التى يظن المريد أنها عائق فى سيره إلى الله تطوى فى حقيقتها السير إلى الله ، فهى خطوة على الطريق ، وليست من عوائقه ، ويقول : " الحيرة مسيرة" ، وقيل : أن الحيرة بديهةٌ ترِدُ على قلوب العارفين عند تأملهم وحضورهم وتفكرهم تحجبهم عن التأمل والفكرة ، قال الواسطى رحمه الله : حيرة البديهى أجلُ من سكون التولِّى عن الحيرة . و" التحير": منازلة تتولى قلوب العارفين بين اليأس والطمع فى الوصول إلى مطلوبه ومقصوده لاتطمعهم فى الوصول فيرتجوا ، ولا تؤيسهم عن الطلب فيستريحوا ، فعند ذلك يتحيرون ، وقد سئل بعضهم عن المعرفة ما هى ؟ فقال : التحير ثم الاتصال ثم الافتقار ثم الحيرة ، وقال قائل:

قد تحيَّرتُ فيك خذ بيدى *** يادليلا لمن تحيَّر فيك[1].

وتجد بيان ذلك فى الحديث الطويل عَنْ حَنْظَلَةَ الأُسَيِّدِىِّ ، وَكَانَ مِنْ كُتَّابِ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم ، قَالَ لَقِيَنِى أَبُو بَكْرٍ فَقَالَ كَيْفَ أَنْتَ يَا حَنْظَلَةُ قَالَ قُلْتُ نَافَقَ حَنْظَلَةُ قَالَ سُبْحَانَ اللَّهِ مَا تَقُولُ قَالَ قُلْتُ نَكُونُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- يُذَكِّرُنَا بِالنَّارِ وَالْجَنَّةِ حَتَّى كَأَنَّا رَأْىَ عَيْنٍ فَإِذَا خَرَجْنَا مِنْ عِنْدِ رَسُولِ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- عَافَسْنَا الأَزْوَاجَ وَالأَوْلاَدَ وَالضَّيْعَاتِ فَنَسِينَا كَثِيرًا قَالَ أَبُو بَكْرٍ فَوَاللَّهِ إِنَّا لَنَلْقَى مِثْلَ هَذَا. فَانْطَلَقْتُ أَنَا وَأَبُو بَكْرٍ حَتَّى دَخَلْنَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- قُلْتُ نَافَقَ حَنْظَلَةُ يَا رَسُولَ اللَّهِ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- « وَمَا ذَاكَ ». قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ نَكُونُ عِنْدَكَ تُذَكِّرُنَا بِالنَّارِ وَالْجَنَّةِ حَتَّى كَأَنَّا رَأْىَ عَيْنٍ فَإِذَا خَرَجْنَا مِنْ عِنْدِكَ عَافَسْنَا الأَزْوَاجَ وَالأَوْلاَدَ وَالضَّيْعَاتِ نَسِينَا كَثِيرًا. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- « وَالَّذِى نَفْسِى بِيَدِهِ إِنْ لَوْ تَدُومُونَ عَلَى مَا تَكُونُونَ عِنْدِى وَفِى الذِّكْرِ لَصَافَحَتْكُمُ الْمَلاَئِكَةُ عَلَى فُرُشِكُمْ وَفِى طُرُقِكُمْ وَلَكِنْ يَا حَنْظَلَةُ سَاعَةً وَسَاعَةً »[2]. ثَلاَثَ مَرَّاتٍ .

فلما رأى حنظلة تحول حاله خاف أن يكون ذلك نفاقا فشكا ذلك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وحمله الإيمان أن أظهر ذلك ليتطلب الشفاء منه ويشكوا داءه لمن يوجد الشفاء عنده ، فلما شكا ذلك لأبى بكر (رضى

[1]) أبو نصر عبد الله بن على السراج الطوسى ، اللُّمَّعُ فى تاريخ التصوف الإسلامى ، مرجع سابق ، ص٣٤٦ .
[2]) صحيح مسلم ، التوبة ، حديث رقم ٧١٤٢ ، نقلاً عن : موسوعة الحديث الشريف ، مرجع سابق .

الله عنه) قال له أبو بكر أنا لنلقى مثل ذلك ياحنظلة ، وتوجها سوياً إلى المعلم الأعظم ، والطبيب المعالج وشكا له الداء .

ويستفاد من حديث حنظلة أن من حمله الصدق على إظهار مابه حصل له الشفاء ، أما بأن يقال أن ما ظننته داء ليس بداء ، وأما أن يدل من الدواء على مايزيل الداء ، فحنظلة قيل له أن ما ظننته داء ليس بداء[١].

وحذر الشيخ إخوته من حب الرياسة ، والشياخة ، بوصفه الداء الذى ليس له دواء ، ويقول : " وجدنا لكل شيئ علاجاً إلا حب الشياخة". كما كان ينصح أحبابه بقول سيدى أبى الحسن الشاذلى : "لا تصحب إلا من تستعين به على طاعة الله ولاتصطف لنفسك إلا من تزداد به يقيناً"[٢]، وعموماً لاتصحب كل من لاينهضك حاله ، ولايدلك على الله مقاله ، وانبذ كل أخ أو صاحب لم تستفد منه خيراً فى دينك[٣].

كما حذرهم من العتاب ؛ خشية التقالى ، ومغبة الاختلاف ، وأوصاهم بأن يلتمسوا الأعذار لزلات بعضهم ، يقول أحدهم[٤] : " العتاب مفتاح التقالى ، والعتاب خير من الحقد " ، وقيل ينبغى أن تستنبط لزلة أخيك سبعين عذراً فإن لم يقبله قلبك فرد اللوم على نفسك فتقول لقلبك ما أقساك يعتذر إليك أخوك سبعين عذرا فلا تقبله فأنت المعيب لا أخوك"[٥].

كما كان الشيخ لايواجه إخوته بما يكرهون ، وعن أنس ـ رضى الله عنه ـ " كان صلى الله عليه وسلم لايواجه أحداً بشئ يكرهه"[٦] ، حافظاً لأسرار إخوته ، ويستر عيوبهم ، ويحضهم على كتمان السر فيما بينهم ، وينبه على عدم إبلاغه بعيوب أحبابه ، فقد قال صلى الله عليه وسلم : " إنما يتجالس المتجالسان بالأمانة ولايحل لأحدهما أن يفشى على صاحبه ما يكره"[٧] ، وقيل لآخر كيف تحفظ السر قال أجحد المخبر وأحلف للمستخبر ،

---

[١]) ابن عطاء الله السكندرى ، لطائف المنن ، مرجع سابق ، ص ١٧٩ ـ ١٨١ .
[٢]) نقلاً عن : عبد الله الشاذلى ، مقاله بعنوان (الصحبة) ، موسوعة التصوف الإسلامى ، مرجع سابق ، ص ٥١٤ .
[٣]) عبد الله الشاذلى ، مقاله بعنوان (الصحبة) ، موسوعة التصوف الإسلامى ، مرجع سابق ، ص ٥١٦ .
[٤]) قول سيدى طلحة بن مصرف رضى الله عنه ، نقلاً عن : عبد الوهاب الشعرانى ، الطبقات الكبرى ، مرجع سابق ، ص ٧٦.
[٥]) أبو حامد الغزالى ، إحياء علوم الدين ، الجزء الثانى ، مرجع سابق ، ص ١٨٣ .
[٦]) أبو حامد الغزالى ، إحياء علوم الدين ، الجزء الثانى ، مرجع سابق ، ص١٧٤.
[٧]) أبو حامد الغزالى ، إحياء علوم الدين ، الجزء الثانى ، مرجع سابق ، ص١٧٦ .

وقال آخر أستره وأستر أنى أستره ، وأنشد ابن المعتز قائلاً : ومستودعى سراً تبوأت كتمه *** فأودعته صدرى فصار له قبرا وزاد آخر[1] :

وما السر فى صدرى كثاو بقبره *** لأنى أرى القبور ينتظر النشـــــــــــرا

ولكنى أنساه حتى كـــــــأننى *** بما كان منه لم أحط ساعة خبـــــــــــرا

ولو جاز كتم الســـــر بينى وبينه***عن السر والأحشاء لم تعلم الســـــــر

نكتفى بهذا القدر من الحديث عن منهج الشيخ فى الدعوة ، وتربية إخوته، وننتقل بعد ذلك إلى طرح حقوق صحبة هؤلاء الإخوة ومنزلتهم، وذلك من خلال المبحث التالى:

المبحث الثانى

حقوق صحبة مريديه، ومنزلتهم

جمعيته بالأحباب: اتخذ الشيخ مدينة كوم أمبو بمحافظة أسوان داراً لهجرته ، فحطَّ رحاله فى مقر صغير بشارع سُمِىَّ بعد ذلك باسمه ، بمنطقة المحطة ، وأسس فى هذا المقر جمعية أهلية (دينية ، واجتماعية، وثقافية) سجلها وفقاً لمراسيم البلاد باسم (جمعية الإمام الحسين)، وجعل منها مُنطَلَقَاً لدعوته.

ولما ضاق المقر الصغير بالأحباب، وزاد عدد الزوار - انتقل الشيخ من مقر جمعيته إلى مقرٍ أوسع استأجره بحى السبعين بمدينة كوم أمبو ، أقام فيه ساحة عامرة لاستقبال ضيوفه ، وواصل فيه تربية أحبابه ، والسير على طريق دعوته ، كما جنب منه سكناً لأسرته .

بدأ الشيخ - من جمعية الإمام الحسين - انتقاء أحبابه بعين العناية ، فليست العبرة بكثرة الأحباب، وإنما بصدق الألباب، ويقول حدهم[2]:"الأولياء

---

[1]) أبو حامد الغزالى ، إحياء علوم الدين ، الجزء الثانى ، مرجع سابق ، ص١٧٦ .

[2]) أبو زكريا يحيى بن معاذ بن جعفر الواعظ الرازى رضى الله تعالى عنه ، نقلاً عن : عبد الوهاب الشعرانى ، الطبقات الكبرى ، مرجع سابق ، ص١٤٠

صيادون ، يصطادون العباد من أفواه الشياطين ، ولو لم يصد الولى طول عمره إلا واحداً لكان قد أوتى خيراً كثيراً".

حقوق الصحبة: حرص الشيخ على صحبة الإخوة كضرورة شرعية وتربوية، وبداية من البدايات تلى الخدمة ، فالشيخ يطلب حق الصحبة ، ثم يأمر أصحابه بذلك إلى حد أن صارت الصحبة كالفريضة[1].

وجسد الشيخ فى تعامله مع مريديه حقوق الصحبة، ويمكن إجمالها فى ثمانية حقوق: حقهم فى المال، والنفس ، واللسان ، والقلب ، والصفح، والدعاء ، والاخلاص والوفاء ، والتخفيف بترك التكلف والتكليف.

وكما اختار الله لرسوله أصحابه، اختار للعارفين أصفياءهم، فالعارف - فى الحقيقة - لا خيرة له فى أمره ، ولا أجر له عليه ، إلا أنه يؤجر بعين العناية .

وفى أجواء قول النبى صلى الله عليه وسلم : " الْمَرْءُ عَلَى دِينِ خَلِيلِهِ فَلْيَنْظُرْ أَحَدُكُمْ مَنْ يُخَالِلُ"[2] ، يقول الشيخ : هذا الحديث فيه إشارة إلى أن دين المرء هو دين خليله ، ثم يفتح الحبيب الأعظم صلى الله عليه وسلم باب الاجتهاد فيقول : "فلينظر أحدكم منْ يخالل" ، فالأمر بالنظر هو التأمل والدقة فى الاختيار، وتمحيص الأحوال لهؤلاء الأصحاب ، والتثبت من دينهم وأخلاقهم وآدابهم ، وحسن علاقاتهم بالله .

وكان الشيخ يقول :" من عرف شيخه عرف نفسه ومن عرف نفسه عرف ربه" ، وفى ذات المعنى يقول أحدهم[3] : معرفتك بنفسك على قدر معرفتك بأستاذك . وعلى المرء أن يجتهد ويتحرى فى اختيار الخليل الأجدر بالصحبة، فيختار منْ يكون معه الراحلة والزاد، فزاد المصحوب يكفى الصاحب، وفى الحديث المروى عن سيدنا عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ (رضى الله عنه) قال. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " إِنَّ طَعَامَ الْوَاحِدِ يَكْفِى الِاثْنَيْنِ

---

[1]) أبو طالب المكى ،قوت القلوب : ٢/١١٥-١١٦ ، الهجويرى ،كشف المحجوب : ٥٨٤/٢، مشار إليهما فى موسوعة التصوف الإسلامى ، مرجع سابق ، ص٥٠٩ .

[2]) مسند أبى هريرة – مسند أحمد ، حديث رقم ٨٦٤١ ، نقلاً عن : موسوعة الحديث الشريف ، مرجع سابق .

[3]) قول سيدى على بن وفا – رحمه الله ، نقلاً عن : عبد الوهاب الشعرانى ، الأنوار القدسية فى معرفة قواعد الصوفية ، دار جوامع الكلم ، ١٧ شارع الشيخ صالح الجعفرى، الدراسة، القاهرة ، ط٣ ، ص ١٤٧ .

وَإِنَّ طَعَامَ الاِثْنَيْنِ يَكْفِى الثَّلاَثَةَ وَالأَرْبَعَةَ وَإِنَّ طَعَامَ الأَرْبَعَةِ يَكْفِى الْخَمْسَةَ وَالسِّتَّةَ "[1].

ولا مشاحة فى أن صحبة الأولياء يحصل بها كمال الانتفاع للصاحب دون غيرهم من المنسوبين للدين والعلم، ويتحقق بصحبة الأولياء ما لايتحقق بغيرها ، ولو مع كثير من المجاهدات والمكابدات ، وذلك لكونهم خُصُوا من حقائق التوحيد والمعرفة بخصائص لم يشاركهم فيها أحد ، ويمكن القول بأن أصحاب الأولياء والعارفين هم الأحياء ومَنْ سواهم أموات. يقول أحدهم[2]: "إذا أراد الله بعبده خيراً رزقه خدمة الصالحين والأخيار، ووفقه لقبول ما يشيرون به عليه ، وسهل عليه سبيل الخيرات ، وحجبه عن رؤيتها".

تفقد الشيخ أحبابه، وعَرِفَ إن كانوا من الراجعين ، أو الواقفين ، أو السائرين الواصلين بعون الله وفضله ، واتخذ منهم إخوة فآخاهم ، لا يبتغى من ذلك رئاسة، أو شياخة - كما درج تعامل أشياخ الطرق المتاخرين مع مريديهم - وكان الشيخ يقول : "كلنا أخوة فى الله ، وكيف يوجد شيخٌ ، وشيخ الأمة صلى الله عليه وسلم" قائم فيها ، وسمعته يدعو مريديه ب " الإخوة " وفى المثل : "لا يُدْعَى لِلْجُلَّى إلا أخُوها" ، فالأخُوَّة فى الله - عنده - اسم الله الأعظم ، الذى إذا إذا دُعِىَ به أجاب ، وإذا أُقسِمَ به أبرَّ.

وكان الشيخ لايسأل أحداً من إخوته أن يقضيه حاجة من حاجاته، ولم يطلب منهم أجراً ، أوجزاءً ، أو شكورا ، ولم ير لنفسه عليهم فضلاً، أو مِنَّة ، بل أرجع المنَّة والفضل لإخوانه ، فثواب المرشِد أكبر عند الله من ثواب المتعلم ، والكامل منْ يخرج بثمرة أعماله من الدنيا كاملة متوفرة ، لاينقص من رأس ماله شيء.

تحلى الشيخ بالشفقة على إخوته ، واهتم بشئونهم ، فكان لهم أباً ، وهم أبناء ، أسوة بسيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم القائل : " إِنَّمَا أَنَا

---

[1]) سنن ابن ماجه ، كتاب الأطعمة ، حديث رقم ٣٣٧٨، نقلاً عن : موسوعة الحديث الشريف ، مرجع سابق .
[2]) سيدى أبو عمرو إسماعيل بن نجيد بن أحمد بن خالد السلمى رحمه الله تعالى ، نقلاً عن : عبد الوهاب الشعرانى ، الطبقات الكبرى ، مرجع سابق ، ص٢٠٥ ، ٢٠٦.

لَكُمْ مِثْلُ الْوَالِدِ أُعَلِّمُكُمْ ..."[١] ، يقصد تعليم إخوته ، وإنقاذهم من نار الآخرة ، وهو أهم من إنقاذ الأب ابنه من نار الدنيا ، ولذلك صار حق المعلم أعظم من حق الوالد ، فإن الوالد سبب الوجود الحاضر والحياة الفانية ، والمعلم سبب الحياة الباقية ، ولولاه لانساق ماحصل من جهة الأب إلى الهلاك الدائم ، وإنما المعلم هو المفيد للحياة الأخروية الدائمة. وكان الشيخ يحب أن يجمع منْ حضر من الإخوة على مائدته، ولايأكل منفرداً قط ، وفى ذلك يقول الإمام على (كرم الله وجهه): "لأن أجمع إخوانى على صاع من طعام أحب إلى من أن أعتق رقبة"[٢] .

وقد آثر الشيخ إخوته على نفسه اقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقد رُوِىَ أنه دخل غيضه مع بعض أصحابه فاجتنى منها سواكين أحدهما معوج والآخر مستقيم فدفع المستقيم إلى صاحبه فقال له يارسول الله كنت والله أحق بالمستقيم منى فقال : " مامن صاحب يصحب صاحباً ولو ساعة من النهار إلا سئل عن صحبته هل أقام فيها حق الله أم أضاعه"، فأشار بهذا إلى أن الإيثار هو القيام بحق الله فى الصحبة[٣].

وفى سياق متصل ، يقول الشيخ : إن وِرْدَ الكُمَّل من أهل الله هو عرض أحبابهم على قلوبهم ، فالعارف بالله ليس له وِرْد من آيات ، أو أذكار ، أو تسابيح ، أو استغفار ، إنما وِرْدَه هو قيامه بعرض أحبابه على قلبه ، يقول أحدهم[٤] : " القلب كالعرش والصدر كالكرسى" ، فيلتقى المحب المعروض على قلب شيخه بربه ، ويصادف العرض بالقبول من الله إكراماً للشيخ ، وهنا يترك الشيخ المحب ، ويقول له بلسان حاله: ها أنت وربك.

ويذكر أن الشيخ لما وجد من فرض حبه لإخوته، ورقة قلبه، وشدة تعلقه بهم ، وانشغاله بأمورهم - اشتكى إلى شيخه الإمام العربى - خشية أن يكون شغله بإخوته هو إنشغال عن الله ن وداء يجب التداوى منه - فطلب

---

[١]) سنن النسائى ، الطهارة ، حديث رقم ٤٠ ، عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِىِّ -صلى الله عليه وسلم- قَالَ « إِنَّمَا أَنَا لَكُمْ مِثْلُ الْوَالِدِ أُعَلِّمُكُمْ إِذَا ذَهَبَ أَحَدُكُمْ إِلَى الْخَلاَءِ فَلاَ يَسْتَقْبِلِ الْقِبْلَةَ وَلاَ يَسْتَدْبِرْهَا وَلاَ يَسْتَنْجِ بِيَمِينِهِ » وَكَانَ يَأْمُرُ بِثَلاَثَةِ أَحْجَارٍ وَنَهَى عَنِ الرَّوْثِ وَالرِّمَّةِ ، نقلاً عن : موسوعة الحديث الشريف ، مرجع سابق .

[٢]) أبو حامد الغزالى ، إحياء علوم الدين ، المجلد الثانى ، دار إحياء الكتب العربية ، فيصل الحلبى ، مرجع سابق ، ص٩

[٣]) نقلاً عن : أبى حامد الغزالى ، إحياء علوم الدين ، الجزء الثانى ، مرجع سابق ، ص١٧٢ .

[٤]) قول سهل بن عبد الله التسترى: وقد ورد عن الله تعالى " لايسعنى أرضى ولا سمائى ويسعنى قلب عبدى المؤمن "، مشار إليه : السهروردى ، عوارف المعارف للسهروردى ، نقلاً عن : أبى حامد الغزالى ، هامش الجزء الثانى من كتاب الإحياء ، مرجع سابق ، ص٣٨١ .

الدواء والعلاج ، فدعا له الإمام العربى: " اللهم يجعلك تحب المؤمنين واليهود والنصارى وكل خلق الله"، فى إشارة إلى أن حب خلق الله من حب الله ، فقلب العارف لا يسع إلا الحب ، وفضل الله مرهون بصفاء السريرة ، ونقاء الطوية .

منزلة إخوته: انجذب الإخوة إلى شيخهم ، فالولى ريحان الله فى الأرض يشمه الصديقون ، يشتاقون به إلى مولاهم ، ويزدادون به عبادة، فالتفوا حوله عزين ، وأخلصوا لله الدين ، وبذلوا له الغالى والنفيس ، أيدوه ، وفى الحق ناصروه ، فصاروا فى به أسود ، وقال عنهم: " أتباعى أشباه أسود " .

مَكَثُوا فى رفقة شيخهم منقطعين لله تعالى، تاركين الأهل والخلان، لايخشون فى الله لومة لائم، صبروا وصابروا ورابطوا، توكلوا على الله فى عزم وهمة غير متواكلين ، فأقام الله لهم الدنيا خادمة ، وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " مَنِ الْتَمَسَ رِضَاءَ اللَّهِ بِسَخَطِ النَّاسِ كَفَاهُ اللَّهُ مُؤْنَةَ النَّاسِ وَمَنِ الْتَمَسَ رِضَاءَ النَّاسِ بِسَخَطِ اللَّهِ وَكَلَهُ اللَّهُ إِلَى النَّاسِ"[1]، فثبت لهم منزلة المرابطين، والمتوكلين.

بَجَّلوا شيخهم وعظموه فعظمهم الناس وأكبروهم ، يقول الشيخ: " منْ عظَّم المعظمين لله قيد الله له منْ عظَّمه"، ويقول أحدهم[2]:" منْ أكرمه الله تعالى بحرمة الأكابر أوقع حرمته فى قلوب الخلق ، ومنْ حُرِمَ ذلك نزع الله حرمته من قلوب الخلق".

وقد نال الإخوة بما جُبِلَت عليه قلوبهم من تعظيم وتبجيل شيخهم منزلة عظيمة عند الله ، يقول أحدهم[3] : " لايعظم أقدار الأولياء إلا من كان عظيم القدر عند الله عز وجل ".

قدَّمَهم الشيخ فكانوا وجهاء لحضرته، وعلى دربه سائرين ، ولخطاه تابعين ، أضحوا كُتباً لحضرته ، سطَّرَ فيهم بمداد قلمه سمو همته ، فعزُّوا بشيخهم على كل عزيز ، وارتقوا به كل مقام ، فصاروا نسخاً لحضرته، إذا

---

[1]) سنن الترمذى ، الزهد ، حديث رقم ٢٥٩٧ ، نقلاً عن : موسوعة الحديث الشريف ، مرجع سابق .

[2])قول سيدى أبو الحسين على بن هند القرشى الفارسى رحمه الله ، نقلاً عن : عبد الوهاب الشعرانى ، الطبقات الكبرى ، مرجع سابق ، ص ١٩٤ .

[3]) قول أبى الحسين بن حبان الجمال رحمه الله ، نقلاً عن : عبد الوهاب الشعرانى ، الطبقات الكبرى ، مرجع سابق ، ص ١٩٣ .

رأيتهم أحببتهم ، ووجدت فيهم عبق شيخهم ، وكان سيدى أبو الحسن الشاذلى (رضى الله عنه) يقول : "كتبى أحبابى "[1].

وتعريفاً لمنزلة إخوته، يقول الشيخ:" أن مصاحبى أهل الفتح الأكبر يعرفون مالايعرفه الأولياء ولهم ما للأولياء"، ويقول ـ فى موضع آخر: " أول خطوة فى طريقنا ما فوق العرش" ، فالجمع على الله أول ثمار مصاحبة العارفين، ويرغب الإمام العربى (رضى الله عنه) على مصاحبة الشيخ فى أسفاره فى سبيل الله ، قائلاً : " صاحبوه فى هذه الفتوحات، وامشوا معه، فمنْ شهد معه بعض فتوحاته له أجر صحابى"[2].

كلأ سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه النخبة من أحباب الشيخ بعطفه ورحمته، واحتضنها، فأمنوا بحضرته ونالوا حظوته، واهتدوا بهديه، وساروا على نهجة، وقاموا بدعوته.

ورغم يقينه بأن أحبابه اختيار الله ورسوله، بيد أنه يحتاج لذلك دليلا، فها هو أحد العارفين يجتمع برسول الله صلى الله عليه وسلم ، فيعرض عليه أحبابه ، فقال له الرسول العظيم : ماذا تطلب منى لك ولأحبابك ، فقال له : أنت لى ولأحبابى يارسول الله ، ويقول الشيخ: "لمَّا اجتمعت برسول الله صلى الله عليه وسلم استحييت أن أنطق أمامه ببنت شفاه، فعرضت عليه إخواني بقلبى ، فإذا بسيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يمسك بكفه مسبحة، وأرانى أشاهد أسماء أحبابى محفورة على حبات مسبحته صلى الله عليه وسلم، وفهمت أنها إشارة على أن إخوانى فى بؤرة اهتمامه صلى الله عليه وسلم، ومحل نظره، يتلمسهم بأصابعه الشريفة، يواليهم ، ويرعى شئونهم ، ويؤمنهم ، فابتهجت بذلك، وحمدت الله على هذا الفضل العظيم ، واطمأننت على حفظ إخوانى فى الدنيا ، وتأمينهم فى الآخرة، وسعادتهم باصطفاء رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكفالته لهم فى هذه الدار، وتلك الدار.

ولعل هذه اللمحة ـ وحدها ـ تكفى لتجسيد منزلة هؤلاء النخبة من الأحباب ، وما نالوه من حظوة لدى سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم،

[1]) نقلاً عن : عبد الوهاب الشعرانى ، الطبقات الكبرى ، مرجع سابق ، ص ٣٧٨ .
[2]) سبق ذكره فى الحديث عن منزلة الشيخ فى عيون شيخه الإمام العربى ، المبحث الثانى من الفصل الأول من هذا الباب ، ص ١٨٩

وتفضله عليهم ، وموالاته لهم فى جميع أحوالهم ، نفعنا الله بهم ، وبصدقهم ، وأدخلنا برحمته فى زمرتهم .

وبالطبع، لايسع المقام تسجيل أسماء جميع أحباب الشيخ وإخوته، أو ذكر شيمهم، فأحباب الشيخ كُثر يستحيل حصرهم، وهم منتشرون فى جميع محافظات مصر، بل أن هناك أحباب للشيخ من بلاد عربية، وإسلامية، وأجنبية، وفى ذلك يقول الشيخ :" لنا مريدون وأتباع فى كل أنحاء البلاد "، ولا يمنع ذلك الالتفات عن ذكرهم بالكلية ، ولا مناص من ذكر بعض من أحباب الشيخ المخلصين، فانتخبت أولئك الفتية الذين ألفَيتَهم، ونشأت فيهم ، وترعرعت بينهم فى صحبة الشيخ، فكانوا لىَّ خير أخوة .

أولئك النخبة هم أهل الحظوة ممنْ ضمتهم جمعية الإمام الحسين بكوم أمبو، فكانت مهدهم، ومنطلق دعوة الشيخ إلى الله، أولئك الذين احتضنهم الشيخ مذ نعومة أظفارهم، فأرضعهم من ألبان معرفته، وفطمهم على عيش العزة والكرامة، ولَقَّمَهُم طعام الكرم والشهامة، وألبسهم حُلل التواضع والوجاهة، وانطلق بهم فى طريق دعوته إلى الله، ففتح بهم أقفال القلوب، وأضاء بهم ظلمات الدروب، واقتصرت على ذكرهم فى هذا الموضع.

ويطيب لى ذكر أسماء هؤلاء النخبة؛ تبركاً بذكرهم ، وتعريفاً بحقهم، وعرفاناً بفضلهم، ووفاء لعهد شيخهم، الذى عاش ومات على حبهم وإكرامهم، وسيكون ذكرهم بحسب أولوية ورود الأسماء على ذاكرتى، لا بحسب أفضلية بينهم، فجميعهم عدول، ووفاءً قَدّمت الذين قضوا نحبهم لحوقاً بشيخهم فى مقعد صدق عند مليك مقتدر، وأَخّرت من ينتظر، واعتذر لشيخى ، ولكل مَنْ لم يحضرنى منهم فى تلك الإشارة العابرة .

وإليك أيها القارئ الكريم قائمة قائمة بأسمائهم، أو ألقابهم، أو كنياتهم التى اشتهروا بها، والتى كان الشيخ يستحسن دعوتهم بها، وهم: المرحوم الحاج/ محمد بحر محمود حسين (أبو بحر) ، والمرحوم / العمدة محمود أمين على القهمورى (أبو على)، والمرحوم/ عبد العزيز محمد أبو راس ، وأخوه رمضان ، والمرحوم / صلاح يوسف خير ، والمرحوم / كمال محمود مهدى ، والمرحوم الأستاذ / أحمد موسى محمد السلواوى، والحاج / نوح أحمد محمد نوح العطار (الشيخ نوح)، والعمدة حسين محمد بغدادى، والأخ أحمد الشريف، والأخ صادق محمود شحاته، والأخ عبد المجيد صالح

الصايغ ـ رحمة الله عليهم أجمعين، ومن الأحياء ـ بارك الله في عمرهم ـ: الحاج/ سيد محمد أحمد إسماعيل (الحاج سيد البواب)، والسيد/ عبد الحميد صالح حسن الصائغ، والسيد/ محمود عبد الصانع محمود الجعفرى، والمهندس/ زين العابدين على مصطفى، والأستاذ/ مصطفى محمد أحمد بغدادى (المحامى) ، والدكتور/ محمد الفاتح محمود أبو العلا (صيدلى) ، والكابتن/ أحمد محمود على الشحات، والأستاذ/ محمد عبد المعين نصر، والأستاذ/ صوفى يسن رفاعى، والمهندس/ محسن نوبى خير، والشيخ الأزهرى/ محمد عبد الغنى محرم (محمد المنوفى)، وأخوه الشيخ/ محمود المنوفى، والأخ / سيد أحمد محمد حسن (سيد أبو عابد)، والأستاذ/ أحمد محمود جعلوص، والمهندس/ العلايلى محمد على حمد، ولايفوتنى ذكر إخوة الشطب، وعلى رأسهم الشيخ فاروق أبو علام (رحمة الله عليه)، وأحبابه، وغيرهم كثير.

تَرَبَّت هذه النخبة فى حجر الشيخ وكنفه، وصحبوه فى حضره وسفره، وإذا كانوا معه على أمر جامع لم يذهبوا حتى يستأذنوه لبعض شأنهم، صحبوا الشيخ بصدق فألهاهم عن أهلهم، وأموالهم، وجميع أشغالهم الدنيوية ؛ لذا، كان الشيخ يصفهم بأنهم فى رباط معه إلى يوم الدين، وصدق عليهم قول الله تعالى: {إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى}[1].

نكتفى بهذا القدر عن حقوق صحبة إخوة الشيخ، ومنزلتهم ، وعلى المتتبع لسيرة الشيخ أن يطلبها من حيث هولاء الإخوة الأحباب ، والظعن تواً نحو البقية الباقية منهم، قبل فقدانهم ، وننتقل بعد ذلك إلى الحديث عن كتب الشيخ، ووفاته، وذلك من خلال الفصل الأخير.

الفصل الثالث

كتبه، ووفاته

يستقصى الباحث من خلال آخر فصول هذه الملحمة الجليلة، والسيرة العطرة ما خلفه الشيخ من تراثه العلمى المنشور، سواء إبان حياته، أو ما تم نشره من هذا التراث بعد انتقاله إلى الرفيق الأعلى، وكذا ما تم تنقيحه

[1]) الكهف : ١٣ .

من تراث قديم، وإعادة نشره فى ثوب جديد، وأخيراً، الوقوف على واقعة وفاة صاحب السيرة (رحمه الله)؛ لذا، يقسم هذا الفصل إلى بحثين: أولهما ـ كتبه، والثانى ـ وفاته، وعلى الوجه الآتى:

المبحث الأول

كتبه

أودع الله فى الشيخ ذخائر علمه، ومكنون معرفته، فصار معيناً يرشح العلم رقراقاً، يغره بين الخلق غرا، ويصب ما شاء منه فى صدور أحبابه، وأصحابه، فصاروا له كُتُـبَاً تمشى على الأرض، يقول أحدهم[1]: " كتبى أصحابى".

يقول الشيخ: "العارف بالله أمين على علوم الله، والأسرار التى أفاضها على قلبه، فلا يذيع منها شيئ إلا لمن يعلم أنه أهلاً لتلقيها، فإن بحث عنه ولم يجده فى زمانه استودعها فى أى شيئ، ولو على حائط ، أو فى جدار بالشارع، فإذا جاء الوقت مرَّ مَنْ استحقها، فيجدها مودعة فى هذا الجدار، فيتناول أمانته، وقسطه من هذه العلوم والأسرار".

لذا، أوصى الشيخ أحبابه ألا ينشغلوا بتسجيل، أو حفظ كل واردة، وشاردة مما يفيضه الله عليه، داعياً لهم أن يودع الله فيهم ما سمعوه من علوم ومعارف، وأن يأتيهم به وقت الحاجة، ويمكن حمل وقت الحاجة ـ هنا ـ على أحد مفهومين: أولهما ـ أنه ذلك الوقت المعلوم من الزمن، الذى أراد الله أن تظهر فيه هذه العلوم؛ لينتفع بها أهل ذاك الزمان، وثانيهما ـ هو كل وقت يصادف منْ هو أهل لتلقى هذه العلوم، فينال من نفيس معانيها، ويفهم من غريب إشاراتها ما ينفع دينه ودنياه.

وتظل هذه العلوم ـ وفق أى من المفهومين السالفين ـ مصونة حتى لا يقع فيها الجاهلون، أويسلقها بألسنتهم الحاقدون، فيحل عليهم مقت الله فى حينه، أعاذنا الله وإياكم من ذلك.

---

[1]) قول سيدى أبى الحسن الشاذلى رضى الله عنه ، نقلاً عن : عبد الوهاب الشعرانى ، الطبقات الكبرى ، مرجع سابق ، ص ٣٧٨ .

وكان الشيخ ذا باع طويل فى قضايا الأمة المحمدية، وخلَّفَ تراثاً ضخماً من فرائد الرأى، التي لم يسبقه فيها سابق، وصار محالاً عن كل لاحق، مضيفاً إلى تاريخ التصوف الإسلامى الكثير والنفيس من العلوم الزاخرة، والمعارف النادرة.

فما أجمل أن تقرأ قصيدته: (منازلات البيان فى دولة تكوين الانسان وما عليه من كفر وأديان) مطلعها:

نظمت باسم الله نظم فاقا * متوسلاً براكب البراقا

وقد تناول الشيخ فيها عوالم دولة الإنسان من نفس، وروح، وعقل، وبدن، مستعرضاً ـ فى ثوب أدبى رفيع وبديع ـ حقيقة هذه العوالم ، ومهمة كل عالم فيها ، ومرتبته في درجها ، وسلطانه فى ديوانها ، ومقامه فى مملكتها ؛ إذ انطوى فى دولة الإنسان جميع الحقائق الكونية، بوصفه خليفة الله فى الأرض ، وفى ذلك يقول الإمام على كرم الله وجهه: "وتزعم أنك جِرْمٌ صغيرٌ وفيك انطوى العالم الأكبر". وأسأل الله أن يقيض منْ ينهض بطباعة ونشر هذه القصيدة العصماء فى التعريف بدولة الإنسان؛ وغيرها من جواهر البيان؛ لتنتفع الأمة بما وضَّحته من عظيم المعانى، وبصَّرته من خفى الطلاسم.

ويجدر التنويه إلى أن جميع ما تم طباعته ونشره من تراث الشيخ لا يمثل سوى عينة يسيرة من القصائد التى أنشأها، إضافة إلى أنه ـ حتى مثول هذا المؤلف للطباعة ـ لم ينشر للشيخ أى مخطوطات نثرية من أمالى، أوصدور، أوصلوات، وكل منها معين وافر للناهلين.

ولا يعدو ما تم طباعته سوى بعض دواوين شعرية ضمت مجموعات من قصائد الشيخ، نشرها فى حياته، أما بقية التراث العلمى، الغزير، الغامر، الذى لم يطبع فى حياة الشيخ، فقد قيض الله ابنه الأكبر السيد/ محمد لنشر بعض منه ، ونما إلى علمى أنه على إثر رؤية صادقة جمع الله الابن بالأب، وكلَّفه فيها بجمع آماليه المخطوطة، والمتناثرة لدى الأحباب، وطباعتها فى كتاب من أربعة أجزاء، عنونه الشيخ فى الرؤيا باسم: (فضل الكريم على العبد العديم).

وقد تلقف الابن الصالح تكليف أبيه بعزم وهمة، وقرع للأمر ساقه، ونذر له نفسه، فعكف ناسكاً؛ لتجميع ما تناثر من أمالى الشيخ، وقصائده

المخطوطة باليد فى أوراق متفرقة، وكراريس عديدة، ودفاتر ضخمة، وشرائط مسجلة صوتية أو مصورة، وقد وفقه الله ـ بالفعل ـ إلى تدوين وحفظ جزء كبير منها باستخدام الوسائط والتطبيقات الرقمية الحديثة.

وإزاء ذلك، فسوف يقتصر التناول هنا على الدواوين التى تم طبعها ونشرها بالفعل، أما مالم يتم طباعته من المخطوطات التى خَلَّفها الشيخ، وهى درر فريدة ، ومعارف جليلة ، حوت جُل علومه ، وتراثه المعرفى، مما يعز على مثلى معالجة فحواها، فقد آثرت ألا اتطرق إليها ، بأمل أن يُهيئ الله منْ هو أهل لتناولها مستقبلاً .

وأشير هنا إلى الكتب والدواوين التى طبعت فى حياة الشيخ أولاً، ثم تلك المنشورة تحت إشراف ابنه الكبير السيد/ محمد، وعلى النحو التالى:

أول الدواوين التى نشرت فى حياة الشيخ، واختار بنفسه عنوانها، كتابه المسمى: (اللطائف السنية فى مولد خير البرية)، الذى طبع بمطبعة دار إحياء الكتب العربية بالقاهرة، عام ١٩٨٧م، ووقعت صفحاته فى مائتين وعشرين وأربع (٢٢٤) صفحة، وقد تصدر الكتاب فى طبعته الأولى بمقدمه لمعلم فاضل ضليع فى اللغة العربية هو الأستاذ/ محمد الشيخ محمود وزيرى الأنصارى – رحمه الله ـ من أحباب الشيخ بمدينة فرشوط من أعمال محافظة قنا ـ أثنى فيها على الشيخ، وأشار إلى علومه، ومعارفه ، والملامح الرئيسية لمضمون الكتاب، وقد قُسِّمَ الشيخ هذا الكتاب إلى جزئين رئيسيين: أولهما ـ نثراً، وثانيهما ـ نظماً.

أما الجزء الأول، فقد شمل سرد أدبى رفيع المستوى للسيرة النبوية، والمولد النبوى الشريف، وذلك على غرار أُمَّات كتب السير والموالد، وتتبع فيه الشيخ ما ورد فى الكتاب والسنة عن السيرة النبوية، مسلطاً الضوء على المولد النبوى الشريف، بداية من أصل الحقيقة المحمدية، مروراً بتقلب النور المحمدى فى أصلاب أجداده حتى ميلاده وظهوره فى الطور البشرى، مع ذكر نبذة وجيزة عن حياته، وصفاته، وخصائصه، وهجرته صلى الله عليه وسلم ، وختاماً بالدعاء ، والتوسل بحضرته صلى الله عليه وسلم .

وتم تقسيم هذا الجزء إلى واحد وعشرين فصلاً، عنونت على التوالى: الفصل الأول: (فاتحة الخير فى ظهور الخير) ، والثانى: (القبضة النورانية فى الحقيقة الأحمدية)، والثالث: (الحقيقة الأحمدية فى الأطوار البشرية)،

والرابع: (الحقيقة المحمدية فى الشجرة الإبراهيمية) ، والخامس: (الحقيقة المحمدية فى الشجرة العدنانية) ، والسادس : (الحضرة المحمدية فى الأصلاب القرشية) ، والسابع : (اعتناء الله بأجداد رسول الله) ، والثامن : (الوفاء من الأجداد الحنفاء)، والتاسع : (ظهور الأسرار الكامنة يوم أن حملت به آمنة) ، والعاشر : (نفحات الطيب يوم ميلاد الحبيب) ، وفى هذا الفصل سلط الشيخ الضوء على ما ورد فى يوم مولده صلى الله عليه وسلم ، والأجواء التى صاحبت ميلاده الشريف ، والبشائر التى نالتها الأمة المحمدية بهذا الإيلاد ، وأنشد الشيخ فى هذا الفصل قصيدته المشهورة بعنوان : (القيام والاعتناء لقدوم أعظم الأنبياء)[1]، ومطلعها :

صلى الله على محمد * صلى الله عليه وسلم
شهر ربيع الأول فاز * بالخيرات جميع حاز
رقص الكون له إعزاز * لسن الحال غدت تترنم

أما الفصل الحادى عشر فعنونه ب :(الخصائص الزاخرة فى شفيع الدنيا والآخرة) ، والثانى عشر : (البركات العميمة الهاطلة على حليمة)، والثالث عشر : (حرص الجد على حبة القلب) ، والرابع عشر: (كفالة عمه بعد موت جده وأمه) ، والخامس عشر : (خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلى) ، والسادس عشر : (كمال الحضرة المحمدية فى الأطوار النبوية) ، والسابع عشر : (عام الحزن والهم لموت الزوجة والعم) ، والثامن عشر : (هجرة إمام النبيين لانتشار الدين) ، والتاسع عشر : (هذه بعض الصفات لسيد السادات) ، والعشرون : (وإنك لعلى خلق عظيم) ، أما الفصل الأخير ، وهو الحادى والعشرون فعنونه الشيخ ب: (المحبة والدعاء والتوسل بسيد الأنبياء) ، ولعل القارئ اللبيب يستشرف من خلال عناوين فصول السيرة النبوية ماحوته من موضوعات ، بما يغنى عن الخوض فيها.

وقد ختم الشيخ جميع هذه الفصول بالصلاة على النبى بصيغة : (اللهم صلى وسلم وبارك على الذات المحمدية ، وارزقنا محبته ، واجمعنا به ، وأقرئه منا السلام) .

---

[1]) مولانا العارف بالله الحاج أحمد أبو الحسن عبد الرحمن ، اللطائف السنية فى مولد خير البرية ، مرجع سابق ، ص ٣١ .

ثم أضاف الشيخ بعد سيرة المولد النبوى الشريف عدد من القصائد المقفاة التى اختار لها الشيخ عناوين تشير إلى فحوى كل قصيد ، وعدد القصائد التى وردت فى هذا الكتاب ثمانون (٨٠) قصيدة ، أولها بعنوان: (زمردة يتيمة فى الحضرة القديمة)، وآخرها بعنوان: (رنات حانّ).

وقد تم طباعة كتاب (اللطائف السنية) طبعة ثانية تحت عنوان: (اللطائف السنية فى مدح خير البرية)، بعد فصل الجزء الأول الخاص بالسيرة النبوية ، والمولد النبوى الشريف ، وقصره على الجزء الثانى ، وهو الجزء الخاص بالقصائد.

وقد تصدرت الطبعة الثانية للكتاب مقدمة جديدة ومطولة كتبها خادم الساحة العلوية وربيبها الشيخ جابر عبد المنعم على، ويذكر الأخير أنه قام بكتابة مقدمته من داخل مقام الإمام الحسين (رضى الله عنه) بمسجده المعروف بالقاهرة، بناء على تكليف من الشيخ، وقد أشار فى المقدمة إلى ترجمة المؤلف، واستعرض بعض مناقبه، ومنزلته.

وبعد انتقال الشيخ تم إعادة طباعة كتاب (اللطائف السنية فى مولد خير البرية) فى نسخة حديثة منقحة، بذات المقدمة، والقصائد الواردة فى الطبعة السابقة، مع اختلاف طفيف فى ترتيب تسلسلها، وتصدرت هذه النسخة بصورة فوتوغرافية للشيخ، وتم إيداعها بدار الكتب تحت رقم (١٠٧٥٨/ ٢٠١٢م)، وهى النسخة المتداولة فى الأسواق حالياً، وقد وقعت صفحاتها فى مائة وأربعين وإحدى (١٤١) صفحة.

أما الكتاب الثانى فهو ديوان شعرى بعنوان: (بساتين الجنات فى المدائح والصلوات على سيد السادات) ، وقد تم طباعته فى ذات المطبعة، ومتزامنة مع الطبعة الأولى من كتاب (اللطائف السنية فى مولد خير البرية) ، واشتمل على مقدمة مختصرة من الأستاذ / محمد الشيخ محمود وزيرى الأنصارى مقدم الطبعة الأولى من (اللطائف السنية) ، وشمل الكتاب على مجموعة ضخمة من قصائد الشيخ ، بلغت أربعمائة وثلاثين وثمان (٤٣٨) قصيدة ، أولها قصيدة بعنوان : (لا إله إلا الله) ، وآخرها بعنوان : (كله فى حب الرسول) ، وقد وقعت صفحات ديوان (بساتين الجنات) فى ثلاثمائة وثمانين وسبع (٣٨٧) صفحة.

وثالث الكتب التى طُبِعَت ونُشِرَت فى حياة الشيخ كتاب بعنوان: (الأكسير فى التخميس والتشطير فى مدح طه البشير)، والتشطير فى الشعر بمعنى إضافة عَجُزٍ إلى صَدْرِ البيت الأصلى، أو صدرٍ إلى عَجُزِ البيت الأصلى، الذى تصدر بمقدمة طويلة لخادم الساحة العلوية، الشيخ جابر عبد المنعم على، أسهب فيها الحديث عن شرعية المديح ، وحكم سماع المديح بالدف، وتتبع مدحه صلى الله عليه وسلم فى سائر كتب الله المنزلة ، ومدح السلف الصالح له، وأشار فى مقدمته إلى ترجمة وجيزة للشيخ ، ومرتبة الفتح المبين التى حظى بها.

وقد ضم ديوان "الأكسير" عشر قصائد من أمَّات قصائد التراث الصوفى الشهير مشفوعة إما بشطرتين إلى أصل كل بيت منها ، وأطلق عليه : " التشطير"، وإما بثلاثة أشطر، وهو المشار إليه ب "التخميس"، أى جعل البيت من خمسة أشطر، وجاء نظم تلك الأشطر متسقاً مع نظم وأجواء القصائد الأم ، وبالطبع بذات قافيتها ،كما شمل "الأكسير" إضافة إلى أمَّات قصائد السلف الصالح عدد (٤) أربع قصائد أخرى من نظم الشيخ الخالص ، فأضحى بين دفتى "الأكسير" عدد أربع عشر قصيدة ، وقعت جميعها فى مائتين وسبع وثلاثين (٢٣٧) صفحة، وهى: ١- تشطير: (القصائد الوترية فى مدح خير البرية) للإمام أبى عبد الله مجد الدين محمد بن أبى بكر بن رشيد البغدادى (رضى الله عنه) ، وهى جملة من القصائد الطويلة العظيمة فى أدبياتها من الجزالة ، والرصانة ، والفصاحة ، والمحسنات البديعية.

وقد قفيت كل قصيدة من القصائد الوترية بحرف من حروف الهجاء العربية، وبترتيبها الأبجدى، افتتاحاً بحرف الألف، وختاماً بحرف الياء، فضلاً عن قصيدة مقفاه بحرفى " اللام ألف " ، فجاءت القصائد الوترية فى تسع وعشرين (٢٩) قصيدة ، على غرار تلك الأحرف.

٢- تشطير قصيدة: (دافعة الشقاق والخلاف فى حياة الأنبياء فى قبورهم) للعارف بالله تعالى سيدى شهاب الدين أحمد بن حجر الهيثمى. ٣- تشطير القصيدة المسماه: (المحمدية) وهى قصيدة ميمية بديعة ، ورائعة أنشأها الإمام شرف الدين أبو عبد الله محمد البوصيرى رضى الله عنه ، مادح النبى الشهير ، ومقامه بجوار مقام سيدى أبى العباس المرسى

المعروف بالأسكندرية. ٤- تخميس قصيدة: (البردة)، أو (البرءة) الشهيرة للإمام البوصيرى ، وتضم عشرة فصول ومائة وستين بيتاً. ٥- تخميس القصيدة المسماة ب: (القصيدة الهمزية فى مدح خير البرية) للإمام البوصيرى. ٦- تخميس القصيدة المسماة ب:(القصيدة المضرية فى الصلاة على خير البرية) للإمام البوصيرى أيضاً.

٧- تخميس قصيدة: (مدح الإمام على زين العابدين) للشاعر العربى الشهير الفرزدق ، بمناسبة واقعة شهيرة لأحد الولاة الأمويين وهو هشام بن مروان مع الإمام على زين العابدين بن الإمام الحسين (رضى الله عنهما) فى موسم الحج ، ويرسم الشيخ هذا المشهد ناشئاً :

لمَّا أتى الغِرُّ بيت الله مقتحما * والبيت فى الحج بالحجاج مزدحم
بجيشه لم يكن للركن مستلم
(لما أتاه عَلِيُّ زينُنا العلم * قد أفسح الناس قالوا جاءنا الكرم)
لما جهل بن مروان لسادته * ومبغض الآل لن تقبل شهادته
أراد ينقص مَنْ دِينٌ مَوَدَتِه
(قام الفرذدق سيوفاً فى قصيدته * مبين فضل خير العرب والعجم)

٨- تخميس الشيخ قصيدة : (يا آل رضوان) لفضيلة الأستاذ العزب عبد الحليم ، من أحباب العارف بالله تعالى الحاج أحمد رضوان ، ومطلعها :

يا آل رضوان إن العشق أضنانى * يا منبع الفضل للقاصى وللدانى

٩- تخميس قصيدة : (النعل الشريف) للإمام يوسف بن إسماعيل النبهانى (رضى الله عنه) .

١٠- تخميس قصيدة : (قلب أطاع الوجد فى جنباته)، وأطلق عليها فى فهرس الأكسير قصيدة (فكتمت عن حسن الهوى تبيانه) نسبة لأول شطره من الأشطر الثلاث التى أضافها الشيخ .

ويتلمس القارئ اللبيب ما اضفاه تشطير الشيخ، وتخميسه على هذه القصائد الأم من وقع بيان، وصور جمال، زينتها، وكحلتها، وكأنه صب عليها " أكسير " أحالها ذهبا، فضلاً عن تجسيدها لقدرة الشيخ وتمكنه من نواصى اللغة، وفن القصيد، ومفاتيح المديح .

وبالإضافة إلى ماتقدم، احتوى " الأكسير" فى طبعته الأولى على عدد أربع قصائد أخرى نظمها الشيخ بنفسه عبارة عن: مربعتان، ومخمستان، فأما المربعتان فهما، قصيدة : (الأنساب)، وقصيدة: (نحن فى ساحة الحسين نزلنا)، وأما المخمستان فهما، قصيدة : (الله صلى على النبى المختار)، وقصيدة: (لولا المربى ماهديت رشادا) .

ثم أعيد طباعة ونشر ديوان "الأكسير" بإشراف نجل الشيخ فى نسخة منقحة، بعد أن استبقى أمَّات القصائد سالفة الذكر فى النسخة الأصلية، بالإضافة إلى قصيدة: (الأنساب)، وهى واحدة من القصائد الأربع سالفة الذكر، فصار مجموع قصائدها إحدى عشرة قصيدة بدلاً من أربع عشرة قصيدة، ووقعت صفحات النسخة المنقحة فى مائة وثمانين وخمس (١٨٥) صفحة، وتم إيداعها فى دار الكتب المصرية تحت رقم (٢٠١٢/١٠٧٥٧).

كما تم بعد انتقال الشيخ طباعة ديوانين جديدين، أولهما بعنوان: (الدر الأسنى فى التوسل بأسماء الله الحسنى)، وقد تصدر الكتاب بمقدمة للأستاذ الدكتور/ تمساح على أبو نخيلة ـ أستاذ الأدب والنقد بجامعة الأزهر الشريف ـ من أحباب الشيخ.

وقد تناول الديوان عدد ثمان (٨) قصائد طويلة ، سبع منها من نظم الشيخ ، والقصيدة الأخيرة من نظم أحد أحباب الشيخ . فأما القصائد السبع الأول فهى:١- قصيدة :(التوسل بأسماء الله الحسنى) . ٢- قصيدة : (التوسل بأهل بدر) . ٣- قصيدة : (التوسل بالرجال) . ٤- قصيدة : (التوسل بالسادات) المسماه ب " القوقامية".٥- قصيدة: (توسلات بالسادات). ٦- قصيدة:(التوسل بأجداد الإمام العربى من الأب الشريف). ٧- قصيدة : (التوسل بأجداد الإمام العربى من جهة الأم الشريفة).

وأما القصيدة الثامنة والأخيرة، فهى قصيدة بعنوان: (التوسل بأجداد الحاج أحمد أبو الحسن)، ويجدر التنويه إلى أن هذه القصيدة الختامية نظمها ـ بعد انتقال الشيخ ـ أحد الأحباب، وهو الأستاذ/ على حسن الكلحى، ويعمل موجهاً فى المعاهد الأزهرية، وقد سلسل فى هذه القصيدة نسب الشيخ من جهة الأب، وهو النسب الذى لم يشأ الشيخ البوح به إبان حياته، كما سلف

الذكر[1]، وقد وقع ديوان: (الدر الأسنى فى التوسل بأسماء الله الحسنى) فى مائة وستين وسبع (١٦٧) صفحة.

أما ثانى الدواوين الجديدة ، التى تم طباعتها مؤخراً، فهو ديوان : (لآلئ عرشية فى مديح خير البرية) ، وتصدر بمقدمة للدكتور/ تمساح مقدم كتاب "الدر الأسنى" ، ومجموع قصائد هذا الديوان مائة وستون وست (١٦٦) قصيدة ، شملت مجموعة من قصائد الشيخ سبق تناولها فى ديوان (بساتين الجنات) سالف الذكر، ومجموعة من القصائد أخرى تم نشرها لأول مرة ، ووقعت صفحات هذا الديوان فى عدد مائة وسبعين وست (١٧٦) صفحة.

وقد صدر برعاية نجل الشيخ الأكبر- بالإضافة إلى ماسبق ذكره – طباعة دواوين الشيخ بعد تنقيحها، وإضافة العديد من القصائد التى لم تشملها النسخ الأولى، فصدر ديوان خاص بسيرة المولد النبوى الشريف، وديوان (اللطائف السنية) ، وديوان (بساتين الجنات) فى جزئين ، و (الأكسير) ، وأخيراً (فيض الودود فى مديح سيد الوجود).

كما تم إعادة طباعة كتيب (الصلوات الكنزية من نور خير البرية)، وهى عبارة عن صيغ فريدة من الصلوات على النبى صلى الله عليه وسلم ، والتى تعد من أشهر الصلوات على النبى صلى الله عليه وسلم ، التى صاغها الشيخ، وأفرد فيها لكل حرف من حروف الهجاء العربية صيغة مقفاه بذلك الحرف ، وتعددت هذه الصيغ بحسب عدد تلك الأحرف، وهى ثمانية وعشرون حرفاً - من الأف إلى الياء – فضلاً عن صيغة مقفاة بحرفى "اللام ألف " أضافها الشيخ ، فوقعت (الصلوات الكنزية) فى تسع وعشرين صيغة.

وقد أردفت مجموعة "الصلوات الكنزية" بمجموعة صلوات أخرى على - ذات المنوال - للإمام محمد أبو الفتوح العربى باسم: (اليواقيت العرشية فى الصلاة على خير البرية)، وتم طباعتهما معاً فى نسخة واحدة متداولة فى أيدى الأحباب ، ومتاحة لمن يطلبها.

---

[1]) راجع المبحث الأول : (نسبه) ، الفصل الأول من الباب الأول من هذا المؤلف .

أما عن تراث الشيخ المخطوط نثراً، فأهمها: أماليه عن المعرفة، وعن العارف ـ التي سقنا بعضاً منها بمناسبة استعراض معارفه وعلومه[1] ـ وأماليه عن الصوفية، وحقيقة التصوف، وأماليه عن الشمائل المحمدية، وعن ختم الأولياء، وعن رجال الله، وعن الرجل الوقت، وصاحب الوقت، وكذا تأويلاته فى الأجواء القرآنية، والأحاديث النبوية.

وكذا أماليه العديدة التى حذر فيها من تلك الفرق الضالة المضلة، التى مُنِيَّ بها التاريخ الإسلامى، وشاعت فى عصره ، فدحض حججهم، وكشف زيغ عقيدتهم، ومنها ما سطره الشيخ تحت عنوان:(الحجج القوية المعرفة للرد على خبايا الشيعة المتطرفة) ـ التي سبق تناول أهم ما جاء فيه بمناسبة الحديث عن موقفه من بعض الفرق[2]، وقد تم طباعة نسخة من هذا المخطوط بعد انتقال الشيخ بمقدمة للشيخ جابرعبد المنعم على، خادم الساحة العلوية، وربيبها.

ويذكر أنه فى أواخر عهد الشيخ بالدنيا ـ شرع فى إملاء كتاب فى التعريف بحق آل البيت ومنزلتهم، عَرَّجَ فيه إلى ما لاقاه أهل البيت فى سبيل الدعوة الإسلامية من ظلم بيِّن، وتقتيل، وتشويه على مر التاريخ، لاسيما فى عهد الخلافة الأموية ، مقتبساً مادته من كتاب قديم بعنوان: (الإمامة والسياسة) لابن قتيبة ، إلا أن الشيخ أعرض عن تكملة ما شرع فيه؛ حفاظاً على سلامة قلوب محبى آل البيت.

ونما إلى علمى أنه جارى إعادة طبع بعض الدواوين، وبقية تراث الشيخ، ونشره بالتوالى، بإشراف السيد/ محمد نجل الشيخ الأكبر، الذى عقد العزم على حفظ ونشر تراث أبيه فى مجلدات، ومنها المجلد النثر، الذى كلَّفه الشيخ فى رؤية منامية بطباعته ونشره فى أربعة أجزاء تحت اسم: (فضل الكريم على العبد العديم) كما سلف القول، وقد كشف هذا الأمر مؤخراً عن ساقه بالفعل.

نكتفى بهذا القدر من تناول كتب الشيخ، ودواوين شعره، ويبقى فى ختام هذه الملحمة الإشارة إلى واقعة وفاته (رضى الله عنه)، وذلك من خلال المبحث التالى:

---

[1]) راجع : المبحث الثانى : (أمالى الشيخ) ، الفصل الأول من الباب الرابع من هذا المؤلف .

[2]) راجع : المبحث الثانى (موقفه من الشيعة) ، الفصل الثانى من الباب الخامس من هذا المؤلف .

المبحث الثانى

وفاته

كان الشيخ رضى الله عنه كثير التحمل لهموم الخلق، فرأيته شناً بالاً جلداً على عظم، يقول الشيخ: "حملت بلاء الأولين والآخرين، فلا توجد شعرة فى بدنى إلا وتحتها بلاء، ولو صُبَّ هذا البلاء على ولىٍّ لكفر، ولكن كل الذى يأتى من الحبيب حلو يعجبنى"[1]، وفى الحديث الشريف عَنْ سَعْدِ بْنِ أَبِى وَقَّاص قَالَ: سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم مَنْ أَشَدُّ النَّاسِ بَلاَءً؟ قَالَ: « النَّبِيُّونَ ثُمَّ الأَمْثَلُ فَالأَمْثَلُ يُبْتَلَى الرَّجُلُ عَلَى حَسَبِ دِينِهِ ، فَإِنْ كَانَ صُلْبَ الدِّينِ اشْتَدَّ بَلاَؤُهُ ، وَإِنْ كَانَ فِى دِينِهِ رِقَّةٌ ابْتُلِىَ عَلَى حَسَبِ دِينِهِ فَمَا تَبْرَحُ الْبَلاَيَا عَلَى الْعَبْدِ حَتَّى تَدَعَهُ يَمْشِى عَلَى الأَرْضِ لَيْسَ عَلَيْهِ خَطِيئَةٌ »[2]. فبلاء الله يأتى على حسب دين المرء، وعلى قدر عطاء الله فيه، فمنْ حمل بلاء الأولين والآخرين حاز عطاء الأولين والآخرين.

عَلِمَ الشيخ بقرب الأجل، فأملى علىَّ خطاباً إلى أهل بيت شيخه الإمام العربى، يطلب الإذن بدفنه بجوار ضريح شيخه، وإليك الخطاب[3]:

"بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ...الحمد لله {الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا} وصل اللهم على سيدنا محمد، أفضل مرسول، وأعظم مأمول، وعلى آل بيته الكرام وأصحابه ...

سيدتى البارة الرؤومة السيدة/ حليمة ـ أَمَدَّ الله عمرها ـ وإلى سيدتى السيدة/ صفية، وستى السيدة/ منتهى، وسيدتى الكبرى السيدة/ خديجة، وستى وقرة العين السيدة/ فاطمة الزهراء، وسيدتى السيدة/ الشريفة آمنة، والسيدة الأم/ الكريمة، وسيدتى السيدة/ زينب، وشيخى وسيدى السيد/ أحمد العفيفى، وسيدى السيد الإمام/ على البدرى، وسيدى الجهبز السيد/ أحمد البدوى سلام من الله عليكم ... وبعد

---

[1]) ذكره لى الأخ الحاج سيد البواب ، من أخلص أحباب الشيخ ، وقد سمعه من الشيخ مشافهة .

[2]) سنن البيهقى ، كتاب الجنائز ، حديث رقم ٦٧٧٢ ، نقلاً عن : موسوعة الحديث الشريف ، مرجع سابق .

[3]) أملى الشيخ هذا الخطاب ، وكتبته عنه قبل وفاته بعدة أشهر ، وشعرت وقت كتابته أن الشيخ ينعى نفسه .

إن بقلبى خاطر يلح وينادينى بأن الرحيل قرب، وأنتم كما تعلمون ليس لى أهل ولا أقارب ولا أحباب ولا سادة لى غيركم ..، فأرجو أن تتكرموا، وتتعطفوا، وتسمحوا لى- إن أمكن - بمتر ونصف من بلدكم الطيب، وأرضكم الطاهرة أن أُدفن فيه، ولايكون له هذا الدفن علام، ولا مقام، وإن يكن لن يجوز لى، فإن أذنتم خلف مقام الشيخ، أو عند مدخل الباب، أو فى قطعة الأرض التى اشتريتوها جديد، وذلك لم يكن حق شرعى لى، إلا إذا أكرمتمونى، وإن لم يكن لا هذا ولا ذاك، فاسمحوا لى أن أدفن فى بلدكم الطيب، فى الجبانة العامة للبلد، فإن لم تسمحوا فالأمر لكم، ولا حق لى عليكم.

كما أرجو منكم الصفح عنى، والعفو عنى، وتسامحونى فى تقصيرى، وفى مابدر منى من خطايا، وتقصير، ولكن أقول بلسان المحبة: ولاتدفنونى تحت كرم يظللنى *** إلا على جبل وعينى تراكم

اسأل الله بحقكم أن يحسن لنا الختام، ويميتنا على الإيمان، ويشفعكم فينا، ولاحول ولاقوة إلا بالله العلى العظيم، وإنالله وإنا إليه راجعون. وصل الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم ، وإن لم يكن هذا ولاذاك فلا تنشغلوا بى ... جعلكم الله ذخراً لنا، وعزاً، ومجداً ... وسأسعى إذا كان غير ذلك بأن أرحل أولادى إلى دراو فى البيت القديم، وإن دفنونا فى بلدهم، فلا تنسونا من دعائكم، ومن نظركم إلى عبدكم المخلص، الذى عُرِف بكم/ أحمد أبو الحسن".

ألَـحَّ الشيخ على ربه، وعلى رسوله، وجميع أهله بالمسألة، فيلقى الأحبة محمد وصحبه، فاستجيب له. ودنت ساعة الرحيل، وتاق إلى لقاء النظرة الأخيرة لأحبابه ومريديه، أبناء قلبه، وفلذة كبده، فيوَدِع ثمرة جهده.

أمدَّ الله فى عمره، وجمع الله أحبابه؛ ليشهدوا عُرسِه، حضر الشيخ آخر احتفالاته فى هذه الدار، ألا وهو مولد الإمام أبى عبد الله الحسين (رضى الله عنه)، فقد تعبَّد الشيخ بمحبته، وحرص على أن يشهد مولده سنوياً، وما عاقه عن ذلك عرضاً، ولا مرضاً.

ساق الله إليه فى هذا المولد مَنْ شاء من أحبائه، وأبناء قلبه، وحقق للشيخ أمنيته، التى تاق إليها، ولا حرج على فضل الله، يقول تعالى:{هُوَ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن طِينٍ ثُمَّ قَضَىٰ أَجَلًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِندَهُ ثُمَّ أَنتُمْ تَمْتَرُونَ}[1].

جاء العارف بالله الحاج محمد أحمد رضوان إلى سرادق الاحتفال بالمولد الحسينى، وتقدم نحو الشيخ، فبادره الشيخ قائلاً: "شكر الله سعيك"، وهى عبارة تذكر للرد على من يؤدى لغيره واجب العزاء.

خلع الشيخ مايملكه من مال، وضياع، وحطام الدنيا، ووهبه كله لله، ووَصَّىَ - على الأشهاد - بأن توقف هذه الأموال على عمارة ساحات الفقراء، وشئون دعوته، التى عاش من أجلها، ومات مهتماً بمآلها.

وعندما طلب الحاج محمد أحمد رضوان من الشيخ ترك بعض ماله لورثته؛ كى تعينهم على متطلبات الحياة، مستشهداً بقول النبى صلى الله عليه وسلم: "إِنَّكَ إِنْ تَدَعْ وَرَثَتَكَ أَغْنِيَاءَ خَيْرٌ مِنْ أَنْ تَدَعَهُمْ عَالَةً يَتَكَفَّفُونَ النَّاسَ"[2] - اعترض الشيخ بصرامة قائلاً: لا. بل أترك لهم الله ورسوله، مستشهداً بقول سيدنا أبى بكر الصديق (رضى الله عنه وأرضاه) عندما تصدق بجميع ماله، فقال له الرسول صلى الله عليه وسلم: "ما أبقيت لأهلك" قال الله ورسوله[3].

اشتد المرض على الشيخ وأنهكت الآلآم البدن البال، وأَشْفَى على الموت، وبعد الانتهاء من مولد الإمام الحسين (رضى الله عنه) حُمِلَ من ساحة الاحتفال مباشرة إلى إحدى مستشفيات المحروسة.

---

[1]) الأنعام : ٢ ، وجاء فى تفسير البغوى لهذه الآية أنه : روي عن ابن عباس، وقال: لكل أحد أجلان أجل إلى الموت وأجل من الموت إلى البعث، فإن كان براً تقياً وصولاً للرحم زيد له من أجل البعث في أجل العمر، وإن كان فاجراً قاطعاً للرحم نقص من أجل العمر وزيد في أجل البعث، .

[2]) سنن الترمذى ، الوصايا ، حديث رقم ٢٢٦٢ ، جاء فيه : حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِى عُمَرَ حَدَّثَنَا سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ عَنِ الزُّهْرِىِّ عَنْ عَامِرِ بْنِ سَعْدِ بْنِ أَبِى وَقَّاصٍ عَنْ أَبِيهِ قَالَ مَرِضْتُ عَامَ الْفَتْحِ مَرَضًا أَشْفَيْتُ مِنْهُ عَلَى الْمَوْتِ فَأَتَانِى رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- يَعُودُنِى فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ لِى مَالاً كَثِيرًا وَلَيْسَ يَرِثُنِى إِلاَّ ابْنَتِى أَفَأُوصِى بِمَالِى كُلِّهِ قَالَ « لاَ ». قُلْتُ فَثُلُثَىْ مَالِى قَالَ « لاَ ». قُلْتُ فَالشَّطْرُ قَالَ « لاَ ». قُلْتُ فَالثُّلُثُ قَالَ « الثُّلُثُ وَالثُّلُثُ كَثِيرٌ إِنَّكَ إِنْ تَدَعْ وَرَثَتَكَ أَغْنِيَاءَ خَيْرٌ مِنْ أَنْ تَدَعَهُمْ عَالَةً يَتَكَفَّفُونَ النَّاسَ وَإِنَّكَ لَنْ تُنْفِقَ نَفَقَةً إِلاَّ أُجِرْتَ فِيهَا حَتَّى اللُّقْمَةَ تَرْفَعُهَا إِلَى فِى امْرَأَتِكَ » وللحديث بقية ، نقلاً عن : موسوعة الحديث الشريف ، مرجع سابق .

[3]) سنن أبى داود ، الزكاة ، حديث رقم ١٦٨٠ - حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ صَالِحٍ وَعُثْمَانُ بْنُ أَبِى شَيْبَةَ - وَهَذَا حَدِيثُهُ - قَالاَ حَدَّثَنَا الْفَضْلُ بْنُ دُكَيْنٍ حَدَّثَنَا هِشَامُ بْنُ سَعْدٍ عَنْ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ عَنْ أَبِيهِ قَالَ سَمِعْتُ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ - رضى الله عنه - يَقُولُ أَمَرَنَا رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- يَوْمًا أَنْ نَتَصَدَّقَ فَوَافَقَ ذَلِكَ مَالاً عِنْدِى فَقُلْتُ الْيَوْمَ أَسْبِقُ أَبَا بَكْرٍ إِنْ سَبَقْتُهُ يَوْمًا فَجِئْتُ بِنِصْفِ مَالِى فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- « مَا أَبْقَيْتَ لأَهْلِكَ ». قُلْتُ مِثْلَهُ. قَالَ وَأَتَى أَبُو بَكْرٍ - رضى الله عنه - بِكُلِّ مَا عِنْدَهُ فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- « مَا أَبْقَيْتَ لأَهْلِكَ ». قَالَ أَبْقَيْتُ لَهُمُ اللَّهَ وَرَسُولَهُ. قُلْتُ لاَ أُسَابِقُكَ إِلَى شَىْءٍ أَبَدًا. ، نقلاً عن موسوعة الحديث الشريف ، مرجع سابق .

عزفت نفسه عن الدنيا، وقنعت جوارحه بما كسبت، فعاف الطعام، وأعرض عن تناول الدواء، ومازال فيه عرق ينبض، وعليه أن يزهقه فى الدعوة إلى الله، التى شرفه الله بها، فوجدته فى آخر عهده بالدنيا يحلل عقدة من لسانه متحدثاً مع زائرية بالمشفى يوصيهم بالنساء خيرا، ثم راح مستشرفاً مقامه فى جنة المأوى.

طلب ممن حوله نقله إلى بلدته إلا أنهم جهدوه فى الرجاء أن يستمر فى المشفى لإتمام علاجه، فقبل على مضض قائلاً: سيكلفكم ذلك الكثير، فى إشارة إلى وفاته بعيداً عن بلدته، وتحملهم مشقة، وكلفة نقل جثمانه إلى مثواه الأخير.

وما بات إلا بضعة أيام حتى استناخ البدن واستقر، ونامت العين ورأت ما تُقِر، وهدأت النفس الهادرة من بعد قهر، ففاضت وسيقت إلى ساقها، ونالت مرادها واجتمعت بمتوقها، فاستراحت بعد طول جَهْدِها، فكم وكم ساقت عباد إلى حضرة ربها، وحظيرة قدسها.

احتد البصر فشاهد مقامه المنتظر، وسمع نداء قريب من قريب {يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ * ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً * فَادْخُلِي فِي عِبَادِي * وَادْخُلِي جَنَّتِي}[١]، وكعهده انبرى الشيخ ملبياً: لبيك اللهم لبيك * لبيك لاشريك لك لبيك * إن الحمد والنعمة لك والملك * لاشريك لك.

تقبله ربه بقبول حسن، ناهيك إنه الشيخ أحمد أبو الحسن، جاد المنعم منادياً: لبيك عبدى، فقد صدقت عهدى، وحزت عفوى، تعالى حبى، تَنَعم، تَبَختر فى جنات ونهر، فى مقعد صدق عند مليك مقتدر.

اسْتَبْشَرَ بالعفو، ونضر الوجه بالنظر إلى ربه، ورضىَّ بقربه، وما هى إلا لحظات، شاهدت الروح، وكاشف القلب، وحكم العقل، وحُلَّتْ عُقدة اللسان، ونطق مردداً: أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدا رسول الله. ابتسم الثغر، وأسلمت النفس لباريها، وسُجِىَّ الجسد ببردته.

توفى رضى الله عنه فى مشفاه بالقاهرة المحروسة، وذلك فى ضحى يوم الخميس السادس من جمادى الأول عام ١٤١٤هـ، الموافق٢١ أكتوبر ١٩٩٣م.

---

[١]) الفجر : ٢٧ ـ ٣٠ .

انتبه منْ حوله فنشجوا بالبكاء، وانتحبوا عويلاً، وتنفيذاً لوصيته (رضى الله عنه) نُقِلَ الجثمان الشريف فى سيارة إلى مثواه الأخير بساحة الإمام على بكلح العربى من أعمال مركز أدفو – محافظة أسوان، بأقصى صعيد مصر.

وفى رحاب ساحة الإمام على بالكلح، وفى جنازة مهيبة، وموكب جليل غشاه الحزن، وانهمرت الدموع بحوراً دامية - شَيَّعَ جموع الأحباب والمريدين جنازة حِبهم ومحبوبهم، شيخهم ومعلمهم.

بعد أن صلى عليه جموع الأحباب، وغفير من أهالى البلاد، دُفِنَ الشيخ فى صباح يوم الجمعة السابع من جمادى الأول عام ١٤١٤هـ، الموافق٢٢ أكتوبر ١٩٩٣م، فى ضريح مقابل لمقام شيخه وصنوه، شقيق روحه، ورفيق حياته الإمام محمد أبو الفتوح العربى (رضى الله عنهما)، وشُيِّدَ للشيخ مقام ملحق بمسجد الإمام على، فلم يشأ مفارقه شيخه فى الحياة الدنيوية، وحتى يجمع الله بينهما فى جنة الخلود، ويمتعهما بجنة الشهود فى الأخروية.

غربت الشمس الساطعة، وطويت هذه الصفحة المشرقة من صفحات رجال الله الصادقين، يقول تعالى:{ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا}[١]. فما بقىَّ إلا قول ما يرضى الله ورسوله:"إنا لله وإنا إليه راجعون"[٢].

وهناك فى مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم، يجلس الشيخ محمد علوى المالكى يلقى العلم على تلاميذه فيقطعه فجأة قائلاً: "لقد انتقل إلى رفيق الله بالمحروسة منذ نصف الساعة العارف بالله تعالى الحاج أحمد أبو الحسن (رضى الله عنه ، ورحمه)، وأمر تلاميذه بالتوجه معه إلى المسجد النبوى الشريف، وصفت صفوف المصلين بالمسجد، وقام بإمامتهم فى صلاة الغائب على روح الشيخ شهيد الحب الإلهى[٣].

[١]) الأحزاب : ٢٣ .

[٢]) صحيح مسلم ، الجنائز ، حديث رقم ٢١٦٥ - عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ أَنَّهَا قَالَتْ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- يَقُولُ « مَا مِنْ مُسْلِمٍ تُصِيبُهُ مُصِيبَةٌ فَيَقُولُ مَا أَمَرَهُ اللَّهُ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ اللَّهُمَّ أْجُرْنِى فِى مُصِيبَتِى وَأَخْلِفْ لِى خَيْرًا مِنْهَا. إِلاَّ أَخْلَفَ اللَّهُ لَهُ خَيْرًا مِنْهَا » ، نقلاً عن : موسوعة الحديث الشريف ، مرجع سابق .

[٣]) سمعته من الأخ سيد أبو خليل من أحباب الشيخ علوى المالكى ، وكان من جلسائه فى ذلك الوقت وصلى خلفه فى المسجد النبوى صلاة الغائب .

طبت حياً وميتاً، شيخ الأماجد والحرائر، أبو المحاسن الحسن، وأحسن الحسن، توق القلب، ومليك الروح حبى وشيخى/ الحاج أحمد أبو الحسن.

لبَّى الشيخ نداء ربه، مخلفاً أفراخاً لم تزل فى عشها، وعيالاً داهمتهم دار الغرور فجزعوا، ولم يتبادر لأذهانهم الفراق، فذهلوا، انفطرت قلوبهم على كفيلهم، وطاشت عقولهم لهول فجيعهم، وسكبت الدماء عيونهم، وناحت حناجرهم صراخاً وعويلاً، وآغوثاه.

هيهات هيهات ما من مغيث، وما برحت تنطفئ سرجهم، وسيطرت الحسرة على نفوسهم، وذاقوا مرارة اليتم علقماً فى حلاقيمهم، فلم يستمرئوا طعاماً، ولا ماءً من شدة عزوفهم، وذبلت نضارة وجوههم، وجفت منابع دموعهم، وسكنت فورة هممهم، وانحنت على التو ظهورهم، وغشاهم ليل داج لابلوج لصبحه، وخيمت الأحزان على كيانهم، وأيقنوا أنها القاضية، فما لهم من باقية، وتمثل لسان حالهم قول القائل: مات الذى كنا نعيش فى أكنافه * وبقيت من بعده كجلد أجرب

فوجدتنى اتمثل قول الإعرابى:

قد لسعت حية الهوى كبدى *** فلا طبيب لها ولاراقى
إلا الحبيب الذى شفعت به *** فعنده رقيتى وترياقى[1]

وراحت السكرة وجاءت الفكرة، وخنعت الأنفس لأمر الله فلا راد لقضائه، ولا طائل من الجزع، ولابد من مباشرة الحياة وجريانها، فإن العين تدمع والقلب يحزن، وإنا على فراقك شيخى لمحزونون.

ولكن إلى أين المسير، وإلى منْ الملتجا؟ ذاك أمر صعب المنال، فلايكمل فى أعين الأحباب بعد شيخهم أحد، ولا يرقى إلى مقامه راق، ولم يبق لهم من بعده مسامر ونديم سوى الله الكريم، فهو وليهم ونعم النصير. وفى هذا المعنى يقول أحدهم[2]: إذا مات شيخ الإنسان ولم يجد بعده إلا من هو دون شيخه فى الدرجة بحيث لايكفيه فى طريق سلوكه فلا ينبغى له، بل يخدم الله

---

[1]) السهروردى ، عوارف المعارف ، هامش الجزء الثانى من كتاب إحياء علوم الدين للإمام الغزالى ، مرجع سابق ، ص٢٩٤ .

[2]) قول سيدى الشيخ أبى محمد الكتانى رحمه الله ، نقلاً عن : عبد الوهاب الشعرانى رضى الله تعالى عنه ، الأنوار القدسية فى معرفة قواعد الصوفية" ، دارجوامع الكلم ـ ١٧ شارع الشيخ صالح الجعفرى ـ الدراسة ـ القاهرة الطبعة الثالثة، ص١٤٠ .

تعالى فإنه أولى به، ومن الشيوخ من ينتفع به مريده الصادق بعد موته أكثر من انتفاعه به حال حياته.

ذلك ما استطاعت هذه الصفحات أن تترجمه من حياة شيخى العارف بالله تعالى الحاج أحمد أبو الحسن (رضى الله عنه ورحمة الله عليه)، فقد كان شيخى - ولم يزل - رجلاً من أجل رجال الله تعالى، وكان شيخى - ولم يزل - حقيقة داعية إلى الله تعالى، وكان شيخى - ولم يزل - يقينه محصن بالعلم والدراية، وكان شيخى - ولم يزل - إيمانه شهود، وشهوده من يوم أخذ العهود.

وفى ختام ترجمته، أود عزيزى القارئ التأكيد على أنك لن تجد فيها إلا لمحات مما اتاحه الشيخ لى من بداياته، وظاهر حاله، وصدفات مكنون جوهره، ويسير علومه ومعارفه، أما نهاياته، وبواطنه، وحقيقته، وأسرار معارفه فهو سبيل شاق، عصى، خفى، ممتنع، لايقوى على سلوكه إلا أولو العزم، أو الموفقون من أهل العلم، ولا يعرف العارف سوى معروفه، والعارف حق، يقول الإمام على (كرم الله وجهه): "لاتعرف الحق بالرجال اعرف الحق تعرف أهله"[1]، ولكن ما لايدرك كله لايترك كله.

والله المأمول أن يقابل جهد المقل بحسن القبول

[1])نقلاً عن : أبى حامد الغزالى ، إحياء علوم الدين ، الجزء الأول ، مرجع سابق ، ص ٥٢ .

الفهرس